السيد محمد حسن آل الطالقاني

الشيخية

نشأتها وتطورها ومصادر دراستها

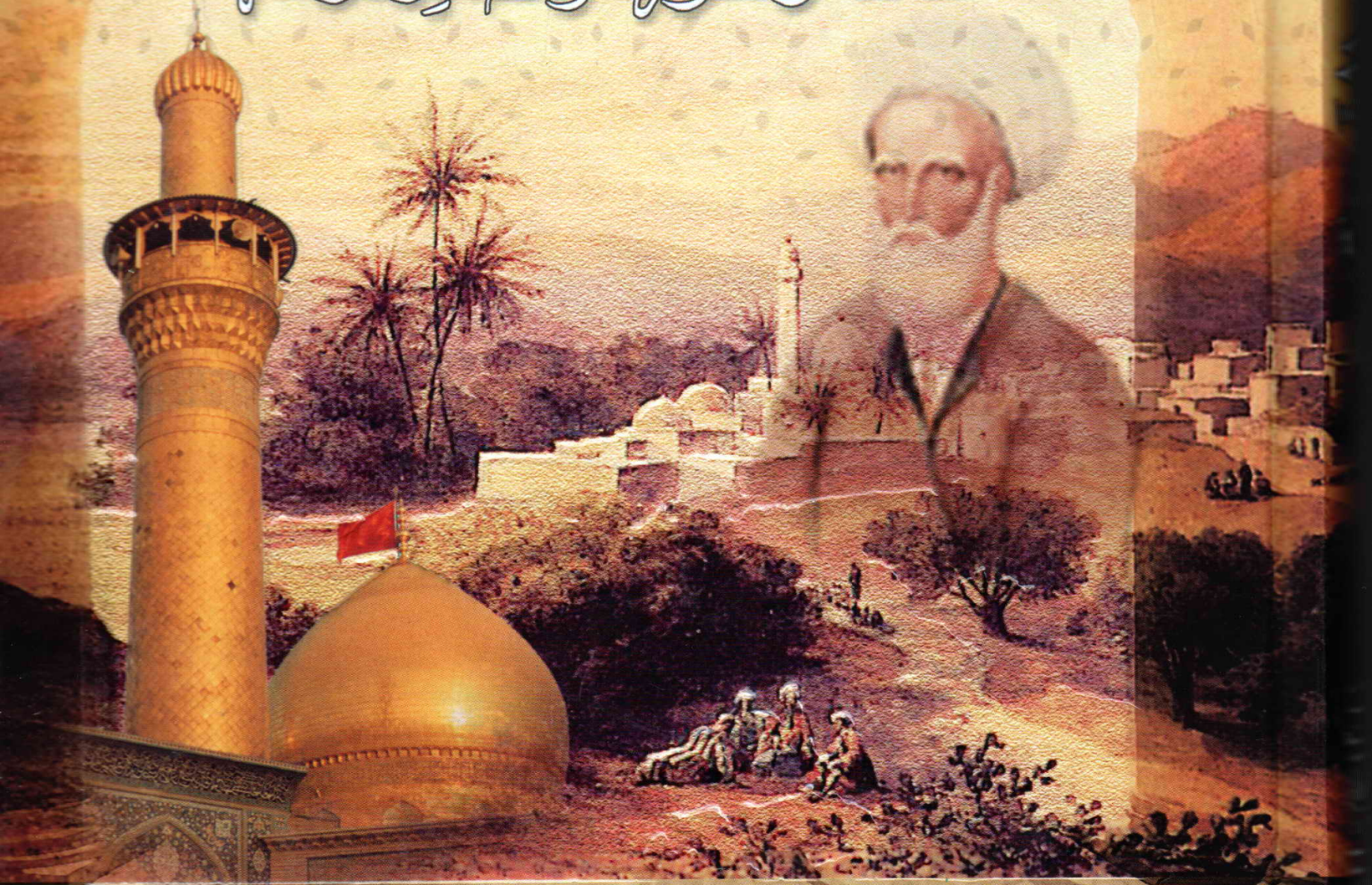

مكتبة المعارف
لصاحبها محمد حسين آل طالقاني - النجف الأشرف

دار الكتاب العربي
بغداد - شارع المتنبي - تلفون: ٤١٥٤٥٦١ - ٧٩٠١٤١٩٣٧٥

الشَّيْخِيَّة

نشأتها وتطورها ومصادر دراستها

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

خليوي: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٦٤٠٨
http://www.Dar-ALamira.com
email:info@dar-alamira.com

الشيخية

نشأتها وتطورها ومصادر دراستها

الشيخ محمد حسن آل الطالقاني

مكتبة المعارف

لصاحبها محمد حسين آل طالقاني

النجف الأشرف

دار الكتاب العربي

بغداد - شارع المتنبي - تلفون: ٤١٥٤٥٦١ - ٧٩٠١٤١٩٣٧٥

السيد محمد حسن آل الطالقاني

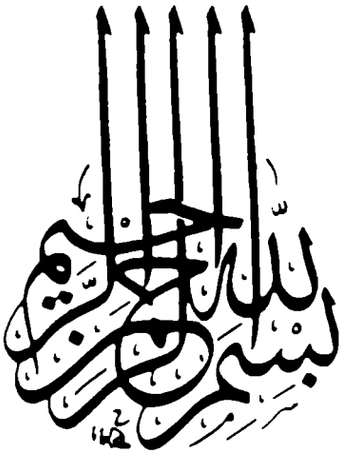
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إيضاح واعتذار

لقد فرغت من تأليف هذا الكتاب سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ووضعته على رفّ من رفوف المكتبة مع عدد من الكتب والرسائل والبحوث التي انتهيت منها قبل ذلك التاريخ، وظلّ مستقرّاً في مكانه حتى أُضيفت إليه عدّة كتب ودواوين وبحوث أُخرى بين تأليف وتحقيق، وانصرفت عنها بحكم مشاغل الظروف وصوارف الزمن إلى حين كتابة هذه السطور. وقد ظهرت إلى الوجود، خلال هذه الفترة، بعض الكتب، وكتبت بحوث متعدّدة عن الشيخيّة لم ترد في هذا الكتاب إشارة إلى شيء منها؛ لأنّ ضيق وقتي وانحراف صحّتي قد حالا دون إعادة النظر بها، أو إضافة شيء إليها؛ ولذلك اقتضى الاعتذار إلى أصحاب تلك الكتب والمقالات، والإيضاح بأنّ ذلك لم يكن إهمالاً متعمّداً أو غرضاً مقصوداً. والله من وراء القصد.

المؤلّف

تقديم

كان اختيار فرقة (الشيخيّة) موضوعاً لهذه الرسالة* نتيجة لسببين:

الأوّل: أهمّية هذه الفرقة نظراً لعطائها في مجال الفكر، فبالرغم من قلّة عدد علمائها بالنسبة إلى مجموع رجال العلم عند الشيعة الإماميّة، وبالرغم من قصر عمرها بالقياس إلى غيرها من الفرق الداخلة تحت لواء التشيّع، نرى في ما تركه أعلامها من مؤلّفات كثرةً تلفت النظر، فقائمتا مؤلّفات الشيخ أحمد الأحسائي زعيم الشيخيّة، والسيّد كاظم الرشتي خليفته، قد تجاوزت أرقامها الثلاثمائة، عدا غيرهما من شيوخها، فقد تجاوزت قائمة مؤلّفات غير واحد منهم المائة. أمّا إذا أضفنا إلى تلك القوائم أسماء ما كتب حولها من ردّ ونقد وتأييد وتفنيد، فإنّ مجموعها يتجاوز ألف كتاب حتماً، وهي ثروة كبيرة أغنت المكتبة الإسلاميّة وأمدّتها بمصادر عديدة أوضحت كثيراً من الجوانب الفكريّة في الإسلام، لا سيّما لدى الشيعة الإماميّة. وبهذا اختلفت الشيخيّة عن البابيّة والبهائيّة؛ إذ ليس لرجالهما عشر هذا العدد من المؤلّفات، كما لم تكن الردود على كلّ منهما لتتجاوز أصابع اليد كثيراً.

الثاني: حاجة المكتبة العربيّة لدراسة موضوعيّة تكشف عن أفكار هذه الفرقة؛ فإنّ معظم ما صدر من ردود عليها لم يكن وافياً بالغرض، ولا كاشفاً عن حقيقتها وآرائها بصورة واضحة، أضف إلى ذلك أنّ ردّ غالب المصادر التي تعرّضت لذكرها أو اختصّت بالردّ عليها كان عاطفيّاً، لا يستخدم الموضوعيّة والمنطق العلميّ في تحليل العقيدة والحكم عليها؛ حيث يقف القارئ حائراً بين المؤيّدين والمفندين. وهنا تضيع الحقيقة بين السلب والإيجاب.. ولذلك حاولت ـ في اختيار هذا الموضوع ـ أن أكمل النقص الذي تشعر به المكتبة العربيّة في هذا المجال، وأن أقدّم بحثاً متكاملاً قدر استطاعتي، وأن أكون أميناً في عرض الرأي والحكم عليه.

---

* هذه الرسالة نال بها المؤلف درجة الماجستير من الجامعة اليسوعية في لبنان عام ١٩٧٤م. «الناشر»

وقد اشتملت هذه الرسالة على تمهيد وخمسة أبواب:

أما التمهيد فتحدثت فيه عن محاولات التوفيق بين الحكمة والشريعة لأن مؤسس الشيخية من أبرز الفلاسفة المتأخرين الذين اهتموا بهذا الموضوع ودارت حوله بحوثهم. وأما الأبواب الخمسة فهي:

١ ـ **الحركات الفكريّة عند الشيعة الإماميّة في القرن الثالث عشر الهجريّ**. وقد تعرّضت فيه لما قام في العراق وإيران وسائر مناطق الشيعة من حركات فكريّة، كانت وليدة المعتقدات الدينيّة، وذكرت منطلقها ونقطة ارتكازها. أولاها: الحركة الأخباريّة وما صحبها من صراع، ونشأ عنها من خلاف ومهاترات وأحداث. وعطفت على حركة الشيخيّة وما رافقها من خصومات وحملات، وما قوبل به رجالها من استنكار ومقاومة وضراوة، وما آل إليه أمرهم أخيراً. وثلّثت بذكر حركة البابيّة وكيفيّة قيامها، وما لقيته في بداية ظهورها من نجاح وحظيت به من تأييد من قبل فريق من أهل العلم وغيرهم، وكيف قامت عليها القيامة أخيراً، وأفتى الفقهاء بكفر «الباب» ووجوب قتله، ووقفت الحكومتان ـ العثمانيّة والإيرانية ـ إلى جانبهم، وكيف تمسّك مؤسّسها وصحبه الأوّلون بمبادئهم، ولم يؤدِّ بهم ما لقيه من عنت وإرهاق إلى التراجع عنها والبراءة منها، حتى لقي «الباب» حتفه بالإعدام وأُلحق الآخرون به بأساليب مختلفة، وكيف نشأت عنها البهائيّة، ونمت بقوّة حتى غزت أوربا وأمريكا، وشيّدت لها المراكز والمؤسّسات في الشرق والغرب.

٢ ـ **سيرة الشيخ أحمد الأحسائي**؛ وهو الذي نسبت إليه هذه الفرقة، وتعتبر مؤلّفاته المصدر الأساسيّ لمعتقداتها في أصول الدين وفروعه. وقد ترجمت له بإسهاب، ونفت عنه ما اتّهمه به بعض خصومه من أنّه انتسب إلى الأحساء وهو عبد أندنوسيّ، وادّعى الإسلام وهو مسيحيّ، كما تعرّضت لذكر أوّل من شهّر به وحكم بكفره، وكيف اقتدى به الآخرون في إيران والعراق، وتحدّثت عن أدوار حياته كافّة، ونظمت لمؤلّفاته ثبتاً يكاد يكون الأوّل في ما كتب عنه من حيث الشمول وصحّة الأرقام. وقد جاءت سيرة حياته ـ من حيث الاستيعاب والاستقراء

والـدقَّـة ـ أوسـع ما كتب عنه حتى الآن بالعربيّة والفارسيّة وغيرهما، حتى ما كتبه الشيخيّة أنفسهم، فقد أظفرني البحث بقضايا تتعلّق به ولم يعرفها أو يتوصّل إليها أتباعه.

٣ ـ **سيرة السيّد كاظم الرشتي**؛ وهو أبرز تـلامـذة الأحسائي وأنشطهم وأشجعهم، وقـد خلفـه علـى رئـاسته الدينيّـة والاجتماعيّـة، وإليه يعود الفضل في نشر آثار الأحسـائـي وآرائـه. وقـد عمـدت إلى تفنيد مزاعم خصومه من أنّه قسّ من ولاية «ولايـد سـتـوك» فـي روسيـا، وشرحت مواقفه المشرّفة في الوفاء لأستاذه والدفاع عنه، وإيمانـه الـراسخ بإخلاصه وحسن قصده، وكيف كان يعمد إلى توجيه أقواله المتشـابهـة بمـا يوافق المعتقد السائد لدى أبناء مذهبه، وما لقيه من مقاومة عنيفة وتكفير، وكيف تعدّدت محاولات قتله وكان ينجو منها بأعجوبة.

وسيرته ـ هو أيضاً ـ وافية للغاية، وأوسع ما كتب عنه حتى الآن.

٤ ـ **انقسـام الشيخيّة وتعدّد الزعامات**؛ وفي هذا الباب عرض تأريخيّ مهمّ؛ فكثير ممّن تصدّى للردّ على الشيخيّة قد خفي عليه انقسامها إلى مدرستين، واستقلال كـلّ منهمـا بـآراء وأقـوال خـاصّـة بهـا لا تقـول بها المدرسة الأُخرى. وقد خلط الناقدون بينهما، واتّهموا الكلّ بآراء البعض. وتعرّضت إلى ذكر الانقسام وأسبابه وتـأريخـه، وتـرجمت لـزعمـاء الـديـن ورؤساء الطائفة لدى كلّ مدرسة من بداية الانقسام إلى العصر الحاضر، كما ذكرت مراكزهم ونشاطاتهم وآثارهم.

٥ ـ **المـدرسـة الشيخيّـة وآراؤها**؛ وقد تضمّن هذا الباب أسباب تسمية هذه الفرقة وتعـدّد أسمـائهـا وتسلسلهـا، وعـوامـل ظهـور الأحسـائـي ومنهجـه العلمـيّ، والمؤاخذات على الشيخيّة، وبعض الكتب التي أُلّفت في الردّ عليهم، وأوّل كتاب تعـرّض للـردّ علـى الأحسـائـيّ ومناقشة آرائه. وخصصت بالذكر أربع مسائل هي فـي الـواقـع أبـرز نقـاط الاختـلاف، وأشهـر مـوارد الخصـومـة بيـن الشيخيّـة ومعارضيهم؛ وهي:

أ ـ المعاد الجسماني.

ب ـ المعراج الجسماني.

جـ ـ الغلوّ والتفويض.

د ـ الركن الرابع.

وقد وقفت عند كلّ واحدة من تلك المسائل الأربع، واستعرضت آراء الشيخيّة فيها، وقارنتها بآراء الشيعة، وفصّلت بين ما كان حقيقةً وما كان اتّهاماً.

وقد عانيت، في إعداد هذه الرسالة، متاعب جمّة، وبذلت جهداً مضنياً، وصرفت وقتاً طويلاً؛ حيث اعترضت طريق بحثي مشاكل عديدة؛ أهمّها: كون معظم المصادر باللغة الفارسيّة. فقد نمت الحركة في إيران، ومعظم أنصارها وخصومها إيرانيّون ألّفوا أكثر آثارهم بالفارسيّة. أضف إلى ذلك ندرتها؛ فهي غير موجودة في المكتبات التجاريّة مطلقاً، أمّا المكتبات العامّة والخاصّة فلا تحوي كلّ واحدة منها إلاّ كتاباً أو كتابين. وقد استعنت بمكتبات النجف وكربلاء وبغداد والبصرة، كما استعنت بالاحقاقي؛ المرجع الدينيّ لشيخيّة تبريز، وهو يسكن الكويت، ووثّقت الصلة بالموسويّ؛ وهو الوكيل العامّ والممثّل لمركز شيخيّة كرمان في العراق، ومقرّه البصرة، واستعنت ـ أيضاً ـ ببعض المعارف من رجال الثقافة وأساتذة الجامعة في طهران. وقد ساعدتني معرفة اللغة الفارسيّة ـ وإن لم تكن متقنة ـ على الاستفادة من تلك الكتب الفارسيّة التي زوّدت بها، كما أجهدتني قراءة المصادر العربيّة كثيراً، فمعظمها ضخم يتألّف من مئات الصفحات، وقد طبع على الحجر في إيران قبل حوالى القرن والقرن والنصف، وهي طباعة لا تعرف فهرسةً ولا تنظيماً ولا تبويباً. وإنّ الوقوف على محلّ الحاجة واستخراج الشواهد منها يحتاج إلى جلد وصبر؛ لأنّني كنت مجبراً على قراءة معظم الكتاب الضخم أو كلّه، بغية الوقوف على القول المنسوب إلى صاحبه.

وكانت لي منذ عهد سابق روابط صداقة وعلاقات مودّة مع إخوة كرام من الشيخيّة، وثّقها التصدّي لدراسة عقائدهم، وتعرّفت بآخرين عن طريق هذه الرسالة. غير أنّ الحبّ والاحترام المتبادلين لم يحل دون قول الصدق وكشف الواقع وإعلان الحقيقة، سواء كان ذلك لهم أم عليهم. فقد بحثت الموضوع بتجرّد وبروح علميّة بحتة لا تخضع للاعتبارات مهما كان شكلها ونتائجها. فلم

أوافق فريقاً إلاّ حين رأيت الحقّ في جانبه، ولم أخالف آخرَ إلاّ بعد الاعتقاد الجازم بأنّ الحقّ مع خصمه، ولم أسمح لقلمي بالسير وراء العاطفة مطلقاً. وأرجو أن أكون قد وفّقت لتحقيق ما صبوت إليه.

ويجب أن لا أنسى العلماء والأساتذة والإخوان الذين مدّوا لي يد المساعدة، وهم كثر، وعلى رأسهم أستاذي الإمام الحجّة الشيخ آغا بزرك الطهراني ـ نضّر الله وجهه ـ، الذي توفّي وأنا مشغول بإعداد هذه الرسالة، فقد وضع تحت تصرّفي ما تضمّنه مكتبته العامرة (مكتبة صاحب الذريعة العامّة) من مصادر مطبوعة ومخطوطة تخصّ الموضوع، والعلماء الأعلام: السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم الذي أعارني بعض مؤلّفات الشيخيّة النادرة، فظلّت عندي شهوراً، والشيخ حسن الاحقاقي الذي كتب لي بعض التراجم، وزوّدني بنسخ من صور مشايخه، وأهداني كتاباً، وكتب إلى مسؤول مكتبة الحائري في كربلاء الأستاذ رياض طاهر أن يزوّدني بمطبوعاته وأن لا يضنّ عليّ بشيء، والسيّد عبدالله الموسويّ الذي قدّم لي عوناً لا ينسى، فقد أهداني عدّة مصادر عربيّة وفارسيّة ممّا لم يكن العثور عليه سهلاً إلاّ عن طريقه، وأعارني نسخه الخاصّة من بعض المراجع المعدومة أو النادرة، وبعثها رسول مخصوص إلى النجف مرّتين لتسليمي إيّاها بيدي. وما كتبت إليه سائلاً عن موضوع أو مسترشداً إلاّ وبادر إلى إجابتي بكلّ لطف وانشراح وتقدير رغم كبر سنّه ومرضه. وكذا الأخ فضيلة الشيخ محمّد رضا الأميني مدير «مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامّة» في النجف، فقد كان يمدّ لي يد المساعدة حتى في أيّام العطل وفي غير الأوقات المخصّصة، وينتظرني ساعات طوالاً، وكذا الشيخ شريف كاشف الغطاء مسؤول «مكتبة الإمام كاشف الغطاء العامّة»، والسيّد صالح الحسيني مسؤول «مكتبة صاحب الذريعة العامّة»، فقد كانا لا يردّان لي طلباً في أيّ وقت، وكذا الشيخ إبراهيم صدقي الذي تفضّل فجمع لي بعض المصادر منه ومن غيره، والسيّد محمّد حسين الجلالي الذي لم يضنّ عليّ بأيّ كتاب يملكه أو فائدة ذات صلة بالبحث، والدكتور علي نقي المنزوي الذي تفضّل بدلالتي على بعض المصادر، وأوضح لي كثيراً من الأمور،

وأفادني بما أبداه لي من ملاحظات قيّمة وتصويبات نافعة، وأشكر ـ كذلك ـ صهري الأستاذ ضياء الشيخ نور الدين مشكور الذي بذل جهداً كبيراً في كتابة نسخة كاملة من هذا الكتاب، وشقيقي السيّد محمّد حسين الطالقاني صاحب «مكتبة دار المعارف» في النجف، الذي أمضى وقتاً طويلاً في التصدّي لما يتعلّق بهذا البحث، وقد وفّر لي عدداً كبيراً من المصادر، والدكتور زهير غازي زاهد الذي حمل لي من القاهرة بعض المصادر النادرة التي طلبتها. فإلى هؤلاء جميعاً أتقدّم بالشكر، وأعترف بالجميل، وأسأل الله تعالى أن يجزيهم عنّي خيراً وأن يوفّقهم للصالحات أبداً.

وبعد، فهذا جناي وخياره فيه، وآمل أن أكون قد أدّيت فيه خدمة للتاريخ والفكر، وأن يحمل إخواني من الشيخيّة ما ورد فيه، من نقد أو ردّ، على حسن القصد وعدم الغضب، فأنا طالب علم أتحرّى الحقيقة جهدي، فمعذرةً إن وقعت في خطأ فلست بمعصوم. وأرجو من القرّاء؛ وبخاصّة أهل الخبرة منهم، أن لا يضنّوا عليّ بالنقد والنصح والتقويم، وكلّ ما يقرّب الكتاب من الصواب والحقيقة، وسيجدونني شاكراً لهم. ونسأل الله ـ تعالى ـ أن يسدّد خطانا، ويجري أقلامنا في ما ينفع الناس ويمكث في الأرض ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾.

محمّد حسن آل الطالقاني

النجف الأشرف

تمهيد

محاولات التوفيق بين الحكمة والشريعة

لا بدّ لنا في التمهيد لنشأة الشيخيّة وتطوّرها، من الإشارة إلى تاريخ الفلسفة في الفكر الإسلاميّ، وعرض مراحل نموّ الفكر الفلسفيّ في ثقافة المسلمين؛ لأنّ مؤسّس الشيخيّة واحد من أبرز الفلاسفة المتأخّرين في عصور الثقافة الإسلاميّة، وهو ممّن تأثّر بالفيلسوف المتصوّف صدر الدين الشيرازي صاحب «الأسفار»[١]، الذي نهج ـ في ما يبدو ـ طريق «إخوان الصفا»[٢].

وقد اهتمّت هذه المدرسة، وكذلك اهتمّ الشيرازي وتلميذه الأحسائي بالتوفيق بين الفلسفة والشريعة، أو بين الفكر الفلسفيّ والفكر الدينيّ عموماً، وتطوّر هذا المسار الفكريّ عند الأحسائي حتى أصبح عميد مدرسة فكريّة متميّزة الملامح والاتّجاهات، وقد جوبهت هذه المدرسة ـ في رجالها وأفكارها ـ بكثير من المجابهات من المعاصرين لها والمتأخّرين عنها، ولا تزال المواقف منها متنوّعة؛ ولأجل متابعة نشأة التفكير الفلسفيّ، فإنّنا نفضّل البدء بوصف الوضع الفكريّ للعرب قبل الإسلام.

إنّ الذي يمكن أن يستخلص من المصادر الخاصّة بالموضوع أنّ للعرب قبل الإسلام مجموعة تراكمات معرفيّة في الحكمة والأمثال والمعلومات الطبّيّة والفلكيّة استخلصوها من تجاربهم، وكان في بيئتهم مجموعة من الآراء الدينيّة والعقائد وجدت في حضارات اليمن وما بين النهرين والشام ووادي النيل، وكان لديهم علماء في اللاهوت المسيحيّ[٣]، وتشير المصادر إلى أنّ بعض مفكّري اليونان قد لجأوا إلى هذه الأوطان عندما اضطهدوا في بلادهم، لما آمن بعض الأباطرة بالمسيحيّة وأغلقوا مدارس الفلسفة في اليونان وإيطاليا[٤]، فضلاً عن القدوم الطوعيّ إلى هذه البلدان من قبل بعض المفكّرين من اليونان والرومان،

والاستقرار في مدارسها، كالإسكندريّة وأنطاكية والرها ونصيبين وحرّان وجنديسابور للاستزادة من المعرفة[٥].

وإلى جانب المصادر التاريخيّة، هناك القرآن الكريم بل هو المصدر الموثوق به مطلقاً؛ فإنّه يشير إلى هذه الإفادات، فهو إلى جانب كونه النصّ المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد حظي بعناية إلهيّة في الحفظ من التحريف على مرّ العصور، هذا القرآن الكريم صرّح لنا ـ أيضاً ـ في أكثر من موضع بوجود هذه المعارف الفكريّة والدينيّة ـ قبل الإسلام ـ في المجتمع الشرقيّ عامّة، وفي المجتمع العربيّ خاصّة، فقد جاء فيه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحجّ/١٧]. ومنطوق الآية صريح في وجود اختلافات فكريّة، ممّا يدلّل على خصومة في النظر والاستدلال حيث يقول: ﴿إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي بإظهار صحّة الصحيح وإبراز المحقّ؛ لأنّ الفصل هو التمييز[٦]، ولا ضرورة له ما لم تكن هناك خصومات فكريّة.

وتتحدّث كتب الملل والنحل أنّ طائفة أنكرت الخالق وأُخرى أنكرت البعث وقالت بالدهر المحيي والدهر المفني[٧]؛ الذين وصفهم القرآن مثلاً بقول الله: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام/٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية/٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس/٧٨ و٧٩]، ويصف القرآن حجّة من يعبد الأصنام قال: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر/٣]، بل إنّ البعض منهم كانوا يعبدون الملائكة والجنّ، ويزعمون أنّهم بنات الله، فأخبرنا عنهم بقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل/٥٧]، وقالوا: ﴿وَجَعَلُوا المَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمنِ إِنَاثاً﴾ [الزخرف/١٩].

وكـان المجـوس يـدينـون بشـريعة غير شرائع أهل الأوثان، ويخالفون أهل الكتاب، وكان اليهود والنصارى يخالف بعضهم البعض في الكثير من الآراء، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة/ ١١٣]، وقال: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة/ ٣٠]، وعلى ألسنتهم يصوّر القرآن قول أهل الكتاب للذين كفروا يقول: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاَءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ [النساء/ ٥١].

إنَّ هذا التنوّع الفكريّ الذي يصوّره القرآن لا بدّ أن تتجاذب فيه أفكار تخصّ شؤون الألوهيّة والرسالات والمعاد والآخرة والجنّ والأرواح... ولعلّ هذا التضارب في الأفكار والحاجة إلى الموازنة بين الأقوال والأدلّة قد أفرز لدى البعض نزوعاً للعودة إلى الإبراهيميّة، فقام، إلى جنب هذه التعدّدات الفكريّة، من يدعو إلى الحنيفيّة الإبراهيميّة[٨]؛ دين إبراهيم الخليل، ونبذ العقائد الأُخرى، ومن الشواهد على هذه النزعة ما صرّح به المسعودي أنّ عدداً من العرب من أمثال قسّ بن ساعدة[٩] وغيره، قد دعوا قومهم إلى دين إبراهيم الخليل، بل لقد امتدّ الأثر الفكريّ والدينيّ إلى الأدب آنذاك، فقد ظهر الأثر النصرانيّ في شعر عدي بن زيد، وظهرت الدعوة إلى الحنيفيّة في شعر زيد بن عمرو وورقة بن نوفل[١٠].

كلّ ذلك يدلّ بوضوح على أنّ لهم نوعاً من النظر العقليّ بما يقترب من الفلسفة؛ من حيث إنّها تعبير فكريّ عن موقف، سواء كان ناتجاً عن مسلّمات أو وليد إدراك ووعي تامّ، فمناقشة قضيّة الأرواح والحياة الأُخرى والزمن هي موقف فلسفيّ بهذا المعنى أو ذاك[١١]. وإذا قلنا بوجود «نوع من النظر العقليّ» عند العرب قبل الإسلام، فلا نعني به قدرة متميّزة على التفكير الحرّ المنظّم والمتناسق والواعي، إنّما النظر العقليّ هو عمليّة تكوين موقف إزاء قضيّة كونيّة مادّيّة أو ميتافيزيقيّة[١٢].

ولعلّ هذا التحديد يفسّر قول المؤرّخ جواد علي: «إنّ أهل الكتاب في الحجاز كانوا مثل سواهم من العرب على حظّ قليل من النموّ الفكريّ والحضاريّ،

ولا تعرف لهم كتب سوى التوراة والإنجيل، ويقتصر وجودهما على علمائهم فقط»[١٣]. أو ما يفسّر قول ابن قتيبة في المعارف؛ إذ يرى أنّ ربيعة وغسّان وبعض قضاعة كانت تصوغ موقفها من الكون والخالق من خلال الفهم النصرانيّ، بينما كانت تصوغه حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة من خلال الفهم التلموديّ، ورشفت تميم من المجوسيّة، وكانت قريش تميل إلى الزندقة التي أخذوها من الحيرة[١٤]، وإلى جانب تحديد الموقف الفلسفيّ وصياغته.. نجد أنّ للعرب «معرفة عمليّة»، كمعرفتهم بمطالع النجوم ومغايبها، وأنواء الكواكب والأمطار، وكان فيهم علماء مميّزون يرجعون إليهم لفضّ الخصومات، ذكر ابن أبي أصيبعة والجاحظ بعضاً منهم، وعند الآلوسي بعض التفاصيل عن ذلك[١٥].

لقد كان التفكير الفلسفيّ إبّان ظهور الإسلام أعمق وأثرى ممّا كان عليه في ما سبقه من أزمان؛ لأنّ بقيّة الأفكار الدينيّة ليست بالاتّساع بمكان بحيث تضارع الفكر الفلسفيّ الإنسانيّ، بل ليس الفكر الفلسفيّ من الشموليّة الاستغراقيّة بحيث يضحى موقفاً علميّاً يناقش بديمومة ما يقابله من الفكر الدينيّ.. لذلك كلّه لم تحصل ـ في فترة ـ ما قبل الإسلام عمليّة حوار بين الفكر الدينيّ والفكر الفلسفيّ البشريّ، إنّما كانا معاً على درجة من الحضور لا تمكّنهما من تشكيل المواقف الشموليّة، إنّما الذي حصل أنّه بنزول القرآن الكريم وظهور دعوة الإسلام حلّ على العقل العربيّ، نصّ شموليّ كونيّ يحتوي على موقف كونيّ في العقيدة والقيم الأخلاقيّة والقانون الموجّه للحركة الإنسانيّة، وكلّ ركن نابع من رؤية فلسفيّة شموليّة. لذلك، بدأت المواجهة بين إنتاج العقل الإنسانيّ من معارف ورؤى ومناهج، وبين الرؤية والمعارف القرآنيّة، بل الإسلاميّة عامّة.

فالإسلام في بدء الدعوة كان دعوة إلى عقيدة سماويّة على درجة عالية من الشمول للعلاقات بين الله والإنسان والكون، ومعياراً للقيم الأخلاقيّة وشيء من أحكام السلوك والتصرّفات، كما توحي بذلك السور المكّية. وفي مرحلته المدنيّة طبّق ذلك كلّه بإقامة الدولة وهياكلها، فانتقل من التأسيس النظريّ إلى التطبيق

العمليّ، وسرعان ما اتّسعت أرجاء هذه الدولة فانضوت تحت «ايديولوجيا الإسلام» ثقافات متعدّدة، ورؤى فكريّة متنوّعة، وشعوب وأقوام تحمل أعرافاً وتقاليدَ وتراثاً فكريّاً متنوّعاً له جذوره التاريخيّة المتعدّدة، وصيروراته المتنوّعة، ومشبع بمواقف عن الله، الحياة، الزمان، الإنسان، فلسفة السلطة، ونظريّات في الحقوق، والحرّيات، وقوانين لتهذيب السلوك الإنسانيّ، فدخل من هؤلاء حشد كبير في الدين الجديد، وظلّ قسم منهم على ما هم عليه، وبسبب حثّ القرآن الكريم أتباعه على التبشير المستمرّ بالإسلام، والحوار العلميّ، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، ولرغبة تلك الثقافات في أن تعرف الحقيقة من خلال هذا التحدّي العنيف للسائد من ثقافاتهم، انبعث نشاط فكريّ شامل طوّر حياة الإنسان في هذه المنطقة تطويراً هامّاً، ومن تلك الحوادث:

أ ـ الحوار الإسلاميّ مع أهل الكتاب، الذي ذكر القرآن الكريم منه مفاصل متعدّدة؛ منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. .﴾ [آل عمران/ ٦٤].

ب ـ الحوار مع الصابئة والمجوس والدهريّين والمشركين، هذه الحوارات التي وثّقها النصّ القرآنيّ، قد أفسحت في المجال للتفكير الحرّ في الوسائل التي تدعم وجهة نظر كلّ فريق، ودليله، ونقض الدليل.. إلخ.

وإلى جنب هذه الحقيقة التاريخيّة هناك حثّ قرآنيّ على النظر العقليّ مطلقاً، وإنّ التأمّل في مظاهر الكون وما وراء الطبيعة أتاح للإنسان فرصة كبيرة للتعلّم والمعرفة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام/ ٥٠]، و ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة/ ٤٤][١٦]، و ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمّد/ ٢٤]، بل إنّ القرآن الكريم حفّز في أكثر آياته على إعمال النظر بوسائل فلسفيّة، كالاستقراء والاستنتاج والتعميم والقياس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة/ ١٦٤]. وعند نزولها قال النبيّ ﷺ: «ويلٌ لمن لاكها بين لحيين ولم يتدبّرها»(١٧).

يمكن القول ممّا تقدّم: إنّ هذا الحثّ على اعتماد الاستقراء والملاحظة المتأمّلة للوصول إلى تعميمات في قواعد الخلق والتكوين، جعل من البحث النظريّ ضرورة دينيّة؛ لا سيّما لتحقيق «الإيمان»؛ إذ إنّه لا يقبل تقليداً، بل لا بدّ من استقصاء ونظر شخصيّ للوصول إليه بالجهد النظريّ الشخصيّ، فالإسلام ليس فكراً لاهوتيّاً محضاً، إنّما أقام بنيانه الفكريّ على أساس من ضرورة التدليل على صحّة أصوله وضعف ما يخالفها بالدليل العقليّ والنظر البرهانيّ؛ لذلك تراه ينعى على تقليد الآباء والانسياق وراء العقل الجمعيّ، فيقول: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف/ ٢٣]، ويطالبهم باعتماد البرهان لإثبات صحّة دعواهم، فيقول: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل/ ٦٤].

ويرى جمع من العلماء أنّ القرآن الكريم هو أوّل كتاب سماويّ فرض تعلّم العلم والفلسفة على أتباعه فرضاً، وأوجب عليهم التفكير في أسرار الكون وخفايا الوجود ليصلوا من هذا التفكير إلى معرفة المبدع الأوّل والإيمان به، والتيقّن بخلود الروح، والعود إلى حياة أخرى يتحقّق فيها العدل المطلق، وهكذا نجد أنّ قواسم مشتركة في موضوعات الفلسفة تحدّث عنها القرآن، وأشار إليها، وطلب التقصّي للوصول إلى حقائقها بالأدلّة العقليّة؛ منها نشأة العالم، وموجده، ومصير الإنسان، وطبيعة الحركة، والزمان، ومفهوم العدل والمسؤوليّة.

ثمّ إنّ الإسلام هو الدين الذي حرّر العقل البشريّ من الأسطورة والخرافة، ولم يقيّد النظر العقليّ بوجهة معيّنة، ولم يحدّ له حدّاً طالما اعتمد الدليل القاطع قائداً له؛ لأنّ الحجّة الذاتيّة «الدليل العقليّ القاطع» من جنس التكوين والخلق؛ لذلك لم يتدخّل الله تعالى في تغيير الحجج الذاتيّة؛ لأنّ رفعها موجب للتناقض، ولو رفعها لاحتجنا إلى دليل، وبهذا يلزمنا التسلسل، وما دام الله لا يتصرّف على عباده بالقطع الذاتي عندهم في ماهيّته، فلا يتصرّف بأسبابه ولا أشخاصه ولا بزمانه ولا بمتعلّقاته، فالقطع في المفهوم الإسلاميّ حالة دائميّة ثابتة متى تحقّقت

شـروطهـا، وهـذا الفهم وقبله تخويل القرآن للعقل أن يأخذ كامل صلاحياته، إذا شاهد في الفلسفة والعلم، أساساً بل المقوم لهما، فلا يعرف في دين من الأديان ما عدا الإسـلام[١٨] من إلزام الناس به والحثّ المطلق عليه وتعليق صحة الإيمان على اشتراطه.

إنّ حقيقة الإيمان ليست حقيقة معرفية خالصة إنّما هي حقيقة ممتزجة دائماً بأدقّ التعاليم. ويمكننا أن نلاحظ اقتراناً وثيقاً بجمع عناصر متعدّدة تتعلّق بالإيمان فـي آن واحـد هـي «الإلهيـات، الإنسـانيـات، الأخرويات، الأخلاق»[١٩]؛ لهذا انصـرف الجيل الأول للتلقي والاستيعاب، فقد غمرتهم الرؤية الشمولية الكونية، ولم يكونوا فكـريـاً مكيّفين لاستقبال هذه الرؤية وتحليلها والتحاور في مفاصلها، بل قدرتهم على فهمها أولاً، إلا أنه ما إن حصل الحدّ الأدنى من هذا الاستيعاب حتـى نشـأت نـزعتـان منهجيّتان؛ الأولى تمسّكت بالنص والأُخرى احتكمت إلى العقل لتفسير النصّ.

ولمّـا أثيـرت فـي بواكير فهمهم «إشكالية السلطة بعد النبي» صاروا يبحثون عن فلسفة للدولة والسلطة معاً وأسس فلسفية للشرعية الدستورية، وهذه الإشكالية وإن كـانت أعظـم خـلاف فكري شكّل عنصراً للبحث عن موقف متناغم بين العقل والنـصّ، إلا أنّ نتـائجهـا لـم تظهـر إلا حينمـا انحـازت السلطـة إلـى «المـوروث الجـاهـلـي» بحيث تحوّلت الدولة من أساسها الإسلامي «الشورى» بعد أن عزلت نظريـة التنصيـص الإلهي على المعصوم «كقيادة فكرية وزمنية»، أقول تحوّلت من الشـورى إلـى الوراثـة، وبسطـت السلطة مظالمها وتجرّأت على حقوق الإنسان، وأسقطت الفهم الإسلامي المتألّق لتلك الحقوق في عصر الأمويين، فقد كان لهذه إفـرازات عـدّة، منهـا مـا أثيـر فـي علاقة الإيمان بالأعمال، حول وصف مرتكب الكبيرة سعياً وراء إسقاط الشرعية الدينية للدولة الأموية بوصفها: مرتكبة للكبائر، فـلا بـد أن تخـرج مـن دائرة الإيمان، وبالتالي تخرج من حق تولّي إدارة الدولة؛ لذلك قامت قبالتهـا «نظـريـة المرجئة» لتعطيل هذا النسق الفكري وآثاره ومعطياته السياسية، وأشيعت نظرية الجبرية لكي يتوصّل منها إلى أن قضاء الله وقدره فرض

على الأمة. هذا هو الواقع فلا بد من التسليم به. ونشطت قبالتها نظرية حرية الإرادة، فقتل عبد الملك بن مروان معبداً الجهني لذلك، يقول ابن قتيبة عن الأوزاعي أنه قال: «إنّ معبداً هو أول من تكلّم في القدر ثم جاء بعده غيلان»[٢٠]، فقد كان يحاور الحسن البصري ويقول له: «يا أبا سعيد، هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم، ويقولون: إنما تجري أعمالنا على قدر الله تعالى»[٢١]، وجاء غيلان ليؤسّس على نظرية حرية الإرادة أنّ الخلافة لا تثبت إلاّ بإجماع الأمّة.

هكذا تقابلت وجهات النظر إزاء قضية السلطة وإشكالياتها، إلى جانب المؤثرات المسيحية واليهودية في عصر التابعين؛ لذلك تعدّدت الأسباب التي عزي إليها في نشأة علم الكلام بين أسباب داخلية وخارجية[٢٢] تمثّلت الداخلية بمشكلة السلطة وفهم الآيات المتشابهة، وتطوّر المجتمع فلسفياً، وتمثّلت الخارجية بالحوارات مع الفكر التلمودي والإنجيلي والفلسفة اليونانية والمذاهب الغنوصية الشرقية.

على أنّ أكثر المصادر العلمية تركز على أن الأصل في الفلسفة هم الروم[٢٣]، كما يذهب إليه القفطي[٢٤] والشهرستاني[٢٥] الذي يرى أن غيرهم عيال عليهم، بل يذهب صديق حسن خان إلى أنّ «جميع العلوم العقلية مأخوذة من أهل يونان»[٢٦]، لكن الحقّ أنّ الفكر الفلسفي المحاور للفكر الإسلامي كانت له مصادر متنوّعة؛ منها يونانية وفارسية وهندية وغيرها من مرجعيات ذلك الفكر. ولكن وكما ذكر السبكي: إنّ فلاسفة المسلمين فسّروا كتب الحكمة من اليونانية إلى العربية[٢٧].

إلا أنّ ذلك لا يسوّغ لابن خلدون أن ينفي اقتباس المسلمين للفكر الفلسفي من فارس، وكان قد اعترف هو بعظمة العلوم العقلية عندهم، فقد قال في مقدّمته: «لمّا فتحت أرض فارس وجدوا فيها كتباً كثيرة، فكتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ليستأذن في شأنها ويلقّنها للمسلمين فكتب إليه عمر: «أن اطرحوها في الماء فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه، وإن يكن

ضلالاً فقد كفانا الله. فطرحوها في الماء أو في النار وذهبت علوم الفرس فيها عن أن تصـل إلينـا»[٢٨]. وأغـلب الظـنّ أنّـه لا يـثبت بهـذا النصّ انمحاء آثار الفرس العلمية، بل قد يدلّ على أن الواصل منها إلى العرب أقلّ ممّا وصلهم من اليونان.

وعمـومـاً فإنّ هذه الخصوبة الفكرية في عصر الأمويين اتّسعت وتعمّقت في زمن العبّاسيين، فإذا كان الإسلام قد تلاقى في دمشق مع اللاهوت المسيحي فإنّه في بغـداد قـد تـلاقـى مـع الفلسفـة اليـونـانيـة فـي «دار الحكمـة» التـي حفلـت بالمخطوطات الفلسفية، وفيها انصرف المترجمون إلى عملهم فظهر منطق أرسطو ومقالاته في الطبيعة وما وراءها، وحدثت نشوة فكرية فاستثمرت المعرفة الفلسفية فـي محـاورة المشكـلات والحلـول الـدينية الإسلامية[٢٩]، وبذلك أثيرت حفيظة المحـافظيـن والحـذرين من البدعة والخوف من ظهور الزندقة التي برزت كظاهرة فكرية فـي هـذا العصـر فدعت إلى الحرّية الفكرية ونادت بأعنف المذاهب مخالفة للإسلام: المزدكية، الدهرية، المانوية، ورفض الوحي.

ولـكـي يـردّ العلمـاء علـى هؤلاء الخصوم عمد علماء الإسلام إلى الوسائل العقليـة المتيسّـرة، ويعـدّ الشيعـة والمعتـزلـة أوّل مـن نـادى بـالتـوفيق بين العقل والإيمـان قبـالـة الـزنـادقـة والـدهـريين الذين يعتمدون الفكر الفلسفي الإنساني، والمحافظين الذين يأبون بكلّ شدّة التسامح والتساهل مع العقلنة، وينظرون إليهم نظرتهم إلى أبشع موجّه للكفر. ونالت المعتزلة والشيعة هذه النظرة ـ لولا صراحة إيمانهم ـ فنسبوهم إلى البدعة. وهكذا عظم خطر الخصام، فلمّا انتهى الحكم إلى المتـوكّـل زال نـفـوذ عقلنـة الشـريعـة، وأصبحـوا عـرضة لأبشع موجة اضطهاد، فـأحـرقـت كتبهم، وصودرت أموالهم، ولأجل الموازنة التاريخية للحضارة انتصر مذهب أبـي الحسن الأشعري الذي طوّر أصحابه مذهبه فيما بعد، فتعرّضوا أخيراً لسهـام ابـن حـزم والحنابلـة[٣٠] أيضاً على الرغم من إسهامهم الكبير في مواجهة التيار العقلاني عند المسلمين.

وعلـى الـرغـم مـن اضطـرار الـفكـر الإسـلامي الشيعي إلى «اعتزال المنابر الـرسميـة» إلاّ أنّ أئمّـة الشيعة وأتباعهم كان لهم دور بـالغ في الدفاع عن العقيدة

الإسلامية أمام هجمة الزندقة ومحاولة التوفيق بين المعرفة المحايدة في الفلسفة اليونانية ومعطيات الشريعة، وكان أبرز مناظريهم هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي، فقد كرّسوا جهودهم لحماية العقيدة ومواجهة شبه المشككين وانحرافاتهم، وكانوا يستوحون آراءهم من الكتاب والسنّة والعقل، وكانت مدارس الشيعة في مقرّات تلك الفئات والمذاهب (الكوفة، بغداد، البصرة)، وكانت تعجّ بالطلّاب والعلماء، ويستعرض العلماء، مثل السيّد حسن الصدر، كتبهم ومؤلّفاتهم ورسائلهم في مختلف المواضيع الساخنة آنذاك، وكانت ولا تزال موضع عناية العلماء والمفكّرين[٣١].

وهكذا وفي عصر المتوكّل ـ كما سبق ـ تأسّس النزاع بين علماء الدين وعلماء الفلسفة. وهذا الأمر ليس نقصاً في الدولة الإسلامية كما يصوّر حالياً إنّما حصل في أمّة اليونان نفسها عندما أمر أحد أباطرتها بغلق مدارس الفلسفة كافّة، وأمرت الكنيسة بإحراق كتب الفلسفة، فقد موّه يحيى النحوي الاسكندراني، الذي كان أسقفاً في بعض الكنائس، على الجمهور بالردّ على الفلاسفة في ما ألّفه من كتب في ستّ مقالات ردّ فيها على أرسطو، وهو من شرّاح كتبه[٣٢]، وقد عبّر عنه ابن سينا في أجوبة مسائل أبي ريحان بالمموّه على النصارى[٣٣].

فموضوع المواجهة بين الدين والفلسفة موضوع مشترك بين الأمم بسبب فقدان الموازنة بين النقل والعقل، ومنها يمكننا أن نشخّص الخارطة الفكرية في ثلاث فرق:

أولاها: ترى أنّ غاية الدين وغاية الفلسفة واحدة؛ إذ يرمي كلاهما إلى تحقيق السعادة من طريق اعتقاد الحقّ وعمل الخير. وتطرّف بعضهم فزعم أنّ موضوعات الدين وموضوعات الفلسفة واحدة[٣٤].

وثانيتها: ترى معاداة الفلسفة والتهجّم على رجالها، وترى أنّ المشتغلين فيها كفرة وزنادقة، بل الكفر كلّه منهم، وأنّها من خدع الشيطان ومكره[٣٥]. فقد جاء في فتوى الشهرزوري أنّ «الفلسفة أسّ السفه ومادّة الحيرة والضلال ومثار

الزيغ والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة»[٣٦]. وعليه، فليس على علماء الشريعة غرض أكثر من تكفير الفلاسفة ونسبتهم إلى الإلحاد، بل أوجبوا على علماء المدرسة النظامية أن يقفوا من الفلسفة أكثر من موقف الإفتاء بكفرهم، بأن يسفّهوا كتبهم، وكان مصداق ذلك إجبار الغزالي على تأليف كتابيه: «مقاصد الفلاسفة» و «تهافت الفلاسفة»[٣٧]، بينما يقف أهل الفلسفة موقف الساخر من جمود علماء الشريعة وسفاهتهم وبلاهتهم.

ثالثة الفرق: ممّن اهتمّ بجمع المعقول والمنقول والتوفيق بين الفلسفة والدين، لفترة ما قبل الإسلام «فيلون» اليهودي الذي عاش في القرن الأوّل قبل الميلاد؛ إذ يقال إنّه أوّل من مزج الفلسفة اليونانية بالتلموديات[٣٨]، وتابعه على ذلك جماعة من فلاسفة اليونان في غرضه من التوفيق بين المعتقدات الفلسفية والمعتقدات الدينية، وفي الثقافة الإسلامية تبرز شخصيّة أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي فهو يرى أنّ كلّ ما أدّاه النبيّ ﷺ يمكن أن يفهم بالمقاييس العقلية، إلاّ أنّه يشترط أن يكون المفكِّر من ذوي الدين والألباب، واعتقاده بتوافق الدين والفلسفة جعله يهاجم أعداء الفلسفة ويفضح مقاصدهم بأنّ أغراضهم دنيوية[٣٩].

وإلى جنب «مدرسة المعتزلة ومدرسة الشيعة الإمامية» من جهة علماء الشريعة نجد الماتريدية ومتأخّري الأشعرية يدافعون عن بعض قضايا التوافق بين العقل والنقل، وفي القرن الرابع ظهر «إخوان الصفا» الذين ألّفوا اثنتين وخمسين رسالة في أجزاء الفلسفة العلمية والعملية، زعموا أنّهم ألّفوها ابتغاء وجه الله ليخلِّصوا الناس من الآراء الفاسدة والعقائد الخبيثة[٤٠]؛ لأنّهم اعتقدوا أنّ الشريعة قد دنّست بالجهالات ولا سبيل إلى تطهيرها إلاّ بالفلسفة لأنّها تحوي الحكمة الاعتقادية، ومتى انتظمت الفلسفة والشريعة فقد حصل الكمال للنوع الإنساني.

وتلاهم الراغب الأصفهاني فحذا حذوهم، وألّف عدداً من الكتب القيِّمة؛ منها: «الذريعة» و «تفصيل النشأتين» و «غرة التنزيل ودرة التأويل» وهو تفسيره المشهور، وفيها جمع بين الشريعة والحكمة والآيات القرآنية والبراهين العقلية،

وقد ذكر أنّ الغزالي كان يستصحب الذريعة دائماً لإعجابه به[٤١] أو ربّما لكي يرى أثر الفكر الإسماعيلي في «مثقّفي عصره» تمهيداً لأداء ما كلّف به من الردّ على أهل الفلسفة، إلاّ أنّ الغزالي لم يسلك طريقاً معرفيّاً واحداً، فهو مشكلة فكرية لدارسيه، فهو متكلّم طوراً، وفيلسوف طوراً آخر، وفي حال كونه متكلّماً فهو أشعريّ مرّة ومعتزليّ أخرى، وفي ثالثة هو أقرب للحشوية، كما هو حاله في «الجام العوام»، وأخيراً فهو صوفيّ عرفانيّ، وإنّ هذه الاتّجاهات مترادفة في كلّ أطوار حياته. وأخيراً انتهى إلى الشكّ في العقل والحسّ والنقل، ولا يعتقد البعض أنّه تجاوزه إلى يقين[٤٢]، ويرى آخرون أنّه اختار العرفان كمسلك معرفيّ؛ ومنهم ابن رشد الذي ردّ على الغزالي في تهافته في كتابه: «تهافت التهافت»، ثمّ كتب «فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتّصال» الذي قال فيه: «إذا كانت هذه الشريعة حقاً، وداعيته إلى النظر المؤدّي إلى معرفة الحقّ، فإنّا ـ معشر المسلمين ـ نعلم على القطع أنّه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع، فإنّ الحقّ لا يضاد الحقّ، بل يوافقه ويشهد له»[٤٣]، ومع ذلك فقد أفتى الفقهاء بحرمة الاطلاع على كتبه، فأمر أبو يوسف بنفيه وإحراق كتبه[٤٤].

وتتابع النابغون في مجال التوفيق فيما بعد ابن رشد، فإنّنا نجد الفخر الرازي (٦٠٦هـ) يجمع في تفسيره عصارة الثقافات ـ قبل عصره ـ من آراء كبار الفلاسفة وعلماء الشريعة، وقد دلّل على تفهّمه لمعنى القرآن، كما يكشف عن ذلك قوله: «تتبّعت الطرق الكلامية والمذاهب الفلسفية فما وجدت شيئاً يشفي عليلاً أو يروي غليلاً إلا القرآن».

وفي القرن العاشر الهجري ظهر صدر الدين الشيرازي صاحب «الأسفار»، وقد انتهى إلى غاية لم يسبقه إليها أحد ممّن تقدّمه، ولم يبلغها أحد ممّن تأخّر عنه، فقد جمع بين فلسفة المشّائين والإشراقيين، وبين العرفان والكلام والشريعة. وممّن تتلمذ عليه الشيخ أحمد الأحسائي الذي سلك المسلك ذاته، واتّبع تلك الخطى بوعي غير مقلد له، لما نرى منه الردّ على بعض آراء أستاذه الملاّ صدرا في شرحه على «العرشية» وشرحه على «المشاعر». لكن منعقد التأثّر

بـه كان محاولته التوفيق بين الفلسفة والدين والإشراق والإلهام، وعلى خطاه نهج تلميذه السيّد كاظم الرشتي ثمّ تلامذته وأتباعه ممّا أطلق عليهم «الشيخيّة»؛ ـ وهو موضوع هذه الرسالة.

وهكـذا يظـلُّ المنطـق البـاحـث عن إيجاد الموازنة بين النصّ والعقل هدفاً لعلماء كبار كبر المشكلة التي يحاولـون إيجاد حلٍّ لها، وقضية الشيخية ـ موضوع هذه الرسالة ـ أحد فصـول هـذا الخضـم الذي نلحظ فيه أنَّ كل من حاول التوفيق لاقـى عنتـاً وهجـومـاً واسعـاً من المحافظين ـ من أهل الشريعة ـ والمتطرِّفين من الفلاسفة والعقليين. وستعرض هذه الرسالة تفصيلات لمحاولة حديثة للتوفيق بين ما لها ومـا عليهـا، ومـا لاقتـه من صعوبات ومواجهات للوصول إلى فهم محايد لهذه المحاولة التي قد لا تكون الأخيرة في هذا المسار الثقافيّ الطويل.

هوامش البحث

(١) هو صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بالملاَّ صدرا وصدر المتألّهين، من أعاظم فلاسفة الشيعة، انتهت إليه الرحلة في كرسي الحكمة، رحل من أصفهان، وتلقّى العلم وتوفّي بالبصرة سنة (١٠٥٠هـ ـ ١٦٤٩م)، ومعظم آثاره في الحكمة، وقد تكرَّر طبعها.

ظ: الزركلي، الأعلام: ٦/ ١٩٣ ـ ١٩٤، الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢/ ٣٩، ٦٠، ١٧٢، القمي، الكنى والألقاب: ٢/ ٣٧٧، جعفر آل ياسين: صدر الدين الشيرازي مجدّد الفلسفة الإسلامية، بغداد (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م).

و «الأسفار الأربعة»: أشهر مؤلّفاته، عالج فيه آراء المذاهب الإسلامية الفلسفية واليونانية معالجة موضوعية، وأوجد لنفسه مسلكاً وسطاً بين الإشراقية والمشائية (صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه: ١/ ٤٠٥)، ممّا دلّ على منزلته بعد عصر الفلسفة الذهبي.

ظ: صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه: ١/ ٤٠٥، وصدر الدين الشيرازي، ص ٥٨.

(٢) إخوان الصفاء وخلان الوفاء، جماعة من مفكّري المسلمين شكّلوا في القرن الرابع الهجري جمعية فلسفية سرية لإصلاح الفكر الإسلامي، ورأوا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة، فإنه بهما يحصل الكمال للنوع الإنساني، عرف منهم خمسة ولا يزال الباقون مجهولين، ألّفوا (٥٢) رسالة في (٥٢) نوع من الحكمة سمّوها: «رسائل إخوان الصفا»؛ وهي دائرة معارف ثرية بالآراء الفلسفية والعلمية والاجتماعية، صدرت في شرحها دراسات كثيرة.

(٣) أنعام الجندي، دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية، ص ٨.

(٤) م. ن.

(٥) م. ن.

(٦) الشيخ الطوسي، التبيان: ٧/ ٢٦٧.

(٧) الشهرستاني، الملل والنحل: ٢/ ٢٤٤، ابن قتيبة، المعارف، ص ٦٢١، المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٣٨، ابن صاعد، طبقات الأمم، ص ٤١، ابن هشام، السيرة النبوية: ١/ ٥٠، جواد علي، تاريخ الجاهلية، ص ١٥٨.

(٨) ابن هشام، السيرة: ١/ ٥٠، ظ، لويس شيخو، شعراء النصرانية، ص ٥٨، د. يحيى الجبوري، حركة الأحناف في الجاهلية/ بحث في مجلة المعلم الجديد، مجـ٢٦، ج١ و٢، ص ٨٠ ـ ٨٦.

(٩) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٦٨ و٦٩، و٧٥.

(١٠) لويس شيخو، شعراء النصرانية، ص ٥٨.

(١١) حسام الآلوسي، دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، ص ٦٥.

(١٢) م. ن.

(١٣) جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٦/ ٧.

(١٤) ابن قتيبة، المعارف، ص ٦٢١.

(١٥) ابن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص ٤٥، طبعة بيروت.

ظ: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ١/ ٣٣٨.

ظ: الجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ٣٣٨، والألوسي، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب: ١/ ٣٠٨ وما بعدها.

(١٦) لقد وردت كلمة «يعقلون» في القرآن (١٧) مرة، وكلمة «تعقلون» (٢١) مرة عدا غيرهما من مشتقّات لفظة العقل.

ظ: المرشد إلى آيات القرآن وكلماته، ص ٣٣٣ و٣٣٤.

(١٧) الغزالي، ميزان العمل، ص ٢١٦، الفاضل المقداد السيوري، شرح الباب الحادي عشر، ص ٥.

(١٨) الشيخ عبد الكريم الزنجاني، الكندي خالد بفلسفته، ص ٨.

(١٩) لويس غرديه، فلسفة الفكر الديني: ١/ ٤٠ ـ ٤١.

(٢٠) ابن قتيبة، المعارف، ص ١٦٦.

(٢١) مفتاح السعادة: ٢/ ٣٢، الخطط: ٤/ ١٨١.

(٢٢) ظ: كارادي ڤو، الغزالي، ص ٢٢ و٢٣، آرنست رينان، ابن رشد والرشدية، ص ١١٦. ابن خلدون، المقدمة، تحقيق وافي: ٣/ ١٠٤١، عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي، ص ١٤٣.

(٢٣) ابن خلدون، ص ٤٥٣.

(٢٤) جمال الدين القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٢.

(٢٥) الشهرستاني، الملل والنحل: ١/ ٦٠.

(٢٦) صديق حسن خان، أبجد العلوم: ١/ ١٠٦، وظ: ابن النديم، الفهرست، ص ٣٤٠.

(٢٧) السبكي، طبقات الشافعية: ٣/ ٢٧.

(٢٨) ابن خلدون، المقدمة، ٤٥٤، وظ: نظير هذا في قصّة فتح عمرو بن العاص لمصر، حين استأذن الخليفة عمر في أمر مكتبة الإسكندرية فكتب له مثل ما كتب لابن أبي وقاص. ظ: القفطي، أخبار الحكماء، ص ٢٣٢، وابن دحية الكلبي، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ١٢٠٩، والمقريزي، الخطط: ١/ ٢٥٧. وللتفاصيل في تضعيف هذه الوقائع ينظر: مكتبة الإسكندرية، ص ١٠ ـ ١٥.

(٢٩) لويس غرديه، فلسفة الفكر الديني، ص ٧٦. ظ: علي الغرابي، الفرق الإسلامية، ص ١٣٦.

(٣٠) ظ: الكوثري في نشرته للتبيين، ص ٩٢. لاووست، ابن تيمية، ص ٨١ و٨٢، لويس غرديه، فلسفة الفكر الديني، ص ١٠١.

(٣١) ظ: حسن الصدر، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، وهاشم معروف الحسني، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، ص ٢٣٢.

(٣٢) م. ن.

(٣٣) ابن سينا، جامع البدائع، ص ١٦٢.

(٣٤) ابن حزم، الفصل بين الملل والنحل: ١/ ٩٤، الفارابي، تحصيل السعادة، ص ٤٠ و٤١. ابن سينا: الطبيعيات من عيون الحكمة، ص ٢ و٣، ابن رشد، فصل المقال، ص ٢٨٠.

(٣٥) الخوارزمي، مفيد العلوم ومبيد الهموم، ص ٦١ و٦٢.

الغزالي، تهافت الفلاسفة، ص ٣٩.

ابن الصلاح الشهرزوري، فتاوى ابن الصلاح، ص ٣٤ و٣٥.

ابن قيم الجوزية، مفتاح السعادة ونشور ولاية العلم والإرادة، ص ١٧١ و١٧٢.

طاش كبري زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة: ١/ ٢٦ و٢٧.

(٣٦) ابن الصلاح، الفتاوى، ص ٣٥. ظ: توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين والفلسفة، ص ١١٧ ـ ١٢١.

(٣٧) ظ: د. عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، ص ٦٧، سليمان دنيا الحقيقة في نظر الغزالي، ص ١١٨.

(٣٨) ظ: علي الغرابي، الفرق الإسلامية، ص ١٣٨ و١٣٩.

(٣٩) ظ: رسائل الكندي إلى أحمد بن المعتصم، ص ٢٤٤ و٢٤٥، ورسائل الكندي، ص ١٠٣ و١٠٤.

(٤٠) رسائل إخوان الصفا: ١/ ٢٤.

(٤١) خليفة الجلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ١/ ٨٢٧.

(٤٢) حسام الآلوسي، دراسات في الفكر الفلسفي، ص ٢٣٧.

(٤٣) ابن رشد، فصل المقال، ص ٣١.

(٤٤) أقسام اللذات، ص ١٨٢.

الباب الأول

الحركات الفكريّة عند الشّيعة

في القرن الثالث عشر الهجري

تمهيد:

تميّز القرن الثالث عشر الهجري بعدد من الحركات الفكرية عند الشيعة في العراق وإيران وغيرهما من البلاد، ففي النصف الثاني من القرن الثاني عشر تجدَّد خلاف شديد بين الأصوليين والأخباريين، وتوسّع بسرعة هائلة فعمّ المناطق الشيعيّة في البلاد الإسلاميّة. وكان منطلق هذا الصراع ونقطة ارتكازه كربلاء. وقد تزعّم فريق الأصوليين الشيخ محمد باقر البهبهاني الشهير بالأستاذ الوحيد[1]، كما تزعّم فريق الأخباريين الشيخ يوسف البحراني صاحب «الحدائق»[2] ـ قبل أن يعدل إلى طريقة الأصوليين ـ ومن أجل إيضاح الفكرة ووصف ما نجم عنها من أحداث، لا بدّ لنا ـ قبل استعراض تلك الخلافات ـ من الإلمام، ولو موجزاً، بآراء الفريقين لمعرفة موارد الاختلاف ونقاط الالتقاء.

١ ـ الأخباريون والأصوليون

الأخباريون فرقة من الشيعة الإمامية الاثني عشرية اختلفت مع الأصوليين في موارد أهمّها: إسقاط دليلي الإجماع والعقل من الأدلّة الأربعة المذكورة في أصول الفقه، والتي يعتمدها الفقيه في استنباط الأحكام الشرعية. فقد اقتصروا على الكتاب والخبر ـ السنّة ـ وأوجبوا العمل بالأخبار؛ لذلك سمّوا بـ «الأخباريين» و «الأخبارية»، وهم يقدّمون الخبر مهما كانت درجته على الدليل العقلي وحجّتهم

---

(١) من مشاهير علماء الإمامية وكبار رجال التحقيق العلمي، يعدّ من المؤسّسين لأصول الفقه لقيمة آرائه فيه، انتهت إليه مرجعية الشيعة العامّة في عصره، وخضع له العلماء كافّة، واعتبر مجدِّداً للمذهب على رأس المئة الثالثة عشرة، له أكثر من خمسين مؤلَّفاً في مختلف العلوم. ولد عام ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م، وتوفي عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م، وله تراجم في أكثر المعاجم. وللشيخ علي الدوّاني كتاب فارسي ضخم في حياته بعنوان: «أستاذ كل وحيد بهبهاني»، طبع في قم عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

(٢) عالم كبير من فقهاء الشيعة الاثبات ورجال التقى والورع، كانت له في كربلاء مرجعية واسعة ومكانة مرموقة، ومؤلّفاته كثيرة قيّمة أشهرها: «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة» في الفقه الاستدلالي في عدّة مجلّدات تكرّرت طبعاته. ولد عام ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م، وتوفي عام ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م، له تراجم في (مستدرك الوسائل: ٣/ ٣٨٧)، و (روضات الجنات، ص ٧٧٣)، و (هدية الأحباب، ص ١٧٢)، و (ريحانة الأدب: ٣/ ٤٢١ و٤٢٢)، و (الكنى والألقاب: ١/ ٧٢)، و (مع علماء النجف الأشرف، ص ٦٩ ـ ٧٥) وكثير غيرها.

في ذلك أنّ الاجتهاد رأي والرأي لا يجوز في الدين، بينما يرى الأصوليون القياس رأياً ولا يجوّزون الرأي في العبادة والدين لذلك رفضوه.

وهم يمنعون الاجتهاد في الأحكام الشرعية، ومن تقليد المجتهد، ويقولون بالرجوع إلى الإمام وذلك بالرجوع إلى الأخبار المروية عنه الواردة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام. ويرون أنّ ما في الكتب الأربعة[1] التي عليها المدار عند الشيعة، قطعيّ السند أو موثوق بصدوره، فلا حاجة إلى البحث عن سنده؛ لأنّ مؤلّفيها قد

---

(١) الكتب الأربعة هي موسوعات في علم الحديث تعتبر مرجع فقهاء الشيعة الإمامية ومصدرهم في استنباط الأحكام الشرعية، وعليها اعتمادهم ومدار عملهم منذ عصر مؤلّفيها حتى اليوم، وهي كما يأتي:
أ ـ الكافي: للشيخ محمد بن يعقوب الكليني المتوفّى عام ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م، وفيه (١٦١٩٩) حديثاً.
ب ـ من لا يحضره الفقيه: للشيخ محمد بن علي بن بابويه القمّي الشهير بالشيخ الصدوق، المتوفّى عام ٣٨١هـ/ ٩٩١م، وفيه (٥٩٦٤) حديثاً.
جـ ـ الاستبصار: للشيخ محمد بن الحسن الطوسي الشهير بشيخ الطائفة، المتوفّى عام ٤٦٠هـ/ ١٦٠٧م وفيه (٥٥١١) حديثاً.
د ـ التهذيب: لشيخ الطائفة أيضاً، وفيه (١٣٥٩٠) حديثاً.
ويعبّر عن مؤلّفي هذه الكتب الأربعة بـ «المحمّدين الثلاثة المتقدّمين»؛ وذلك لأنّه ألّف في الأعصار التالية تكملة لها أربع موسوعات حديثية كبيرة يعبّر عنها بـ «الجوامع المتأخّرة»، وعن مؤلّفيها بـ «المحمّدين الثلاثة المتأخّرين»، وهي وهم كما يأتي:
١ ـ الوافي: للشيخ محمد بن مرتضى القاشاني الشهير بالفيض، المتوفّى عام ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م.
٢ ـ وسائل الشيعة: للشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي، المتوفّى عام ١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م.
٣ ـ بحار الأنوار: للشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، المتوفّى عام ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م.
وقد طبعت هذه الثلاثة وكتب لها الذيوع والانتشار، ولها رابع لم يطبع ولم يشتهر حتى عند الخواص، وهو «جوامع الكلم» للسيّد محمد بن شرف الدين الجزائري الشهير بالسيّد ميرزا؛ وهو أستاذ الشيخين: المجلسي والحرّ. تراجع (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٥/ ٢٥٣ ـ ٢٥٥).
وللمشايخ المذكورين المتقدّمين والمتأخّرين قدسية عند الأمّة، يقول الشيخ آغا بزرك الطهراني في «حياة الشيخ الطوسي» ص / أبص: «هؤلاء الستة من أقطاب هذه الطائفة وعمدها وأركانها وحفظة آثارها ومآثرها، ولهم على الشيعة الإمامية فضل لا ينكر ومنّة عظيمة، وعلى كتبهم ـ حتى يوم الناس هذا ـ مدار العمل». وقد وفّق الشيخ الحسين النوري، المتوفّى عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م فألّف «مستدرك وسائل الشيعة» في ثلاثة مجلّدات ضخمة اشتملت على زهاء (٢٣٠٠٠) حديث. تراجع طبقات أعلام الشيعة: ١/ ٥٥٣)، ولا عبرة بنقد السيّد محسن الأمين لهذا الكتاب في (أعيان الشيعة: ٢٧/ ١٤٣ و٣٢/ ٦٥) ولا بما قاله السيّد مهدي الأصفهاني في (أحسن الوديعة: ١/ ٧٤) ط ٢. =

انتقوا الأخبار وحذفوا منها ما رواه الضعفاء والمجروحون. وأثبتوا ما رواه الثقات فقط، أو قامت القرائن عندهم على صحّته... بينما قسّم الأصوليون الأخبار إلى أنواعها المعروفة من صحيح، وحسن، وموثّق، وضعيف، وغيرها[1]. وهم يرون أن أغلبها غير قطعيّ السند، وأنّها مختلفة المراتب، وهي لذلك ظنّية الدلالة، فيجب على الفقيه أن يبحث في أسانيد الرواية عند العمل بها، ولا يجوز له العمل بكلّها والحكم بصحّتها؛ إذ لو سلّمنا بأنّ جامعيها قد انتقوا أحاديثها ـ كما يقول الأخباريون ـ فهم قد فعلوا ذلك بحسب اجتهادهم، وهو ممّا يجوز عليه الخطأ، فإذا بان لنا الخطأ برؤية أسانيد الضعفاء المجروحين فما الذي يسوّغ لنا تقليدهم؟؟!

ولمّا كان الأخباريون ينكرون الاجتهاد فقد نفوا الحاجة إلى علم الأصول زاعمين أنّه من وضع غيرنا، بينما كان الشيعة أسبق فرق الإسلام إلى الأخذ بأصول الفقه في استنباط الأحكام. فقد أملى الإمام الباقر عليه السلام[2] بعضها وأملى الإمام الصادق عليه السلام[3] على تلميذه هشام بن الحكم

(١) الصحيح ما اتّصل سنده إلى المعصوم بنقل الإمامي العدل عن مثله في جميع الطبقات. والحسن: ما اتّصل سنده كذلك بإمامي ممدوح من غير نصّ على عدالته مع تحقق ذلك في جميع مراتبه أو في بعضها مع كون الباقي من رجال الصحيح. والموثّق: ما دخل في طريقه من نصّ الأصحاب على توثيقه مع فساد عقيدته. والضعيف: ما لا يجتمع فيه شروط أحد الثلاثة المتقدّمة، بأن يشتمل طريقه على مجروح أو مجهول الحال أو ما دون ذلك. والمرسل: ما رواه عن المعصوم من لم يدركه. تراجع (الدراية، ص١٩، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٤٧).

(٢) أبو جعفر الباقر محمد بن زين العابدين علي ابن الشهيد الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام خامس الأئمّة الاثني عشر عند الشيعة، له في العلم ما لآبائه من آل محمد. ولد في المدينة من فاطمة بنت الحسن بن علي عام ٥٧هـ/ ٦٧٦م، وتوفّي فيها أيضاً عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م، ودفن بالبقيع. ولعبد العزيز بن يحيى الجلودي «أخبار أبي جعفر الباقر»، وهو غير «أخبار أبي جعفر الثاني» لمحمد بن وهبان الدبيلي؛ فالمراد بأبي جعفر الثاني الإمام محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر. والمراد بأبي جعفر الأوّل الإمام الباقر. تراجع (حلية الأولياء: ٣/ ١٨٠) و(صفوة الصفوة: ٢/ ٦٠) و (منهاج السنة: ٢/ ١١٤) و (وفيات الأعيان: ١/ ٤٥٠) وعشرات المعاجم الأخرى. ولبعضهم دراسات خاصّة به.

(٣) أبو عبدالله جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر المذكور. سادس الأئمّة الاثني عشر عند الإمامية، وتنسب الشيعة الإماميّة إليه لوفرة الأحاديث المرويّة عنه بالنسبة إلى بقيّة أئمّة أهل البيت عليهم السلام فيقال=

الشيباني[1] بعض مبادئه، وقد وضع هشام كتاباً في ذلك[2] وهو أقدم ممّا حرَّره الإمام الشافعي[3] بعشرات السنين، وقد جمع الشيخ الحر[4] القواعد الكلية

= لهم: «الجعفرية»، له منزلة عظيمة في العلم، وعنه أخذ جابر بن حيان علم الكيمياء، ومن إملائه ألّف تلميذه المفضل بن عمر الجعفي كتاب «التوحيد» المعروف. وكان جريئاً مع من عاصره من خلفاء بني العباس صدّاعاً بالحق، تتلمذ عليه كثيرون منهم: أبو حنيفة والإمام مالك. ولد بالمدينة عام ٨٠هـ/ ٦٩٩م، من أمّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وهو معنى قول الصادق: «ولدني أبو بكر مرتين». وفي ذلك يقول الشريف الرضي:

وحزناً عتيقاً وهو غاية فخركم بمولد بنت القاسم بن محمّد

وتوفّي في المدينة أيضاً عام ١٤٨هـ/ ٧٦٥م. ولعدد من المؤلّفين دراسات عنه قديماً وحديثاً، ومن المتأخّرين الدكتور محمد يحيى الهاشمي، له «الإمام الصادق ملهم الكيمياء»، ط٢، عام ١٩٥٨م، والشيخ أسد حيدر، له «الإمام الصادق والمذاهب الأربعة»، تكرّر طبعه أخيراً في بيروت عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

(١) شيخ الإمامية في وقته ومن كبار المتكلّمين والمناظرين، ولد في الكوفة ونشأ بواسط وسكن بغداد فانقطع إلى يحيى بن خالد البرمكي فكان القيم بمجالس كلامه ونظره، وتصانيفه كثيرة قيّمة، اختفى في الكوفة على أثر حدوث نكبة البرامكة ولم يعش بعدها طويلاً. توفّي عام ١٩٠هـ/ ٨٠٥م. تراجع (رجال النجاشي، ص ٣٠٤) و(رجال الكشي، ص ١٦٥) و (فهرست ابن النديم، ص ١٧٥) و (فهرست الشيخ الطوسي، ص ١٧٤) و (لسان الميزان: ٦/ ١٩٤) و (منهج المقال، ص ٣٥٩) وغيرها.

(٢) الشيعة وفنون الإسلام، ص ٥٦ و٥٧، وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ص ٣١٠، وأعيان الشيعة: ١/ ٢٤٢، وغيرها.

(٣) أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع أحد الأئمّة الأربعة عند أهل السنّة، وإليه تنسب الشافعية كافة، برع في الشعر واللغة وأيام العرب ثمّ أقبل على الفقه والحديث فتضلّع فيهما، وأفتى وهو ابن عشرين سنة. له تصانيف كثيرة أشهرها: «كتاب الأم» في سبع مجلّدات. ولعدد من الأدباء دراسات خاصّة عنه. ولد في غزّة بفلسطين عام ١٥٠هـ/ ٧٦٧م، وتوفّي بالقاهرة عام ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م، وقبره بها معروف. تراجع (تذكرة الحفاظ: ١/ ٣٢٩) و (تهذيب التهذيب: ٩/ ٢٥) و (تاريخ بغداد: ٢/ ٥٦ ـ ٧٣) و (طبقات الشافعية: ١/ ١٨٥) وكثير غيرها.

(٤) الشيخ محمد بن الحسن بن علي العاملي الملقّب بـ «الشيخ الحرّ» من أعلام الإمامية وزعماء المذهب وكبار رجال الفقه والحديث والتاريخ والأدب، هبط أصفهان فقابله علماؤها بحفاوة بالغة وزار السلطان حسين الصفوي بإشارة الشيخ المجلسي، وسكن خراسان فقلده الشاه مشيخة الإسلام ومنصب قاضي القضاة، له مؤلّفات كثيرة متنوّعة أهمّها وأشهرها: «تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة» ويسمّى: «الوسائل» اختصاراً، وهو مرجع الفقهاء حتى اليوم. ولد في مشغرة من قرى جبل عامل عام ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م، وتوفّي في خراسان عام ١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م. تراجع (الذريعة إلى =

المرويّة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في كتاب خاصّ[1]، وألّف السيّد محمد هاشم الخوانساري[2] في الموضوع كتاباً أيضاً[3]، فما ذكره أبو نعيم من أنّ الإمام الشافعي أوّل من وضع كتاباً في أصول الفقه سمّاه «الرسالة»[4] غير صحيح، وكذا ما قاله الرازي[5] والسيوطي[6] والجلبي[7] وجولدزيهر[8]، كما أنّ قول بعض المعاصرين: «بأنّها أصول سبق لأئمّة أهل السنّة أن حرّروها وبحثوها ولم يكن للإمامية فيها نصيب»[9] غير صحيح أيضاً.

والجدير بالذكر ما تنبّه له الفخر الرازي من أنّ نسبة علم الأصول إلى الشافعي كنسبة علم المنطق إلى أرسطاطاليس[10] وعلم العروض إلى

= تصانيف الشيعة: ٢/ ٣٥٠) و (روضات الجنان، ص ٦٤٤) و (ريحانة الأدب: ١/ ٣١٥ و٣١٦) و (سفينة البحار: ١/ ٢٤٢) و (سلافة العصر، ص ٣٦٧) و (شهداء الفضيلة، ص ٢١٠ و٢١١) و (مصفى المقال، ص ٤٠١ و٤٠٢) وغيرها.

(١) الفصول المهمّة في أصول الأئمّة. طبع للمرة الثالثة في المطبعة الحيدرية في النجف عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

(٢) السيّد محمد هاشم بن زين العابدين بن جعفر الموسوي الخوانساري يعرف بـ «الچهار سوقي» نسبة إلى محلّة «چهار سوق: أربعة أسواق» في أصفهان. من مجتهدي عصره الأعلام، كان فقيهاً متبحّراً ورجالياً بارعاً من بيت زعامة دينية، كانت لآبائه في خوانسار منزلة كبيرة.
درس في خوانسار والنجف وهبط أصفهان فرأس فيها، له آثار تكشف عن خبرة وتحقيق. ولد في خوانسار عام ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م، وتوفّي في النجف عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م. تراجع (شهداء الفضيلة، ص ٣٥١ و٣٥٢) و (الأعلام: ٧/ ٣٥٣) و (معارف الرجال: ٣/ ٢٧٥ ـ ٢٧٨) و (زنلكاني آية الله چهار سوقي، ص ١١٢) و (مصفى المقال، ص ٤٩٠) و (المآثر والآثار، ص ١٤٥) و (أحسن الوديعة: ١/ ١١٤) و (مرآة البلدان، ص ٦٥) وغيرها.

(٣) أصول آل الرسول. طبع جزؤه الأول في حياة مؤلّفه (الذريعة: ٢/ ١٧٧).

(٤) حلية الأولياء: ٩/ ٩١ ـ ١٠٤.

(٥) تفسير الفخر الرازي: ١/ ٤ ـ ٥.

(٦) إتمام الدراية لقرّاء النقاية. المطبوع بهامش «مفتاح العلوم»، ص ٧٩.

(٧) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ١/ ٣٣٤.

(٨) دائرة المعارف الإسلامية/ كلمة: فقه.

(٩) الدكتور عبد الرزّاق محيي الدين، أدب المرتضى من سيرته وآثاره، ص ٥٧.

(١٠) من مشاهير فلاسفة اليونان وكبار مفكّري البشرية، تأثّرت بوادر التفكير العربي بتآليفه التي نقلها إلى العربية النقلة السريان؛ وأهمّهم: إسحاق بن حنين مؤسّس مذهب «فلسفة المشّائين»، ومؤلّفاته في =

الفراهيدي[1]، فقد كان الناس قبل الأوَّل يستدلّون ويعترضون من غير قانون مخلّص في كيفية ترتيب الحدود والبراهين، فوضع أرسطاطاليس قانوناً كلياً يرجع إليه وهو المنطق، وكذلك كان الشعراء قبل الخليل ينظمون على السليقة والطبع، فوضع الخليل العروض فصار قانوناً كلياً[2]؛ ولذلك فقد كان السبق في هذا المجال لأئمّة الشيعة وعلمائهم.

كانت بداية ظهور الأخباريين في مطلع القرن الحادي عشر للهجرة على يد الشيخ محمد أمين الأسترابادي[3] صاحب «الفوائد المدنيّة» إلاّ أنّها تجدّدت بشدّة في أواخر القرن الثاني عشر، وقد دارت رحى المعركة بين الفريقين ـ الأخباريين والأصوليين ـ في كربلاء بقيادة زعماء الدين وكبار المراجع، فدوّت في الأوساط

= المنطق والطبيعيات والإلٰهيات والأخلاق. ولد عام ٣٨٤، وتوفّي عام ٣٢٢ق.م (المنجد في الأدب والعلوم، ص ١٣).

(١) الخليل بن أحمد الأزدي من أئمّة الأدب وعلماء اللغة، وضع علم العروض وأوزان الشعر آخذاً لذلك من الموسيقى التي كان يتقنها، أخذ عنه الكسائي، وسيبويه، والأخفش الثاني، والليث بن المظفر، والنضر بن شميل، ونظراؤهم، زهد في الحياة وعاش في بؤس وشقاء وفقر مدقع على ما كان له من عظمة العلم لأنه لإبائه كان يرفض كلّ ما يعرض عليه.
ولد في البصرة عام ١٠٠ هـ/ ٧١٨م، ومات فيها عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م. راجع (فهرست ابن النديم، ص ٤٢) و (وفيات الأعيان: ١/ ١٧٢) و (أنباء الرواة: ١/ ٣٤١) و (طبقات الأدباء، ص ٥٤) وكثير غيرها. وللدكتور مهدي المخزومي «الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه»، بغداد ١٩٦٠م.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ١/ ٩٨ ـ ١٠٢.

(٣) من المحقّقين في الفقه والمتضلّعين في الكلام، كان أخبارياً صلباً، وهو أوّل من فتح باب الطعن على المجتهدين وجعلهم في قبال الأخباريين. له «الفوائد المدنيّة في الردّ على القائل بالاجتهاد والتقليد في الأحكام الإلهية»، طبع بإيران عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، وقد ردّه السيد نور الدين علي العاملي بكتابه: «الفوائد المكية في مداحض حجج الخيالات المدنية». وردّه أيضاً السيّد دلدار علي النقوي بكتابه: «أساس الأصول»، فردّ الميرزا محمد الأخباري علي النقوي بكتاب أسماه: «معاول العقول لقلع أساس الأصول»، وأساء فيه الأدب بالنسبة للنقوي بل إلى أعاظم الأساطين كما قاله الشيخ آغا بزرك الطهراني (الذريعة: ١٦/ ٣٥٨)، ثمّ كتب جمع من تلاميذ النقوي كتاباً في الردّ على الأخباري سمّوه: «مطارق الحقّ واليقين في كسر معاول الشياطين». توفي الاسترابادي في مكّة عام ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م، تراجع (أمل الآمل، ص ٤٩٤) و (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ٤ و٥، ١٦/ ٣٥٨ و٣٥٩) و (روضات الجنات، ص ٣٣) و (ريحانة الأدب: ١/ ٦٥) و (مستدرك وسائل الشيعة: ٣/ ٤١١) و (معجم المؤلفين: ٩/ ٧٩) وغيرها. =

العلميـة. ولـم تقتصـر علـى طلبـة العلـوم وأهـل الفضل، بل تسرّبت إلى صفوف العـوام ممَّـا أدّى إلـى الاستهـانة بالعلم والاستخفاف بحملته. وبلغ التطرّف حدّاً حكـم فيـه الـوحيـد البهبهـاني بعـدم صحّـة الصـلاة خلف البحراني[1]. وأوغل الأخباريون في الازدراء بالأصوليين إلى درجة عجيبة حتى أننا «سمعنا من مشايخنا الأعلام وأهل الخبرة والاطّلاع علـى أحـوال العلمـاء: أن بعض فضلائهم كان لا يـلمس مـؤلّفـات الأصـوليـين بيـده تحـاشياً من نجاستها، وإنّما يقبضها من وراء ملابسه»[2]. وقد ذكر ذلك غير واحد من الأفاضل[3].

واستمرَّ الصراع الفكري قائمـاً بشـدّة وشراسة واتّساع في النصف الأوّل من القرن الثالث عشر، فجرت مناقشات طويلة بين الفريقين، وظهرت كتب عديدة في الـردّ علـى الأخبـاريين[4]. وكانت اللهجة قاسية والأسلوب نابياً، وقد تزعّم فريق الأخباريين في تلك الفترة الميرزا محمد النيشابوري المعروف بالأخباري[5]، كما تـزعّـم فـريـق الأصـوليـين الشيـخ جعفـر كـاشـف الغطاء النجفي[6]، وقد تطرّف

(١) تنقيح المقال في أحوال الرجال: ٢/ ٨٥، وأستاذ كل وحيد بهبهاني، ص ١٠٠، ومع علماء النجف الأشرف، ص ٧٤.

(٢) ديوان الحاجّ هاشم الكعبي، المقدمة، ص ٦٨.

(٣) جامع السعادات، ج١، المقدمة، ص هـ.

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٠/ ١٨٢ و١٨٣.

(٥) عالم كبير تضلّع في العلوم الإسلامية معقولاً ومنقولاً، وشارك في فنون عديدة، وأضاف إلى ذلك خبرة واسعة في العلوم الغريبة من جفر ورمل، وتصرّف في الأرواح والحروف والأسماء الحسنى. وله نحو من ثمانين مؤلّفاً، ولد عام ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م، وقتل في الكاظمية عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م، وهو جد أسرة «آل جمال الدين» المعروفة في العراق. تراجع (أعيان الشيعة: ٤٥/ ٢٩٤) و (لباب الألقاب، ص ٨٧) و (قصص العلماء، ص ١٣١ ـ ١٣٣) و (معارف الرجال: ٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٧) و (معجم المؤلّفين: ١٠/ ٢٦١) و (روضات الجنات، ص ٦٥٣) و (ريحانة الأدب: ١/ ٤٥) و (هدية العارفين: ٢/ ٣٦٢) و (مصفّى المقال، ص ٤٢٩) وغيرها.

(٦) من أعاظم علماء الشيعة، انتهت إليه الزعامة الدينية العامّة، وأجمعت حكومتا آل قاجار في إيران وآل عثمان في تركيا على إكباره، وله عليهما حقوق كبيرة ومنن جسام. لم يتحدّث تاريخ الزعامة الدينية في النجف عن نظير له في الشعور بالمسؤولية وإعطاء المنصب حقّه، ومواقفه في حقن الدماء في حادثة «الزقرت والشمرت» المعروفة في تاريخ النجف، وفي صدّ غارات الوهّابيين على النجف بعد=

الأخباري إلى أبعد حدٍّ ووسّع شقة الخلاف كثيراً، وتخلّى عن الأدب والحشمة والاحترام في مناقشته لعلماء الأصوليين في نقده وردّه على السواء، وتطاول على أساطين الدين وعظماء المذهب بالشتم، واستعمل بذيء القول ومرذوله[1] ممّا أدّى إلى وقوف العلماء قاطبة في وجهه وإجماعهم على هتكه وتحطيمه حتى انتهت القصة بمأساة فظيعة، فقد قتل على أيدي العوام مع كبير أولاده بهجوم شنّ على داره في الكاظمية، وسلّمت جثّته إلى السكّان للعبث بها[2].

وقد حاول كاشف الغطاء تخفيف حدّة التوتّر والحيلولة دون وقوع ما انتهى إليه الأمر. فألّف كتاباً شرح فيه حقيقة مذهب الطرفين، وأنّ عقائدهما في أصول الدين متّحدة سواء، وفي فروع الدين يرجع الجميع إلى ما روي عن الأئمّة عليهم السلام. فالمجتهد أخباري والأخباري مجتهد، وفضلاء الطرفين ناجون والطاعنون هالكون[3]. لكن الأخباري تمادى في غيّه وتوسّع في اتّهاماته لأساطين العلماء ونسبة الآراء الفاسدة والفتاوى المفتعلة القذرة لهم، كنسبة القول بجواز اللواط إلى السيّد محسن الأعرجي[4]، ونسبة أمثال ذلك إلى الشيخ أبي القاسم

= فتكهم في كربلاء خالدة على مرّ الزمن. أهمّ آثاره وأشهرها: «كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء» الذي عرف به وظلّ لقباً ووسام شرف لأسرته «آل كاشف الغطاء». ولد عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م، وتوفّي عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م. تراجع (أعيان الشيعة: ١٥/ ٤١٨ ـ ٤٣٥) و (شعراء الغري: ٢/ ١٠٧ ـ ١٢٩) و (روضات الجنات: ١/ ١٥٢) و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٢٤٨ ـ ٢٥٢) و (ماضي النجف وحاضرها: ٣/ ١٣١ ـ ١٤١) و (معارف الرجال: ١/ ١٥٠ ـ ١٥٧) و (الكنى والألقاب: ٣/ ٨٧ ـ ٨٩) و (مستدرك الوسائل: ٣/ ٣٩٧) وغيرها.

(١) طبقات أعلام الشيعة: ١/ ٢٥٠، وأعيان الشيعة: ١٥/ ٤٢ ـ ٤٥، وماضي النجف وحاضرها: ٣/ ١٣٧. وغيرها من المصادر العربية والفارسية.

(٢) شيخيگرى بابيگرى، ص ٢٢، نقلاً عن عرفان نامه، لكيوان.

(٣) الحقّ المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة الجهّال من الأخباريين. طبع في طهران عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م.

(٤) عالم متضلّع وحبر كبير، كان من شيوخ الفضل في أوائل القرن الثالث عشر الهجري وأحد النابهين الأعلام، عرف بالتحقيق في العلم والبراعة في الأدب شعراً ونثراً، يلقّب بـ «المقدّس الأعرجي» وبـ «المحقّق الأعرجي»، حالت دون بلوغه المرجعية كثرة أقطاب العلم في عصره، له آثار قيّمة أشهرها: «المحصول في شرح وافية الأصول». ولد في بغداد عام ١١٣٠هـ/ ١٧١٨م، وتوفّي في =

القمّي[1] ـ وكان يسمّي أتباعه بـ «البقسمية»[2] ـ والسيّد علي الطباطبائي[3] وغيرهما[4]. والتجأ بعد ذلك إلى السلطان فتح علي شاه القاجاري[5] في إيران واعتصم بالقصر. واضطر ذلك كاشف الغطاء إلى أن يؤلّف كتابه: «كاشف الغطاء عن معايب الميرزا محمد الأخباري عدوّ العلماء» الذي أرسله إلى السلطان ودلّه

= الكاظمية عام ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م. وللسيّد حسن الصدر: «ذكرى المحسنين» في ترجمة حياته، طبع في تبريز عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م. راجع (أعيان الشيعة: ٤٣/ ١٧٣ ـ ١٧٦) و (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢٠/ ١٥١) و (الفوائد الرضوية: ٢/ ٣٧٣ و٣٧٤) و (معارف الرجال: ٢/ ١٧١ ـ ١٧٣) و (مصفّى المقال، ص ٣٨٧ و٣٨٨) و (هدية العارفين: ١/ ٦) و (روضات الجنات، ص ٥٤٩ و٥٥٠) و (معجم المؤلفين: ٨/ ١٨٢) و (الكنى والألقاب: ٣/ ١٣٦ و١٣٧).

(١) من أساطين العلم وجهابذة الرأي، حاز درجة سامية في العلم والعمل، واشتهر بـ «المحقّق القمّي»، وكان السلطان كريم خان الزندي كثير العناية به إلى جانب ما حظي به من القبول التامّ لدى الخاصّ والعامّ، لكنّه زهد في الحياة ولم يعبأ بالجاه والمال. ومؤلّفاته تحتلّ الصدارة، أمّا كتابه: «القوانين المحكمة في الأصول» فهو من الكتب الدراسية في الجامعات الشيعية الدينية حتى اليوم. ولد في رشت عام ١١٥١هـ/ ١٧٣٨هـ، وتوفّي بقم عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٥هـ. راجع (معارف الرجال: ١/ ٤٩ ـ ٥٢) و (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٧/ ٢٠٢ و٢٠٣) و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٥٢ ـ ٥٤) و (قصص العلماء، ص ١٣٣ ـ ١٣٥) و (الكنى والألقاب: ١/ ١٣٩ ـ ١٤١) وغيرها.

(٢) لباب الألقاب في ألقاب الأطياب، ص ٨٧.

(٣) أحد الفقهاء الاثبات والعلماء الخالدين وجهابذة الرأي الأفاضل، يعدّ من المؤسّسين فكتابه: «رياض المسائل في تحقيق الأحكام بالدلائل» من المصادر الوثيقة والمراجع التي لا يستغني عنها فقيه أو طالب علم، له آثار خالدة منها: سور كربلاء الذي بناه عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م، لصدّ اعتداءات الوهابيين، ونهر الهندية المعروف الذي أنفق عليه آصف الدولة بسعيه وغير ذلك. ولد عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م، وتوفّي ١٢٣١هـ/ ١٨١٧م. تراجع (ريحانة الأدب: ٣/ ٤٢٨ و٤٢٩) و (الروضات، ص ٤١٤) و (تراث كربلاء، ص ١٨٣ و١٨٤) و (أعيان الشيعة: ٤٢/ ٤٤ ـ ٤٦ و١٦٧ و١٦٨) و (معجم المطبوعات، ص ١٢٢٦) و (قصص العلماء، ص ١٢٩ ـ ١٣١) و (الذريعة: ١١/ ٣٣٦) و (هدية الأحباب، ص ١٧٤) و (الأعلام: ٥/ ١٧٠).

(٤) أستاذ كلّ وحيد بهبهاني، ص ٢٥١.

(٥) ثاني ملوك آل قاجار، ملك عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م، بعد محمد خان الذي قتل عام ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م، راجت في أيامه سوق العلم والأدب، له آثار تاريخية خالدة في العراق وإيران لا سيّما في مراقد الأئمّة عليهم السلام.
توفّي عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م. راجع (معادن الجواهر ونزهة الخواطر: ٢/ ٢٨٢ و٢٨٣) و (مكارم الآثار در أحوال رجال دورهٔ قاجار: ٢/ ٤٣٠).

فيه على فساد عقيدته وحثّه على طرده وملاحقته. ومن يقف على الرسالة يتّضح له خبث الأخباري وخروجه على الشرع وعدم تورّعه في الدين[1]، وقد ردّ على كاشف الغطاء بكتاب سمّاه: «الصيحة بالحقّ على من ألحد وتزندق»[2]!! ولمّا توفّي كاشف الغطاء بمرض الخنازير قال الأخباري: «مات الخنزير بالخنازير»[3]. هكذا كان الأخباري يردّ وبهذا الأسلوب كان يخاطب أكابر العلماء ويعتدي عليهم.

لقد تميّزت تلك الفترة بالمهاترات والخروج على طريقة الدين والمشايخ الصالحين، حتى أدّت إلى هتك البعض لحرمة البعض، وانتقاص كل واحد الآخر. وكان كلّ فريق يرى وجوب قتل الفريق الآخر. وتطوّرت القضايا إلى أمور شخصية بحتة تقريباً، فكان كلٌّ من الخصمين يهدف إلى الانتقام من خصمه والتطويح به[4]، بينما كانت الخلافات إلى ما قبل عصرهما بفترة غير طويلة علمية نزيهة وحرّة مخلصة لله وللدين، لا يهدف من ورائها إلى غير إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل، وكان كلا الطرفين ينطق ويكتب حسب ما يمليه عليه مؤدّى علمه ومبلغ اجتهاده.

ومن طريف ما يروى دليلاً على الإخلاص وحسن القصد أنّ الشيخ يوسف البحراني صاحب «الحدائق» سئل عن حال الصلاة خلف الشيخ محمد باقر البهبهاني فصحّحها. فقيل له: كيف تصحّح الصلاة خلف من لا يصحّحها بصلاتك؟! فقال: وأي غرابة في ذلك؟! إنّ واجبي الشرعي يحتّم عليّ أن أقول ما أعتقده وواجبه الشرعي يحتّم عليه ذلك، وقد فعل كلٌّ منّا بتكليفه وواجبه... وهل يسقط عن العدالة لمجرّد أنه لا يصحّح الصلاة خلفي؟![5].

---

(١) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: ١/ ٥٢.
(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٧/ ٣٨.
(٣) لباب الألقاب في ألقاب الأطياب، ص ٨٧، وقصص العلماء، ص ١٣٣.
(٤) أعيان الشيعة: ١٥/ ٤٢٠ ـ ٤٢٥.
(٥) تنقيح المقال في أحوال الرجال: ٢/ ٨٥.

هكذا كانت الحال بالنسبة إلى ذلك العالم المخلص، فقد صفت نفسه من كلّ شائبة، فلم تعرف إلاّ الصدق والإنصاف، ولم يخفق قلبه الكبير بغير الإيمان، واتّسع صدره الرحب للعدالة وإن كانت عليه لا له[1]، ولمّا وصلت النوبة إلى الأخباري حوّلها إلى خصومة شخصية وحاول إرجاع نسب كاشف الغطاء إلى بني أمية لينقصه[2].

وقد أنهى السيد محمد الدزفولي الفروق بين الأخباريين والأصوليين إلى ستّة وثمانين[3]، والمتتبِّع الفاحص يجد معظمها تافهاً ومتشابهاً، غير أنّ بعض علماء الأخباريين قد عمد إلى نقشها وتصنيفها للتضخيم والتهويل وتوسيع شقة الخلاف بين الفريقين، وإظهار الفوارق كثيرة وكبيرة أمام عوامهم ليحرموا الصفاء ويأسوا من الالتقاء.

وقد أنهاها الشيخ عبدالله السماهيجي إلى أربعين فرقاً، ذكر منها السيد محمد باقر الخوانساري تسعة وعشرين وقال: إنَّ البقية ترجع إليها[4]. ونقلها عنه السيِّد محمد صادق بحر العلوم[5]. ولخّصها السيِّد محسن الأمين في خمسة، وقال إنّ الباقي راجع إليها. وإليك ملخّصها:

١ ـ **الاجتهاد والتقليد**: أوجب الأصوليون الاجتهاد كفاية كما أوجبوا على العوام تقليد المجتهدين. ومنع الأخباريون منهما فقالوا بلزوم الرجوع إلى الإمام بالرجوع إلى الأخبار الواردة عنه لنهي الأخبار عن الأخذ بالرأي وعقول الرجال. ويظهر أنّهم ظنّوا بأنّ الأصوليين يأخذون بالرأي الصرف غافلين عن أخذهم بما يستفيدونه من الكتاب والسنة والإجماع الصحيح وحكم العقل.

---

(١) مع علماء النجف الأشرف، ص ٧٤.

(٢) قصص العلماء، ص ١٣٣، وأعيان الشيعة: ١٥/ ٤٢٠.

(٣) فاروق الحقّ، المطبوع بهامش «الحقّ المبين» لكاشف الغطاء، ص ٩٤.

(٤) روضات الجنات: ١/ ٣٦.

(٥) دليل القضاء الشرعي: أصوله وفروعه: ٣/ ٢٢ ـ ٢٦.

٢ ـ **تقليد الميّت**: فقد منعه الأصوليون ابتداءً واختلفوا في جوازه دواماً؛ محتجّين بعدم قيام الدليل على جواز تقليد الميت، وأنّ ذلك على خلاف الأصل. وأجاز ذلك الأخباريون ذاهبين إلى عدم تغيّر الحقّ بالموت والحياة، وأنّ حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة. في حين أنّ الحقّ الذي لا يتغيّر هو الواقعي لا الظنيّ، وزعمهم بأنّهم لا يعملون إلاّ بالعلم غير صحيح.

٣ ـ **الأخبار**: رأى الأخباريون أنّ أحاديث الكتب الأربعة كلّها صحيحة؛ محتجّين بانتقاء مؤلّفيها للأخبار وحذفهم ما هو للضعفاء والمجروحين، وأنّ قدماء الأصحاب كانوا على ذلك ولم يكن لتقسيمات الحديث أثر عندهم قبل ابن طاووس وتلميذه العلاّمة الحلّي. أما الأصوليون فقد قسّموها إلى الصحيح والحسن والموثّق والضعيف والمرسل وغيرها. وإذا ما وجدوا في أسانيدها الضعاف والمجروحين، أو رأوا فيها المرسل والمقطوع، لم يستسيغوا العمل بها، بل ولم يحكموا بصحّتها، بل بحثوا أسانيدها. وهم يؤيّدون قول الأخباريين بأنّ أصحاب الكتب الأربعة قد نقّحوها وهذّبوها حسب اجتهادهم واعتقادهم، ولكنّه ممّا يجوز عليه الخطأ، ولذلك يتحتّم على كلّ مجتهد أن يفحصها جيّداً.

٤ ـ **دليل العقل**[1]: كقبح التكليف بما لا يطاق وقبح العقاب بلا بيان، ولذلك موارد كثيرة في علم الأصول، وقد ذهب الأصوليون إلى الاحتجاج به لتطبيق القواعد الواردة في الأخبار مثل: «ما حجب الله علمه عن العباد فهو موضوع عنهم» و «الناس في سعة ما لم يعلموا» و «رفع القلم عن تسعة أشياء... منها: ما لا يعلمون».

ومن الموارد التي يحتاج فيها إلى الاستدلال بالعقل: مسألة الشكّ في المحرم؛ كالشكّ في حرمة التدخين مثلاً؛ فقد اتّفق الأصوليون على العمل بالبراءة

(١) ظهرت في هذا العام: ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، دراسة طيبة تحت عنوان: «العقل عند الشيعة الإمامية» للدكتور رشدي محمد عرسان عليان، وقد نال بها الدكتوراه من جامعة الأزهر بمصر.

الأصلية فيه لقبح العقاب بلا بيان يصل إلى المكلَّف. بينما اتّفق الأخباريون على وجوب التوقّف والاحتياط فيه محتجّين بأنّ الأشياء حلال بيّن وحرام بيّن وشبهات بين ذلك، ولو جاز العمل بالبراءة الأصلية لما تمَّ التثليث ولدخل المشكوك فيه في الحلال البيّن. فالتدخين عند الأخبارية محرّم مثلاً [1].

٥ ـ **الاستصحاب**: ذهب الأصوليون إلى القول بحجيّته مستدلّين بحديث: «إذا كنت على يقين من شيء فلا تنقض يقينك بالشكّ». وخالفهم الأخباريون في ذلك وتوقّفوا فيه[2].

وقد خصّ الشيخ يوسف البحراني الفائدة الثانية عشرة في الفرق بين الأخباري والأصولي[3] كما أفاض عنه في بعض مؤلفاته[4]، وللشيخ محمد أمين الاسترابادي بحث وافٍ في الموضوع[5]. وهناك مصادر أخرى لمن يبتغي التوسّع والاستزادة.

٢ ـ الشيخية وخصومها

ولم يكد يمضي على قتل الميرزا محمد الأخباري زمن طويل، ولم تفتر الخصومات والحملات بعدُ حينما ظهر الشيخ أحمد الأحسائي ـ وهو شخصية أخبارية متطرّفة ـ، فأعلن عن وجهة نظره في بعض المعتقدات الإسلامية والمواضيع العلمية، فثار القوم كالزوبعة من جديد، ونسوا أو تناسوا خلافاتهم الأولى، وأعلنوها حرباً شعواء على الضحية الجديدة، ونشب الخلاف حول آرائه،

---

(١) من الطرائف ـ ولا أتذكّر الآن أين قرأته ـ أنّ أحد علماء الأخباريين ألّف رسالة في حرمة تدخين السيكاير وبعث بها إلى الشيخ محمد باقر المجلسي لإبداء رأيه فيها. فقرأها وأرفق بها كيساً من أجود أنواع التبغ، وكتب له معه ما خلاصته أنّ تعابيرها وأدلّتها قلقة مهلهلة، وأنّه ينصحه بالتدخين ليصحو تفكيره ويحسن تعبيره.

(٢) أعيان الشيعة: ١٧/ ٤٥٣ ـ ٤٥٨.

(٣) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: ١/ ١٦٧ ـ ١٧٠.

(٤) كشكول الشيخ يوسف البحراني: ٢/ ٣٨٦ ـ ٣٨٩.

(٥) الفوائد المدنية، ص ٤٧ و٤٨.

فكان علماء عصره فريقين أيضاً: مؤيّد ومفنّد. وتطوّرت الخصومة غير الشريفة حتى وصل التطرّف ببعض معارضيه أن أعلن تكفيره ونجاسته[1]. وكثرت التقوّلات حوله والاعتداءات على كرامته، فحدا ذلك الوضع الشائن بتلامذته وأتباعه ـ الذين كثروا بفاصلة قصيرة ـ على أن يكيلوا الصاع صاعين. وتوالت الأحداث البشعة والخطوب الجسام. وعمد خصومه أخيراً إلى حمل كتابه: «شرح الزيارة الجامعة» إلى والي بغداد وأطلعوه على مواضع فيها تعريض بأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم في قصّة نقلها عن بعض المصادر. فحرّك ذلك حقده الدفين على الشيعة ووجّه جيشاً إلى كربلاء فتك بالعزّل والأبرياء وأراق الدماء[2]. فخرج الأحسائي خائفاً يترقّب، وفرّ إلى مكّة المكرّمة للنجاة بنفسه وعياله فوافاه الأجل بالقرب من المدينة عام (١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م)، ودفن بجوار أئمّته في البقيع.

وقد خلف الأحسائي على زعامة أتباعه في كربلاء تلميذه الأرشد السيّد كاظم الرشتي بالرغم من صغر سنّه بالنسبة إلى كبار المجتهدين وشيوخ العلم الأفاضل من تلامذة الأحسائي؛ فقد كان له يومئذ اثنتان وثلاثون سنة. ولم يلاق تبوّؤه لذلك المنصب الخطير أية معارضة من الشخصيات اللائقة بتسنّمه، ويرى البعض أنّ السبب الوحيد لذلك هو صراحة الرشتي وشجاعته وجهره بالرأي في عقائد أستاذه[3]. وقد حرص على اغتنام الفرص في مواسم التجمّع كزيارة عرفة والغدير وعاشوراء وغيرها ـ حيث ينهال الناس على كربلاء والنجف من كلّ حدب وصوب ـ على نشر أفكار أستاذه الأحسائي بشتّى الوسائل. وكانت للرشتي في بلاط آل عثمان مكانة كبيرة، وفي إيران والهند والحجاز وغيرها صلات وثيقة واحترام موفور. وكان في العراق يومئذٍ صراع سياسيّ خفيّ بين الأتراك وخصومهم؛ فالعثمانيون كانوا يرون أنفسهم المالك للعراق وصاحب الحقّ في التصرّف بشؤونه، وبينما كان الإنكليز يخطّطون سياسة أخرى بوساطة عملائهم في

(١) شيخيگرى بابيگرى، ص ١٧.
(٢) روضات الجنات: ١/ ٢٦، هداية الطالبين، ص ١٠٧.
(٣) شيخيگرى بابيگرى، ص ٨٧.

الهند ومصر هدفها سلخ العراق من الامبراطورية العثمانية[1]. وكان لا بدّ لهذا الصراع السياسي من اللجوء إلى الدين للتخفّي وراءه، والاستعانة بالمذهب والمعتقد لتحقيق أهدافه حسب العادة المألوفة في مثل تلك الحال.

وفي خلال ذلك مال البلاط القاجاري في إيران إلى الشيخية بدوافع خفيّة وضغط لا مباشر على السلطان محمد شاه؛ ذلك أنّه كان قد سمل عيون عدد من بني عمومته، وكان من عادة البلاط الإيراني أن يسمل عيون خصومه ويعمي كلّ من يخاف شرّه ويخشى فتكه ليحول بينه وبين العمل على قلب نظام حكمه[2]، ونفي أولئك العميان إلى العراق بدون مؤونة، ومذ بلغ الرشتي نبأ وصولهم وحاجتهم أرسل إليهم واحتضنهم وقام بلوازمهم كافّة، عطفاً عليهم وتقرّباً إلى الله. ووصلت أنباء ذلك إلى طهران فاستمالت قلوب الكثيرين وأوجدت له أنصاراً من آل قاجار وغيرهم من العاملين في البلاط وخارجه. والذين لم يرق لهم ما لقيه بنو عمومتهم من أذىً واضطهاد، والذين أعجبوا جداً بكفالة الرشتي لهم دون أن ينتظر جزاءً أو شكوراً. وبذلك صار له ذكر حسن ورصيد حكومي وشعبي. وبعد أن أفرج عن أولئك وسمح لهم بالعودة إلى إيران صاروا ركيزة للأفكار الشيخية في بلاط آل قاجار[3].

وقد ساعدت تلك العوامل مجتمعة على دعم مركز الرشتي وتوسيع دائرته ونشر أفكار شيخه الأحسائي، وتضخّم عدد المنتسبين إليه والملتفّين حوله، إلاّ أنّ ذلك كلّه لم يصنه من الأذى ويكفّ عند غائلة الخصوم. ولم يسلم ممّا نبز به

---

(١) محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية، ص ٢٣ و٢٤.

(٢) سمل العين: فقؤها بحديد محماة أو قلعها. وقد نقل العرب هذه العادة عن البيزنطيين. (ظهر الإسلام: ١/ ٣٠، ط ٣). وقد سمل من خلفاء العباسيين القاهر وبعده المتقي واسمه إبراهيم، فقال القاهر:

صرت وإبراهيم شيخي عمن ... لا بدّ للشيخين من مصدر
ما دام «توزون» له إمرة ... مطاعة، فالميل في المجمر

(مروج الذهب: ٤/ ٣١٢ و٣٣٩، ط ٢).

(٣) مجلة بافكار الفارسية، المجلّد الثالث، ص ٢٦٨.

أستاذه، فقد تكالبوا عليه، وقرّ رأيهم على إحضاره في مجلس لمحاكمته واستنطاقه حول معتقداته؛ وهكذا كان. وقد غالطوه للتمويه على العوام[1]. ولم يتورّع بعضهم عن اتّهامه بالكفر[2]. وقد تعرّض للاغتيال مراراً إلاّ أنّه ظلّ على شوكته ودعوته حتى توفي عام (١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م)، وانتقلت مكانته في بلاط آل عثمان إلى ولده السيّد أحمد، فقد كان أحد أربعة لهم في البلاط العثماني ومجلس الخليفة كرسي خاصّ[3]، وقد قتل أخيراً وهو خارج من باب الصحن الحسيني بعد تأدية فريضة الصلاة، وذلك عام (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م)[4].

وقد خلف الرشتي على زعامة الطائفة في كربلاء الشيخ حسن جوهر ـ أحد كبار تلامذة الأحسائي والرشتي ـ، وكان الحاجّ محمد كريم خان الكرماني ـ من تلامذة الرشتي ـ في كرمان، فما أن سمع بنبأ وفاة الرشتي حتى أعلن وراثة منصبه وزعامة الشيخية، وانقسمت الطائفة إلى شطرين كبيرين هما:

١ ـ الميرزا شفيعية: وهم أتباع الميرزا شفيع التبريزي، تلميذ الأحسائي، وأتباع الشيخ حسن جوهر، وقد عرفوا بـ «الشيخية ثقة الإسلامية»، وهم أسر علمية متعدِّدة تولّت قيادة شيخية تبريز بالتعاون، ورئيس الكلّ اليوم الشيخ حسن الأحقاقي نزيل الكويت.

٢ ـ الكريم خانية: ويقال لهم: «الكرامخة» للتخفيف؛ وهم أتباع الحاجّ محمد كريم خان بن إبراهيم ظهير الدولة القاجاري، وقد ظلّت زعامة شيخية كرمان في بيته حتى اليوم، ورئيسها الحالي الشيخ عبد الرضا خان ابن الشيخ أبي القاسم خان ابن الشيخ زين العابدين خان ابن الشيخ محمد كريم خان المذكور.

وهناك جماعة أطلق عليها اسم «الميرزا باقرية»؛ وهم أتباع الميرزا محمد باقر الهمداني في همدان ونائين وجندق وكانت قد انفصلت عن الكرامخة بعض

---

(١) دليل المتحيّرين، ص ٦٦.
(٢) أسرار الشهادة، ص ٩٣، شيخيگري بابيگري، ص ١١٣.
(٣) شيخيگري بابيگري، ص ١٥٧.
(٤) المآثر والآثار، ص ١٨٤، طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ١٠٢.

الوقت وظهرت كفرقة ثالثة، غير أنّها سرعان ما عادت إلى أصلها الأوّل، وظلّت الفرقتان في تبريز وكرمان تمسكان زمام القيادة كلّ في موقعه[1].

٣ ـ البابية والبهائية

كان من جملة طلبة العلوم الدينية الذين حضروا بحث السيّد كاظم الرشتي في كربلاء شابّ اسمه السيّد علي محمد الشيرازي، وقد رجع إلى مدينة «بوشهر» في حياة أستاذه وزاول أعماله التجارية، وما أن سمع بوفاة السيّد الرشتي في كربلاء حتى طوى بساط تجارته وعاد إلى شيراز وعمل لتهيئة نفسه ولإعلان الخلافة عن الرشتي. ثمّ أظهر دعوته في الساعة الثانية والدقيقة الحادية عشرة بعد الغروب من الليلة الخامسة من جمادى الأولى عام (١٢٦٠هـ/ ٢٣ مايس ١٨٤٤م)، واعتبر البابيون والبهائيون من بعدهم هذا اليوم «عيد المبعث»، ولا يزالون يقدّسونه ويحرّمون تعاطي الأعمال فيه لأنّه يوم ظهور دعوة «الباب»[2]. ومن الصدف الغريبة أنّ «الباب» حصل على أنصار لدعوته في فترة قصيرة جداً، فيهم عدد من العلماء آمنوا به قبل العوام. ولمّا اجتمع حوله ثمانية عشر شخصاً من المؤمنين به سمّاهم: «حروف حي»؛ فالحاء في الحساب الأبجدي تعادل ثمانية والياء تساوي عشرة، ومجموعها (١٨). وعلّمهم أحكام دينه الجديد وأساس معتقده، وهم كما يأتي:

١ ـ الملاّ حسين البشروئي ٢ ـ أخوه محمد حسن البشروئي ٣ ـ ابن عمّه الصغير محمد باقر البشروئي ٤ ـ الملاّ علي البسطامي ٥ ـ الملاّ خدا بخشي القوجاني المعروف بملاّ علي الرازي ٦ ـ الملاّ حسين البجستاني ٧ ـ السيّد حسين اليزدي ٨ ـ المرزا محمد الروضة خان اليزدي ٩ ـ السيّد سعيد الهندي ١٠ ـ الملاّ محمد الخوئي ١١ ـ الملاّ جليل الأرومي ١٢ ـ الملاّ أحمد أبدال المراغي

---

(١) من رسالة بعث بها لكاتب السطور الدكتور باستاني باريزي الأستاذ في كلية الآداب بجامعة طهران، وتاريخها: تموز عام ١٩٦٩م، وهو صاحب دراسات عن الشيخية وآثارها.

(٢) البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم، ص ١٧.

١٣ ـ الملاّ باقر التبريزي ١٤ ـ الملاّ يوسف الأردبيلي ١٥ ـ المرزا هادي القزويني ١٦ ـ المرزا محمد علي القزويني ١٧ ـ الطاهرة المعروفة بقرة العين ١٨ ـ الحاجّ محمد علي البارفروش المعروف بـ «القدّوس»[١].

وكان المولى حسين البشروئي أوّل من آمن به، ولذلك عبّر عنه الباب بـ «باب الباب»[٢]، واعتبره داعيته الأوّل، وأمره أن يضرب في الأرض مبشّراً بالدعوة الجديدة، فسافر إلى كاشان وقم وطهران وخراسان وقد قتل في حادثة «قلعة الطبرسي»[٣] وسافر البسطامي إلى العراق لإعلان الدعوة، فجمع نجيب باشا والي بغداد علماء الشيعة والسنّة من بغداد وكربلاء والنجف لمحاججته فأفحموه وأفتوا بقتله، ولا يعلم كيف ومتى لقي حتفه[٤].

ويرى البعض أنّ سرّ نجاح دعوة «الباب» بسرعة، وحصوله على أنصار فيهم المثقّفون والنابهون، هو أنّ الأحسائي نفسه كان يعد في مؤلّفاته وخطبه ومواعظه بقرب موعد ظهور صاحب الزمان[٥]. وكانت الأفكار التي نشرها الأحسائي والرشتي قد أوجدت انقلاباً فكرياً وسياسياً بصفة دينية شملت العراق وإيران وسائر البلاد الإسلامية، ووجّهت الأنظار وهيّأتها لانتظار ظهور المهدي. ذلك أنّ الأخبار الكثيرة تنصّ على أنّه يظهر عندما تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً فيملأها قسطاً وعدلاً، ولمّا كانت حركة التحرّر الفكرية المرتبطة مع أوربا قد أوجدت أزمة فكرية تنزع إلى التخلّص من القيود، ورافقت أفكار الأحسائي وخليفته الرشتي حملات ظالمة واعتداءات عديدة وانتهاك للحرمات وإزهاق للنفوس، وإراقة للدماء، بات الناس يأملون بظهور المهدي المنتظر ووضع حدٌّ لتلك المآسي والأحداث والاضطرابات.

---

(١) فتنة باب، ص ٧١.
(٢) مطالع الأنوار، ص ٥٠، مكارم الآثار در أحوال رجال دورهٔ قاجار: ١/ ٢١٨.
(٣) مطالع الأنوار، ص ٣٠٣.
(٤) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١٤٠.
(٥) شيخيگري بابيگري، ص ١٩٣.

وهكذا انتشرت فكرة «البابية» وتطوّرت بسرعة هائلة، وجمعت حولها الكثير من الأنصار في الباطن رغم قصر مدّة الدعوة، فهبّ في وجهها العلماء على اختلاف بلادهم واتّجاهاتهم ولغاتهم، وأعلنوا استنكارها بالخطب والتأليف وبقية وسائل الدعاية والإعلام، ووقفت الحكومتان: الإيرانية والعثمانية إلى جانبهم، وأفتى المجتهدون بكفر «الباب» ووجوب قتله فأعدم بالرصاص يوم الاثنين، في السابع والعشرين من شهر شعبان، سنة ١٢٦٥هـ/ تموز ١٨٤٩م، كما تدّعيه سجّلات الحكومة الإيرانية[١]، أو في السابع والعشرين من شهر شعبان سنة ١٢٦٦هـ/ التاسع من تموز سنة ١٨٥٠م، كما تقوله كتب البابية[٢]، وقد أثّر إعدامه بعض الشيء في إضعاف الحركة ظاهراً إلاّ أنّ الدعوة عملت في الخفاء بنشاط منقطع النظير، فأعادت تنظيمها مجدّداً، وكانت دعوة الشيخية أظهر، ودعاتها أقوى وأكثر. وقد انقسمت «البابية» إلى قسمين: «البهائية» و «الأزلية»، ثمّ ظهرت «الفرتيّة» وكثر أتباعها وأنصارها بالتدريج، وانتشرت آراؤها وآثارها بسرعة. ولكلٌّ من هذه الفرق اليوم مؤسَّساته ومعاهده في الشرق والغرب.

وقد وضَّح الجاسوس الروسي «كينياز دالكوركي»، الذي كان مترجماً للمفوضية الروسية في طهران عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م، ثمّ أصبح وزيرها المفوّض، وهو مؤسِّس «البابية» وباذرها في إيران والعراق مساعيه المجرمة في هذا المجال، وكيف حمل «الباب» على إعلان هذه الدعوة حتى أوصله إلى حبل المشنقة، وصرَّح بأنّه كان كثير الاستغراب ودائم الفكر في أمر الشيعة، وكيف أنهم غلبوا طوائف السنة وانتصروا على الدولة العثمانية الامبراطورية. وكيف حاربوا روسيا مع قلّة العدد والعدّة، فأفنوا جيشاً كبيراً!! وعندما علم بأنّ ذلك كان ناشئاً عن اتّحادهم المذهبي وإيمانهم بالدين الإسلامي لم يكن له همٌّ إلاّ إحداث البلبلة والخلافات وإيجاد مذهب جديد يشغلهم به لتكثر دواعي الاختلاف فتتفرّق

(١) البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم، ص ٤٨.
(٢) مطالع الأنوار، ص ٢٠٤.

الكلمة. فدخل في سلك رجال الدين وسمّى نفسه: «الشيخ عيسى اللنكراني» وفعل ما فعل[1]. ويقول السيّد عبد الرزّاق الحسني: «إنّ مذكّرات دالكوركي تمتزج فيها الحقيقة بالخيال»[2].

هذا عرض موجز للحركات الفكرية والانقلابات الدينية التي حدثت عند الشيعة في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي. وقد اقتضته طبيعة البحث.

(١) مذكّرات دالكوركي، ٤٤ و٧١.

(٢) البابيون والبهائيون، ص ١٧، ط ٣.

الباب الثاني

الشيخ أحمد الأحسائي

الفصل الأول: سيرته

١ ـ نسبه وأسرته

هو الشيخ أحمد بن الشيخ[١] زين الدين[٢] بن إبراهيم بن صقر[٣] بن إبراهيم[٤] بن داغر[٥] بن رمضان[٦] بن راشد[٧] بن دهيم[٨] بن شمروخ بن صولة

---

(١) لم يصف الأحسائي أباه بـ «الشيخ» في ما رأيناه من كتاباته ومؤلّفاته، وإنّما وصفه بذلك ولده الشيخ عبدالله (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥) وتلميذه السيّد كاظم الرشتي (دليل المتحيِّرين، ص ١٢) والشيخ آغا بزرك الطهراني (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٨٨) نقلاً عن رسالة ولده المذكور. ونقل ذلك عنه السيّد محسن الأمين (أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩٠)، والشيخ محمّد علي المدرّس (ريحانة الأدب: ١/ ٣٩)، ووصفه كذلك بعض مشايخ الأحسائي في إجازاتهم له (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٨٢، ٨٦، ٨٩، ٩٤).

(٢) سمّاه المستشرق نقولاس «زين العابدين» (مقالة عن الشيخية: ١/ ١) وهو تصحيف. وقد صحف اسم جدّه داغر بـ «ظاهر».

(٣) سمّاه الشيخ حبيب الله الكاشاني «صغر» بالغين (لباب الألقاب في ألقاب الأطياب، ص ٥٢). وسمّاه علي أكبر دهخدا «صفر» بالفاء (لغت نامهٔ، حرف الألف، ١٣٩٦) وكذا في (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٤)، والأخير من أخطاء المطبعة حيث أشير إليه في جدول الخطأ والصواب، ٩٧.

(٤) سقط اسم «إبراهيم الثاني» بين صقر وداغر في كلٍّ من (رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٣) و (لباب الألقاب، ص ٥٢ و٥٣).

(٥) سمّاه الكاشاني في (لباب الألقاب، ص ٥٣): «واغر» بالواو.

(٦) لم يذكر اسم «رمضان» في آبائه أحد من المترجمين له!! وقد ذكره هو بنفسه (سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٩)، وذكره أيضاً ولده الشيخ عبدالله (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٤)، وهو أصحّ قطعاً؛ إذ هما أعرف بآبائهما من الغير.

(٧) سمّاه الشيخ ميرزا علي الحائري «صولة» بدلاً من «راشد» (رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٣) وهو وهم حتماً.

(٨) في (دليل المتحيِّرين، ص ١٢) و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٨٨): «وهيم» بالواو! وهو من خطأ المطابع.

آل صقر المهاشر[1] المطيرفي[2] الأحسائي[3] من رهط بني خالد الذين ينتهي نسبهم إلى قريش، وقد لقّبوا بـ «المهاشر» نسبة إلى جبل في تهامة اسمه: «مهشور» كانوا يسكنونه.

وقد وقع بين بني خالد والشريف غالب[4] نزاع أدّى إلى هجرتهم إلى الإحساء[5] بزعامة رئيسهم يومذاك عبد العزيز الخالدي، وقد تمكّنوا من الاستيلاء على الحكم وطرد[6] الحاكم السابق حسين باشا آل سياب[7]، ورأس الحكومة عبد العزيز المذكور حتى توفّي فوليها بعده ابنه محمد، ثمّ ابنه علي، ثمّ ابنه دخيل، ثمّ ابناه عريعر وعرار، ثمّ حاجة بن عريعر. وفي أيّامه تغلّب سعود بن عبد

---

(١) جاء في (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٦٦) و (رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٣): «المهاشير» وهو غير صحيح.

(٢) تردّد السيّد محسن الأمين في لقبه بين «المطيري» و «المطيرفي» كما في (أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩٠)، وتأكّد أنّه مطيرفي بعد وقوفه على (أنوار البدرين) كما صرّح به في (٨/ ٤٠٧).

(٣) سمّاها الكرماني «الحسا» في (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٦، ٢١، ٢٩، ٣٠، ٤٧، ٥٥)، وتبعه الحاجّ محمد كريم خان في مواضع عديدة (هدية الطالبين)، والشيخ أبو القاسم الإبراهيمي (فهرست كتب شيخ أحمد أحسائي)، وغلام حسين معتمد الإسلام (كلمهٔ أزهزار) وغيرهم.

(٤) لم نتمكّن من معرفته بالرغم من البحث عنه!! وقد ورد اسمه في قصّة أبي زيد الهلالي. وقصّة نزاع الشريف غالب مع بني خالد (قوم الأحسائي) فيها تخليط كثير، والظاهر أنّها أسطورة شعبيّة كأسطورة أبي زيد الهلالي، وقد ورد اسم الشريف غالب في هذه الأسطورة كثيراً.

(٥) يختلف تحديد الأحساء حديثاً عمّا كان عليه في القديم تبعاً لاختلاف التشكيلات الإدارية، قال حافظ وهبه: «كانت هذه المنطقة تسمّى قديماً البحرين وهجر، وكانت تطلق على المنطقة الممتدّة من البصرة إلى عمان، أمّا اليوم فتطلق الأحساء على المنطقة الممتدّة على الساحل الغربي من خليج فارس من حدود الكويت الجنوبية إلى حدود قطر وعمان وصحراء الجافورة حيث يحدّها من الغرب الصمّان» (جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٦٨): ويراجع: عباس العزاوي (تاريخ العراق بين احتلالين: ٥/ ٧٤)، والهمداني (صفة جزيرة العرب، ص ١٣٦)، وابن غنّام (تاريخ نجد، ص ٣٢)، وابن الأثير (اللباب في تهذيب الأنساب: ٢/ ٢٧٤)، وياقوت الحموي (معجم البلدان: ١/ ١٣٦)، وابن نبهان (التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية: ١/ ٣٢)، وغيرها.

(٦) في (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٦) أنّه قتل.

(٧) لم نتوصّل إلى معرفته، ويغلب على الظنّ أنّه من عائلة «آل أفراسياب» حكام البصرة في القرن الحادي عشر الهجري، وقد سبق لنا التحدّث عنهم (ديوان الكعبي، ص ٥٣ و٥٤ من المقدّمة).

العزيز آل سعود العنزي على الإحساء فتسلّم الإمارة وحكم... وبعد زمن تصاهر آل سعود وآل عريعر بعد أن كان آل عريعر يترفّعون بنسبهم على آل سعود[1]، وأمّ الملك المعاصر سعود بن عبد العزيز «وضحاء» بنت محمّد بن برغش بن عقاب بن عريعر[2]، فآباؤها هم شيوخ بني خالد.

وكان آباء الإحسائي يسكنون البادية، ولم يكن لأحد منهم حظّ من المعرفة والثقافة بحكم سكنى الصحاري، وكانوا على مذهب أهل السنّة، ولكنّهم لم يكونوا متعصّبين[3]. واتّفق نزاع بين داغر ـ الجدّ الرابع[4] للمترجم له ـ وأبيه رمضان أدّى إلى فراقهما؛ حيث هاجر داغر بأهله إلى قرية «المطيرف»، ولم يمضِ عليه زمن طويل حتى اعتنق مذهب الشيعة الإمامية لسيادته في تلك الربوع. وقد أشار المترجم له ـ في ما كتبه عن نفسه ـ إلى ذلك بقوله عند سياق نسبه بعد ذكر جدّه داغر: «غفر الله لهم جميعاً»[5]، ثمّ ذكر رمضان ومن سبقه بعد تلك الجملة بحيث تشمل ما قبلها دون ما بعدها، وصرّح بعد ذلك بقوله: «ومنّ الله عليه ـ على داغر ـ بالإيمان ليستنقذنا من الضلالة، وكان أولاده كلّهم من الشيعة الاثني عشرية»[6]. وعلّق الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي على ذلك بما ترجمته: «إنّ الشيخ لم يطلب المغفرة لأربعة من آبائه؛ هم: رمضان وراشد ودهيم وشمروخ، لأنّهم لم يكونوا شيعة متابعاً بذلك إبراهيم الخليل عليه السلام والقرآن الكريم»[7].

وقد تعاقب في قرية المطيرف بعد داغر أولاده وأحفاده حتى المترجم له.

---

(١) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائيد، ص ٨٤.

(٢) الملك الراشد عبد العزيز آل سعود، ص ٤٤٩. وقد سمّى جدّها عريعر «عويعر» بالواو.

(٣) لغت نامهٔ، حرف الألف، ص ١٣٩٦، وشيخ أحمد أحسائي، ص ٢، وفلاسفة إسلام، ص ٥٤، وشيخيگري بابيگري، ص ٧.

(٤) يؤكّد معظم مترجميه على أنّه الجدّ الثالث لإسقاطهم «إبراهيم الثاني» من سلسلة نسبه كما سبقت الإشارة إليه.

(٥) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٩.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/١٦٦.

٢ ـ ولادته ونشأته

ولد الإحسائي في قرية المطيرف[١] في شهر رجب عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م، كما ذكره بنفسه[٢]، وذكره ولده الشيخ عبدالله[٣]، ولم يكن أبوه «زين الدين» من أهل المعرفة والكمال لكنّه كان يحسن القراءة والكتابة والإلمام بالمبادئ الأوليّة كما يظهر[٤]، وقد نشأ عليه ولده، وكانت المطيرف كما قاله بنفسه: «قرية انتشر فيها الجهل وعمّ الناس... وليس فيها أحد ممّن يدعو إلى الله وعبادته، ولا يعرف أهلها شيئاً من الأحكام ولا يفرّقون بين الحلال والحرام... بل كان أهل البلد، صغيرهم وكبيرهم، لهم مجاميع يجتمعون فيها بالطبول والزمور والملاهي والغناء والعود والطنبور[٥]، وكانوا حريصين على المعاصي كلّ الحرص، ولم

---

(١) قال الشيخ علي البلادي البحراني: «قرية من قرى الأحساء من جهة الشمال منها كثيرة المياه» (أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، ص ٤٠٦). وقال الشيخ غلام حسين معتمد الإسلام ما ترجمته: «من قرى الأحساء المعروفة تمتاز بوجود كثير من عيون الماء الطبيعية فيها لا سيّما عين أمّ السبعة المشهورة» (كلمة أزهزار، ص ٣)، وقد سمّاها الشيخ علي الحائري بـ «المطيرفي» (رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٣)، وكذا مرتضى الچهاردهي (شيخ أحمد أحسائي، ص ٢) ومعتمد الإسلام (كلمة أزهزار، ص ٣، ٢٧)، ونفى الشيخ محمد الخالصي أن تكون في الأحساء قرية باسم المطيرف وأن يكون الشيخ أحمد أحسائياً، واحتمل مجيئه من أفريقيا وأنّ له مع أعداء الإسلام نسب وصلة (خرافات شيخية وكفريات إرشاد العوام، ص ٧٢)، وقد ردّه الشيخ غلام حسين معتمد الإسلام (كلمة أزهزار، ص ٣)، وقال الخالصي أيضاً تحت عنوان: «رجال الدعوة اللادينية في العراق وإيران» ما نصّه: «الأوّل أحمد الأحسائي؛ وهو رجل أسود اللون سمّى نفسه أحمد وادّعى أنّه أحسائي. والأحساء بريئة منه»، وقال: «ولذا يظهر من القرائن المفيدة للعلم أنّ الشيخ أحمد الأحسائي والسيّد كاظم الرشتي كانا قسّيسين»، وقال: «إنّ الشيخ أحمد والسيّد كاظم كانا قسّيسين تسمّيا بهذا الاسم». (الشيخية والبابية والمفاسد العالمية، ص ٣٨، ٤٠ و٥٠)، وقال السيّد ضياء الدين الروطاني مثل ذلك (مزدوران استعمار در لباس مذهب/ ٣٩ ـ ٤٢)، وردّه معتمد الإسلام (كلمة أزهزار، ص ٢٩ ـ ٣٩).

(٢) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٩.

(٣) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥. وجاء في (شيخ أحمد أحسائي، ص ٣) و (شيخيگري بابيگري، ص ٧) و (فلاسفة إسلام، ص ٥٤) أنّه ولد عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٦م، وهو خطأ حتماً.

(٤) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ١٢.

(٥) المصدر نفسه، ٩، ١١.

يكـن فيهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وقد ولعوا باللهو وانغمروا فيه، وكـان كلّ فرد منهم يعلّق ما يملكه من آلات الطرب وأدوات اللهو على باب داره مبـاهـاةً يتفـاخـرون بهـا فـي ما بينهم. وكانت لهم مجالس خاصّة يتجمهرون فيها فيشتغلون بالملاهـي ويعكفـون على المناهي بصورة جماعية ولا يفوت ذلك منهم أحد[1]. وقد ترجم الإحسائي لنفسه، بطلب من ولده الشيخ محمد تقي، في مقالة موجزة نشـرها الشيـخ أبو القاسم الإبراهيمي مع الرسالة الملحقة بها، والتي كتبها الإحسائي لبعض أصحابه نصّاً [2] وأخرجها الدكتور حسين علي محفوظ مستقلّة[3]، وقد خصّ الإحسائي فيها عهد الطفولة بحديث طريف نقتطف منه ما يأتي:

«كـانـت ولادتي في السنة السادسة والستّين بعد المائة والألف من الهجرة، فـي شهر رجـب المـرجّب، وعلى رأس السنتين من ولادتي جاء مطر شديد وأتت بلادنا سيول من الجبال حتى كان عمق الماء في المكان المرتفع من بلادنا ذراعين ونصفاً تقريباً. وفي ذلك اليوم تولّد المرحوم المبرور أخي الشيخ صالح تغمّده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنّته. وفي اليوم الثالث وقعت بيوت بلدنا كلّها ولم يبقَ فيها إلاّ مسجدها وبيت لعمّتي فاطمة الملقّبة بحبابة ـ رحمة الله عليها ـ، وكان ـ حينئذٍ ـ عمري سنتين، وأنا أذكر هذه الواقعة، وعلى مختصر القصّة قرأت القرآن وعمري خمس سنين.

وكنت كثير التفكير في حالة طفولتي حتـى أنّـي إذا كـنت مع الصبيان ألعب معهـم كمـا يلعبـون[4] ولـكـن كـلّ شـيء يتـوقّـف علـى النظر أكون فيه مقدّمهم وسابـقهم. وإذا لـم يكـن معي أحد من الصبيان أخذت في التفكّر والتدبّر. وأنظر فـي الأمـاكـن الخربـة والجدران المنهدمة أتفكّر فيها وأقول في نفسي: هذه كانت

(١) شيخيگري بابيگري، ص ٧، وشيخ أحمد أحسائي، ص ٣.
(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٦٦ ـ ١٨١.
(٣) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، مطبعة المعارف ـ بغداد، عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
(٤) أنكر الشيخ عبدالله الأحسائي أن يكون والده قد لعب مع الأطفال في صغره (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٨)، وردّ عليه مؤكّداً ذلك ومعتمداً على اعتراف المترجم هذا الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٦٨).

عامرة ثمّ خربت. وأبكي إذا تذكّرت أهلها وعمرانها بوجودهم، وأبكي بكاءً كثيراً حتى أنّه لمّا كان حسين بن أفراسياب الباشا حاكم الإحساء وتألّب عليه العرب، وأتى محمد آل عزيز وحاصروا الباشا[1] وقتلوا الروم وأخذوا الإحساء وحكم فيها محمد آل عزيز، وبعد أن مات حكم في الإحساء ابنه عليّ آل محمد، وقتله أخوه وجين أبو عرعر، وكان مقتله قرب عين الحوار ـ بالحاء المهملة ـ ودفن هناك، فإذا مررت ـ وعمري خمس سنين تقريباً ـ بقبره أقول في نفسي: أين ملكك؟ أين قوّتك؟ أين شجاعتك؟ وكان في حياته ـ على ما يذكرون ـ أشجع أهل زمانه وأشدّهم قوّة في بدنه. وأتذكّر أحواله وأبكي بكاءً شديداً على تغيّر أحوال الدنيا وتقلّبها وتبدّلها. وكانت هذه حالتي إن كنت مع الصبيان في لعبهم فأنا مشتغل باللعب معهم وإن كنت وحدي فأنا أتفكّر وأتدبّر.

وكان أهل بلدنا في غفلة وجهل لا يعرفون شيئاً من أحكام الدين، بل كلّ أهل البلد، صغيرهم وكبيرهم، لهم مجامع يجتمعون فيها بالطبول والزمور والملاهي والغناء والعود والطنبور، وكنت مع صغري لا أقدر أصبر عن الحضور معهم ساعة وعندي من الميل إلى طرفهم ما لا أكاد أصفه[2] وأبكي وحدي شوقاً إلى ما أتخيّله من أفعالهم حتى أكاد أقتل نفسي، وإذا خلوت وحدي أخذت في الفكر والتدبّر، وبقيت على هذه الحال، فلمّا أراد الله سبحانه إنقاذي من تلك الحالات اجتمعت مع رجل من أقاربنا من المقدّمين في طرق الضلالة، المتوغّلين في أفعال الغواية والجهالة وقال: أنا أريد أن أنظم بعض أبيات الشعر وأريدك تعينني. هذا وأنا صغير ما بلغت الحلم، فقلت له: أفعل. فقعدنا في خلوة، فأخذ أوراقاً صغاراً عنده يقلّب فيها، وإذا فيها أبيات شعر منسوبة للشيخ علي بن حمّاد البحراني الأوالي ـ تغمّده الله برحمته ورضوانه ـ في مدح الأئمّة عليهم السلام، وهي:

---

(١) في (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص٦) أنّه قتل.

(٢) أنكر ولده الشيخ عبدالله حضور والده تلك المجالس (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٨)، وردّ عليه الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي مستنداً إلى اعتراف الأحسائي نفسه (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/١٦٩).

لله قــوم إذا مــا الليــل جنّهــم قاموا من الفرش للرحمٰن عبّادا
الأرض تبكي عليهم حين تفقدهم لأنّهــم جعلــوا لــلأرض أوتــادا
هم المطيعون في الدنيا لخالقهم وفي القيامة سادوا كلّ من سادا
محمّد وعليّ خير من خلقوا وخير من مسكت كفّاه أعوادا
ويركبون مطايا لا تملّلهم إذا هُمُ بمنادي الصبح قد نادى

فلمّا قرأ هذه الأبيات ألقاها وقال: الحاصل... إنّ الذي ما يعرف النحو ما يعرف الشعر. فلمّا سمعت هذا الكلام منه وكان صبيّ، أمّه بنت عمّ أمّي ـ تغمّده الله برحمته ـ اسمه الشيخ أحمد بن محمد آل ابن حسن، يقرأ النحو في بلدة قريبة من بلدنا بينهما قدر فرسخ عند المرحوم الشيخ محمد ابن الشيخ محسن قدّس الله روحه، قلت للشيخ أحمد: ما أوّل شيء يقرأ فيه من النحو؟ فقال: عوامل الجرجاني. فقلت له: أعطني أكتبها. فأخذتها وكتبتها ولكنّي أستحي أن أذكر لوالدي ـ قدّس الله روحه ونوّر ضريحه ـ لأنّه كان عندي من الحياء شيء ما يتصوّر، حتى أنّ ذلك الحال الذي أشرت إليه من الاشتياق إلى أفعال أولئك الفسّاق ما اطّلع عليه أحد إلاّ الله سبحانه، فمضيت فيه إلى موضع من بيتنا يقعد فيه، والدي ووالدتي ونمت فيه وبيّت بعض الأوراق التي فيها العوامل، وأتت والدتي وأنا مغمض عيني كأنّي نائم ثمّ أتى والدي وقال لوالدتي: ما هذه الأوراق التي عند أحمد؟ قالت: ما أعلم. فقال: ناولينيها. فأخذتها، وأنا أرخيت أصابعي ـ من حيث لا تشعر ـ حتى تأخذ القرطاس فأخذتها وأعطتها والدي ـ رحمهما الله ـ فنظر فيها وقال: هذه رسالة نحو، من أين له هذه؟ قالت: ما أدري. قال: ردّيها مكانها فردّتها، وألنت أصابعي ـ من حيث لا تشعر ـ فوضعتها في يدي فبقيت قليلاً ثمّ تمطّيت وانتبهت وأخفيت القرطاس، كأنّي أحبّ أن لا يطّلع عليها. فقال لي والدي: من أين لك هذه الرسالة النحوية؟ قلت: كتبتها. فقال لي: تحبّ أن تقرأ في النحو؟ فقلت: نعم، وجرت «نعم» على لساني من غير اختياري ـ وأنا في غاية الحياء ـ كأنّ قولي «نعم» من أقبح الأشياء. ولكنّ الله ـ وله الحمد والشكر ـ أجراها على لساني من غير اختياري. فلمّا كان من الغد أرسلني مع شيء من النفقة

إلى البلد التي فيها الرجل العالم؛ أعني الشيخ محمد ابن الشيخ محسن، واسمها: القرين، ووضعني مع ذلك الصبيّ الذي تقدّم ذكره وهو الشيخ أحمد ـ رحمه الله ـ فكان شريكي في الدرس عند الشيخ محمد. وقرأت «العوامل» و «الأجرومية» عنده، ورأيت في المنام رجلاً كأنّه من أبناء الخمس والعشرين سنة أتى إليّ ـ وعنده كتاب ـ فأخذ يعرّف لي قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى/ ٢ و٣]. مثل خلق أصل الشيء يعني هيولاه، فسوّى صورته النوعية وقدّر أسبابه فهداه إلى طريق الخير والشرّ؛ يعني من هذا النوع وإن لم يذكر خصوص ما ذكرته. فانتبهت وأنا منصرف الخاطر عن الدنيا وعن القراءة التي يعلّمناها الشيخ لأنّه كان يعلّمنا: زيد قائم، زيد: مبتدأ، وقائم: خبره. وبقيت أحضر المشايخ ولا أسمع لنوع ما سمعت في المنام من ذلك الرجل شيئاً...»[1].

إلى هنا ينتهي حديث الشيخ أحمد عن تلمذته وأساتذته الذين أخذ عنهم في بلاده، كما أنّ المصادر التي تعرّضت لترجمته، على كثرتها، لم تشر إلى مشايخه الذين قرأ عليهم المبادئ ومقدّمات العلوم أو تلقّى عنهم هناك.

٣ ـ هجرته إلى العراق وإيران وتنقّلاته فيهما

هاجر الإحسائي إلى العراق في سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م، وعمره يومذاك عشرون سنة[2]، وهبط النجف، وظلّ ينتقل بينهما وبين كربلاء ملازماً لحضور دروس مشاهير الوقت؛ وهم الشيخ محمد باقر البهبهاني في كربلاء[3]، والسيّد

(١) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ٩ ـ ١٣.

(٢) جاء في (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٢٢) أنّ هجرته كانت عام ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م، وهو من خطأ المترجم أو الناسخ حتماً لأنّه صرّح بأنّه كان يومذاك ابن عشرين سنة، وسبق له أن صرّح بأنّ ولادته كانت عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م. وقد تبعه في خطئه المذكور مرتضى الچهاردهي في كتبه الثلاثة: (شيخ أحمد أحسائي، ص ٥) و (فلاسفهٔ إسلام، ص ٥٧) و(شيخيگري بابيگري، ص ٩) مع تصريحه بأنّه كان ابن عشرين سنة أيضاً. ونقل ذلك عنه على أكبر دهخدا في (لغت نامهٔ، حرف الألف، ص ١٣٩٧) وقد انتبه إلى ذلك الخطأ الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ٢٠٢).

(٣) تقدّمت له ترجمة ص ٢.

مهدي بحر العلوم[1] والشيخ جعفر كاشف الغطاء في النجف، وغيرهم. وبعد مدّة حلّ في العراق طاعون جارف فتك بالناس فتكاً ذريعاً، وفرّ المجاورون منه وتفرّقوا في القرى والأرياف، وهرب بعضهم إلى خارج العراق، فعاد الإحسائي إلى بلاده[2] فتزوّج وظلّ هناك فترة ظهر خلالها اسمه واشتهر. وفي سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م هبط البحرين فسكنها مع عائلته أربع سنوات. وفي شهر رجب عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م عاد إلى العراق ثانيةً للزيارة. فزار النجف وكربلاء والكاظمية وسامرّاء، وعاد فسكن البصرة ونزل محلّة «جسر العبيد» وطلب أهله من البحرين وحلّ في دار الحاجّ إبراهيم العطّار أبو جلّة ثمّ ذهب إلى الدورق[3]،

---

(١) من أكبر علماء عصره ومشاهير رجاله علماً وأدباً ومشاركةً في الفنون ورجاحة عقل وسعة أفق، انتهت إليه المرجعية في وقته، وأجمعت الكلمة على عظمته، وأصاب زعامة واسعة وشهرة طائلة، تخرّج عليه جمع من أعاظم الفقهاء وعمد الطائفة. وهو جدّ أسرة «آل بحر العلوم» العلمية في النجف، ولد في كربلاء عام ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م، وتوفّي في النجف عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م. له تراجم في (منتهى المقال في أحوال الرجال، ص ٣١٤) و(تحفة العالم، ص ١٣٦) و (الروضة البهية، ص ١١) و (روضات الجنات، ص ٦٧٧) و (قصص العلماء، ص ١٣٣) و (مستدرك الوسائل: ٣/ ٣٨٣) و (لباب الألقاب، ص ٢١) و (الكنى والألقاب: ١/ ٥٩) وغيرها.

(٢) تقدّمت له ترجمة ص ١١.

(٣) اتّفقت آراء معظم مترجميه على أنّ طاعوناً وقع في العراق بعد هجرته إليه وأنّه هرب منه مع من هرب. والمراد به الطاعون المظيم «أبو جفجير» الذي وقع سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م، وأرّخ بلفظة «الطاعون عظيم» (ماضي النجف وحاضرها: ١/ ٤٠٨) و (أثر الطواعين في القضاء على التراث العلمي والأدبي في العراق، للمؤلّف، مخطوط، ص ١٠)، وكان ابتداؤه في شهر رمضان واستمرّ حتى صفر عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م (مخطوطات مكتبة السيّد محمد البغدادي، ص ١٧١) وعلى فرض صحّة عام هجرته يتناقض مع تتلمذه على بحر العلوم لأنّ الأخير هرب من طاعون وقع عام ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م إلى إيران، وهو عام هجرة الأحسائي إلى النجف (مستدرك وسائل الشيعة: ٣/ ٣٨٧) و (ماضي النجف وحاضرها: ١/ ٤٠٨)، وسكن خراسان سبع سنين ولم يعد إلى النجف إلاّ عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م) (رجال السيّد بحر العلوم: ١/ ٣٤). وسيأتي في المتن أنّ الأحسائي لم يعد إلى النجف إلاّ عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م، وهو عام وفاة بحر العلوم مع أنّ الأحسائي أجيز منه في النجف عام ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م، كما ينصّ عليه تاريخ الإجازة (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٩٣)، وصرّح معظم مترجميه أنّه استجازه فلم يكن يعرف مقدار فضله فطلب منه إطلاعه على بعض آثاره ثمّ أجازه؛ ممّا يؤكّد وجوده في النجف يومها. وبالجملة، فإنّ تواريخ أسفاره غير مضبوطة.

وكـان حاكمها الشيخ علوان بن شاوه[1] يبالغ في احترامه، وبعد سنتين من سكناه فيهـا حـاصر الشيخ محمد بن مبارك حاكمها الشيخ علوان فأخرجه وحكم مكانه، وفـي يـوم الغـديـر ـ الثامن عشر من ذي الحجّة ـ عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م[2] هاجم الـوهـابيـون كـربلاء فقتلوا وأحرقوا وسبوا ونهبوا فراح ضحيّة ذلك الغزو البربري والعمل الـوحشـي سبعة آلاف من أهل البلد والزوّار الذين قدموا إلى المدينة، من الكبار والصغار والرجال والنساء، فكان لذلك وقع شديد على نفس الإحسائي، كما هي الحال بالنسبة للشيعة وعلمائهم في كلّ مكان. وقد ضاعف ذلك من حبّه للعـزلـة وابتعـاده عـن الناس، وصادف أن وقعت نفرة بينه وبين الشيخ محمد ابن الشيـخ مبـارك فهبط البصرة ونزل دار «ابن بدران» فترة، فتهافت عليه الناس فهبط قرية «الجبارات» من قرى البصرة، وبعد فترة هبط قرية «التنّومة» زمناً، وانتقل منها إلى قرية «النشوة» فمكث فيها ثمانية عشر شهراً، فلم ترق له لأنّها لم تحقّق رغبته في الخلوة بنفسه والابتعاد عن الناس فعاد إلى البصرة من جديد بعد أن ظلّ يتنقّل بين القرى زمناً فراراً من الشهرة واجتماع الناس من حوله.

وكان السيّد عبد المنعم الجزائري ـ من أشراف البصرة ومشاهيرها ـ قد سمع بـرغبـة الإحسائي في العزلة والخلود إلى الهدوء. فعرض عليه النزول في قرية له تسمّـى «الصفا» لأنّه لّن يجد خيراً منها لبعدها عن المارّة. فهبطها مع عائلته سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م، ومكث فيها سنة كاملة، فلم يكن مكان أسوأ منها في نظره من حيـث الهـواء والتربـة. ونظـم قصيدة في ذمّها. ثم هبط قرية «شط الكار» العائدة للسيّد أحمد بن هـلالـة مـدّة، ثمّ ترك عائلته فيها مع ولده الشيخ علي وذهب إلى «سـوق الشيـوخ» بـالقـرب من «الناصرية» مع ولده الشيخ عبدالله، وكان سبقه إلى

(١) سمّاها مترجم رسالة ولده الشيخ عبدالله بـ «الذورق» بالذال «ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٢٦، ٢٨)، وتبعه الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ٢٠٥ و٢٠٦)، وسمّى المترجم التنومة بـ «التنوية»، ص ٢٧، والجبارات بـ «الحبارات».

(٢) سمّاه مترجم رسالة ولده: «شناوة» (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٢٦)، وسمّاه الإبراهيمي: «شاوه» (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ٢٠٥).

سكنى «السوق» ولده الشيخ محمد تقي. فمكث فترة وترك ولده الشيخ عبدالله عنده ليكمل تحصيله العلمي على أخيه وعاد إلى البصرة فاستأجر داراً لعياله وأولاده ونقلهم إليها وصمّم على زيارة الإمام الرضا عليه السلام في «خراسان».

إلى إيران

وفي سنة ١٦٢١هـ/١٨٠٦م جدّد العهد بزيارة العتبات المقدّسة في العراق مع ولده الشيخ علي، ومعه من أصحابه: السيّد صالح ابن السيّد سلمان المولوي الموسوي، والسيّد حسين بن أحمد الحسيني، والحاجّ خليفة بن ديرم الإحسائي. ومن زوجاته: مريم بنت خميس، وآمنة بنت أحمد. ثمّ سافر منها إلى إيران، ولمّا وصل إلى يزد اجتمع به بعض أهلها ـ وكان الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي هناك يومئذ ـ وعرضوا عليه البقاء عندهم فوعدهم بتحقيق رغبتهم في العودة من زيارة الإمام. وواصل سيره فوصل إلى خراسان فزار ومكث مدّة ثمّ عاد إلى يزد كما وعد.

في يزد

وقد أحاطه أهلها بالرعاية والعناية البالغة طوال مدّة بقائه وأحبّوه كثيراً، ولمّا عزم على العودة إلى العراق امتنعوا من السماح له والتمسوا منه البقاء وحالوا دون سفره بمختلف الوسائل، فعدل عنه وبعث بعض أفراد عائلته مع سائر أصحابه إلى البصرة برعاية ولده الشيخ علي عن طريق أصفهان وشيراز، وظلّ مع زوجته في يزد، ومذ توطّن على البقاء شرع في التدريس والوعظ فتألّق نجمه وطار اسمه فسمع به السلطان فتح علي شاه القاجاري وأحبّه وأعجب به على البعد واشتاق إلى زيارته فكتب إلى حاكم يزد أن يسيّره إلى العاصمة مكرَّماً فامتنع الشيخ لمخالفة ذلك لرغبته في الانطواء، فكتب إليه السلطان يدعوه فأصرّ على الرفض بغضاً للشهرة وفراراً من الزعامة وتبعاتها، فكرّر دعوته وتبودلت بينهما الرسائل في ذلك مراراً فلم يزد ذلك الإحسائي إلاّ إصراراً على الرفض.

ونقل ولده الشيخ عبدالله، ومرتضى الچهاردهي موجز رسالة كتبها السلطان إليه بالفارسية، وتعريب الموجز ما يأتي: «كان الواجب يقضي عليّ بأن أتشرّف

بزيارتك لأنّك الإمام المقتدى والمرجع للخاصّ والعامّ فقد شرّفت مملكتنا ونوّرتها بقدومك. لكن ذلك ليس في مقدوري لعدّة أسباب، فأنا معذور لأنّني إذا هممت بالتشرّف في خدمتك لزم أن يصحبني ما لا يقلّ عن عشرة آلاف جندي، وبما أنّ يزد مدينة صغيرة وواد غير ذي زرع فإنّ دخول هذا الجيش سيسبّب ضائقة معيشيّة وارتفاعاً في أسعار الحاجيات الاستهلاكية. وطبيعيّ أنّك لا ترضى بغضب الله وما لا يرضيه. وإلاّ فأنا أقلّ من أن أحظى بين يديك فكيف بأن أتكبّر؟ فإن شرّفت على أثر وصول هذه الرسالة إليك فهو المطلوب وإلاّ فسأضطرّ للتوجّه إلى يزد»[1].

وأورد الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي ـ نقلاً عن كشكول السيّد حسين اليزدي ـ رسالة عربية كتبها فتح علي شاه إلى الإحسائي، وهذا نصّها: «الحمد لله الذي شوّقنا بلقاء ـ كذا ـ الشيخ الجليل والحبر النبيل، قطب الأقطاب ولبّ الألباب، حجّة الله البالغة ونعمته السابغة، أضحى بدوحة العلوم غصنها سمقاً، وأميط عن صباحها من الجهل عنقاً ـ كذا ـ علاّمة العلماء، أعرف العرفاء، أفقه الفقهاء، أدام الله بقاءه ويسّر لنا لقاءه. وبعد، لا يخفى عليك يا بدر أهل الدين وبحر ملّة اليقين، كعبة الفضائل ونقاوة الخصائل، أنّا نشتاق إليك شوق الصائم إلى الهلال، والعطشان إلى الزلال، والمحرم إلى الحرم، والمعدم إلى الدرهم، ونرجو منك، بعد وصول هذه الورقة، أن تقدم بالعطف والشفقة وتتوجّه إلينا وتتوقّف برهة لدينا، حتى نستفيض منك وأنت السحاب المطير، ونقتبس منك وأنت السراج

(١) سها ولده في رسالة ترجمة أبيه فقال: إنّ هجوم الوهابيين كان في بداية هذه السنة، بينما صرّح أنّه كان في يوم الغدير؛ وهو آخر شهر منها كما أشرنا إليه (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٢٦). وللاطّلاع على حادثة الوهابيين تراجع (أربعة قرون من تاريخ العراق، ص ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣) و (تاريخ كربلاء المعلى، ٢٠ ـ ٢٢) و (بغية النبلاء، ٣٣ ـ ٣٦) و (تاريخ كربلاء، ص ٢٣٣) و (تاريخ العراق بين احتلالين: ٦/ ١٤٤) و (تحفة العالم: ١/ ٢٩٠) و (أعيان الشيعة: ٤/ ٣٠٧) و (تراث كربلاء، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٧) و (دائرة المعارف الإسلامية، مادّة سعود وكربلاء) و (ديوان الحاجّ هاشم الكعبي، ص ١١٨ ـ ١٢١) و (روضات الجنات، ص ٢٦٥، و٣٥٣) و (زنبيل فيرهاد، ص ٣٤٨) و (شهداء الفضيلة، ص ٢٨٨ ـ ٣٠٤) و (مجالي اللطف بأرض الطف، ص ٥٣) وغيرها.

المنير، ونقتطف وأنت الروض الظاهر ـ كذا ـ ونجتني وأنت الشجر الباهر، وإذا دعيتم فأجيبوا فإنّ منزلكم عندنا لرحيب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

لم تزد تلك الرسائل المتتالية والإلحاح الجادّ من قبل السلطان، الشيخ الإحسائي إلاّ إصراراً على الامتناع ومبالغة في الرفض؛ ذلك لأنّه كان يحبّ العزلة والانزواء وخمول الذكر وترك علاقة عامّة الناس، فكيف بالملوك والأمراء وما يفتضي ذلك من التزامات تخرج المرء عن طوره وتصرّفه إلى غير هدفه؟ وعندما شعر بالمضايقة من الحكّام والوجوه لتلبية طلب الشاه قرّر الفرار عن طريق شيراز فالبصرة. فأحسّ الحكّام وأهالي يزد بذلك فتجمهروا في بيته وطلبوا منه حفظ أرواحهم لأنّ الحكومةِ في العاصمة ستفسّر ذلك بأنّه خوف من ورود السلطان إلى يزد وتمهيد طريق الفرار للإحسائي. ولمّا تيقّن وقوع الضرر عليهم من ذلك نزل عند رغبتهم واضطرّ للبقاء، وسمت مكانته عند الأهالي أكثر لما علموه من مقامه عند السلطان. ثمّ استجاب للدعوة فتوجّه إلى طهران في موكب عظيم، وشيّعته يزد، حكومةً وشعباً، وجرى له في كلّ مدينة أو قرية مرّ بها تكريم وتعظيم واستقبال، وتوديع وطبّق نبأ مسيره أرجاء البلاد الإيرانيّة.

في طهران

وخرج لاستقباله موكب السلطان ورئيس وزرائه وسائر الوزراء والأعيان والأمراء، وهرع الناس على اختلاف طبقاتهم، وعلى رأسهم العلماء وكبار رجال الدين والفضل. وأنزله السلطان منزل الكرامة وحظي باحترام وإقبال لا يوصف، وكانت مكانته تزداد عنده يوماً بعد يوم[2]. وصادف أن حدثت زلازل متتالية في أطراف طهران أدّت إلى خراب الدور وسائر الأماكن القريبة من طهران. فرأى فتح علي شاه ليلةً في منامه قائلاً يقول: «لو لم يكن جناب الشيخ أحمد في هذه المدينة لهلك أهلها بالزلازل في ساعة واحدة»[3]، فاستيقظ مرعوباً وزاد تعلّقه

(١) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٣١، وشيخيگري بابيگري، ص ١١.
(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/٢٠٩.
(٣) دليل المتحيّرين، ص ٢٢.

بضيفه واعتقاده به، وأخذ يسأله بعض المسائل فيجيب عليها بكتب ورسائل فعظم قدره عنده للغاية، واعتقد أنّ طاعته فرض ومخالفته كفر.

وعرض السلطان على الشيخ، في بعض اجتماعاته معه، سكنى إيران؛ معلِّلاً بأنّ الشيعة وعلماءهم مضطرّون إلى التقيّة في العراق مداراة لآل عثمان، وعالم بصير مثله يجب أن يعيش في ظلّ حكم يمكّنه من إظهار علمه ونشر معارفه، أضف إلى ذلك أنّ العرب لا يأنسون بالحكمة والأسرار والعلوم العقلية التي يبرع الإحسائي فيها ويعمل على نشرها، ولا يتطلّبونها. وقد اعتذر إليه لأوّل وهلة لكنّه كرّر ذلك عليه في لقاءاته التالية فوافق. وطلب إليه ثانيةً أن يختار طهران للسكنى فاعتذر إليه بعدم رجحان ذلك؛ وعلّله بأنّ الناس إذا رأوا إقبال السلطان عليه وإصغاءه إليه، قصدوه في حوائجهم وشفعوا به في مشاكلهم، فإن رفض واعتذر أُبغض واتّهِم، وإن أجاب أحرج السلطان ببعض طلباته؛ إذ لا شكّ أنّ فيها ما يتنافى مع القانون ويناقض مصلحة الحكومة، فالأجدر به أن يسكن مدينة أُخرى، فإيران كلّها بلاده وتحت حكمه. فاقتنع السلطان بوجاهة عذره وخيّره فاختار العودة إلى يزد، وكان محمد علي ميرزا ابن السلطان فتح علي شاه والي كرمانشاه وخوزستان والحويزة وتوابعها حاضراً في المجلس. فأمره بأن يرسل بعض عمّاله إلى البصرة ليحمل عائلة الشيخ إلى يزد مكرّمة. وكتب محمد علي ميرزا رسالة إلى إبراهيم آغا حاكم البصرة طلب منه فيها أن يساعد رسوله على نقل عائلة الشيخ، وعاد الشيخ إلى يزد باحترام. وورد الميرزا شايق رسول محمد علي ميرزا إلى البصرة في أوائل ذي القعدة عام ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م، فحملهم من طريق الأهواز فتستر فدزفول فخرّم آباد فبروجرد فكاشان. ووصلوا إلى يزد في غرّة صفر قبل تحويل السنة ـ عيد النوروز ـ بأربعة أيّام.

في يزد وخراسان ثانيةً

عاد الإحسائي إلى مزاولة أعماله العلمية من جديد، فشرع بالتدريس والإفادة ونشر المعرفة وإعمام الكمال، وكان مجلس درسه حاشداً بأهل العلم والفضل، ومسجده مكتظّاً بجموع المصلّين خلفه، وظلّ على مكانته لدى كبار

علمائها وأصحاب الرأي فيها. وفي سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م عزم على زيارة الإمام الرضا عليه السلام فصحب ولده الشيخ علي وبعض زوجاته فزار وعاد إلى يزد، وبعد فترة صمّم على زيارة العتبات المقدَّسة بالعراق، وكانت يزد قد تقدّمت كثيراً بواسطته وحظيت باهتمام السلطة والحاكمين من أجله؛ ولذلك عزّ على أهلها سفره وحاولوا إقناعه بالبقاء بشتّى الصور فلم يفلحوا. حتى أنّ أمين الدولة، حاكم البلد، حذّر المكاريّين من حمل أمتعته وهدّدهم فلم يجده ذلك. وخرج الشيخ بعياله في موكب ضخم وودّعه الناس وهم في أسى وبكاء.

في أصفهان

ومرّ موكب الإحسائي بأصفهان، وقد كانت أنباء الرحلة قد سبقته، فاستقبله أهلها؛ ولا سيّما العلماء والحكّام استقبالاً منقطع النظير، والتمسوا منه البقاء فلم تسعه الإجابة لأنّ الشاه زاده محمد علي ميرزا، حاكم كرمان شاه، كان قد أوفد المستقبلين إلى أصفهان ليصحبوا موكبه. وهكذا خرج مودّعاً بمثل ما استقبل به من احترام.

في كرمان شاه

واستقبله أهل كرمان شاه على بعد منزلين في «چاه كلان»، كما استقبله الشاه زاده مع حاشيته في «تاج آباد» على بعد أربعة فراسخ. ودخل المدينة بإجلال في الثاني من رجب سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م. وقضى فيها أيّاماً كان خلالها موضع الإكبار والتقدير. وطلب منه الشاه زاده سكنى «كرمان شاه» فاعتذر وأخبره بأنّ سبب تركه ليزد لم يكن لضيق أمور معاشه ولا لعدم احترامه بين الناس، فقد شقّ عليهم ذلك لولا أنّ رغبته في مجاورة العتبات المقدَّسة هي التي أخرجته، فأجابه بأن خروج روحه من جسده أهون عليه من خروج الشيخ من «كرمان شاه» وأنّه يضمن له تهيئة وسائل الزيارة كلّ عام لأنّه يحبّ أن يرضي الله بخدمته ويكون له شرف جواره ليفخر بذلك أمام غيره من الولاة والحكّام، فوعده بتحقيق رغبته في العودة.

بين كرمان شاه والعراق

وهبط العراق فتشرّف إلى النجف وكربلاء والكاظميّة وسامرّاء، وقضى في كلّ مدينة مدّة، ثمّ عاد إلى كرمان شاه وبقي فيها نحو ثلاث سنين. وقد عاد إلى العراق خلال تلك المدّة غير مرّة وتكرّرت زياراته للعتبات مراراً. وكان يطيل المكث في كلّ مشهد فترة طويلة، وفي سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٦م عزم على حجّ بيت الله الحرام وصحب ولده الشيخ عبدالله، ومعه من أصحابه وأتباعه: المولى مشهد التبريزي، والحاجّ أبو الحسن بن إبراهيم اليزدي، والحاجّ عبدالله بن إبراهيم آل عيثان القارئ الإحسائي، والحاجّ علي الدزفولي، فخرج عن طريق البادية.

في دمشق والديار المقدّسة

وصل الإحسائي إلى دمشق في أواخر شهر شعبان، فصام شهر رمضان، فيها وتحرّك إلى المدينة في منتصف شوّال فوصلها في الثاني والعشرين من ذي القعدة. وفي الرابع والعشرين منه خرج فأحرم من «مسجد الشجرة»[1]، وبعد تمام المناسك رجع إلى العراق من طريق نجد والجبل مع جم غفير من الحاجّ، وعند وصوله الجبل افترق عنهم واتّجه إلى النجف مع نفر من أصحابه، فهاجمت ركبه عصابة من اللصوص فقاتلهم.

في العراق وكرمان شاه مجدّداً

وفي غرّة ربيع الثاني وصل إلى النجف فأرسل ولده الشيخ عبدالله مع بعض خدمه إلى كرمان شاه وظلّ في النجف ثمانية أشهر، وفي الرابع من محرّم عام ١٢٣٤هـ/١٨١٨م عاد إلى كرمان شاه وعاش عدّة سنين بهناء وجلال حتى توفّي محمد علي ميرزا وشحّت النعم على أثر قيام الحرب بين العراق وإيران، وأدبرت أيّام البلد، وضاعف النكبة سيل عظيم أغرق ربع المدينة في ليلة واحدة وهلك الناس والمواشي والزرع، وفي العام الثاني من وفاته وقع وباء عظيم في كلّ إيران وفتك بالناس فتكاً ذريعاً، فعزم الإحسائي على زيارة الإمام الرضا عليه السلام.

---

(١) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٣٣.

في بعض مدن إيران

وهبط قم فقزوين فطهران، وذهب لزيارة مرقد السيّد عبد العظيم الحسني في الريّ[1] فوجد أهلها قد فرّوا إلى الجبال والصحاري فمكث أربعة أيّام واتّجه إلى طوس فوصل شاهرود فحلّ الوباء في ركبه فمات عدد من صحبه وإحدى زوجاته، ودخل خراسان مع اشتداد الوباء فمكث اثنين وعشرين يوماً وذهب إلى تربت فاستقبله حاكمها محمد خان بن إسحاق خان، ثمّ إلى طبس واستقبله أيضاً حاكمها علي نقي خان بن المير حسين خان الطبسي، وهمّ بالعودة إلى يزد وكان الطريق مخيفاً فأرسل معه الحاكم ابن عمّه مراد علي المعروف بالسطوة والشجاعة في مئة راكب ومئتي راجل حتى يزد.

في يزد وأصفهان وكرمان شاه

ووصل إلى يزد، ولم يطل مكثه فيها؛ فبعد ثلاثة شهور توجّه إلى أصفهان وحلّ في دار عبدالله أمين الدولة ابن محمد حسين خان صدر الدولة[2]، فطلبوا منه البقاء فأرسل أهله مع ولده الشيخ عبدالله إلى كرمان شاه وقضى شهر رمضان في أصفهان، وأحصي مرّةً عدد المصلّين خلفه فبلغوا ستّة عشر ألفاً، ولم يدّخر

---

(١) للحجّاج مواقيت ومنازل لا يجوز لهم اجتيازها إلاّ محرمين؛ وهي ستّة، وقد تعرّضت الكتب الفقهية لذكر تفاصيلها وخصائصها. و «مسجد الشجرة»: هو ميقات أهل المدينة وما جاورها أو من جاء عن طريقها.

(٢) هو عبد العظيم بن عبدالله بن عليّ بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، من علماء أهل البيت وكبار رواة أحاديثهم، ومن مشاهير الذرّية الطاهرة من آل محمّد، كان على جانب عظيم من الفقه والحديث والتقى، غمط تاريخ مولده ووفاته، وقبره في الريّ القديمة على بعد فرسخ من طهران مزار ضخم يقصد للتبرّك به، روى عن هشام بن الحكم المتوفى عام ١٩٨هـ/ ٨١٣م، ومات في زمن الإمام علي الهادي عليه السلام المتوفى عام ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م. تعرّضت لذكره سائر معاجم الرجال والحديث، وألّفت في سيرته كتب منها: «جنّة النعيم والعيش السليم في أحوال سيّدنا عبد العظيم» للشيخ باقر الكجوري، طبع في طهران عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م. و «زندكاني حضرت عبد العظيم بن عبدالله الحسني» للشيخ محمد الرازي، طبع عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م و «عبد العظيم الحسني: حياته ومسنده» للشيخ عزيز الله العطاردي، طبع عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. وكلّها فارسية.

أمين الدولة وسعاً في إكرامه حتى أنّه أهداه قرية «كمال آباد»، وفي العاشر شوّال اتّجه إلى كرمان شاه فمكث سنة ثمّ عزم على مجاورة العتبات في العراق.

في كربلاء

وهبط كربلاء فمكث مدّة ثمّ همّ بالحجّ ثانية، وكان معه ـ هذه المرّة ـ ولده الشيخ حسن، والسيّد خلف بن علي النجّار، وموسى بن عبد الحسن، والحاجّ علي الكيشوان الكربلائي، واثنتان من زوجاته، وعبده سلطان، وبعض الخدم.

في الشام

وسافر عن طريق بادية الشام فهبط دمشق فمرض، وظلّ يواصل سيره ومرضه آخذ بالتزايد حتى توفّي في الطريق في منزل يقال له «هيدية» قرب المدينة المنوّرة.

٤ ـ وفاته وقبره وخلفه

توفّي الإحسائي وهو متوجّه إلى الحجّ في «هدية»[1] على ثلاث مراحل من

---

(١) من أسرة فارسية أصفهانية كانت لها في عهد ملوك آل قاجار صدارة ورياسة كما كانت لها بهم صلة نسب، نزحت إلى النجف في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، وكان جدّها الحاجّ محمد حسين خان، المتوفّى عام ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م؛ صدراً في سلطنة فتح علي شاه. وقد أضافت إلى سمعتها الطائلة ومجدها الباذخ وثرائها الضخم شرف العلم والأدب؛ حيث نبغ فيها النابهون من رجال المعرفة والكمال. لها في العراق وغيره آثار خالدة من مساجد ومدارس ورباطات وقناطر وأسوار وقنوات وغيرها، كما خدمت الدين بتعزيز أهل العلم وإكرامهم ومدّهم بوافر الصلات والمنح. ومن آثار جدّها في النجف سور المدينة الذي هدمته الحكومة العراقية عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م لغرض توسعة البلد، ومدرسة الصدر، والباب الفضي في ايوان حرم الإمام علي عليه السلام.
وعبدالله خان أمين الدولة، أحد أنجاله الأكارم، تقلّب في مناصب الدولة ونال عالي الرتب ورأس الوزارة بعد أبيه، فتجلّت شخصيّته وظهرت قابليّاته، فقد سهر على مصلحة الشعب واشتهر بالاستقامة والعدل، ورعى حملة العلم، وروّج المذهب الجعفري، وكان إلى جانب ذلك شديد الورع، كثير العبادة، حريصاً على خدمة الدين، وقد لقّبه بعض من عاصره من مشاهير العلماء بـ «عليّ بن يقطين» الثاني (الفوائد البهائية، ص ٣٤).
ومن آثاره في النجف: ترميم قناة الماء التي كانت النجف تستقي منها، وإتمام سور البلد الذي بدأ به والده ولم يمهله الأجل لإكماله، وحمّاما الحضرة للرجال والنساء ـ وقد هدما عام =

المدينة[1] أو مرحلتين[2]، وذلك يوم الأحد[3] الواحد والعشرين من ذي القعدة[4] عام ١٢٤١هـ/[5]١٨٢٥م، وصلّى عليه ولده الشيخ علي نقي، كما قاله الميرزا علي الحائري[6]! ونقل إلى المدينة فدفن في البقيع خلف جدار قبّة

= ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، ودخلا في الشارع المحيط بالصحن من جهة الغرب ـ وأملاك أُخرى من دكاكين وخانات وقفها على مدرسة الصدر لإطعام الطعام وسقي الماء وإسراج الأضوية ونحوها. وآثاره في طهران وأصفهان كثيرة مشهورة.

توفّي في الخامس والعشرين من شهر شعبان عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م، وأعقب خمسة أولاد فيهم العلماء والشعراء وأصحاب المؤلّفات القيّمة، ومنهم: نظام الدولة الذي اشتهرت الأسرة في النجف باسمه «آل نظام الدولة»، ورثي بقصائد عديدة من قِبل أعلام الأدب والنابهين من رجاله، وعقد الشيخ جعفر آل محبوبة فصلاً لذكر هذا البيت في عداد الأسر النجفية (ماضي النجف وحاضرها: ٣/ ٤٨٠ ـ ٥٠٣) وفّى فيه حقّ المقال.

(١) تجمع مصادر ترجمته على أنّه توفّي في قرية اسمها «هدية»، والظاهر أنّه تصحيف. قال ياقوت الحموي: «الهدبيّة: بفتح أوّله وثانيه ثمّ باء موحّدة وياء مشدّدة... وهي قرية غنّاء كبيرة من أعمال المدينة والهدّة: بالفتح ثمّ التشديد، وهو الخسفة في الأرض. والهدّ: الهدم، وهو موضع بين مكّة والطائف... والهدة، بتخفيف الدال: من الهدى أو الهدى بزيادة هاء: بأعلى مرّ الظهران ممدرة أهل مكّة... والهدية بالتصغير موضع حوالي اليمامة...» (معجم البلدان: ٥/ ٣٩٥)، ويراجع: (تاج العروس: ١٠/ ٤٠٩) والظاهر أنّ الأوّل هو المقصود.

(٢) (دليل المتحيّرين)، ص ٥٢، وروضات الجنات: ١/ ٢٣٠) و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٩٠) و (رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٤) و (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ٢١٥).

(٣) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥٤، وقال الشيخ عبدالله نعمة العاملي (فلاسفة الشيعة، ص ١١٣) والسيّد مهدي الكاظمي (أحسن الوديعة، ص ٣٠٨، ط ٢) والشيخ مرتضى كاشف الغطاء (فوز العباد، ص ٧٢): إنّه توفّي في المدينة. وقال الشيخ محمّد علي المدرّس (ريحانة الأدب في المعروفين بالكنية أو اللقب: ١/ ٤١): إنّه كان ساكنا في المدينة.

(٤) قال السيّد محسن الأمين (أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩٠): يوم الجمعة.

(٥) قال معتمد الدولة (هداية السبيل، ص ١٢٨): من شهر رجب.

(٦) قال الشيخ علي البحراني (أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، ص ٤٠٦ و٤٠٧): أثناء فريضة الحجّ سنة ١٢٤٢، وكذا في (دائرة المعارف الإسلامية: ١/ ٤٤٨). وقال السيّد محمد باقر الخوانساري (روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: ١/ ٢٣١): إنّها كانت عام ١٢٤٣، وكذا أدوار براون (تاريخ أدبيات إيران: ٤/ ٢٧٦) والشيخ محمد علي الكشميري (نجوم السماء في أحوال العلماء، ص ٣٧٤) والشيخ عبدالله نعمة (فلاسفة الشيعة، ص ١١٣) والسيّد عبد الرزاق الحسني (البابيون والبهائيون في ماضيهم وحاضرهم، ص ١٣، ط٣). وجاء هناك تحت =

الأئمّة عليهم السلام [1] من طرف الجنوب، تحت ميزاب المحراب مقابل «بيت الأحزان»، وكان عمره خمساً وسبعين سنة كما قاله ولده، ورثاه[2] الشيخ علي نقي[3] وتلميذه الشيخ حسن جوهر[4]، وأرّخ وفاته الشيخ محمد

= صورته مقابل ص ١٢: إنّها ١٢٤٢ ـ والشيخ محمد هاشم الخراساني (منتخب التواريخ، ص ١٣٦) والسيّد محسن الأمين (أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩١) عمّن رأى لوح قبره. وقد تردّد المدرّس (ريحانة الأدب: ١/ ٤١) بين ٤١ و٤٢ و٤٣ و٤٤.

(١) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٢. والظاهر أنّه وهم لأنّ الشيخ علي نقي كان في إيران، والذي كان بصحبة الأحسائي من أولاده الشيخ حسن كما ذكره ولده الآخر الشيخ عبدالله، ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥٣) ويؤيّد عدم صحّة ذلك أنّ الشيخ علي نقي أرّخ وفاة أبيه في الثاني والعشرين من ذي القعدة (رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٤) والصحيح أنّها في الواحد والعشرين منه كما مرّ. ولو كان في صحبة أبيه حال وفاته لما فاته ضبط اليوم.

(٢) في البقيع بالمدينة المنوّرة قبور أربعة من أئمّة الشيعة الإمامية هم: ١ ـ الإمام الثاني الحسن بن عليّ بن أبي طالب ٢ ـ الإمام الرابع زين العابدين عليّ بن الحسين الشهيد ٣ ـ الإمام الخامس محمد الباقر بن زين العابدين ٤ ـ الإمام السادس جعفر الصادق. هذا عدا قبر فاطمة الزهراء بنت النبيّ صلى الله عليه وآله وقبور بعض أعمام النبيّ وأزواجه وأولاده.
وقد كانت على قبور الأئمّة قبّة عالية وبناء ضخم، وعلى بقيّة القبور الطاهرة قباب شاهقة، ولمّا دخل ابن السعود مكّة أوّل عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، وكان على المذهب الوهّابي الذي يحرّم تشييد القبور ويستنكر احترام الموتى مهما كان قدرهم في الحياة، هدم في الثامن من شوّال من السنة المذكورة قباب الأئمّة وأضرحتهم وسائر القباب والقبور وجعلها قاعاً صفصفاً، وذلك بعد استفتاء تقدّم به إلى شيوخ الضلال والغواية، وكان عازماً على هدم قبر النبيّ صلى الله عليه وآله بعد هدم قبور آله، ولكن ارتفعت أصوات الاستنكار وتعالت الضجّة في البلاد الإسلامية فاكتفوا بما ارتكبوه من آثام. وصار ذلك اليوم عند الشيعة يوم حزن تقام فيه المجالس في النجف وغيرها ذكرى لتلك المأساة. وقد نشر صور تلك القباب علي أكبر تشيد (هديهٔ إسماعيل يا قيام سادات علوي براي بدست آوردن خلافت، ص ٢٤٣ و٢٤٤)، كما نشر علي أكبر دهخدا (لغت نامهٔ، / حرف الحاء: حجّ، ٣١٠ ـ ٣٢٧) مجموعة من صور تلك الأماكن المقدّسة وفيها صورة لقباب البقيع التقطت قبل الهدم بسنة. تراجع: (كشف الارتياب في أتباع محمّد بن عبد الوهّاب، ٥٩ ـ ٦٢)، طبعة دمشق، عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، و (تاريخ الشيعة، ص ١١٨) و (شعراء الغرى: ٨/ ٢١٤) و (مجلة المعارف، الع ٢، السنة: ١/ ٢٦).

(٣) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥٤. وقال المدرّس (ريحانة الأدب: ١/ ٤٦): إنّه كان ابن ستّ وسبعين. وقال الخوانساري (روضات الجنات: ١/ ٢٣١) والنعمة (فلاسفة الشيعة، ص ١١٣): إنّه كان ابن تسعين.

(٤) ديوان الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٦٦ ـ ٦٨، و (لباب الألقاب في ألقاب الأطياب، ص ٥٥) مع تقديم وتأخير في الأبيات وتصحيف وتغيير في الكلمات.

السماوي[1] وشاعر آخر[2]، ونظم الشيخ عبد الحسين شكر النجفي أبياتاً[3] اتّهمه الشيخ علي كاشف الغطاء على أثرها بالشيخية[4]، ودافع عنه الشيخ علي الخاقاني[5] والشيخ آغا بزرك الطهراني[6].

وقد انتشر خبر وفاته في البلاد الإسلامية فأقيمت له مجالس الفاتحة في مختلف الأرجاء ولا سيّما في إيران، فكان له في كلّ مدينة دخلها أو سكنها ودرّس فيها مأتم، وأقام له الشيخ محمّد إبراهيم الكلباسي، من زعماء الدين في أصفهان، مجلس الفاتحة ثلاثة أيّام فحضره الخاصّ والعامّ[7].

وكان الإحسائي قد تزوّج ثماني نساء توفّي بعضهنّ في حياته وفارق البعض الآخر، ومجموع من ولد له منهنّ ذكوراً وإناثاً تسعة وعشرون ولداً مات أكثرهم أطفالاً ومراهقين، ووصل بعضهم إلى سنّ الرشد والكمال ثمّ توفّاه الله. وقد مات عن ثلاث زوجات. وكان له أربعة أولاد هم: ١ ـ الشيخ محمد تقي، وقد يسمّى الشيخ محمد ٢ ـ الشيخ علي نقي ٣ ـ الشيخ عبدالله ٤ ـ الشيخ حسن. وكان الأوّل أكبرهم وأفضلهم، وقد ترجم والده لنفسه بالتماسه، وقال عنه: «... وكان كبيرهم سنّاً وعلماً، هو الابن الأعزّ محمد تقي أعزّه الله وهداه وجعلني من المنية فداه... إلخ»[8]. وقد نسب له الإنكار على أبيه ومخالفته[9]، والظاهر أنّ ذلك مخالف للحقيقة وأنّه مجرّد اتّهام للولد وإشاعات مغرضة من خصوم الإحسائي يراد بها الحطّ من كرامة الوالد والنيل منه على لسان ولده لتكون أبلغ في الجرح.

---

(١) شرح حياة الأرواح، المقدّمة، د. و (ريحانة الأدب: ١/ ٤١)، و (ديوان الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٥٩ و٦٠).
(٢) مجالي اللطف بأرض الطف، ص ٧٦ و٧٧.
(٣) ريحانة الأدب: ١/ ٤١.
(٤) ديوان الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ١٦٠. و (ريحانة الأدب: ١/ ٤١).
(٥) الحصون المنيعة في طبقات الشيعة: ٩/ ٣١٧.
(٦) شعراء الغري: ٥/ ١٣٥.
(٧) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٧٠٦.
(٨) روضات الجنات: ١/ ١٣٢، و (شيخيگري بابيگري، ص ٨٧)، و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٩١).
(٩) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٩.

وإلاّ فليس في كتابات الوالد والولد ما يدلّ على اختلاف الرأي وتباين الذوق، وإنّما كان الولد على سرّ أبيه موافقاً له في الرأي ومتابعاً في العمل والمعتقد. وإلاّ فمن غير الممكن ـ لو كان بينهما أدنى اختلاف ـ أن يثني عليه بالنحو الذي مرّ كأن يفديه بنفسه!!

ويستدلّ الشيخ علي الحائري على عدم صحّة تلك المزاعم بأنّ الولد قد توفّي على عهد أبيه وليس بعده لكي يقال بأنّ الولد قد خالف آراء أبيه بعد وفاته، وبعد أن استوعب مؤلّفاته وهضم أفكاره جيّداً وتبيّن له موضع الخطأ فيها[1]. ويؤيّده أنّ ما نسب للشيخ الإحسائي من مخالفات وشذوذ وتكفير إنّما تفاقم وكثر معارضوه بعد وفاته، وتجاوز الحدّ بعد أن تعصّب له أولاده وتلامذته والموافقون له في الرأي، وأنّ ما نسب إليه في حياته كان أقلّ من ذلك بكثير ولم يبلغ حدّاً يؤدّي بأولاده وخاصّته إلى إعلان مخالفته. وقد توفّي هذا النجل على عهد أبيه ولم نعرف تاريخ وفاته، وخلفه الثلاثة الآخرون.

أمّا الشيخ علي نقي فقد كان عالماً كبيراً ومؤلّفاً مكثراً وشاعراً مجيداً. يقال: إنّه كان يحفظ اثني عشر ألف حديث بأسانيدها[2]، وإنّ أباه قال: «عليّ أحفظ منّي»[3]. وقد بقي في كرمان شاه خلفاً لأبيه ومرجعاً لعدد كبير من أصحابه ومقلديه حتى توفّي صبح الأحد في الثالث والعشرين من ذي الحجّة سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م بالطاعون ودفن في خارج البلد في الطريق الذي يمرّ به الذاهب إلى كربلاء بوصيّة منه لأنّه كان ممّن لا يجوّز نقل الموتى[4]، ونسب له فردهاد ميرزا قوله: «إنّ أبي ضيّعه تلامذته»[5]، والظاهر أنّه من قبيل ما نسب إلى أخيه

---

(١) روضات الجنّات: ١/ ٢٢٤، و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٢٥٤، القسم المخطوط)، و (أعيان الشيعة: ٨/ ٤٠٦)، و(فلاسفة الشيعة، ص ١١٣)، و (ريحانة الأدب: ١/ ٤٠)، و (أحسن الوديعة، ص ٣٠٧).

(٢) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٧.

(٣) صحيفة الأبرار، ص ٤٥٦.

(٤) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٠.

(٥) مسألة نقل الموتى إلى الأماكن المقدّسة التي يرجى لهم فيها الشفاعة ونحوها من المسائل الخلافية بين فقهاء الشيعة الإمامية، وللسيّد هبة الدين الشهرستاني رسالة قيّمة إصلاحية في هذا الموضوع =

الشيخ محمد تقي من أقوال. وقد نسب له الشيخ علي الحائري الصلاة على أبيه[1]، وهو سهو حتماً لأنّه كان في كرمان شاه من بلاد إيران عندما توفّي أبوه في المدينة، كما صرّح به مترجموه، وقد مرّت الإشارة إلى ذلك. له ذكر وتراجم في مصادر عديدة[2]، وللشيخ علي الحائري رسالة خاصّة في ترجمته[3]، وقد طبع بعض آثاره[4].

وأمّا الشيخ عبدالله الأحسائي، فقد كان من أهل العلم والفضل أيضاً؛ من آثاره رسالة في ترجمة أبيه وشرح أحواله منذ ولادته حتى وفاته. وقد ترجمها إلى الفارسيّة الحاجّ محمد طاهر بن الحاجّ محمد كريم خان الكرماني[5] بأمر والده[6]، وطبعت الترجمة في بمبي عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م[7]، ولم يكن مع أبيه

= (تحريم نقل الجنائز المتغيّرة، بغداد، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وللدكتور علي الوردي حديث طريف حول الموضوع (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦١)، لكن قصّة أكل لحم الميّت التي نقلها عن ص ١٦ من رسالة الشهرستاني خيالية لا وجود لها في ذلك الكتاب. وللشيخ عبد الواحد المظفّر حديث طويل حول الموضوع (توضيح الغامض من أسرار السنن والفرائض، ص ٢٠٨، ٢٢٠ ـ ٢٥١).

(١) هداية السبيل وكفاية الدليل، ص ١٢٨.

(٢) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٢.

(٣) (صحيفة الأبرار، ٤٥٦)، و (شرح قصيدة العمري، ص ٢٨٣)، و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ١٩٤، القسم المخطوط)، وغيرها.

(٤) نشرت هذه الرسالة للمرّة الأولى مستقلّة في ٦٩ صفحة في النجف بدون تاريخ، وفي السنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م أعيد طبعها في مقدّمة «نهج المحجّة» في مطبعة العدل الإسلامي في النجف في ٧١ صفحة. وأعيد طبعها ثالثة عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م في مطبعة أهل البيت في كربلاء، ملحقة بـ «عقيدة الشيعة» للحائري، وعلى ظهرها أنّها: الطبعة الثانية، وصحيحه: الثالثة.

(٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٤/ ٨٩، ١٥١.

(٦) شيخيگري بابيگري، ص ١٣.

(٧) سها مرتضى الچهاردهي وارتبك عند ذكر عام طبع هذه الرسالة، فقال في موضع أنّه: عام ١٣٠٨، وفي موضعين أنّه: عام ١٣٠٩ (شيخيگري بابيگري، ص ١١، ١٣، ٥٠) وكلاهما خطأ. وقد ذكر التاريخ الصحيح في الصفحة ٦٧ من الرسالة نفسها وهو التاسع عشر من شعبان ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م. وما في الصفحة ٩٦ ـ وهي آخر الكتاب ـ فهو تاريخ الإجازة؛ وهو ١٢٠٩ لا ١٣٠٩. وسها كذلك رياض طاهر فقال: إنّها طبعت عام ١٣١٥ (فهرست تصانيف العلّامة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٦).

في سفره الذي توفّي فيه، كما قاله الشيخ آغا بزرك الطهراني[١]، بل كان أخوه الشيخ حسن كما ذكر المترجم له[٢]. ترجم له الطهراني وذكر أنّ بعض كتب أبيه قد انتقل إليه بعد وفاته، ومنه: «حاشية العميدي» الذي تملّكه عام ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م وقد رآه في «مكتبة الشيخ هادي كاشف الغطاء» في النجف، ومنه استظهر حياته إلى التاريخ[٣]. وتوجد نسخة من «شرح العرشية» لأبيه كتبها السيّد علي بن السيّد أحمد الحسيني عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م، وعليها خاتم ولده هذا ممّا يدلّ على حياته في التاريخ ووفاته بعده، والنسخة عند رياض طاهر[٤] والمترجم له ثالث أولاد الأحسائي وليس أرشدهم كما قاله معتمد الإسلام الكندجاني[٥].

وأمّا الشيخ حسن فهو رابع الأخوة، وقد صحب والده في العديد من أسفاره، ومنها الأخير الذي توفّي فيه كما مرّت الإشارة إليه. ونحن لا نعرف شيئاً عن مقدار فضله ومعرفته. ولدينا بخطّه رسالة مختصرة كتبها إلى بعضهم ولم يسمّه، وفيها غلطة نحوية، وقد أوصى فيها بالأخوين السيّد أحمد والسيّد كاظم خيراً، وطلب مساعدتهما بتدبير أجرة الطريق لهما لعزمهما على الحجّ، وتاريخها ٢١ عاشوراء عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م.

والظاهر أنّ الولد الأخير غير معروف حتى عند بعض الشيخية. فقد اقتصر الشيخ علي الحائري على ذكر الثلاثة الأوائل وأغفل ذكر الأخير[٦]. بينما ذكرهم الطهراني جميعاً[٧]. والظاهر أيضاً أنّ ذرّية هؤلاء الأربعة قد انقرضت بالتدريج لأنّهم لم يعقّبوا لا ذكراً ولا أنثى كما قاله الشيخ علي الحائري[٨]، فقد ذكر الشيخ

(١) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٧٦٩.
(٢) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥٣.
(٣) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٧٦٨ و٧٦٩.
(٤) فهرست تصانيف العلّامة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ١١.
(٥) كلمة أزهزار، ص ٢١.
(٦) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٧.
(٧) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٩١.
(٨) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٧.

آغا بزرك الطهراني أنّه رأى تملك الشيخ يوسف بن الشيخ حسن بن الشيخ أحمد الأحسائي[1]. وكتب نظام العلماء التبريزي على ظهر المجلّد الثاني من «كشكول الشيخ علي نقي الأحسائي» ما نصّه: «هذا المجلّد الثاني من كشكول الشيخ علي نقي الشهير بالشيخ علي بن الشيخ أحمد الأحسائي صاحب «شرح الزيارة الجامعة الكبيرة» انتقل إلى ابنته بالإرث. وهي وهبت هذه المجموعة مع مجلّد آخر لولدي العزيز الشيخ علي الشهير بجناب سلّمه الله، وهذين المجلّدين ـ كذا ـ أمانة شرعية عندي. وكتب بيمناه الجانية الفانية محمود بن محمد التبريزي الشهير بنظام العلماء ـ عفي عنه وعن والديه ـ في شهر جمادى الثانية سنة ١٢٧١هـ»[2]. ممّا يدلّ على أنّ الشيخ علي قد أعقب أيضاً. وقال الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي ما ترجمته: «ولا يوجد من أولاده وأحفاده ـ الأحسائي ـ اليوم أحد معروف. وفي إحدى زياراتي لمشهد الرضا عليه السلام في خراسان قبل نحو عشرين سنة، كان قد تشرّف بزيارة المرقد عدد كبير من العرب فيهم اثنان من أهل البحرين لا أذكر اسميهما ولم يكونا من أهل العلم. وقد قالا: إنّهما من أسباط الشيخ الأحسائي»[3].

(١) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٩٢.
(٢) ديوان الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٤٨.
(٣) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ٢١٧.

الفصل الثاني: حياته العلمية

١ ـ أساتذته

أشرنا في فصل نشأته إلى أنّه لم يذكر في الرسالة التي ألّفها في ترجمة أحواله[١] أحداً من أساتذته الذين أخذ عنهم غير الشيخ محمد بن الشيخ محسن. كما لم يذكر ولده الشيخ عبدالله في الرسالة التي خصّها بحياة أبيه شيئاً من ذلك. نعم ذكر بعض من حضر عليه الدروس العالية في النجف وكربلاء، وسمّى اثنين منهم فقط، هما:

١ ـ الشيخ محمّد باقر البهبهاني الشهير بالوحيد.

٢ ـ السيّد محمّد مهدي بحر العلوم.

وصرّح بأنّ السيّد الطباطبائي صاحب «الرياض» والشيخ جعفر النجفي صاحب «كشف الغطاء» لم تكن لهما يومئذ شهرة كبيرة، ولم يكونا في عداد البارزين من علماء عصره ومدرّسيه[٢]، وقد اشتهر البهبهاني وبحر العلوم بتدريس الفقه وأصوله. أمّا الفلسفة فلم يذكر أحد من مترجمي الأحسائي أستاذاً له فيها رغم براعته وكثرة تآليفه في هذا المجال. بل كتب فيها ودرّس على نحو خاصّ قال إنّه استفاده من حكم أهل البيت عليهم السلام واستمدّه من القرآن[٣]. وقد نهج في ذلك نهج الإشراقيين.

ويقول الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي إنّه سمع من أبيه ما مضمونه: إنّ الشيخ الأحسائي لقي في البصرة شخصاً كاملاً فسأله عن كيفية الوصول فقال له: «إلق

---

(١) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي/ مطبعة المعارف بغداد/ ١٣٧٦ ـ ١٩٥٧.
(٢) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي / بمبي/ ١٣١٠ ـ ١٨٩٢.
(٣) شيخيگري بابيگري / ١٩٧.

بنفسك وتعال»[1]. ونقل صاحب «تنبيه الغافلين» أنّه رأى بخطّ حجّة الإسلام التبريزي ما نصّه: «ورأيت بخطّ العالم العامل والفاضل الكامل حجّة الإسلام الميرزا إسماعيل آغا التبريزي ـ سلّمه الله ـ ما هذا لفظه: عن الشيخ الأوحد الأمجد الشيخ أحمد الأحسائي ـ أعلى الله مقامه ورفع في الخلد أعلامه ـ أنّه لقي في البصرة رجلاً من أهل الكمال وكان حاكماً في البصرة، فالتمس الشيخ ـ رحمه الله ـ منه التدريس في الحكمة فامتنع من ذلك واعتذر باشتغاله بأمر الحكومة. فالتمس الشيخ ـ رحمه الله ـ منه بعد ذلك أن يمنحه بكلمات كلّيات من الحكمة تكون وصلة إلى المطالب الحكمية على سبيل الإجمال فقال: «لا تنظر إلى الحركات انظر إلى المحرّكات، لا تنظر إلى الأسباب انظر إلى المسبّبات، إنّ الحيوانات تسير إلى الله في سلسلة الطول والجمادات تسير إلى الله في سلسلة العرض، وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب». قال الشيخ الأوحد ـ رحمه الله ـ: «فانحلّ بسماع تلك الكلمات من ذلك الرجل الكامل أكثر المشاكل التي كانت في بالي في المطالب الحكمية وانفتح لي أبواب من العلوم فسألته أن يرشدني إلى طريق السلوك إلى الله فقلت: كيف الوصول إلى الحق؟ فقال: إلق الدنيا. فخرجت من مجلسه ولم يبقَ في قلبي شيء من محبّة الدنيا. حرّره إسماعيل بن محمّد عفي عنهما»[2].

٢ ـ مشايخه في الإجازة

وقد أجاز الأحسائي عدد من كباء علماء الشيعة في عصره إجازات مفصّلة، وقد ذكرت الكتب التي عنيت بذكره ستّة من أولئك، وهم:

---

(١) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٤٦.

(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٨٣ ـ ١٨٤.

ويلاحظ أن الكلمات التي ألقاها حاكم البصرة على الأحسائي أشبه بسجع الكهان وأحاديث سطيح في الجاهلية، ومعاني بعض هذه الكلمات معروفة ومتداولة بين أصحاب الكلام فما الجديد فيها حتى تكون الأساس الذي بنى عليه الأحسائي دراسته الكلامية فيما رآه الإبراهيمي.

١ ـ الشيخ أحمد الدمستاني[١]. تأريخ إجازته عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م[٢].

٢ ـ الشيخ جعفر كاشف الغطاء[٣]. تأريخ إجازته عام ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م[٤].

٣ ـ الشيخ حسين العصفوري[٥]. تأريخ إجازته عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م[٦].

٤ ـ السيّد علي الطباطبائي[٧]. إجازته بدون تأريخ[٨].

٥ ـ السيّد مهدي بحر العلوم[٩]. تأريخ إجازته ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م[١٠].

---

(١) من علماء عصره وأدبائه، يبدو أنه كان من النابهين وفي صفّ من يستجاز في المسائل العلمية لكن التاريخ ظلمه كألوف غيره لا سيّما من أبناء منطقته وطائفته، وقد أوشك أن يعدّ في المنسيين، كان والده من صدور العلماء وكبارهم له آثار قيمة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢/ ٣٥٨ و٤٧٤) وله ذكر في المعاجم لكن ولده هذا قد أغفل ولم أجد من عقد له ترجمة خاصة به سوى الشيخ أغا بزرك الطهراني (طبقات أعلام الشيعة ٢/ ٨٠ و٨١) وهي فقيرة جداً وبدون تاريخ ولادة أو وفاة. له ديوان شعر ألحقه بديوان أبيه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٩/ ٣٢٩) و (أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، ص ٢١٨) وفي الأخير أنه أجاز الشيخ عبد المحسن اللويمي أيضاً، وقد تألم المؤلف لاندثار ذكره.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ١٤١.

(٣) مرّت ترجمته في مكان آخر.

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ١٦٥.

(٥) كان زعيم الفرقة الأخبارية وشيخ علمائها المقدّم في عصره وبعده، وهو من النوابغ في العلوم الإسلامية لا سيما الفقه وأصوله والحديث وغيرها، وهو أحد المجازين من عمه الشيخ يوسف البحراني صاحب «الحدائق» بالإجازة الكبيرة المشهورة «لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين» والثاني ابن عمه الشيخ خلف بن عبد علي. وهو من أجل ذلك سند من الأسناد الثابتة في معنعنات الرواية، ومؤلفاته بالعشرات وفيها ما هو عدة مجلدات كـ «الرواشح» الربانية» في خمس مجلدات، و «الأنوار اللوامع» في ١٤ مجلداً. وتوفي ليلة الأحد ٢١ شوال عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠٢م، بضربة حربة من بعض أعداء الدين في بعض الحوادث الواقعة في البحرين. تراجع (أنوار البدرين، ص ٢٠٧ ـ ٢١١) و (شهداء الفضيلة، ص ٣٠٧ ـ ٣١٢) و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٤٢٧ ـ ٤٢٩) و (فارس نامه ناصري: ٢/ ٢٣٦) و (مكارم الآثار: ٢/ ٥٧٠ ـ ٥٧٣) و (أعيان الشيعة: ٢٧/ ١٢٨ ـ ١٣٦) و (معجم المؤلفين: ٣/ ٤٤) و (الاعلام: ٢/ ٢٨٢).

(٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ١٨٨.

(٧) تقدّم له ذكر في غير هذا المكان.

(٨) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ٢١٩.

(٩) تقدمت له ترجمة في موضع آخر.

(١٠) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ٢٥٥.

٦ ـ السيّد مهدي الشهرستاني[١]. تأريخ إجازته عام ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م[٢].

وقد ذكر الشيخ حسين النوري مشايخه والراوين عنه في مشجره المعروف[٣]، كما نشرت الإجازات بنصّها في آخر الرسالة التي ألّفها ولده في ترجمة أحوال أبيه[٤]، وقد نشرتها «مكتبة العلاّمة الحائري العامّة في كربلاء» في سلسلة مطبوعاتها في كرّاس خاصّ، وشرحها وعلّق عليها الدكتور حسين علي محفوظ أستاذ علوم الحديث والرجال في كلّية أصول الدين ببغداد تعاليق نافعة[٥]. وقد أضاف إلى مشايخه اثنين هما: الشيخ أحمد آل عصفور، والشيخ محمّد ابن الشيخ حسين القطيفي.

٣ ـ تلامذته

تصدّر الأحسائي للتدريس في المعقول والمنقول سنين طوالاً. وكانت له حوزات عامرة في كلٍّ من كربلاء والنجف والبصرة وغيرها من المدن العراقية، وفي قزوين ويزد وطهران وأصفهان وكرمان شاه وغيرها من المدن الإيرانية، وفي الأحساء والبحرين وغيرهما من مدن الخليج. وقد تخرّج عليه المئات من العلماء وأهل الفضل، وبلغت به الحال حدّاً كان إذا هبط مدينة علمية تعطّلت فيها الدروس والأبحاث وهرع حضّارها إلى مجلس درسه ليستفيدوا منه[٦]. غير أنّ النقمة التي صبّت عليه وعلى أتباعه، والشبهات التي ظلّت تلاحق المنتمين إليه والمنتسبين إلى مدرسته أدّت إلى البراءة منه وإنكار التلمذة عليه، بل الصلة به

---

(١) عالم كبير من فقهاء كربلاء وزعمائها الدينيين في عصره، كانت له مكانة كبيرة وقدسيّة لورعه وزهده، توفي عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠٢م، وبيت الشهرستاني من الأسر العلمية الكربلائية التي أنجبت الكثير من الاعلام تراجع (ريحانة الأدب: ٣/ ٣٦٣ و٣٦٤) و (الكنى والألقاب: ٢/ ٣٤٤ و٣٤٥) و (مستدرك الوسائل: ٣/ ٣٩٦) و (هدية الأحباب، ص ١٦٥).

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ٥٣.

(٣) مواقع النجوم ومرسلة الدر المنظوم. مشجّر في الحديث طبعته جامعة طهران.

(٤) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٦٧ ـ ٩٦.

(٥) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي، مطبعة الآداب: النجف، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

(٦) كلمة أزهزار، ص ١٦.

ولقائه طلباً للسلامة. ولذلك فإنّنا إذا استعرضنا كتب التراجم وسبرنا الدراسات التي كتبت عنه وعن أتباعه تأييداً أو تفنيداً، فإنّنا لا نجد سوى أسماء معدودة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، وبالرغم من مواصلة الاستقراء ودوام البحث تمكّنا من معرفة هؤلاء الأعلام الذين تخرّجوا من مدرسته:

١ ـ إبراهيم بن عبد الجليل صاحب «تحفة الملوك في سرّ السلوك»[١]. ٢ ـ السيِّد أحمد التبريزي المعروف بحوش نويس[٢]. ٣ ـ السيِّد أبو الحسن بن محمّد حسين التنكابني خال صاحب «قصص العلماء»[٣]. ٤ ـ السيِّد أبو القاسم ابن محمّد حسين التنكابني خال صاحب «القصص» أيضاً[٤]. ٥ ـ المولى آغا القزويني الحكيم[٥]. ٦ ـ الشيخ حسن كوهر[٦]. ٧ ـ الشيخ حسين الكرماني[٧]. ٨ ـ الشيخ زين العابدين الخوانساري[٨]. ٩ ـ السيِّد ميرزا سليمان المدّرس اليزدي[٩]. ١٠ ـ الشيخ شفيع التبريزي[١٠]. ١١ ـ صاحب «كتاب الغيبة والرجعة»[١١]. ١٢ ـ الشيخ عبد الخالق اليزدي[١٢]. ١٣ ـ الميرزا عبد الرحيم القره باغي[١٣]. ١٤ ـ الشيخ عبدالله بن إبراهيم آل عيثان[١٤]. ١٥ ـ الشيخ عبد

---

(١) لغت نامة دهخدا/ حرف الألف/ ١٤٠٠.
(٢) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٥.
(٣) قصص العلماء، ص ٢٦.
(٤) قصص العلماء، ص ٢١.
(٥) شيخيگري بابيگري، ص ١٤، و (قصص العلماء، ص ٢٠ و٢١).
(٦) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٣٤١ و (رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٥) و (مقدمة شرح حياة الأرواح / ج).
(٧) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٤٣١.
(٨) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٦.
(٩) شيخيگري بابيگري، ص ٨١.
(١٠) شيخيگري بابيگري، ص ٢٥.
(١١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٦/ ٨٣.
(١٢) المآثر والآثار، ص ١٧٥، و(مطلع الشمس، ص٣٩٩) و(رسالة ترجمة الشيخ علي الأحسائي، ص ٩٥).
(١٣) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٥.
(١٤) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٧٦٦.

الوهّاب القزويني[1]. ١٦ ـ الشيخ علي الأوردبادي[2]. ١٧ ـ الشيخ علي البرغاني[3]. ١٨ ـ الشيخ علي السمناني[4]. ١٩ ـ السيّد كاظم الرشتي[5]. ٢٠ ـ المولى محمّد حمزة شريعة مدار[6]. ٢١ ـ السيّد محمّد الخراساني[7]. ٢٢ ـ الشيخ محمّد شريعة مدار الاسترابادي الكبير[8]. ٢٣ ـ الشيخ محمّد الريحاني الأزهري[9]. ٢٤ ـ الشيخ محمّد[10]. . . ؟ ٢٥ ـ الشيخ محمد الگنجوى[11]. ٢٦ ـ الشيخ محمّد المامقاني[12]. ٢٧ ـ السيّد محمّد بن الحسن الحسيني. كتب بأمر أستاذه الأحسائي مجموعة فيها خمس وسبعون رسالة من رسائله وفرغ منها سنة ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م[13]، كانت في «مكتبة السيّد خليفة الأحسائي» في النجف[14]. ٢٨ ـ المولى محمود نظام العلماء التبريزي[15]. ٢٩ ـ المولى مرتضى علم الهدى[16]. ٣٠ ـ الشيخ مهدي بن محمّد[17].

---

(١) شيخيگري بابيگري، ص ١٧.
(٢) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٥.
(٣) شيخيگري بابيگري، ص ١٧.
(٤) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٥. وقدسها رياض طاهر فسماه «محمد حسين» (فهرست تصانيف العلامة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ١٢).
(٥) روضات الجنات: ١/ ٢٢٥، ط٢. و (أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩٤) وغيرهما.
(٦) شيخيگري بابيگري، ص ٣٤.
(٧) إحقاق الحق، ص ١٧٤.
(٨) سيماي بزركان، ص ١٥٤.
(٩) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٥.
(١٠) لم يذكر له معتمد الإسلام الكندجاني لقباً لكنه روى له حادثة غريبة (كلمة أزهزار، ص ٦٩).
(١١) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٦.
(١٢) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٥.
(١٣) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٢٥٦. القسم المخطوط.
(١٤) مكتبة قيّمة كانت تحوي عدداً من المخطوطات النفيسة، بيعت في سوق هرج الكتب في شهر صفر عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، بدراهم معدودة. وكانت خسارة الباحثين وأهل الفن بها كبيرة.
(١٥) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٥.
(١٦) شيخيگري بابيگري، ص ٢٠٣.
(١٧) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٥/ ٣١٥.

وقد سها السيِّد محسن الأمين فعدّ السيِّد علي محمّد الشيرازي مؤسّس «البابية» من تلامذة الأحسائي[١]. ونقله عنه الدكتور حسين علي محفوظ[٢]. وردّ ذلك الشيخ علي الحائري[٣]. كما سها محمّد حسن خان المراغي فعدّ كريم خان القاجاري من تلامذة الأحسائي[٤]. ونقله عنه السيّد مهدي الأصفهاني[٥]. وسها الشيخ محمّد علي الكشميري فعدّ السيّد محسن الأعرجي من الراوين عن الأحسائي[٦]. والقصّة معكوسة[٧].

٤ ـ المجازون منه

وقد روى بالإجازة عن الأحسائي عدد من كبار علماء عصره ومشاهيره ذكرهم الشيخ حسين النوري[٨]، كما تصدّى لذكرهم معظم من كتب عن الأحسائي، ومنهم في هذه الأواخر الدكتور حسين علي محفوظ[٩] ورياض طاهر[١٠]، وإليك بعضهم:

---

(١) أعيان الشيعة: ٨/ ٤٠١.

(٢) تاريخ الشيعة، ص ٦٧.

(٣) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩١ ـ ٩٧.

(٤) المآثر والآثار، ص ١٤٧. وقد كتب الشيخ أغا بزرك الطهراني على نسخته الخاصة من هذا الكتاب الموجودة في «مكتبة صاحب الذريعة العامة في النجف» بخطه ما يلي: «... إن العلامة محمد خان القزويني ذكر في مكاتبته إلى السيد محمد علي كلزير المسطورة في ص ٥ من مقدمة فهرس رجال التدوين... إن المؤلف الحقيقي للمآثر والآثار هو شمس العلماء الشيخ محمد مهدي... القزويني لكنه جعله باسم اعتماد السلطنة وزير الانطباعات للمصالح الشخصية. ومن جلالة شأن شمس العلماء في معرفة التاريخ والرجال وأحوال العلماء يحصل الاطمئنان التام بمطابقة مطالب الكتاب الراجعة إلى علماء عصر السلطان ناصر الدين شاه للواقع...». ويظهر أن القزويني قد كتب للطهراني بذلك فقد قال: «إن مؤلفه الحقيقي هو العلامة الشيخ محمد علي العبد الرب آبادي العضو الأعظم لتأليف «نامة دانشوران» وهو المتبحر في التاريخ والرجال وقد صرّح بذلك العلامة محمد خان القزويني في بعض مكتوباته الذي أرسل إلينا». (الذريعة: ١٩/ ٨).

(٥) أحسن الوديعة في تراجم علماء الشيعة / ٣٠٩، ط٢.

(٦) نجوم السماء في تراجم العلماء، ص ٣٦٢.

(٧) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٩١.

(٨) مواقع النجوم ومرسلة الدرّ المنظوم. مشجر طبعته جامعة طهران بإشارة الشيخ خليل الله الكمرئي.

(٩) إجازة الشيخ أحمد الأحسائي للشيخ أسد الله الكاظمي، ص ٦.

(١٠) فهرست تصانيف العلامة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥.

١ ـ الشيخ أسد الله التستري الكاظمي صاحب «المقابس»، المتوفّى عام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م[١]. ٢ ـ الشيخ حسن جوهر، المتوفّى عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م[٢]. ٣ ـ الشيخ علي نقي بن أحمد الأحسائي (ولده)، المتوفّى عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م[٣]. ٤ ـ المولى علي البرغاني[٤]. ٥ ـ السيّد عبدالله شبّر، المتوفّى عام ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م[٥]. ٦ ـ الشيخ عبد الوهّاب بن محمّد علي القزويني، المتوفّى بعد عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م[٦]. ٧ ـ السيّد كاظم الرشتي، المتوفّى عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م[٧]. ٨ ـ الشيخ محمّد حجّة الإسلام المامقاني، المتوفّى عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م[٨]. ٩ ـ الشيخ محمّد إبراهيم الكلباسي صاحب «الإشارات»، المتوفّى عام ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م[٩]. ١٠ ـ الشيخ محمّد تقي بن أحمد الأحسائي (ولده الآخر)[١٠]. ١١ ـ الشيخ محمّد حسن النجفي صاحب «الجواهر»، المتوفّى عام ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م[١١]. ١٢ ـ الشيخ مرتضى الأنصاري، المتوفّى عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م[١٢].

وتلامذة الأحسائي، سواء الذين قرأوا عليه أو الذين أجيزوا منه في رواية الحديث، ليسوا من الشيخية جميعاً، فقد حضر الكثيرون درسه في الفقه مثلاً، وليس للأحسائي في الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية ما خالف فيه النصوص أو

---

(١) أعيان الشيعة: ٨/ ٤٠١، و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٩١).
(٢) إجازات الشيخ حسن جوهر، ص ٧.
(٣) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٩١.
(٤) إجازة الشيخ أحمد الأحسائي للشيخ أسد الله الكاظمي، ص ٦.
(٥) فهرست تصانيف العلامة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥.
(٦) إجازة الشيخ أحمد الأحسائي للشيخ أسد الله الكاظمي، ص ٦.
(٧) مكارم الآثار در أحوال رجال دورة قاجار: ٢/ ٢١٧.
(٨) إجازة الشيخ أحمد الأحسائي للشيخ أسد الله الكاظمي، ص ٦.
(٩) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: ١/ ٢٢٤، ط٢.
(١٠) أعيان الشيعة: ٨/ ٤٠١، و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٩١).
(١١) صحيفة الأبرار، ص ٤٨٦.
(١٢) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٧.

خرق فيه الإجماع، فهو كبقية فقهاء الإمامية، ما عدا بعض المسائل والفروع التي حاول إخضاعها للتأويل وتفسيرها بغير المألوف، ولذلك فلا يصحّ اعتبار كلّ من أخذ عنه شيخاً، لا سيّما ونحن نرى في المجازين منه عدداً من شيوخ الإمامية وأعلام الطائفة كالشيخ محمّد حسن النجفي صاحب «جواهر الكلام»، والشيخ مرتضى الأنصاري صاحب «فرائد الأصول»، والشيخ محمّد إبراهيم الكلباسي صاحب «إشارات الأصول»، والسيّد عبدالله شبّر صاحب «الحقّ اليقين»، وغيرهم من ذوي المقامات الرفيعة ومكانتهم أسمى من أن ينالها قدح، ومنذ أكثر من قرن وعلماء الشيعة الإمامية مجمعون على تقديسهم، وعلى آثارهم ومؤلّفاتهم تدور رحى التدريس وتستند الحوزات العلمية ويعتمد رجال الفتوى في كلّ نقطة شيعية.

بل إنّنا نرى أنّ بعض من حضر عليه في الفلسفة وأخذ عنه الحكمة الإلٰهية لا يمكن اعتباره شيخياً أيضاً، فقد قرأ عليه كثيرون في بداية تصدّره للتدريس ولم يكن لينسب له يومذاك شيء من الآراء الشاذّة والمخالفة، وإنّما أخذ عليه ذلك في سنينه الأخيرة وبعد أن ألّف بعض الكتب واستعمل مصطلحات خاصّة وعبارات تحتمل التأويل وتخضع لأكثر من تفسير، وربّما كان فيهم من يخالفه الرأي أو الخصم الذي حضر عليه ليدينه بما يسمعه من فمه، فمجرّد الحضور عليه والأخذ عنه لا يخوّل الحكم على الحضور بالشيخية والتبعية في الرأي.

وحتى الذين كانوا يوافقونه في الرأي لا يمكن إطلاق كلمة «الشيخية» ـ عليهم كافّة، بالمعنى المفهوم منها اليوم ـ فلم يكن الأحسائي يرى كلّ ما ينسب إلى الشيخية في عصرنا من أقوال، كما لم يكن يرى لآرائه صفة خاصّة، ولم يدر في خلده أنّه سيصبح مؤسّس طريقة ورئيس مدرسة تنفرد بأقوال وآراء ويكون لها أنصار وخصوم، بل توصّل، نتيجة تعمّقه وتوغّله، إلى آراء ونظريات بثّها في حلقات الدرس ودوّنها في مؤلّفات، كما يقول ويكتب الآخرون وكما يبدي الكثير من العلماء آراء لم يسبقوا إليها.

٥ ـ مؤلَّفاته

ومؤلَّفات الأحسائي كثيرة والحديث عنها طويل. فقد عاش سبعاً وسبعين سنة قضى معظمها في عزلة عن الناس معتكفاً في مكتبته يؤلّف الرسائل ويجيب عن مئات المسائل، ويردّ على مختلف الاعتراضات، ويصحّح بعض الأفكار الخاطئة والمفاهيم المغلوطة ـ في رأيه ـ في كتب من عاصره ومن سبقه من علماء المعقول والمنقول. وقد بارك الله في إنتاجه فخلّف ثروة فكرية ضخمة شغلت عشرات العلماء الفحول في حياته وبعد وفاته وإلى يومنا هذا ـ وستبقى كذلك إلى ما شاء الله ـ، فهم حولها في نقد وردّ وتأييد وتفنيد، وخلاف قائم وحجاج دائم، والحقيقة أنّه لو لم يكن في مؤلَّفاته فائدة غير ما كتب في نقده والدفاع عنه من كتب قيِّمة وأسفار مهمّة لكفاه فخراً وذخراً. فقد أغنت المكتبة الإسلامية بثروة هائلة وأمدّتها بمصادر عديدة أوضحت كثيراً من الجوانب الفكرية في الإسلام، ولا سيّما لدى الشيعة الإمامية.

لقد ألّف الأحسائي في كثير من العلوم المتداولة في عصره ومحيطه، فقد كتب في الأدب بفروعه من نحو وصرف وبلاغة ولغة ومنطق وعروض وغيرها، وفي الرياضيات من حساب وهندسة وهيئة وفلك، وفي الفقه وأصوله، والتفسير والحديث، والأخلاق والتاريخ، والحكمة الإلٰهية والفلسفة، والكلام والعقائد، والموسيقى والطبّ، والعلوم الغريبة كالرمل والجفر والكيمياء وغيرها، وقد طبع معظم آثاره وجعل وقفاً عامّاً، وانتشر في الشرق والغرب قبل أكثر من قرن. وذكر له تلميذه السيّد كاظم الرشتي (٩٣) كتاباً ورسالة[١]، وعدّ منها السيّد محمّد باقر الخوانساري (٣٨)، وقال: إنّها تبلغ مئة[٢]. وعدّ منها ولده الشيخ عبدالله (١٠١)[٣]، وأنهاها السيّد محسن الأمين إلى (١٠٢)[٤]، وأوصلها رياض طاهر

(١) دليل المتحيرين، ص ١١٨ ـ ١٣٢.
(٢) روضات الجنات: ١/ ٢٢٠ ـ ٢٢٣.
(٣) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥٧ ـ ٦٧.
(٤) أعيان الشيعة: ٨/ ٤٠١ ـ ٤٠٦.

إلى (١٠٤)[١]. أمّا الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي فقد أنهاها إلى (١٣١) اعتماداً على نسخ الأصل الموجودة في مكتبتهم والمطبوع من آثار الأحسائي، والفهارس الصحيحة الثابتة الموجودة عنده كالفهرست المختصر الذي كتبه السيّد كاظم الرشتي، والفهرست المفصّل الذي شرع فيه السيّد عبد المجيد الفائقي سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، ولم يمهله الأجل لإكماله، والفهرست المختصر الذي كتب بأمر عمّه الحاجّ محمّد خان الكرماني؛ وقد ضبط آثار الأحسائي بالنحو التالي: إنّها تشتمل على (١١٥) رسالة، و (خمس خطب) و (٣٥) فائدة، ومراسلة واحدة، ومجموع سطورها (١٦٥٩٤٧) في (٣١) مجلداً، (١١) منها مفقود[٢].

وحين تصدّيت لفهرستها وإحصائها بشكل دقيق، لم أعتمد على الفهارس المذكورة اعتماداً كلّياً ولم أنقل عنها على علاّتها لسببين:

الأوّل: احتمال اتّحاد بعض الأسماء مع بعض، فنحن نقرأ اسم كتاب له هكذا: «أجوبة بعض المسائل في الحكمة» واسم كتاب آخر هكذا: «جواب مسائل بعض العلماء في الحكمة» واسم ثالث هكذا: «الرسالة القطيفية في أجوبة مسائل في الحكمة قدّمها له الشيخ أحمد بن صالح القطيفي»، ولرّبما كانت هذه الأسماء الثلاثة لكتاب واحد في الحكمة وضع له كلّ مفهرس ومؤلف اسماً من عنده يحكي مضمونه إذ لم يجد له اسماً خاصّاً. وقد يكون له اسم خاصّ ذكره به المؤلّف في موضعه.

الثاني: الاختلاف والتضارب الموجودان في أقوال المترجمين في موضوعات بعض الكتب وتعيين مباحثها وعدد أسئلتها إذا كانت تحتوي على أجوبة مسائل؛ فواحد يقول: إنّه في الفلسفة، وآخر يقول: إنّه في مواضيع متفرّقة، ولنذكر على سبيل المثال «رسالة أجوبة الشيخ علي العريض»؛ فرياض طاهر يقول: إنّها (٨٣)[٣] والإبراهيمي يقول إنّها (٦٢) سؤالاً، إلاّ أنّ الأخير

(١) فهرست تصانيف العلامة الشيخ أحمد الأحسائي، طبع في النجف عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ولم يذكر على ظهره عام الطبع ولا اسم المطبعة.
(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي وسائر مشايخ عظام: ٢/ ٨ ـ ٨٥ و٤٦٣.
(٣) فهرست تصانيف العلامة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٢٦.

يعدّها واحداً واحداً [1]. وبالنظر لما ذكرته من الأسباب وجدتني مجبراً على فحص الكتب نفسها للتأكّد من خصوصياتها ومحتوياتها ولا سيّما الرسائل وأجوبة المسائل وبعض الشروح. فقد جمع منها بعد وفاته بفترة اثنتان وتسعون كتاباً ورسالة طبعت على الحجر في مجلّدين كبيرين عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م باسم «جوامع الكلم»؛ احتوى أوّلهما على أربعين كتاباً والثاني على اثنتين وخمسين [2]، وقد تصفّحت الجميع وخرجت بهذا الثبت وأنا مطمئنّ إلى صحّة الأرقام والمعلومات الموجودة فيه.

ولا يفوتني التنويه بالمجهود المضني والعمل العلمي الذي قام به الإبراهيمي بهذا الصدد، فقد قسمها حسب الموضوعات إلى تسعة أقسام وعقد لكلّ قسم فصلاً خاصّاً وصف فيه الكتب المؤلّفة فيه وصفاً دقيقاً ذكر فيه محتوياتها وعدد أسئلتها وسطورها وتواريخ الانتهاء منها، ونصّ على المخطوط والمطبوع والموجود والمفقود ومصادره في كلّ ذلك. واستغرق عمله ٨٤ صفحة، وقد استفدت من بحثه أكثر من غيره.

والملاحظ أنّ معظم مؤلّفات الأحسائي رسائل في أجوبة مسائل، وفي هذه الرسائل ما هو كتاب في المئات من الصفحات وما هو مختصر مقتضب، فقد كان يجيب حسب أهمّية السؤال ومقتضى الحال، والطابع العام لهذه الآثار ـ على كثرتها ـ هو الفلسفة والكلام والعقائد والفقه. ويندر فيها ما هو خارج عن دائرة هذه العلوم. وأهمّ المؤلّفات وأشهرها وأوعاها مادّة وأوضحها فكرة أربعة وهي:

١ ـ شرح الزيارة الجامعة الكبيرة.

٢ ـ شرح «العرشية» لصدر الدين الشيرازي.

٣ ـ شرح «المشاعر» للشيرازي أيضاً.

٤ ـ الفوائد.

---

(١) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي وسائر مشايخ عظام: ٢/ ٦٠.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٥/ ٢٥٣.

ففيها عرض شامل لآرائه وبيان وافٍ لمعتقداته، وهي دون غيرها ـ في الغالب ـ محطّ أنظار أتباعه وموضع سخط مخالفيه، وأكثر هذه الأربعة أهميّةً عند الأنصار ونقمةً عند المخالفين هو «شرح الزيارة»، فقد كثر حوله الصراع الفكري وتطرّف النزاع واختلفت الآراء وتعدّدت الردود والنقود، وسنتعرّض في الباب الثاني إلى بعض مباحثه.

الفصل الثالث: مكانته الاجتماعية

١ ـ شهرته وحسد المعاصرين له

تألّق نجم الأحسائي فتلقّته الأوساط العلمية بقبول حسن، وعرف بغزارة العلم وسموّ الفكر وعلوّ الثقافة وأشير إليه بالأنامل. وأجمع الكلّ على ورعه وتقواه وترسّله وزهده في الزعامة الدينية ومتع الحياة كافّة. وأخذ يتنقّل بين النجف وكربلاء والكاظمية فيقضي فيها مدداً طويلة، وكانت فيها ـ يومذاك ـ حوزات دراسية ضخمة وعلماء أفذاذ. وكانوا يتسابقون إلى زيارته ويبالغون في احترامه؛ ولذلك كثر الإقبال عليه وعظم في نفوس العامّة على اختلاف طبقاتهم، وأخذت رياسته بالتوسّع رغم إعراضه عنها، وأوشكت شهرته أن تغطي العلماء المعاصرين له، فلم يهن ذلك على بعضهم بل ضاقوا به ذرعاً وامتلأت صدورهم عليه حقداً وصمّموا على دكّه؛ غير أنّ المدّ الشعبي ومكانته الجماهيرية كانت ترهبهم، فلزموا جانب الصمت، إلاّ أنّهم بدأوا يعملون في الخفاء للإطاحة به[1]. وكان علماء كربلاء قد صمّموا على تكفير كلّ عالم يرأس ويتزعّم ويخافون تقدّمه. وقد كفّروا عدداً من العلماء لكنّهم لم ينجحوا ممّا اضطرهم إلى الخجل[2].

وسافر الأحسائي إلى إيران عدة سفرات، فدخل عواصمها العلمية ولاقى كبار رجالها، وكانت أصفهان يومئذٍ مركز علم كبير، وفيها سوق رائجة للفلسفة والحكمة الإلهية، وعدد كبير من مشاهير الفلاسفة؛ من أبرزهم: الشيخ علي النوري. وقد سئل: أيّهما أفضل الشيخ آغا محمّد البيدآبادي ـ من فلاسفة أصفهان ـ أو الأحسائي؟ فكان جوابه: «إنّ التمييز لا يكون إلاّ بعد بلوغ المميّز لمقامهما

(١) شيخيكري بابيكري، ص ٢٣.
(٢) كيوان نامة: ١/ ٤٧ ـ ١٣٧.

وأنا غير بالغ لمرتبتهما، فكيف يكون التمييز؟[1]. وحكى الشيخ هادي السبزواري صاحب «المنظومة» أنّه كان يقرأ مقدّمات العلوم النقلية في أصفهان يوم هبطها الأحسائي ـ ولم يكن يتّجه لدراسة العلوم العقلية بعد ـ فأذيع أنّ الحوزات العلمية والحلقات الدراسية كافّة قد تعطّلت وأنّ طلّابها عامّة سيحضرون درس الشيخ الأحسائي، فحضره مع من حضر ورأى كبار العلماء ومشاهير المدرّسين، كالشيخ محمّد إبراهيم الكلباسي صاحب «الإشارات» وغيره، تحت منبره. وكان يدرّس الفلسفة والحكمة الإلٰهية. وقد أجمع العلماء قاطبة على زهد الشيخ وتقواه[2]. وقد شذّ عنهم السيّد محمّد باقر الشفتي الملقّب بـ «حجّة الإسلام» الذي كان يقيم الحدّ الشرعي من قتل وقطع وجلد[3]؛ فهو الوحيد الذي لم يكن ليستقبل الأحسائي ويودّعه ويحترمه كما كان يفعل الآخرون، مع أنّه كان صديقاً حميماً للكلباسي الذي لم يدّخر وسعاً في تكريم الأحسائي[4]. ويقول الشيخ عبدالله ابن الأحسائي: إنّ والده عندما مرّ بأصفهان أصرّ عليه علماؤها وأعيانها بأن يصوم شهر رمضان عندهم ـ وكان هلاله قريباً ـ فاستجاب وحلّ ضيفاً على أمين الدولة عبدالله خان ابن صدر الدولة محمّد حسين خان، فبذل منتهى الجهد في خدمته، وكان «مسجد الحكيم» ـ وهو مصلّى الكلباسي الذي قدّمه له ـ يضيق بالمصلّين على سعته. وقد تصدّى نفر لإحصائهم بالتعاون فكانت عدتهم ذات يوم ستّة عشر ألفاً[5]، ويقول التنكابني: إنّ الأحسائي كان يأتي إلى المسجد قبل الظهر بساعة فيجلس على الباب ويضع إلى جنبه ساعته والبوصلة ـ آلة تعيين القبلة ـ ويظلّ بانتظار زوال الشمس، فإذا دخل الوقت بدأ بالنوافل من مكانه واتّجه إلى المحراب وأدّى عدّة ركعات وهو في الطريق[6].

---

(١) دليل المتحيرين، ص ٢٧.
(٢) شيخ أحمد أحسائي، ص ٣٢.
(٣) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ١٩٤.
(٤) قصص العلماء، ص ٢٠.
(٥) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥١.
(٦) قصص العلماء، ص ٢١.

وهكذا كانت الحال بالنسبة له في كلّ مدينة دخلها في إيران. وقد دعم شخصيّته أكثر وفرضه على الناس فرضاً ـ وإن لم يكن بحاجة إليه ـ ما أبداه له السلطان فتح علي شاه القاجاري من تعظيم لم يشاركه فيه أحد من علماء إيران وفيهم الفطاحل وذوو البيوت العريقة في الزعامة الدينية. وقد كانوا جميعاً يسارعون إلى استقباله قبل غيرهم، وقبل أن ينتدبوا، ويأتمّون به في الصلاة، ويقدّمونه على أنفسهم في المناسبات إذا حضر. ولكن ذلك لم يكن سهلاً عليهم. فالإيرانيون في الغالب ينظرون إلى العرب نظرة ازدراء واحتقار ويعتقدون بتخلّفهم الذهني. وهم بعد ذلك علماء، والحسد من خصائص أهل العلم، فكيف يروق لهم أن يأتي رجل من أطراف الأحساء وأبناء الصحراء فيتفوّق عليهم في بلادهم ويحظى بإقبال ملكهم وشعبهم؟ ولكن ذلك قد حصل بالرغم منهم وأجبرهم الوضع على الاعتراف بتفوّقه وتقدّمه.

وضاق القوم ذرعاً بالرجل وفكّروا في الخلاص منه طويلاً حتى اهتدوا إلى ما اهتدى إليه زملاؤهم علماء كربلاء من قبل. ورأوا أنّ الطريق الوحيدة للإطاحة به وتفريق الناس عنه هي إثارة زوبعة حوله، وذلك عمل يحسنونه ويعرفون كيفيّة التمهيد له والوصول إليه. كلّ ذلك يجري في الخفاء والأحسائي مترسّل في سيرته وحديثه لا يعرف ما يبيّت له القوم ولا يخطر له على بال.

تبودلت الآراء وتكرّرت المشورة بين علماء إيران والعراق. وكان أكثر علماء العراق يومئذٍ ـ وإلى اليوم ـ من الإيرانيين، وكانت الصلات مستمرّة بينهم. يقول الدكتور علي الوردي: «فإذا ما حدث في إيران أيّ صراع دينيّ أو سياسيّ فسرعان ما ينتقل أثره إلى العراق عن طريقهم؛ إذ إنّ الجدال الذي ينشب بين رجال الدين في إيران لا بدّ أن يصل إليهم على وجه من الوجوه، فيتجادلون هم بدورهم، وكثيراً ما تنتشر عدوى الجدال إلى العامّة، وربّما أدّى إلى استفحال الخصومة وتبادل الشتائم بينهم..»[1]. وقد أجمعت الكلمة على الوقيعة

(١) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ١/ ١١.

بالأحسائي ولكن من يوري الشرارة الأولى؟ ومن الذي يملك الجرأة الكافية ليندكّ بشخصيّة تضخّم رصيدها على الصعيدين الحكومي والشعبي كشخصية الأحسائي؟ ومن أين يجب أن تنطلق هذه الشرارة أمِنَ العراق أم من إيران؟ وذلك ما سنتعرّض له في الفصل القادم.

٢ ـ تكفير البرغاني له

خرج الأحسائي من كربلاء متوجّهاً لزيارة الإمام الرضا عليه السلام في ركب ضخم ورياسة عظيمة ودخل وافر، تستقبله مدينة وتودّعه أُخرى باحترام وجلال منقطع النظير حتى وصل إلى قزوين. وكانت الرياسة فيها يومئذٍ للشيخ محمد تقي البرغاني الشهير بالشهيد الثالث[1]. وكان على جانب كبير من الغرور والإعجاب بالنفس كما يبدو. فظنّ ـ بحكم شهرته وانحصار الزعامة فيه ـ أنّ الأحسائي سوف لا يعدو بيته وأنّه سيزيد من قدره واحترامه بنزوله ضيفاً عليه، ولذلك لم يوجّه له

(١) «الشهيد الأول» و «الشهيد المطلق» في مصطلح علماء الإمامية هو: الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن جمال الدين مكي النبطي الجزيني العاملي صاحب «اللمعة الدمشقية» و «المستشهد في عام ٧٨٦هـ ـ ١٣٨٤م. و «الشهيد الثاني» هو: الشيخ زين الدين بن علي الجبعي العاملي شارح «اللمعة الدمشقية» والمستشهد في عام ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م. ويلقب البرغاني بـ «الشهيد الثالث» لأن البابية قد قتلوه عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م ـ وقد كان ذلك قبله لقباً للقاضي السيد نور الله المرعشي صاحب «مجالس المؤمنين» الشهيد بالهند في سنة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م وهو أجدر به لعظمته العلمية ولشهادته على التشيع ـ ويعبّر عن السيد ميرزا مهدي الرضوي المقتول عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م بـ «الشهيد الرابع».
والشهيد في اصطلاح فقهاء الشيعة الإمامية هو: المسلم الذي يموت في قتال أمر به النبي أو الإمام عليه السلام أو نائبهما الخاص، أو يقتل في جهاد مأمور به حال الغيبة، وفي تلك الحالة فقط يسقط عنه الغسل ويدفن بثيابه وما عداه يغسّل ويكفّن وإن أطلق عليه اسم الشهيد في بعض الأخبار كالمطعون والمبطون والغريق والمهدوم عليه والنفساء والمقتول دون ماله وأهله. (اللمعة الدمشقية: ١/ ٥٤) ويشترط بعض الفقهاء المتأخرين في الشهيد أن يكون خروج روحه قبل إخراجه من المعركة أو بعد إخراجه مع بقاء الحرب، أما إذا خرجت روحه بعد انقضاء الحرب فلا تطبق عليه أحكام الشهيد (العروة الوثقى/ باب غسل الأموات). وحكى الشيخ فريق المزهر آل فرعون عن العالم الشهير الشيخ محمد الخالصي أن المجتهد المجاهد السيد أبا القاسم الكاشاني أفتى كتابة في ثورة العراق الكبرى مع الانكليز أن الذي يستشهد في ساحة الجهاد يعد شهيداً وأيدها زعيم الثورة الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي بخطه وخاتمه وبذلك جوّزا دفن الشهداء بلا تجهيز كما هي العادة في سائر شهداء المسلمين المجاهدين (الحقائق الناصحة في الثورة العراقية سنة ٢٠/ ٣٨٢).

دعوة.. ! وكان في قزوين رجل علم من تلاميذ الأحسائي اسمه الشيخ عبد الوهّاب القزويني؛ وهو من الفقهاء وأئمّة الجماعة هناك يومئذٍ، ومن عائلة كبيرة إلاّ أنّه دون البرغاني سمعةً وعلماً. ولمّا سمع بتوجّه أستاذه الأحسائي إلى قزوين أرسل جماعة لاستقباله إلى قرب همدان ودعاه للنزول في داره فأجابه. فاعتبر البرغاني ذلك تكريماً من الأحسائي لتلميذه وحطّاً من منزلته هو. وتهافت العلماء والأمراء وسائر الطبقات على دار الشيخ عبد الوهّاب لزيارة الأحسائي، وكان البرغاني في طليعة القوم، وقد عتب على الأحسائي لعدم نزوله في داره، فكان ممّا قاله له: «إنّني أعلم العلماء هنا وكان من اللازم عليك أن تنزل داري بدون حاجة إلى دعوة». فكان جواب الأحسائي: «إنّ دعوة المؤمن محترمة شرعاً وإن لم يكن أعلم، وأنا تابع للشرع لا للأعلمية». فكان الجواب مسكتاً ومؤلماً للبرغاني فحقد على الأحسائي منذ تلك اللحظة[1].

وبدأ البرغاني يعمل للانتقام من الأحسائي والوقيعة به. وأخذ يتحيّن الفرص ويتسقّط كلامه للحصول على مدخل يلج منه، وممسك يتذرّع به. وكان الأحسائي يتكلّم مترسلاً في مجالسه الخاصّة والعامّة ويتحدّث عن استنباطاته وكشفياته. وكان ممّا قاله يوماً: «إنّ الأئمّة الاثني عشر هم العلل الأربع[2] لسائر الخلق، وإنّ معراج النبيّ ﷺ كان بالبدن الهورقليائي[3] وغير ذلك. وحانت الفرصة

(١) شيخيگري بابيگري، ص ٢٣ و (كلمهٔ أزهزار، ص ١٧).

(٢) العلل الأربع هي: ١ ـ العلة المادية ٢ ـ العلة الصورية ٣ ـ العلة الفاعلية ٤ ـ العلة الغائية. ومعلوم أنه لا يوجد شيء في الأرض ولا في السماء ولا بينهما إلاّ بهذه العلل، وتسمّى الأوليان داخليتين والأخريان خارجيتين وينسب للأحسائي القول بأن المعصومين الأربعة عشر علل أربع لجميع المخلوقات كما يأتي الكلام عنه.

(٣) هورقليا، فسرها الأحسائي نفسه بالعالم الذي قبل هذا العالم (جوامع الكلم: ٢/ ٢٨٠) وقال الأسكوئي: إنه لفظ سرياني لا يزال يألفه الصابئة، ويقصد به الواسطة والبرزخ، والمراد من عناصره عناصر عالم المثال الذي هو برزخ وواسطة بين عالم الملكوت وهو النفوس، وبين عالم الملك وهو عالم الأجسام والدنيا (إحقاق الحق، ص ١٣) وتراجع (شيخيگري بابيگري، ص ٤٧) و (كلمهٔ أزهزار، ص ١٠٣) وللدكتور محمد المعيني ـ من أساتذة جامعة طهران الكبار ـ مقال طويل تحت عنوان «هورقليا» نشره في بعض المجلات ثم استلّه ونشره في كراس خاص.

للبرغاني أن يلعب لعبته ويحقّق رغبته فأضاف إلى تلك الآراء بعض الكفريات ونشرها بين العوام. ونسب الأحسائي إلى تضليل العوام بآرائه وغلوّه في الأئمّة وكفره. وقد جلب إلى صفّه بعض علماء قزوين ممّن لم تكن له مع الشيخ عبد الوهّاب علاقة حسنة ليطوّح بالاثنين معاً، وليستعين بإخوانه وإن اختلفت أهدافهم كما فصله الشيخ عباس كيوان القزويني[1].

وتبعاً للسيرة المألوفة فقد كان على الأحسائي أن يردّ الزيارة للّذين زاروه. وكان يصحبه في تلك الزيارات رهط من علماء وأعيان قزوين. فذهب يوماً لزيارة البرغاني في بيته، وبعد أن استقرّ به المقام وتبودلت الأحاديث سأله البرغاني: هل أنّ رأيك في المعاد موافق لرأي المولى صدر الدين الشيرازي؟ فأجابه: إنّه مخالف له. فقال البرغاني لأخيه الشيخ علي: اذهب إلى المكتبة واحضر كتاب «شواهد الربوبية»[2]. فتثاقل الشيخ علي لأنّه كان من تلاميذ الأحسائي، وحاول أن يغيّر مجرى الحديث فقال البرغاني: دعنا من ذلك وقل لنا ما هو رأيك في المعاد. فقال الأحسائي: إنّني أرى أنّ المعاد بالجسم الهورقليائي وهو في هذا الجسد العنصري كالزجاج في الحجر. فقال البرغاني: الجسد الهورقليائي غير الجسد العنصري الذي يعاد يوم القيامة، وذلك من ضروريات الإسلام. فقال الأحسائي: وهذا هو عين مرادي. ثمّ تشعّب الكلام واحتدّ النقاش فانبرى أحد تلامذة الأحسائي ـ وكان من تركستان ـ لمجادلة البرغاني فأسكته وانفضّ المجلس بكدر وخلاف. وفي ذلك اليوم خرج الأحسائي إلى المسجد فلم يخرج معه أحد من العلماء كما كان متّبعاً ولم يحضروا للصلاة معه. وكان الوحيد الذي ذهب معه هو تلميذه الوفيّ الشيخ عبد الوهّاب القزويني.

ونظراً لمقام الأحسائي الكبير عند الجميع وعظمته العلميّة المعترف بها من قبل الكلّ رأى الشاه زاده ركن الدولة علي نقي ميرزا حاكم قزوين أنّ ما قام به

---

(١) شيخيكري بابيكري، ص ٢٣ و٢٤ نقلاً عن عرفان نامه لكيوان.

(٢) شواهد الربوبية في المناهج السلوكية. في أسرار المبدأ والمعاد، طبع عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م. (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٤/ ٢٤٣).

البرغاني اعتداء لا يمكن السكوت عنه. كما خاف على سمعته ممّا ستحدثه الغوغاء[1] من فوضى في أيّام حكومته. وحاول حفظ نفسه من التعرّض لغضب السلطان فتح علي شاه الذي كان يحبّ الأحسائي ويبالغ في تعظيمه. فماذا سيكون موقفه منه إذا سمع بأنّ الأحسائي قد أهين في قزوين وهو حاكمها؟ وقد اضطرّه كلّ ذلك للتدخّل بين الاثنين أملاً في رفع الخلاف وإنهاء المشكلة. وكان أن دعا علماء قزوين كافّة لتناول العشاء في بيته في إحدى الليالي، ودعا الأحسائي أيضاً، وكان الأحسائي في صدر المجلس حين دخل البرغاني، وكان من المنتظر أن يجلس إلى جانبه لما كان يراه لنفسه من اللياقة للصدارة، غير أنّه جلس بعيداً عنه وترك حائلاً بينهما. ولمّا أحضر الطعام أُفردت للأحسائي والبرغاني مائدة خاصّة بصفتهما أجلّ الحاضرين وأرفع من أن يأكلا مع الآخرين، لولا أن تركها البرغاني وجلس على المائدة الثانية وأكل مع القوم. ولمّا انتهى المدعوّون من الأكل وعادوا إلى أماكنهم تغيّر وضع المجلس واستبدل البعض مكان الآخر، فصار مجلس الأحسائي قريباً من البرغاني بحيث يرى كلّ منهما الآخر. فكشف البرغاني عن دخيلة نفسه وأظهر غرضه وجسّم حقده بين وضع كفّه على جهة وجهة من جانب الأحسائي لئلاّ يراه!! وبدأ الحاكم الحديث فتكلّم طويلاً. وكان ممّا قاله: إنّ الأحسائي شيخ العلماء وكبير الروحانيين من العرب والفرس، وإنّ احترامه واجب على الجميع، وإنّ على البرغاني أن لا يدّخر وسعاً في تكريمه وأن لا يلتفت إلى كلمات المفسدين الذين أوقعوا الجفوة بينهما. فردّ البرغاني بقوله: ليس بين الكفر والإيمان صلح ولا إصلاح. فللأحسائي في مسألة المعاد رأي يخالف الضروري من أحكام الدين، ومنكر الضروري كافر. فبذل الحاكم كلّ جهد ممكن في إخماد الفتنة ومعالجة الموقف إلاّ أنّه فشل وأكّد البرغاني تكفيره للأحسائي وخرج[2].

ويروي الشيخ عبّاس كيوان القزويني قصّة تكفير البرغاني للأحسائي بصورة أُخرى خلاصتها أنّهما اجتمعا على مائدة الشيخ عبد الوهاب القزويني فقال

(١) للدكتور علي الوردي بحث مهم عن الغوغاء (الأحلام بين العلم والعقيدة، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٧).
(٢) قصص العلماء، ص ٢٥ ـ ٢٦.

البرغاني للأحسائي: لقد زعمت.. كذا وكذا.. فهل أنت معتقد بذلك؟ فقال: نعم، ويجب أن يعتقده الآخرون. فامتنع البرغاني عن الطعام وقال له: أنت كافر وأتباعك كفّار، وأنا لا أواكل الكفّار. ثمّ خرج فساد المجلس صمت رهيب أعقبه خلاف قويّ. وتعصّب الأحسائي لآرائه وتعصّب خصومه كذلك، وانتشرت أخبار تكفير الأحسائي في بقيّة المدن الإيرانية، وواصل الأحسائي سفره إلى خراسان. وكلّما مرّ بمدينة وجد الانقسام حوله واضحاً. ففريق يتجاهله ويعرض عنه وآخر يبالغ في تعظيمه تعصّباً. وكتب البرغاني إلى علماء كربلاء بأنّه كفّر الأحسائي وطلب متابعتهم في ذلك. فاستجابوا وارتفعت الأصوات معلنة كفره، وصار الناس في حيرة مما حدث، ثمّ سادت الخصومة وتوسّع الخلاف وظهر لدى الشيعة مبدأ جديد، وقبرت خلافات الأخباريين والأصوليين وحلّت محلّها الشيخية وخصومها[1].

٣ ـ تجاوب علماء كربلاء والنجف

وصلت أنباء الوقيعة بالأحسائي إلى كربلاء وكان مكفّروه في إيران قد طلبوا إلى زملائهم في كربلاء إكمال الموضوع كما مرّت الإشارة إليه، فوحّد القوم صفوفهم وجمعوا قواهم للنهوض بالأمر، وذهب فريق منهم إلى السيّد مهدي بن السيّد علي الطباطبائي ـ وكان من أعلام كربلاء ـ فعرضوا عليه بعض العبارات الغامضة والمصطلحات الفلسفية التي استخرجوها من مؤلّفات الأحسائي. وعمدوا كذلك إلى بعض الجمل التي يعكس التحوير معناها فتصرّفوا به من حذف وزيادة وأوّلوه بالنحو الذي يطلبونه. ورغبوا إليه أن يصدر فتوىً بكفره. فتوقّف لما كان يراه من احترام والده للأحسائي واعترافه بالعجز عن فهم بعض كتاباته وأنّها اصطلاحات يقتصر فهمها على الحكماء وليس منهم[2]. إلاّ أنّهم لم يتركوه وشأنه بل ظلوا يلاحقونه ويذاكرونه حتى انقدح في ذهنه بعض الشبهات وحصل له

(١) شيخيگري بابيگري، ص ٢٤.

(٢) دليل المتحيرين، ص ٣٠ و (هداية الطالبين، ص ١٠٩).

شكّ في بعض المقاصد والآراء. فاكتفوا بذلك وأشاعوا تكفير الأحسائي على لسانه. وكان إذا سئل عن ذلك تمتم بالكلمات وتلكّأ ولم يفصح. فيفسّر المغرضون ذلك بالتكفير[1]. ثمّ كتبوا إلى أطراف العراق وإيران: إنّ الطباطبائي قد أفتى بكفر الأحسائي. وظلّ الناقمون يغربلون مؤلّفاته ويتتبّعون كلماته الغامضة وتعابيره المتشابهة ويذيعونها بين الناس[2]، وقد اتّبعوا بعض الأساليب الماكرة فكانوا يستدرجون الناس. وما أن أحسّوا بكرههم لفكرة معيّنة أو نفرتهم من رأي مخصوص حتى نسبوا ذلك إلى الأحسائي، وبذلك أحكموا كرهه في النفوس وأحقدوا الناس عليه[3].

وصادف موسم بعض الزيارات المخصوصة التي اعتاد الناس على أن ينهالوا فيها على كربلاء من كلّ صوب وحدب. فانتهزها الخصوم فرصة مواتية. فكتبوا نشرات حشوها بالأباطيل والأكاذيب ووزّعوها على الجماهير بشكل واسع، وقرأها أكبر عدد ممكن. فكثرت التقوّلات وتكرّرت الاعتداءات وعمّ الخطب وتفاقم الأمر وسادت الفوضى والاضطرابات[4]. ولم يكفهم ذلك بل أعدّوا العدّة لعقد مجلس ضخم عام يحشر فيه أكبر عدد من أهل المدينة والزوّار من مختلف الأطراف، ويدعى إليه من الخارج من يدعى، ثمّ يكتب محضر في تكفير الأحسائي أمام الملأ. وتهيّأوا لذلك على نطاق واسع وعين اليوم والوقت. وتهافت الناس من كل صوب، وأوشك المجلس أن يكتمل على النحو الذي يرغبون فيه. وإذا بالمدينة تفاجأ بزلزلة عظيمة تهتزّ لها الأرجاء وتتضعضع الغبراء وتتساقط المباني ويعمّ الذعر ويسود الهلع ويتفرّق الجمع. فاعتقد أتباع الأحسائي أنّ ذلك نصر من الله لهم وخذلان لخصومهم وانتقام منهم، لا سيّما وقد ذكر المعمّرون بأنّهم لم يروا زلزلة في كربلاء ولم يسمعوا مطلقاً[5]!

---

(١) هداية الطالبين، ص ١١١.

(٢) كلمة أزهزار، ص ١٦.

(٣) دليل المتحيرين، ص ٤١ و (شيخيگري بابيگري، ص ٢٠) و (هداية الطالبين، ص ١١٩).

(٤) كلمة ازهزار، ص ٣١١.

(٥) هداية الطالبين، ص ١١١ و١١٢، و(دليل المتحيرين، ص ٤٠).

ولم يردع ذلك القوم ولم يكفّوا عن عملهم بل عادوا إلى سابق وضعهم بعد أن هدأت الأوضاع بعض الشيء. وعمد بعضهم إلى تأليف كتاب حشاه بالفضائح والكفر والإفك وقول الزور وأقوال الملاحدة والزنادقة ونسبه إلى الأحسائي. وكان له مجلس عصر كل يوم يقرأ فيه تلك الفضائح على ملأ من الناس فتتعالى الأصوات من أرجاء المكان بلعن الأحسائي والبراءة منه ومن معتقداته، وبوجوب مقاومته والقضاء عليه[1].

وقد كفّره غير السيد مهدي والبرغاني المذكور كل من الشيخ محمد جعفر شريعة مدار، والمولى أغا الدربندي صاحب «أسرار الشهادة» وشريف العلماء المازندراني، والسيد إبراهيم القزويني صاحب «ضوابط الأصول» والشيخ محمد حسن النجفي صاحب «جواهر الكلام» والشيخ محمد حسين الأصفهاني صاحب «الفصول» وغيرهم من فقهاء عصره وعلمائه[2].

ويروي الشيخ محمد حسن شريعة مدار الاسترابادي لتكفير والده للأحسائي قصةً خلاصتها: إنَّ المرجع يومئذ هو السيد محمدٍ الطباطبائي الملقب بالمجاهد ولما أفتى بكفر الأحسائي وافقه وأيّده علماء كربلاء والنجف عامة. غير أن الشيخ محمد جعفر شريعة مدار كان في مكّة يؤدي فريضة الحج. فقال الأحسائي: إنَّ علماء هذه الديار فقهاء وأصوليون وليست، لهم خبرة في الحكمة والعلوم العقلية وكلماتي ومؤلفاتي لا يفهمها إلاّ الحكماء. ورضي أن يحكم فيها الشيخ محمد جعفر شريعة مدار. واتّفق أن عاد شريعة مدار من مكة فبعث له السيد محمد المجاهد «شرح الزيارة» وعدة رسائل من مؤلفات الأحسائي بيد رسول وطلب منه قراءتها وبيان رأيه فيها. فقرأها بدقّة وتأمّل عباراتها وقال: «إن هذه الكتب والرسائل متشابهة وقابلة للتأويل وتجب إطاعة أمر السيد بحكم مقبولة ابن

(١) لم نتمكن من معرفة هذا الرجل، وقد قال عنه السيد كاظم الرشتي: «لا برّد الله مضجعه ولا رزقه جنّته» (دليل المتحيرين، ص ٤٠) وقال الحاج محمد كريم خان الكرماني: «لا رحمه الله» (هداية الطالبين، ص ١١٢).

(٢) قصص العلماء، ص ٢٦.

حنظلة»[1] ولكن من أجل التثبّت في الحكم والحكومة لا مندوحة من مذاكرة الأحسائي نفسه فيها لنرى هل أنه يستحق التكفير أم لا؟ واتّفق أن التقى الأحسائي به في الحمّام. فشكره على عدم تسرّعه في تكفيره كما فعل الآخرون، ودخلا في نقاش فتجمهر الناس عليهما في الحمام لسماع الحوار. فسرد الأحسائي آراءه ومعتقداته كما سطره في مؤلفاته. وفهم منها شريعة مدار ما فهمه السيد المجاهد وسائر علماء كربلاء والنجف وحكم مثلهم بتكفيره. فوقعت في كربلاء وبلاد إيران كارثة لانتشار الخبر[2].

٤ ـ إنكار الأحسائي لما نسب إليه

عاد الأحسائي إلى كربلاء بعد الفراغ من زيارة الإمام الرضا عليه السلام وكان عازماً على قضاء ما تبقّى من أيامه فيها، ولم يكن ليتصوّر ما بلغته الحالة من هياج وتفاقم وما بلغه خصومه من ضراوة وشراسة. فرأى الجوّ مكفهراً والوضع متوتّراً ينذر بالانفجار، والناس حوله في خلافٍ، وتلميذه السيد كاظم الرشتي في حالة يرثى لها من المقاطعة والمقاومة لموقفه الإيجابي منه ومن آرائه، ولدفاعه عنهما بكل ما أوتي من حول وطول. فكثر استغرابه واحتار في أمره. وما لبث أنصاره أن تجمهروا عليه وألزموه بالتدريس. فشرع في مجلس حافل. وكان يدرّس في أصول الفقه وأصول الدين، والحديث والتفسير، والفقه وغيرها. ومعظم تدريسه

---

(١) حديث رواه عمر بن حنظلة العجلي الكوفي عن الإمام الصادق عليه السلام ولم يكن سنده موثقاً. لكن العلماء تلقوه بالقبول وسمّي بـ «مقبولة ابن حنظلة». والحديث قول الإمام: «انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإنني قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما بحكم الله استخفّ وعلينا ردّ والرادّ علينا كالرادّ على الله وهو على الشرك بالله عزّ وجلّ».
وقد رواه المشايخ الثلاثة ١ ـ الكليني (الكافي: ١/ ٦٧ باب اختلاف الحديث) ٢ ـ الصدوق (من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٥ ـ ٦ باب الاتفاق على عدلين في الحكومة) ٣ ـ الطوسي: (تهذيب الأحكام: ٦/ ٢١٨). ورواه أيضاً الطبرسي: (الاحتجاج: ٢/ ١٠٦ ط النجف) والمجلسي: بحار الأنوار: ٢٤/ ٥ ط إيران القديم عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م، والشيخ الحرّ العاملي: (وسائل الشيعة/ الحديث الأول من الباب الحادي عشر من أبواب صفات القاضي) وغيرهم.

(٢) مظاهر الآثار: ١/ ١٠٦٤ ـ ١٠٦٥.

في «أصول الكافي» و «الاستبصار» وغيرهما. واستمرَّ على سابق عهده يحاول الجمع بين قواعد الشرع والحكمة، وكان ـ في رأيه ـ يطبّق المعقول على المنقول مع أنَّ الكثير من قواعد المعقول لا يلتقي مع ظواهر الشرع والدين. وكان تلامذته يتداولون آراءه في ما بينهم وتتسرّب إلى الحوزات الأخرى، فيحتدم حولها النقاش ويعلو الجدل، وتزيد الطين بلة بالنسبة لما سبق، وتنسب للأحسائي آراء وأقوال غيرها مما لا تستسيغه العامة ولا تألفه الخاصة... وقد كثرت النسب إليه والتقوّلات عليه. وكان خصومه قساةً للغاية ومن حقهم أن يكونوا كذلك، بل يجب أن يكونوا كذلك لأنهم لم يقصدوا بالخصومة إحقاق الحق وإبطال الباطل لتتصف بالمرونة والعدالة والأنصاف ولتراعى فيها أصول المرافعات وآدابها، بل كان الهدف هتكه وتشويه سمعته وتحطيم شخصيته. وهو وإن كان قد فهم ذلك أخيراً وصرَّح أن الدافع الأول والأخير هو الحسد، لكنّه كان غافلاً عنه في بادئ الأمر لأنه ظلّ يناقش ويدافع ويحاجج.

وأخذ الأحسائي يردّ على مؤاخذات خصومه بأسلوب علمي وحجج منطقية ويفسّر أقواله المشتبه بها. ونفى عنه التهم والنسب غير الصحيحة. وتبرّأ علناً من كلِّ ما يخالف عقائد الشيعة الإماميَّة وأنه لم يقل ذلك في مجلس أو يسجّله في كتاب. ودعا القوم مراراً للاجتماع والمداولة ولكنَّه لم يُعَر أذناً صاغية ولم يلتفت إلى طلبه. وصرّح غير مرّة بأن للكلام ظاهراً وباطناً وأن بعض العبارات قابل للتأويل لا يمكن الأخذ بظاهره ممّن لم يعرف المصطلحات الخاصة. واستشهد بقصة الأعرابي الذي حضر مجلس الخليفة عمر بن الخطاب فقال: «إني أكره الحق، وأحبُّ الفتنة، وأشهد بما لم أره، وعندي ما ليس عند الله، وأعلم ما لا يعلمه الله، وأصدّق اليهود والنصارى وآكل الميتة، ولا أركع ولا أسجد، وأنا أحمد النبي، وأنا علي، وأنا ربّكم» فأنكر عليه عمر وقال: ازددت كفراً على كفرك. وأمر بضرب عنقه، وكان الإمام علي عليه السلام حاضراً، فقال: «مه يا عمر فإن هذا رجل من أولياء الله، ما تكلّم إلاّ بالحقّ. أما قوله إنّي أكره الحق يعني الموت وكل أحد يكره الموت، وأما قوله أحبّ الفتنة فإن الله سبحانه يقول: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ وكل أحد يحب المال والولد. وأما قوله أشهد بما

لم أره فإنه يشهد بالله ولم يره بالبصر، وأما قوله عندي ما ليس عند الله فعنده ظلم لنفسه وليس عند الله ظلم. وأما قوله أعلم ما لا يعلمه الله فإنه يتصوّر أن له ولداً وشريكاً ولا يعلم الله له ولداً أو شريكاً. قال الله تعالى ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم أم بظاهرٍ من القول﴾. وأما قوله أصدّق اليهود والنصارى؛ ففي تكذيب بعضهما البعض، وهو قوله تعالى: ﴿قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيءٍ﴾. وأما قوله آكل لحم الميتة، فالجراد والسمك. وأما قوله ولا أركع ولا أسجد، ففي صلاة الجنازة. وأما قوله أنا أحمد النبي، يعني أحمده على تبليغ الرسالة وأثني عليه. وأما قوله أنا علي يعني علي في قولي هذا واعتقادي ولست بمتسافل. وأما قوله أنا ربّكم بمعنى لي كمّ وصاحب كم وهي الرَدن من اللباس، فقام عمر وقبّل رأس أمير المؤمنين، وقال: لا بقيت بعدك يا أبا الحسن[1].

ثم استعرض الأحسائي بعض كبار أعلام الشيعة الذين توجد في كلماتهم عباراتٍ متشابهة ظاهرها الكفر، كالسيد المرتضى الذي قال: إنّ الله ليس إلّهاً للأعراض ولا للجوهر الفرد. والصَّدوق الذي تقرّب إلى الله بوضع رسالة في إثبات سهو النبي والأئمة. والأردبيلي الذي جوّز التركيب العقلي في الله. والخوانساريين اللّذين جوّزا انتزاع المدد غير المتناهية من ذات الله. والمجلسي الذي ذكر قسماً من المقدورات يقدر عليه الخلق ولا يقدر عليه الله. إلى غيرهم وتساءل: لماذا لم يحكم أحد بكفر أولئك وفسقهم وحكم بكفره؟ ولماذا لم تُحمل تلك الكلمات على ظواهرها وحملت كلماته؟ ولماذا لم يجتهد أحد في كلماتهم في مقابل النصّ، واقتصر على الاجتهاد في كلماته؟ إلى غير ذلك من

(١) دليل المتحيرين، ص ٤١ ـ ٤٧. يشك في أن تكون هذه النادرة قد حصلت فعلاً والمظنون أنها من صنع المتأخرين؟ وأقدم من رواها الحافظ الكنجي المتوفى عام ٦٥٨هـ/ ١١٦٢م فقد نسبها لحذيفة بن اليمان مع تفاوتيسير (كفاية الطالب، ص ٩٦) وقد قال بعدها: «هذا ثابت عند أهل النقل ذكره غير واحد من أصحاب السير». ورواها أيضاً ابن الصبّاغ المالكي المتوفى عام ٨٥٥هـ/ ١٥٤١م (الفصول المهمة، ص ١٨) ورواها من المتأخرين مع تفاوت يسير الشبلنجي (نور الأبصار، ص ٧٩). ولعلها من مختلقات الأحاديث التي يراد بها تبرير القول بالظاهر والباطن ولعلها من موضوعات الإسماعيليين.

ضروب الردّ وصنوف الدفاع. إلاّ أن ذلك كله لم يقع موقع القبول لدى أحدٍ من القوم وإنّما أصرّوا على تفسير كلماته وعباراته وفق مشتهياتهم وحسب آرائهم، وبقوا على ما كانوا عليه من مخالفة. واستمرّوا على تأليب الناس عليه بمختلف السبل. وكان إذا هبط كربلاء غريب من العلماء أو الأعيان سارعوا إلى زيارته وحذّروه من الاتصال بالأحسائي أو ملاقاته، وحشوا ذهنه بما لفّقوه من الاتهامات والكفريات[1].

وتوجد صورة رسالة كتبها الأحسائي إلى تلميذه، الشيخ عبد الوهّاب القزويني، وفيها عرض وافٍ ووصف دقيق لما جرى معه في كربلاء، ولِمَا وصل إليه القوم من إسفاف وإجحاف وظلم واعتداء كصرف الأموال لشراء الذمم واستئجار الأعوان على التنكيل به، وبثّ الإشاعات ضدّه. وبما أنّها بقلم الأحسائي نفسه ـ وهو رجل صدوق لا يتطرّق الشك إليه بوجهٍ من الوجوه، ولا يحتمل في حقه الكذب أو الزيادة والنقصان[2] ـ آثرنا إثباتها ليقف القارئ على مدى ما وصل إليه القوم من انحدار في الخلق وظلم للوجدان ومخالفة للشرع، وإلى القارىء نصّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم: إلى جناب عالي الجناب، ولب الألباب، الداخل في الخيرات من كل باب، أهدي جميل التحية والسلام، أصلح الله أحواله وبلغه آماله في مبدئه ومآله بحرمة محمد وآله، آمين رب العالمين.

أما بعد، فإن سألتم عن محبّكم وداعيكم فأنا أحمد الله إليكم، أما أنا من جهة نفسي ظاهري وباطني ففي راحة، وأمّا الناس من جهتي فقد اختلفوا، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اختلفوا[3] ولكن الله يفعل ما يريد»[4].

جاء الورع الزاهد الشيخ متّقي..؟ وأراد أن يطعن على جنابك، فلم يجد غير أنه نظر في بعض كتبي في قولي «إنّ للإنسان جسدين الأول يعاد يوم القيامة

(١) هداية الطالبين، ص ١٢٢.
(٢) شيخيگري بابيگري، ص ٥١.
(٣) في الآية الكريمة: «اقتتلوا».
(٤) البقرة: ٢٥٢.

وهو الجسد الأصلي، والثاني أعني العارضي الذي ليس للإنسان، وإنما هو عرض لحق المكلّف من الأكل والشرب وليس من حقيقة، وإنما هو في نفس الأمر جسد تعلمي أو بمحكمه، وإن قلت: إنّه من العناصر فإن كل ما تحت فلك القمر من العناصر الجواهر والأعراض». ونفح الشيطان في قلبه، فقال: إنه كفر وهذا كافر والمولى عبد الوهاب صلّى خلف الكافر، وأعانه عليه قوم آخرون ﴿فقد جاءوا ظلماً وزوراً﴾ [الفرقان/ ٤] ﴿والذي تولّى كبره منهم له عذابٌ عظيم﴾ [النور/ ١١] خوفاً على دراهم العجم والهند حتى قالوا إنّك تقول إن الذي خلق السّماوات والأرض علي بن أبي طالب عليه السلام وحكموا بنجاسة الأرض التي أطؤها، وبنجاسة حضرة الحسين عليه السلام لأني أدخل عليه للزيارة، والأمر أعظم مما تسمع، وبذلوا الأموال على ذلك القريب والبعيد تشييداً لتكفيري ﴿ولا تحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ [ابراهيم/ ٤١].

وقلت: هذا كلام للخواجه نصير الدين[1] في «التجريد»[2] والعلاَّمة[3] في

---

(١) أبو جعفر نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي من أكبر علماء الرياضيات والفلسفة عند المسلمين، له ولمؤلفاته العديدة أهمية بالغة في معاهد الشرق والغرب، وزر لهولاكو فعلت منزلته عنده فكان يطيعه فيما يشير به عليه، بنى رصد مراغه، وخدم الثقافة والعلماء، ولد في طوس عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م وتوفي ببغداد عام ٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م ودفن في رواق الإمامين الكاظمين. له تراجم في (أعيان الشيعة: ٤٦/ ٤ ـ ١٩) و (الفوائد الرضوية، ص ٦٠٢ ـ ٦١٥) و (التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان: ١/ ٨٨ ـ ٩٠) و (الاعلام: ٧/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) و (معجم المؤلفين: ١١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨) وعشرات المعاجم. وأقامت جامعة طهران عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م بمناسبة مسرور سبعمائة عام على وفاته مهرجاناً ضخماً استمرّ أسبوعاً كاملاً، وأخرجت ما قيل فيه في كتاب ونشرت بعض مؤلفاته والدراسات عنه.

(٢) تجريد الكلام في تحرير عقائد الإسلام، من أشهر مؤلفات نصير الدين، وهو أجل كتاب في عقائد الشيعة، شرحه كبار علماء الشيعة والسنة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣).

(٣) جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي الشهير بالعلامة من شيوخ الشيعة وكبار علماء الطائفة وأحد الجهابذة الأساطين في تاريخها العلمي معقولاً ومنقولاً، مؤلفاته بالمئات وهي مرجع الطائفة ولد في الحلة عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م وتوفي بها ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م وقبره في رواق الإمام علي في النجف راجع (الدرر الكامنة: ٢/ ٧١) و (روضات الجنات: ٢/ ٣١٧) و (منهج المقال، ص ١٠٩) و (لسان الميزان: ٢/ ٣١٧) و (أعيان الشيعة: ٢٤/ ٢٧٧ ـ ٣٣٤) والاعلام: ٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) و (معجم المؤلفين: ٣/ ٣٠٣) وكثير غيرها. =

«شرح التجريد»[1] ولا تجب إعادة فواضل الإنسان، وبيّنه العلامة في الشرح أنه لا يحشر إلاّ الطينة الأصلية، وقال المجلسي[2] كلاماً طويلاً من جملته: «دويم انكه دربدن أصلية هست كه باقي است ازاول عمر تاآخر عمر، وأجزاء فضيلة ميباشد، زيادة وكم ومتغيّرو متبدّل ميشود، وإنسان كه مشار إليه است بأنا ومن آن أجزاى أصلية است كه مدار حشر ونشر وثواب وعقاب برآن است»[3].

وفي هذا الكتاب مثل هذا الكلام كثير، والصادق عليه السلام ـ كما في «الكافي» ـ سئل عن الميت: هل يبلى جسده؟ قال: نعم حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلاّ الطينة التي خلق منها؛ فإنها لا تبلى تبقى في قبره مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أوّل مرّة، وكلُّ العلماء على هذا، فقد جعلوا هذا الجسد الثاني الذي لا يعود ـ كما هو رأيي ـ هو الجسد التعليمي أعني العارض أو العرض، حتى أنّي صرّحت في بعض كتبي بأن الجسد الذي يعاد لو وزن لما زاد على هذا الذي في الدنيا المرئي مقدار ذرّة. فإنّ الله يقول: ﴿**وإن كان مثقال ذرّة من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين**﴾ [الأنبياء/٤٦]. فقوله ﴿**أتينا بها**﴾ أي بعينها ذلك، ولكن متى كنت كافراً جاهلاً بالميعاد وأنا أدّعي أنه ما أحد ـ كذا ـ عرف مثلي، وقد وقف علماء العرب والعجم كلُّهم عليها، فما طعن فيها إلاّ جاهل بمعنى قولي، أو

---

(١) هو أول شروح التجريد اسمه (كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد) تراجع (الذريعة: ١٣/ ١٣٩ و١٨/ ٦٠).

(٢) الشيخ محمد باقر بن محمد تقي الأصفهاني المجلسي عالم موسوعي من الأجلاء، يعد من أعظم علماء الشيعة في القرون الأخيرة، ولي مشيخة الإسلام في أصفهان على عهد الصفويين، وله آثار قيمة أشهرها وأكبرها «بحار الأنوار» ويعتبر من دوائر المعارف الشيعية اقرأ وصفه في (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣/ ١٦ ـ ٢٧). ولد عام ١٠٣٧هـ/١٦٢٧م وتوفي عام ١١١٠هـ/١٦٩٩م. راجع (أعيان الشيعة: ٤٤/ ٩٦ ـ ١٠١) و (الفوائد الرضوية / ٤١٠ ـ ٤١٨) و (روضات الجنات: ١/ ١١٨ ـ ١٢٤) و (الاعلام: ٦/ ٢٧٣) و (معجم المؤلفين: ٩/ ٩١) و (الكنى والألقاب: ٣/ ١٢٨ ـ ١٣٢) وكثير غيرها.

(٣) تعريبه: الثاني في البدن الأصلي الذي يبقى من أول العمر إلى آخره وهناك أجزاء فضلية تتصف بالزيادة والنقصان والتغيير والتبديل، والإنسان المقصود بقول «أنا» هو الأجزاء الأصلية التي تكون مدار الحشر والنشر والثواب والعقاب عليها.

معـانـد منكر للحق، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا قال أحدكم لأخيه يا كافر كفـر أحـدهمـا». لكـن يـا شيخ حسبي الله وكفى به شهيداً، إنَّ الله يقول في كتابه الحق ﴿ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد﴾ [ق/١٧].

والحاصل أنا أقول حسبي الله وكفى، ليس وراء الله منتهى، والسَّلام عليك ورحمة الله وبركاته، وسلام على من يعزّ عليك، وخصّ نفسك بالسلام»[١].

ظـلّ الأحسـائـي يعمل من جانبه على رتق الفتق وإخماد الفتنة، ويدعو إلى جمـع الكلمـة وعـدم شقّ عصا المسلمين وتفريق صفوفهم، ويحذّر من الاختلاف لأنـه يضعـف الشيعـة ويشمت بهم أعداءهم[٢]. وظلَّ خصومه من جانبهم يغذّون التفـرقـة وينمّون دواعي الاختلاف. وكان أن قاموا بعملٍ أبشع من كلِّ ما عملوا، وتصـرّف أقبـح مـن سائـر ما ارتكبوا. وذلك أنهم عمدوا إلى كتابه «شرح الزيارة الجـامعـة الكبيـرة» فحملـوا منه نسخةً إلى داود باشا[٣] والي بغداد وأطلعوه على مـواضـع منـه فيهـا تعـريض وطعن في الخلفاء، منها قصَّة الشاعر ديك الجن مع الخليفـة العبَّاسـي[٤]. وعـززوا ذلـك بعريضة ضمّنوها بعض الاتهامات الباطلة التي كـانـوا يـروّجـونهـا، كقولهم: إن الأحسائي يقول إنَّ الإمام علياً هو الخالق والـرازق والمحيـي والمميـت. ونحـو ذلـك من الإفك والبهتان. وكان الوالي قد قتل قبل ذلك بقليل الشيخ يـاسين.. خـال الشيـخ موسى ابن الشيخ جعفر كاشف

---

(١) انظر (كيوان نامة: ١/ ١٣٧ ـ ١٤٨) و (شيخيگري بابيگري، ص ٢٨) و (تاريخ فلاسفة إسلام، ص ٧٥ و٧٦).

(٢) هداية الطالبين، ص ١١٩، و (شيخيگري بابيگري، ص ٢١) و (دليل المتحيرين، ص ٥١).

(٣) من المماليك حكم بغداد خمس عشرة سنة ١٨١٧هـ/ ١٨٣٢م ولعبد العزيز سليمان نوار (داود باشا والي بغداد /١٩٦٨/ القاهرة) وللدكتور يوسف عز الدين (داود باشا ونهاية المماليك في العراق /١٩٦٠) وتراجع أحمد علي الصوفي (المماليك في العراق /١٩٥٢/ الموصل) وسليمان فائق، ترجمة محمد نجيب أرمناوي (تاريخ المماليك في العراق /١٩٦١/ بغداد) وعباس العزاوي (تاريخ العراق بين احتلالين ٦ و٧) والدكتور علي الوردي (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ١/ ٢٣٠ ـ ٢٥٨).

(٤) انظر (روضات الجنات: ١/ ٢٢٧) و (دليل المتحيرين، ص ٤٨ ـ ٥٠) و (لغت نامة دهخدا/ حرف الألف/ ١٣٩٩) و (هداية الطالبين، ص ١٢٢ ـ ١٢٩) و (شيخيگري بابيگري، ص ٢١) وغيرها.

الغطاء النجفي بتهمة نسبت إليه بلا بينة ولا شهود مع أن الشيخ موسى كان عنده في غاية الاحترام[1].

ولما بلغ الأحسائي خبر ذلك رأى بقاءه في كربلاء غير صالح. فباع داره وأثاثه وحلى نسائه، وفرَّ بأهله وأبنائه وزوجاته إلى الله قاصداً بيته الحرام وقبر نبيه مع ما كان عليه من كبر السنّ وضعف القوى ورغم مشقة الطريق وطوله فالخوف كان يدفعه. وقد مرض قبل الوصول إلى المدينة وتوفي وحمل إليها كما مرَّ[2].

ويقول الحاج محمد كريم خان الكرماني ما ترجمته: إنَّ الوالي داود باشا قد حقد على أثر الوشاية وبعدها بشهور حاصر كربلاء وطوّقها بجيش كبير حتى أصابها القحط، وأنّه رماها باثني عشر ألف إطلاقة مدفع، حتى هدم جانب من صحن الحسين عليه السلام واخترق بعض الإطلاقات جدران القبة وسقط على الناس في داخل الحرم. وهدم الكثير من الدور وقتل العديد من الناس، ونهبت الأموال وهتكت الحرمات[3]. ولم نجد لتلك الحادثة ذكراً في تاريخ تلك الفترة من العهد العثماني بالرغم من أنَّ عباس العزاوي قد أشار حتَّى إلى صغار الأحداث والاختلافات[4]. وقد اتهم السيد ضياء الدين الروحاني الأحسائي بأنه أراد إبقاء الفتنة بين الشيعة والسنة وإثارة الخلاف بينهما، فكتب قصة ديك الجن في كتابه، وهرب وصار ذلك سبباً لغارة كربلاء وقتل أهلها[5]، ورد عليه معتمد الإسلام التبريزي بأن والي بغداد لم يصدر أمراً بغارة كربلاء على أثر قراءة الكتاب لا سيما وأن الأحسائي قد هرب إلى الحجاز، وكانت الغارة بعد ذلك بسنين[6].

وقد خلط المترجمون عند نقل قصة ديك الجن خلطاً عجيباً، فقد قال السيد كاظم الرشتي: «وقد كان رحمه الله ذكر في الجزء الرابع حكاية حسن بن هاني

---

(١) انظر (دليل المتحيرين، ص ٥١).
(٢) انظر (أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩٠).
(٣) انظر (هداية الطالبين، ص ١٣٠).
(٤) انظر تاريخ العراق بين احتلالين: ٦/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ و٧/ ٦٥ ـ ٦٩ و٧٢ ـ ٧٦).
(٥) انظر (مزدوران استعمار درلباس مذهب، ص ٥٠ ـ ٥٢).
(٦) انظر (كلمة أزهزار، ص ٤٠ ـ ٤٣).

حيص بيص ديك الجن مع المتوكِّل»[1] وقال السيد محمد باقر الخوانساري: «حكاية حسن بن حيص بيص ديك الجن مع المتوكل»[2] وقال الحاج محمد كريم خان الكرماني ما ترجمته: «حكاية الحسن بن هاني الذي كان ينقل حديث ديك الجن مع المتوكل»[3]. فنقل كل واحد من هؤلاء الثلاثة يختلف عن الآخر، والغريب أن الكل ينقلون عن «شرح الزيارة» ويقولون إنَّ الأحسائي نقل عن «معالم الزلفى» للبحراني، في حين أن الأحسائي نقل مضمون الحكاية ولم يذكر المصدر ولا اسم المحكيِّ عنه، ولا اسم المتوكل[4]. وأما السيد هاشم البحراني؛ فقد نقل في الباب الـ «٩٩» عن كتاب «فضائل أمير المؤمنين» للشريف الرضي، وكان الشريف نقله عن «المثالب والمناقب» للشيخ المفيد: أنه كان على عهد الرشيد بن المهدي رجل يقال له إسحاق بن إبراهيم الملقب بديك الجن. [5] الخ وقد سمَّاه المامقاني بإسحاق بن إبراهيم أيضاً [6].

أما الحسن بن هاني فهو أبو نؤاس الشاعر المعروف المعاصر للرشيد، والمتوفى عام ١٩٨ ـ ٨١٣[7] وأما حيص بيص فهو أبو الفوارس، شهاب الدين سعد بن محمد ابن سعد بن صيفي التميمي المعاصر للمقتفي لأمر الله ٥٣٠ـ٥٥٥ـ١١٣٥ـ١١٦٠[8]. وأمَّا ديك الجن، فهو أبو محمد عبد السلام بن رغبان الحمصي المتوفى سنة ٢٣٥ أو ٢٣٦ ـ ٨٤٩ أو ٨٥٠[9]. أما محمد خان القزويني المحقق المعروف؛ فهو ينكر أصل الحكاية ويعتقد أنها مكذوبة وملفّقة من قصص الجاهلية للتشهير بالخلفاء ومعاوية[10].

---

(١) انظر (دليل المتحيرين، ص ٤٨).
(٢) انظر (روضات الجنات: ١/ ٢٢٧).
(٣) هداية الطالبين، ص ١٢٣.
(٤) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: ٢/ ٢١٧.
(٥) معالم الزلفى في عالم النشأة الأولى والأخرى، ص ٣٢٦ و٣٢٧.
(٦) تنقيح المقال في علم الرجال: ٣/ ١٢٠.
(٧) معجم الشعراء اللمرزباني، ص ٩٤ وغيره.
(٨) وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/ ١٠٦ وغيره.
(٩) الأغاني، للأصبهاني: ١٤/ ٥١ وغيره.
(١٠) تاريخ فلاسفة إسلام، ص ٧١. و (شيخيكري بابيكري، ص ٢١) و (شيخ أحمد أحسائي، ص ١٨)=

وأما الأبيات التي ذكرت القصة أنَّ الخليفة العباسي سأل الشاعر عن المراد بها فهي أول قصيدة لديك الجن[1]. وأما الخليفة فالظاهر أنه المتوكل على الله العباسي ـ لا الرشيد ـ. لأنَّ ديك الجن مات في أيامه[2] وربما كان هذا القدر من القصة صحيحاً كأن يسأله المتوكل عن معنى بيت من قصيدته. وأما باقي القصة فإننا نؤيّد ما ذهب إليه القزويني من أنها ملفّقة. فليس من الممكن أن يطعن ديك الجن أبا بكر وعمر ومعاوية ويزيد، ويخرجهم من ربقة الإسلام على النحو الذي ورد في القصة، ثم يسلم من المتوكل فضلاً عن أن يحظى بجائزته. لا سيما وأن ديك الجن معروف بتشيعه، وقصائده في مدح أهل البيت ورثائهم ورثاء الحسين بن علي كثيرة سائرة. وقد قال الأصفهاني عن قصيدة له يمدح بها الإمام علياً عليه السلام ما لفظه: «وهي مشهورة عند الخاص والعام ويناح بها»[3].

٥ ـ تراجعه تحت الضغط العام

كان الأحسائي يرى أن أحكام الشريعة الإسلامية بحاجة إلى الإصلاح والإيضاح، وأن بعض الحقائق والمعتقدات سواء عند الشيعة الإمامية أو غيرهم تفتقر إلى التصحيح والتهذيب، فأخذ ذلك على عاتقه، وحاول أن يوفّق بين أصول الدين وأصول الفلسفة، فكان أن فاجأ مجتمعه بمفاهيم جديدة لم يستسغها وآراء حديثة لم يكن من السهل عليه تقبّلها. ولسنا الآن بصدد تأييد أو تفنيد تلك الأقوال ومدى صحتها وموافقتها للواقع، ولكنها على كل حال كانت جديدة على الناس ومستغربة لديهم. وكان عليه كأيِّ مصلح مخلص يطلع على الناس بمفاهيم لا عهد لهم بها؛ أن يبذل جهداً في شرحها وتوضيحها وإقناع الناس بمدى نفعها وما تدخله على تفكيرهم من صقل وتهذيبٍ، وأن يتّسع صدره لمختلف أنواع الردّ

= و(لغت نامة دهخدا/ حرب الألف/ ١٣٩٩).

(١) ديوان ديك الجن، ص ٤٩. طبعة دار الثقافة ـ بيروت ـ تحقيق أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: ٩/ ٣٦٧ و (تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان: ٢/ ٧٧) و (حياة الحيوان الكبرى: ١/ ٣٤٩) و(الأعلام: ٤/ ١٢٨) و (معجم المؤلفين: ٤/ ٢٢٤) و (وفيات الأعيان: ٢/ ٣٥٦).

(٣) الأغاني: ١٤/ ٥٢.

والنقد، بل الاستنكار والطعن والسخرية والاستهزاء ريثما يثبت الزمن صحتها من سقمها، وصلاحها من فسادها، ما زال قصده خيراً وهدفه نبيلاً.

ويبدو لنا أنَّ الأحسائي كان يتسلّح بذلك الاستعداد ويملك تلك القابلية، لولا أنه مُني بخصوم وابتلي بمعارضة وقوبل بمقاومة لم تكن سليمة ولا مخلصة، على أننا لا ندَّعي بأن كل ما أخذ عليه ونوقش به كان اتهاماً صرفاً وادعاءاً كاذباً. ففي آرائه ما يقبل المناقشة ويستدعيها وفي كلماته ما هو متشابه يذهب به التأويل مذاهب شتّى. إلاّ أن الأغراض الشخصية والتطرّف والتحزّب والمصالح الخاصة وأشياء أخرى، كلُّ ذلك قد طغى على القضايا الفكرية والآراء العلمية، وأصبح طابع الحقد والغرض طاغياً على كل ما قيل وكتب حتى تكهرب الجوّ ضدّه، وصبّت النقمة عليه صبّاً لدرجة أنه لم يبق لصوته سامع، ولم يفسح له مجال الدفاع عن نفسه والردّ والمناقشة، بل ضاع في خضمّ الدعايات والاتهامات، وأغرقته موجة الفتاوى بالتفكير حتى خشي على نفسه.

ويبدو لنا أيضاً أنه قد تراجع عن بعض آرائه، وأنكر قسماً منها، تحت تأثير الضغط الهائل أملاً في تدارك الوضع ومعالجة الموقف شأنه في ذلك شأن كثير من علماء الشرق والغرب عبر القرون الطويلة. فقد اضطرَّت موجات الاستنكار الكثير منهم إلى التنصّل من أفكارهم والإنكار لآرائهم ومعتقداتهم حفظاً للنفس وطلباً للسلامة. فعندما قوطع الأحسائي في قزوين فجأةً على أثر استنكار البرغاني لرأيه وحكمه بكفره حول مسألة المعاد بالجسم الهورقليائي، وذهب إلى الصلاة للمسجد وليس بمعيّته غير تلميذه الشيخ عبد الوهّاب القزويني ولم يحضر صلاته أحد من علماء قزوين بعد أن كانوا يحيطونه في كل ليلة ويتهافتون للصلاة خلفه، عزّت على تلميذه تلك الردّة والمقاطعة، فطلب من أستاذه الأحسائي أن يؤلّف رسالة يثبت فيها المعاد الجسماني. ففعل نزولاً عند رغبة التلميذ[1] غير أن ذلك لم يفده شيئاً سوى ما وقع فيه من التناقض.

---

(١) قصص العلماء، ص ٢٥، وشيخيگري بابيگري، ص ١٨.

الباب الثالث

السيد كاظم الرشتي

الفصل الأول: حياته العامة

١ ـ نسبه وأسرته

هو السيد كاظم بن السيد قاسم بن السيد أحمد بن السيد حبيب الحسيني المدني الرشتي[١] وقد وصفه خير الدين الزركلي[٢] وعمر رضا كحالة[٣] بالموسوي، ولقّبه الشيخ محمد علي المعلم بالحريري[٤] ولا نعرف مصدر الأولين ولا نسبة الثالث. كان جد أبيه ـ السيد حبيب ـ من أشراف مدينة الرسول ﷺ وأكابر ساداتها، وقد وقع في المدينة بعد وفاته طاعون، فهاجر ولده السيد أحمد على أثره إلى إيران، وهبط رشت وولد له فيها السيد قاسم فعُرف بالرشتي، وتعاقب أولاده من بعده هنالك[٥].

وقال الشيخ محمد الخالصي: إنَّ السيد كاظم الرشتي أُوفد في الخفاء من قبل قيصر الروس لإلقاء الفتن في البلاد العثمانية. وأنكر إسلامه نقلاً عن كتاب فارسي سمَّاه (منشأ الشيخية والبابية) ادعى أنّه طبع في إيران، وقال: إنّه من قسيسي بلدة «وبلاد ستوك» سمّى نفسه كاظماً وتظاهر بأنه رشتي[٦]. ولخص الباحث يمكن القول: إنَّ رأي الشيخ الخالصي دعوى لم تشفع بالأدلة المعتبرة. لذلك: فإنه يتوقف في تأييده لمثل هذه الاتهامات حتى يقوم الدليل عليها.

ورشت مدينة جميلة في شمال إيران، تحيط بها الجبال والغابات، وتكثر فيها الأمطار، فتكسو جبالها ووديانها حللاً سندسية وتجعل منظرها

---

(١) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/١٤٦.
(٢) الأعلام: ٦/٦٧.
(٣) معجم المؤلفين: ٨/١٣٨.
(٤) مكارم الآثار در أحوال رجال دورة قاجار: ١/٢٠٩.
(٥) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/١٤٦.
(٦) الاعتصام بحبل الله، ص ٨ و (خرافات شيخية وكفريات إرشاد العوام، ص ١٢٤) و (الشيخية والبابية، ص ٢٠٧).

فاتناً [1]. وهي مركز جيلان[2] وهو اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان، سمّيت باسم جيلان بن كاشج بن يافث بن نوح، وليس فيها مدينة كبيرة وإنما هي قرى في مروج بين جبال، والعجم يقولون گيلان[3]. وتنقسم گيلان إلى (١٨) ناحية، مركزها جميعاً «رشت». ومن أقدم مدنها «الديلم» التي كانت عاصمة الملوك الديالمة، ولبعض الأجانب كتاب عنها[4]. ولكل من عباس كديور[5]، والسيد ظهير الدين المرعشي[6]، وعبد الفتاح النومني[7]، والشيخ حسن شمس الكيلاني[8]، وغيرهم كتاب في تاريخها.

٢ ـ ولادته ونشاته

ولد السيد كاظم في رشت عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م، كما قاله المعلم نقلاً عن «تاريخ سرتيب»[9] أو ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م كما قاله الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي[10] وغيره[11]، ويبدو للباحث أنَّ كلا التاريخين غير صحيح لأن عمره يكون يوم وفاة أستاذه الأحسائي تسعاً وثلاثين سنة! وهو مستبعد لأن بعض المجتهدين من كبار تلامذة أستاذه كالشيخ حسن جوهر قد تتلمذ عليه، واستجازه كما سيأتي بيانه، ولأن عمره يكون يوم وفاته ستاً وأربعين سنة وإنَّ إنتاجه العلمي ومؤلفاته الكثيرة بحاجة إلى زمن أطول لا سيما إذا عرفنا في ما يأتي أنه قضى فترة غير قصيرة من

---

(١) تاريخ علماء وشعراء گيلان، ص ٢١.
(٢) تاريخ گيلان للفومني / المقدمة / ح.
(٣) معجم البلدان: ٣/ ١٩٤.
(٤) هو: آ. شودزكو. له تاريخ گيلان ترجمه إلى الفارسية محمد علي گيلك، منشورات مجلة فروغ عام ١٣٠٧.
(٥) تأريخ گيلان، طبع في طهران عام ١٣١٩ ش.
(٦) تأريخ گيلان وديلمان، مطبعة العروة الوثقى، رشت، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م.
(٧) تاريخ گيلان، كتاب مدرسي للسنة الدراسية ١٣١٤هـ/ ١٣١٥م طبع في رشت.
(٨) تاريخ علماء وشعراء گيلان قم ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م ولم يترجم السيد كاظم فيه مع أنه ترجم لسائر علماء رشت قديماً وحديثاً، ولم يذكره السيد محسن الأمين في (أعيان الشيعة أيضاً).
(٩) مكارم الآثار در أحوال علماء دورة قاجار: ١/ ٢٠٩.
(١٠) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٤٦.
(١١) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: ١/ ٢٢٥.

عمره، خصوصاً بعد وفاة أستاذه في اضطراب وقلق ومضايقة من جراء المهاترات والخصومات وحرب الأعصاب التي كان يشنّها عليه معارضوه. ومع ذلك ظهر له من الإنتاج الغزير ما يتطلب عادة وقتاً أطول.

وقد ظهرت على الرشتي ملامح الذكاء منذ طفولته، فاهتم أبوه بتنشئته وعيَّن له معلماً أخذ عنه وتعلم القراءة والكتابة، ثم قرأ مقدِّمات العلوم على لفيف من العلماء والفضلاء فأتقنها، وعزم على الانتقال إلى بعض المدن الكبرى لتلقِّي العلوم العالية كما هو ديدن طلاب العلم من القرى والمدن الصغار. فخالف أهله وأقاربه رغبته[1].

ولم يكن السيد كاظم الرشتي من أردبيل كما قاله الدكتور جواد علي نقلا عن المستر براون[2]. ولكنّه لما نشأ طموحاً إلى معالي الأمور وأخذ يفتش عمَّن يهذب نفسه عليه، ويوصله إلى الرقي الروحي اعتكف عند قبر الصوفي الزاهد الشيخ صفيٍّ الدين الأردبيلي[3] في أردبيل أربعين يوماً[4]، وكان أهالي رشت وآذربايجان الشرقية يعتبرون قبر صفي الدين من أقدس الأماكن منذ القديم. ويقول الدكتور جواد علي نقلاً عن المستر براون أيضاً حكاية عن الشيخية إنَّ الإمام تجلّى للسيد كاظم الرشتي في ليلةٍ من الليالي وكان عمره إذ ذاك اثني عشر عاماً، وأشار عليه بوجوب الذهاب إلى مدينة يزد.. للالتحاق بحاشية الشيخ أحمد الأحسائي[5]. وحكى الجهاردهي عن السيد كاظم نفسه: إنّه أُرشد ـ وهو معتكف عند قبر صفي الدين في أردبيل ـ في عالم مرموز إلى الشيخ أحمد الأحسائي[6].

---

(١) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٤٦.

(٢) مجلة الرسالة المصرية، ص ٨٨٦، العدد ٦٣٣ إلى ١٣.

(٣) توفي الشيخ صفي الدين عام ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م وقد عقد السيد محسن الأمين فضلاً خاصاً لذكره وآلخ وأثبت نسبهم إلى الإمام وشرح أحوال ملوكهم منذ قيام دولتهم حتى انقراضها (معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر: ٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٨) وترجم لكل منهم في موسوعته (أعيان الشيعة).

(٤) شيخيگري بابيگري، ص ٨٦.

(٥) مجلة الرسالة المصرية، ص ٨٨٦ العدد ٦٣٣، السنة ١٣.

(٦) شيخيگري بابيگري، ص ٨٦.

أما الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي فيقول: إنَّ الرشتي رأى ـ وهو في رشت ـ فاطمة الزهراء عليها السلام في عالم الرؤيا ذات ليلة فأرشدته إلى الأحسائي، ولم يكن قد سمع به أو عرفه، وبعد أربع ليالٍ أخرى سنحت له في المنام ثانية، فدلته على مكانه، وهو يومئذ في يزد[1].

٣ ـ لقاؤه للأحسائي

سافر السيد كاظم إلى يزد، فالتقى بالشيخ أحمد الأحسائي، وحلّ في داره وبقي ضيفاً عليه أكثر من أربعين يوماً، يقضي وقته مع الرائح والقادم من ضيوف الشيخ في المحلّ المخصّص للضيافة، شبه معزول عن الشيخ وتلامذته وحاشيته، إذ لم يعره طول تلك المدة أدنى التفات، فذهب به الخيال كل مذهب وظنّ بالشيخ الظنون، ثم يئس من رعايته وإقباله وعزم على الهجرة إلى كربلاء والالتجاء إلى عتبة سيد الشهداء عليه السلام، عندها توجّه الأحسائي إليه وخصّه بزيارة وأفهمه تلويحاً أو تصريحاً أنه كان مأموراً بالاعراض عنه عندما كان متجهاً إليه بكلّه. أما بعد أن فهم إن للأحسائي سادة وقادة هم الأئمة من آل محمَّد عليهم السلام وفكّر بالالتجاء إليهم بادر إلى لقائه[2]. وقد وجد الرشتي عند الأحسائي ضالته، وتحققت رغبته، فتعلق به قلبه منذ اللقاء الأول ولازمه حضراً وسفراً، وواظب على حضور دروسه معقولاً ومنقولاً. وقد حظي عنده بمنزلة كبيرة لم ينلها سواه حتى صار أخصَّ تلامذته، وأرشد حضّار درسه، وأقربهم إلى نفسه لدرجة أنه كان لا يبدأ بالتدريس ما لم يحضر الرشتي حتى ولو حضر تلامذته كافة[3]. وقد وصفه

---

(١) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٤٧.

(٢) شيخيگري بابيگري، ص ٨٦ و٨٧. ولعله من قبيل ما رواه الغزالي في «إحياء العلوم» إن بعضهم رأى الشبلي في المنام فسأله: ماذا فعل الله بك؟ فقال: ناقشني حتى يئست فلما رأى يأسي تغمدني برحمته. كشكول البهائي: ١/ ٣ طبعة طهران عام ١٣٧٣ ـ ١٩٥٣.

(٣) مكارم الآثار در أحوال رجال دورة قاجار: ١/ ٢١٠. وشيخيگري بابيگري / ١٩٤. ويقال أن أفلاطون لم يكن يبدأ محاضراته إلاّ بعد أن يرى أرسطو بين تلامذته فإذا تأخر أرجأ أفلاطون حديثه وإذا استدعي منه الكلام يقول: «اصبر حتى يحضر الناس» وربما قال «حتى يحضر العقل» (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ص ٢١١) و (البدأ كانت الكلمة، ص ٣١).

الخوانساري بقوله: «تلميذه العزيز... قرة عينه الزاهرة وقوة قلبه الباهرة الفاخرة... ومن كان بمنزلة القميص على بدنه...»[1]. ويقول الإبراهيمي إنَّ الشيخ كان يقول في حقِّه: «ولدي كاظم يفهم[2] وغيره لا يفهم» وكان عمره إذ ذاك عشرين سنة[3].

٤ ـ هجرته إلى العراق

وقد ورد العراق بصحبة أستاذه الأحسائي في بعض أسفاره، وزار مراقد الأئمة عليهم السلام، فأمره أستاذه بالبقاء في كربلاء، فسكنها مشغولاً بالتدريس والإفادة. ويقول الإبراهيمي إنَّ العلماء المعاصرين له كالسيد علي الطباطبائي صاحب (الرياض)، والشيخ خلف بن عسكر، والسيد عبدالله شبّر، والسيد جعفر شبّر، والسيد حسن الخراساني، والشيخ نوح النجفي، والسيد محمد حسين الشهرستاني... قد اعترفوا بعلمه وفضله وزهده وتقواه، وشهدوا بمكانته السامية[4] وفي كلامه خلط وسهو، فبعض من ذكره متأخر عنه وأصغر سناً بكثير، فالشيخ نوح القرشي توفي عام ١٣٠٠هـ ـ ١٨٨٢م[5] بعد الرشتي بإحدى وأربعين سنة، والشهرستاني توفي عام ١٣١٥هـ ـ ١٨٩٧م[6] يعني بعد الرشتي بست وخمسين سنة، أما وفاة الطباطبائي؛ فقد كانت في سنة ١٢٣١هـ ـ ١٨١٥م[7] حينما كان عمر الرشتي عشرين سنة، ولم يكن اعتراف كل واحد منهم بفضل الرشتي عام وفاته، بل ظاهر كلام الإبراهيمي أنَّ ذلك كان على عهد أستاذه الأحسائي[8]، فمتى كانت شهادة الطباطبائي مثلاً؟ وكم كان عمر الرشتي يومذاك؟

---

(١) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: ١/ ٢٢٥.
(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٤٧.
(٣) شيخيگري بابيگري، ص ٨٧.
(٤) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٤٨.
(٥) ماضي النجف وحاضرها: ٣/ ٨٣.
(٦) طبقات أعلام الشيعة: ١/ ٦٢٧.
(٧) أعيان الشيعة: ٤٢/ ٤٤.
(٨) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٤٨.

ويبدو أنَّ الرشتي قد عاد إلى مسقط رأسه (رشت) أيام سكناه في كربلاء، وعندما كان أستاذه الأحسائي في كرمانشاه. فقد عثر الإبراهيمي على رسالة كتبها الرشتي لأستاذه من هناك، ونحن نقتطف منها بعض غرائب التعبير والأفكار، قال: من العبد الذليل إلى المولى الجليل الذي حار في بيداء فضائله الفكر العميق، كيف لا وهو المقرّ بولاية الوليِّ الأول في الكور الأول في الدور الثاني، وقدّر لنا السير فيه خاصة ليالي وأياماً آمنين، فكان هي القرية الطاهرة لأن التابع مثال المتبوع الملقى في هويته، فلا فرق بينه وبينه إلاّ أنه نوره وشعاعه، فهو المجاز الذي هو قنطرة الحقيقة كما أخبر الحق ﴿**وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين**﴾[1] فكان كما أخبر به الحق سبحانه موضّحاً لتلك السبل ومرشداً للبعض إلى الكل... فهزم أحزاب المتشبهين المموّهين المتّسمين بالحكماء، وهدم أركان الضالين المضلين المتلبسين بلباس العلماء، وهم أجل الجهلاء وأحمق الحمقاء «أتباع كل ناعق يميلون مع كلِّ ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق»[2]... العالم العامل... فلك الحياة وبحر الممات، الذي جمع الأضداد ورفع الأنداد... وهو من المعنيين في قوله تعالى: ﴿**إنما أنت منذر ولكن قوم هاد**﴾ [الرعد/ ٣]. وشيخ الطائفة والقطب في الدائرة...

---

(١) سورة سبأ، ١٧. وفيه إشارة إلى رأي من يفسّر القرى المباركة بالأئمة من آل محمد عليهم السلام والقرى الظاهرة بالمحدثين والرواة والفقهاء. فقد جمع السيد هاشم البحراني عدداً من الأحاديث الواردة عن طريق الشيعة بذلك المعنى في تفسيره «البرهان» في آخر الآية المذكورة واعتمده كثيرون منهم الشيخ أغا بزرك الطهراني في (مصفى المقال في مصنفي علم الرجال، ص ٢) و (الإسناد المصفى إلى آل بيت المصطفى ٣ ـ ٤) مع أن مفسري الشيعة القدامى لم يتعرضوا إلى ذلك حتى بنحو من الإشارة. وإنما أكملوا بالآية وما بعدها تفسير سابقتهما فيما يخص مساكن سبأ وقرى الشام التي حظيت بالبركة من ماء وشجر وثمر ونحوها. يراجع (تفسير القمي: ٢/ ٢٠٠) و (التبيان: ٨/ ٣٨٣ ـ ٣٨٩) و (مجمع البيان: ٨/ ٣٨٦و ٣٨٧) وغيرها.

(٢) تضمين... من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد النخعي، وهو: الناس ثلاثة فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع... الخ» (نهج البلاغة: ٣/ ١٨٦).

أما بعد: فيا كافل أيتام آل الرسول[1]... ألم تستخبر عن حال هذا المسكين؟ ... وقد انقطعت عن مركزي، وبعدت عن موطني ومسكني وأرى نفسي فقيراً غريباً... لأنك أحييتني بعد أن كنت ميتاً، وأمتني بعد أن كنت حيّاً، وآمنتني بعد أن كنت خائفاً، وأخفتني بعد أن كنت آمناً، وعلّمتني بعدما كنت جاهلاً، وأجهلتني بعدما كنت عالماً، فكان علمي عين جهلي في عين علمي، وجهلي عين علمي في عين جهلي... بلغتني مقام الجمع، وأطلعتني على الفرق في عين الجمع... ولكن لبانات في الصدر ما أقدر أتفوّه بها خوفاً من فرعون وملئهم... إن الفقير منذ فارقتكم ـ **﴿ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾** [مريم/ ٢٣] ـ فإنَّ الموت أسهل كما قال مولاي روحي فداه[2]:

يقولون: إن الموت صعب وإنّما[3] مفارقة الأحباب والله أصعب

الحاصل بعد المفارقة ما لاقيت أحداً إلاّ ورأيته ليس على طريق ثابت مستقيم ولا منهج محكم قويٍّ، لا حظّ له في الدين إلاّ حفظ العبارات وإذا أوردت عليه شبهة في أمر الدين يرتطم كما يرتطم الحمار في الوحل... **﴿إن هم كالأنعام بل هم أضل﴾** [الفرقان/ ٤٣]... الخ.

وإلى القارئ مقتطفات من جواب الشيخ الأحسائي على رسالة الرشتي: «... وقد أتاني من جنابكم خطّان على غير ما أظن، ومضمون ذلك: إني عندكم من المنسيين، فاعلم بأنّي قد وضعت جنابك، مني موضعاً ليس بمعروف عند الناس، وأنا توهّمت أنه معروف عند جنابك وإلاّ لبذلت لك ما أبذله لغيرك. فالآن أُخبرك بحجتي والكل مسؤول عما يقول: لي أسباب... ثانيها يقول الله سبحانه: **﴿فأردت أن أعيبها﴾** [الكهف/ ٧٨] لعلمي بأنَّ هذا الغبار المثار الذي بلغ رأسه أعنان السماء إنما سبب إثارته أنا، والتغافل مني عنك وعن أمثالك إن لم

---

(١) يقصد بأيتام آل محمد: شيعتهم.

(٢) من الشعر المنسوب للإمام علي عليه السلام.

(٣) وفي بعض المصادر: على الفتى.

ينفع لا يوجب زيادة الغبار من الأغيار. وأما الاحتمالات الواردة فليس لها إلا الصبر فإن لكل شيء أجراً مقدّراً غير الصبر، فإنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر/١٠]. وأما هذا الأمر فلا بدّ له من مقرّ ﴿ولكل نبأ مستقرّ﴾ [الأنعام/٦٦]. . . فإذا أردت أن تعتبر فانظر إلى أحوالي فإني عزمت على سفر الزيارة للرضا عليه السلام وحصل لي منع. وهممت بزيارة العتبات وحصل لي منع مستمرّ إلى شوّال. هذا ظاهر الحال ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم. ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ [ص/٨٨]. فإن قدّر الله ذلك قرأت قول الشاعر:

يا ناق سيري عنقاً فسيحاً إلى سليمان فنستريحا[١]

. . . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، إنه حميد مجيد[٢].

٥ ـ مشايخه

يظهر لنا أن تتلمذ الرشتي كان مقتصراً على شيخه الأحسائي، وأنه لم يأخذ عن أحد من العلماء غيره. فليس في المصادر التي تعرَّضت لذكره وسيرته شيء عن ذلك. نعم، أُجيز من جماعةٍ ذكرهم في بعض ما كتبه لتلامذته من إجازات كإجازاته للشيخ حسن جوهر[٣] وقد ذكرهم أيضاً الشيخ محمد علي الحبيب آبادي في ترجمة الرشتي[٤] نقلاً عن إجازة أخرى، وهم كما يلي:

١ ـ الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي المتوفى عام ١٢٢٨ ـ ١٨١٣.

٢ ـ السيد عبدالله شبّر الكاظمي المتوفى عام ١٢٤٢ ـ ١٨٢٦.

٣ ـ الشيخ علي الرشتي. . .؟[٥]

٤ ـ الشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى عام ١٢٤١ ـ ١٨٢٥.

---

(١) قاله المجلي. وهو من شواهد النجاة في نصب «نستريح بالفاء لوقوعه جواباً للأمر. انظر (شواهد القطر، ص ٧) طبعة دار الكتب العربية عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م.

(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/١٤٨ ـ ١٤٩).

(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/٢٢٧.

(٤) مكارم الآثار در أحوال رجال دورة قاجار: ١/٢١٧.

(٥) لم نتوصل إلى معرفة هذا الشيخ بالرغم من الاستقراء!! فليس له في كتب التراجم التي في أيدينا ذكر مطلقاً.

٦ ـ تلامذته

والحديث عن تلامذة السيد كاظم الرشتي كالحديث عن تلامذة أستاذه الأحسائي تماماً. فعددهم كبير بالمئات وربّما كان أكبر من عدد تلامذة شيخه، فقد كانت له عبر السنين الطوال حوزات آهلة ومجلس درس حاشد. لكن الشبهات التي كانت تلاحقهم ـ كانت أقوى منها في عهد الأحسائي ـ، والأذى الذي كانوا يتعرّضون له أكثر منه في ما مضى، ما جعلهم ينكرون التلمذة على الرشتي، بل يبرؤون من علاقته وينفون رؤيته. ولذلك فإنّنا لم نعرف منهم إلاّ عدداً صغيراً وأفراداً معدودين، وربّما كان هذا العدد كثيراً بالنسبة لما كان يلقاه ويعامل به من ينتسب إلى الرشتي أو يعدّ متخرّجاً من مجلس درسه. وهؤلاء أيضاً قد وجدت أسماؤهم متفرّقة في العديد من المصادر، ولم يذكروا بعنوان التلمذة، بل نقلت عنهم في الغالب قصص وأحاديث في ما يخصّ حياة الرشتي، وما اتّفق له وجرى عليه وفهم منها ضمناً أنهم من حضّار درسه. وقد كان للبابية يد في ضبط عدد من هذه الأسماء في الكتب التي ألّفت في حياة الباب. فبعض هؤلاء شركاؤه في التتلمذ على الرشتي، وعدد منهم ممَّن آمن به بعد إعلاء دعوته، فحفظت اسمه مصادر البابية وإلاّ فلم تحفل مصادر الشيخية بشيءٍ من ذلك ما عدا نفر قليل. كما يعود بعض الفضل إلى الشيخ محمد علي الحبيب آبادي حيث أحصى منهم ثمانية عشر[1] وبالرغم من الجهد الذي بذلناه في الفحص عنهم، فإنّنا لم نزد على ما ذكروه أكثر من «١٤» اسماً، وإليك قائمة بأسمائهم:

١ ـ الشيخ إبراهيم بن عبد الجليل صاحب «تحفة الملوك»[2].

٢ ـ الميرزا إبراهيم الشيرازي[3].

---

(١) مكارم الآثار در أحوال رجال دورة قاجار: ١/ ٢١٧ ـ ٢٢٠.

(٢) شيخ أحمد أحسائي، ص ٢٩.

(٣) مكارم الآثار: ١/ ٢١٩. وقد كان حياً إلى عام ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م فقد كتب تلميذه السيد كاظم بن مصطفى الحائري بأمره كتاب «اللمعات» لجوهر في التاريخ المذكور. (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٨/ ٣٤٣).

٣ ـ ولده السيد أحمد الرشتي المتوفى عام ١٢٩٥ ـ ١٨٧٨[١].

٤ ـ الشيخ آغا أحمد المجتهد التبريزي[٢].

٥ ـ المولى أحمد المراغي[٣]. وقد سمّاه السيد عبد الرزاق الحسني: أحمد أبدال المراغي[٤] وهو من حروف «حي».

٦ ـ الشيخ أحمد بن إسماعيل الخراساني. صار بابياً كما يظهر من كتابه[٥].

٧ ـ الميرزا حسن الدهلوي العظيم آبادي صاحب «أصول الدين» والمتوفى في حدود ١٢٦٠ ـ ١٨٤٤[٦].

٨ ـ الميرزا حسن الطبيب[٧].

٩ ـ الشيخ حسن جوهر. صاحب «شرح حياة الأرواح» والمتوفى ١٢٦٦ ـ ١٨٥٠[٨].

١٠ ـ المولى حسين البشروي. أول من آمن بالباب[٩] وعبّر عنه الباب في خطابه

---

(١) شعراء من كربلاء: ١/ ١٤٤.

(٢) شيخيگري بابيگري، ص ١٦١.

(٣) فتنة باب، ص ٧١.

(٤) البابيون والبهائيون في ماضيهم وحاضرهم، ص ١٨.

(٥) في مكتبة الأديب حسن عبد الأمير في كربلاء مجموعة خطية فيها فصل بخط الخراساني هذا أتحدث فيه عن انقسام الشيعية بعد وفاة أستاذه الرشتي واعتبر البابية قيماً لقومه قال ما نصه: «والشيخية على فرقتين البابي وغيره. أي كوهري والبابي (كذا) أيضاً صاروا فرقتين منهم الذين اتبعوا بنت صالح القزويني (يقصد قرة العين) الذي (كذا) أنكر (كذا) الشيخ الكريم والسيد العظيم..» وهو يقول عن الرشتي والباب والبشروي) سلام الله عليه. وقد نسخ هذا المخطوط الأستاذ عبود حسن الصالحي واطلع الدكتور علي الوردي عليه فنقل عنه في (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١٥٨) لكنه لم يخبر الوردي عن أصل الكتاب الموجود كما وضع له اسم «عقائد الشيخية» من عنده إذ لم يجده على المخطوط.

(٦) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨ و (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢/ ٨٢ و١٨٦ و٥/ ١٨٨ و٦/ ٣٨٤).

(٧) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٥٣.

(٨) طرائق الحقائق: ٣/ ١٥٢ و (الرسائل المهمة في التوحيد والحكمة، ص ٤) و (طبقات اعلام الشيعة: ٢/ ٣٤١) و (الذريعة: ١/ ٢٧٧).

(٩) مطالع الأنوار، ص ٥٠، و (مكارم الآثار: ١/ ٢١٨).

لـه بـ «بـاب البـاب»[1]. وقد قتل في حادثة قلعة الطبرسي التي استبسل فيها البـابيُّـون ـ ولا سيَّمـا البشـروي ـ وأبـدوا من فنون الحرب ما حيّر العقول، وأدهش الخصـوم[2]. وذلك فـي ليلـة تاسع ربيع الأول عام ١٢٦٥ ـ ١٨٤٩ ودفن في القلعة، وعفي أثر قبره لئلا يمثّل به أعداؤه[3].

١١ ـ الشيخ حسين الكنجوي[4].

١٢ ـ زرّيـن تـاج (التـاج الـذهبـي) ابنـة الشيـخ صـالـح البرغاني القزويني، وهي المشهـورة بـ «قـرة العيـن» وكـانت تـكنّى بـأم سلمى. وقد التحقت بالباب وصـارت مـن أكبـر دعـاته وقتلت في شوال عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م[5] وقال السيد عبد الرزاق الحسني: إنها سافرت إلى كربلاء لملاقاة الرشتي، فوجدته قد تـوفـي قبـل وصـولها، وأنها لما كتبت إليه قبل هجرتها إلى كربلاء افتتح جـوابه لها بقوله: «يا قرة عيني وراحة فؤادي». فلقّبت بقرة العين[6]. ونقل السيد محسن الأمين ذلك عن الشيخ شفيع الجابلقي أيضاً[7]. ونفى الشيخ علـي الحـائـري تـلك النسبـة إلى الرشتي، وقال إنَّ ذلك من ادعاءات البابية لتـرويـج آرائهم[8]. ويستـفاد من أقوال آخرين أيضاً أنها لم تدركه أو تتلمذ عليه، ولكن الشيخ محمد علي الحبيب آبادي قد ذكرها في عداد تلامذته[9] وكـذا اعتضـاد السلطنـة[10]. وقـد عقـد الـدكتور علي الوردي فصلاً خاصاً لـذكـرهـا، اعتمـد فيـه علـى مصادر عديدة منها كتاب مخطوط لبعض أفراد

(١) البابيون والبهائيون في ماضيهم وحاضرهم، ص ١٩.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) مطالع الأنوار، ص ٣٠٣.
(٤) عقيدة الشيعة، ص ٧٢.
(٥) مفتاح باب الأبواب، ص ١٨١ ـ ١٨٣.
(٦) البابيون والبهائيون في ماضيهم وحاضرهم، ص ٣٢.
(٧) أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩٤.
(٨) عقيدة الشيعة، ص ٩٢.
(٩) مكارم الآثار در أحوال رجال دورة قاجار: ١/ ٢١٨.
(١٠) فتنة باب، ص ٢.

عـائلتهـا نـصّ فيـه مؤلفه على أنها قطنت كربلاء على عهد الرشتي نحو اثنتي عشرة سنة، وعادت إلى تبريز وفي زيارتها الثانية كان الرشتي قد توفي[1].

١٣ ـ الشيخ شريف الكرماني[2].

١٤ ـ الشيخ شفيع ثقة الإسلام التبريزي[3].

١٥ ـ الشيـخ عـلـي البسطامي. التحق بالباب أيضاً، فأرسله بعد إعلان دعوته إلى العراق مبشراً بها وداعية إلى المذهب الجديد، فجمع نجيب باشا والي بغداد لفيفاً من علماء الشيعة والسنة من بغداد وكربلاء والنجف لمحاججته فأفحموه وأفتوا بكفره[4] وكان ذلك عام ١٢٦٠ ـ ١٨٤٤ ولا يعلم كيف ومتى لقي حتفه[5].

١٦ ـ الشيخ علي الترشيزي، كان من خواصّ الرشتي والتحق بالباب أخيراً، فصار من خلفائه، ولقب بحضرة «عظيم» لأن كلاً من كلمتي «شيخ علي» وكلمة «عظيم» تساوي بالحساب الأبجدي (١٠٢٠) وقد صار رئيس بابية طهران.

---

(١) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١٥٢ ـ ١٩٠. ومن شؤون مجتمعنا المضحكة المبكية ما ذكره الدكتور الوردي عندما خص بعض ملاحق كتابه بذكر الماسونية من أن بعض الناس قد أشاع أن الوردي قبض من البهائيين خمسة عشر ألف دينار لقاء الفصل الذي كتبه عن قرّة العين. وتساءل الوردي عن المبلغ الذي سوف يقبضه من الماسونيين لقاء الملحق الخاص بهم (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٣/ ٣٣٠). ويحق لنا ـ على ضوء ذلك ـ أن نتساءل عن المبلغ الذي سوف نقبضه من الشيخية لقاء هذه الدراسة. أو من شيخية تبريز لقاء مؤاخذات شيخية كرمان أو بالعكس. ويجب أن ننصف المجتمع بعض الشيء ـ وإن كان جاهلاً سطحي الثقافة ـ فلا نلقي التبعة كلها عليه بل نشرك معه بعض أصحاب الأقلام التي تشترى وتباع بثمن بخس ودراهم معدودة. وبعض العلماء والشعراء الذين أوقفوا ذممهم ومواهبهم على من هب ودب «وتنبح بين يدي من غلب» كما قال شاعر الطالبيين الرفيع خلقاً وسيرة الشريف الرضي رحمه الله.

(٢) عقيدة الشيعة، ص ٧٢.

(٣) شيخيگري بابيگري، ص ١١٦.

(٤) مستدرك وسائل الشيعة: ٣/ ٣٧٢ و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٣١٨ ـ ٣١٩) و (معارف الرجال: ١/ ٢١٥ ـ ٢١٦) و (ماضي النجف وحاضرها: ٣/ ١٤٨) و (البابيون والبهائيون في ماضيهم وحاضرهم، ص ١٩) و (فتنة باب، ص ٧١).

(٥) مكارم الآثار در أحوال دورة قاجار: ١/ ٢١٩) و (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١٤٠).

وطورد، فلم تستطع السلطة القبض عليه حتى وقعت حادثة إطلاق النار على السلطان ناصر الدين شاه عام ١٢٦٨هـ/ ١٨٥٢م، فألقي القبض عليه وقطعت أذناه أولاً، وربط بسلسلة في ممرّ بعض المباني الحكومية حتى قتل قومه جميعاً، فقدّموه إلى مجلس علماء أفتوا بقتله، فألحق بأصحابه[١].

١٧ ـ المولى علي معين الإسلام[٢].

١٨ ـ السيد علي محمد الشيرازي الملقب بالباب (مؤسس البابية) وقد سها السيد محسن الأمين، فعدّه من تلامذة الشيخ أحمد الأحسائي[٣]، وتبعه الدكتور حسين علي محفوظ[٤]. وحمل الشيخ علي الحائري الأمين على الغرض للنيل من الأحسائي بنسبة تعاليم الباب إليه[٥]. وقد أُعدم الباب رمياً بالرصاص يوم الاثنين ٢٧ شعبان ١٢٦٥ = تموز ١٨٤٩م كما تدعيه سجلات الحكومة الإيرانية[٦] أو ٢٨ شعبان ١٢٦٦ ـ ٩ تموز ١٨٥٠ كما تقول كتب البابية[٧] وكان قد التحق بالباب في بادىء أمره وتابعه وآمن بمعتقده ثمانية عشر رجلاً كلهم من العلماء على الظاهر، وقد سمّاهم حروف (حي) فالحاء بالحساب الأبجدي ثمانية، والياء عشرة، ومجموعها: ثمانية عشر[٨] ويمكن أن يقال إنَّ هؤلاء هم بذرة البابية ونواتها الأولى.

١٩ ـ الميرزا علي نقي القمي الملقب بالهندي، صاحب (نور الأنوار في ترجمة الأحسائي والرشتي والكرماني)[٩].

---

(١) فتنة باب / ٤٠ و٤٧ و٥٠ و٥١.
(٢) شيخيگري بابيگري، ص ١١٦.
(٣) أعيان الشيعة: ٨/ ٤٠١.
(٤) تاريخ الشيعة، ص ٦٧.
(٥) عقيدة الشيعة، ص ٩٣.
(٦) الكواكب الدرية في مآثر البهائية، ص ٣٣٧.
(٧) مطالع الأنوار، ص ٢٠٤.
(٨) البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم، ص١٨. و (فتنة باب/ ٢٧) و (مكارم الآثار: ١/ ٢١٩).
(٩) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٤٤ و١٦٢.

٢٠ ـ الشيخ عيسى اللنكراني. وهو اسم مستعار للجاسوس الروسي (دالكوركي) مفوض السفارة الروسية في طهران عام ١٢٥٠ ـ ١٨٣٤ ووزيرها المفوض فيما بعد[١].

٢١ ـ الشيخ محمد بن الشيخ حسين أبو خمسين الأحسائي[٢].

٢٢ ـ الميرزا محمد التنكابني صاحب (قصص العلماء) والمتوفى عام ١٣٠٢ ـ ١٨٨٤[٣].

٢٣ ـ الشيخ محمد العابد[٤].

٢٤ ـ الشيخ محمد تقي الهروي[٥].

٢٥ ـ السيد محمد تقي الهندي[٦].

٢٦ ـ الميرزا محمد جعفر الصدر[٧].

٢٧ ـ السيد محمد حسن الموسوي[٨].

٢٨ ـ المولى محمد حسن الكرماني الملقب بالمحيط. وهو الذي ربّى ولديه السيد أحمد والسيد حسن، وادّعى نيابته[٩].

٢٩ ـ الميرزا محمد حسين المامقاني المتوفى عام ١٣٠٣ ـ ١٨٨٥[١٠].

٣٠ ـ الشيخ محمد علي البارفرشي، وقد صار من أعاظم البابية ولقب بـ (قدّوس) وكانت له مكانة محترمة لدى البابيين الأول[١١]. وعدّه بعض المؤلفين أعلى

---

(١) مذكرات دالكوركي، ص ٦٢.
(٢) شرح حياة الأرواح: المقدّمة / هـ.
(٣) قصص العلماء، ص ٢٩ و (نقطة أولى جمال أبهى! مركز ميثاق / ٣٥).
(٤) البابيون في حاضرهم وماضيهم، ص ٩.
(٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٨/ ١٣٦ و١٨/ ٣٦٦.
(٦) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٤٥.
(٧) مكارم الآثار در أحوال رجال دورة قاجار: ١/ ٢١٩.
(٨) قصص العلماء، ص ٢٢، و (مكارم الآثار: ١/ ٢١٨ و٢٠) وفيهما أنه مجاز منه في الرواية فقط.
(٩) فتنة باب / ٢ و (مكارم الآثار: ١/ ٢١٨) و (الذريعة: ٥/ ٢٠٨).
(١٠) شيخيگري بابيگري، ص ١١٦.
(١١) فتنة باب، ص ٢٧.

رتبة من الباب نفسه[1]، وقد اختاره الباب لمرافقته في سفرة الحج[2]، ولما قتل البشروي في حادثة قلعة الطبرسي عام ١٢٦٥ ـ ١٨٤٩ استلم الرئاسة (قدوس) بوصية منه، وأنزل إلى طلب العون العسكري من طهران، فأسرع إلى نجدته سليمان خان الأنشار قائد القوات الإيرانية بالعديد من الجنود والكثير من العتاد فلم يستطع إخضاعهم، واضطر مهدي قلي لمفاوضة البابيين وإنهاء القتال صلحاً، فرحب (القدوس) بالفكرة فخدع ونقل مع بعضٍ من صحبه إلى بارفروش، فسلم إلى العلماء وقتل شر قتلة[3] وهو من حروف (حي).

٣١ ـ الحاج محمد كريم خان القاجاري رأس شيخية كرمان ومدَّعي خلافة الرشتي، وقد توفي عام ١٢٨٨ ـ ١٨٧١[4].

٣٢ ـ المولى مهدي الخوئي، وقد التحق بالباب، وهو من حروف (حي)[5].

٣٣ ـ السيد هادي الهندي صاحب (تنبيه الغافلين وسرور الناظرين)[6].

هذا ما أمكننا معرفته والوقوف عليه من تلامذة الرشتي، ولعلّ في ما لم يقع في أيدينا من المصادر الفارسية ما فاتنا ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ [يوسف/ ٧٥].

٧ ـ آثاره

والرشتي كأستاذه الأحسائي من ناحية تركته العلمية، فقد خلّف ثروة فكرية ضخمة. ومن يقف على آثاره يمتلكه العجب حين يلمس مشاركته في المعقول

---

(١) نقطة الكاف، ص ١٣٤.

(٢) مكارم الآثار در أحوال رجال ذورة قاجار: ١/ ٢١٩. و (نقطة أولى! جمال أبهى! مركزميثاق، ص ٦٠ و٦١).

(٣) البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم، ص ٣٧.

(٤) شيخيگري بابيگري، ص ٢٥.

(٥) فتنة باب / ٧١.

(٦) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٤٤ ـ ١٤٥ و١٦٢.

والمنقول وخبرته الواسعة في مختلف المواضيع الإسلامية. لا سيما عندما يتصوّر ما كان يحيطه من قلقٍ واضطرابٍ وما كانت تتّصف به حياته من فقدان الطمأنينة وعدم الاستقرار، فقد قضى عمره في صراعٍ عنيفٍ مع خصومه ومقاومة ضارية للحفاظ على نفسه. فكيف استطاع ـ في مثل ذلك الجو المحموم ـ أن ينتج وهو الذي لم يخلد إلى الراحة والهدوء؟ وآثاره على ما فيها من تهافت وغريب آراء وشذوذ وخروج على الرأي والمعتقد السائد؛ يتّسم معظمها بالعمق وبعد النظر والتوغّل في الحكمة والتضلع في العلوم الغريبة.

وأغلب آثار الرشتي ـ كآثار أستاذه الأحسائي ـ رسائل وأجوبة مسائل، إذْ كان تلامذته وأتباعه يوجّهون إليه العديد من الأسئلة في مختلف العلوم، وكان خصومه يؤاخذونه على آرائه وآراء شيخه الأحسائي، فيعمد إلى تأليف رسالة في أجوبة ما يسأل عنه أو ردّ ما اعترض به عليه. وقد جمع بعض أتباعه بعد وفاته عدداً من هذه الرسائل وأجوبة المسائل، فنشره في مجلدين باسم «مجموعة الرسائل» في تبريز عام ١٢٧٦ ـ ١٢٧٧ = ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠ وذلك بهمة الميرزا محمد شيخ الصدر، ونفقة سليمان خان بن شمخال خان. ولم تبع من المجموعة نسخة واحدة، وإنما اعتبرت وقفاً شرعياً ـ كآثار الأحسائي ـ لا تباع ولا ترهن، وإنما توزع على أهلها والقابلين للاستفادة منها[1] وقد سمَّاها الشيخ أغا بزرك الطهراني بـ «الرسائل وأجوبة المسائل»[2].

وكل كتبه عقائدية تحتوي على آرائه حتى ما كتبه في الفقه والتفسير، فقد أخضعه للتأويل وفق رأيه اعتسافاً. ولكن كتبه الكبار الثلاثة «شرح الخطبة التطنجية» و «شرح القصيدة اللامية» و «أصول العقائد» كافية لأن تعطي فكرة كاملة عن معتقداته وآرائه في مختلف المسائل والمواضيع الإسلامية وحتى ما وراء الطبيعة.

---

(١) مجموعة الرسائل: ٢/ ٣٤٧.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١١/ ٢٦٠.

وقد اعتمدت في أحصائها وتعيين مواضيعها على مراجع ترجمته من كتب الشيخية وغيرهم ووقعت في المأزق نفسه الذي وقعت فيه عندما عملت ثبتاً بآثار الأحسائي وذلك لتشابه الأسماء ولتعدد الرسائل وأجوبة المسائل في الموضوع الواحد، وللشخص الواحد فقد كتب في أجوبة مسائل بعض الناس أكثر من رسالة، ولذلك فقد يشكُّ في اتحاد رسالتين ويظن أنهما واحدة، وقد يحتمل التعدّد والأصل واحد كما أشير إلى نظير ذلك في الكلام على تأليف أستاذه. فـ «أجوبة مسائل الشيرازي» و «رسالة في جواب مسائل. . .» و «جوابات المسائل الشيرازية» يحتمل أن تكون أسماء متعددة لكتاب واحد سماه كل مترجم للرشتي باسم خاص من عنده.

وقد فضّلت الاعتماد على ثبت مؤلفاته الذي ذكره بنفسه، وهو الذي نشر في آخر كتابه «دليل المتحيِّرين» حيث يظن القارىء لأول وهلة أنه أصح وأتم من غيره لأن الرشتي فرغ من كتابه المذكور عام ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م يعني قبل وفاته بأقل من عام. ولكن بدا لي أخيراً أن ثبت مؤلَّفات أستاذه الأحسائي وثبت مؤلفاته هو قد ألحق بالكتاب إلحاقاً وليس من أصل الكتاب، وإن كان من قلمه كما هو واضح من تعابيره لأنه أنهى الكتاب بصفحة ١١٥ وبدأ في ص ١١٦ بذكر مؤلفات الأحسائي حتى ص ١٣٢ التي بدأ فيها بذكر مؤلفات الرشتي تحت عنوان «تصنيفات المؤلف أعلى الله مقامه». مما يدل على أن العنوان من وضع الناشر، أمَّا المتن فهو بقلم الرشتي حتماً كما أسلفناه لأنه بدأه بقوله: «أما كتب الحقير ومصنفاتي. . الخ» لكنه كتبه في وقت آخر لا عند تأليفه لدليل المتحيرين لأنه لم يجعله الأخير في الذكر، ولم يقل عند ذكره: إن هذا الكتاب حسب ما هو متداول. ثم إنه تكلم عن موضوعه باختصار ولو كان وضع الفهرس مع تأليف الكتاب لما تكلم عنه لأنه ذكر في مقدَّمته أسباب تأليفه ولم تكن له حاجة لإعادتها أخيراً.

وللتأكُّد من ضبط العدد وتحديد الموضوعات رجعت إلى ما كتبه الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي لدقته في عمله وفحصه للآثار واحداً واحداً، فوجدته قد أنهاها

إلى (١٦٦) رسالة، وخطبتين، وثلاث فوائد، ومراسلة. ومجموعها (١٥٦٩٣٢) سطرا في ١٧٢ مجلداً، ٦٤ منها مفقود[١]. ولا بد من الإشارة إلى العناية الفائقة التي بذلها الإبراهيمي والجهد المضني الذي تحمَّله في التحقيق والتدقيق والتنظيم، وقد كان بحثه خير عون لي على إنجاز هذا الفهرست، إذ قارنت ما كتبه بالثبت الذي دوّنه الرشتي بنفسه وخرجت منهما بالقائمة الآتية التي أكاد أركن إلى صحتها، وأعتقد أنها أوفى وأجمع من غيرها.

(١) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ٢/٨٦-١٦٧.

الفصل الثاني: أحداث عصره ونهايته

١ ـ تحول المعارضة إليه وتكفيره

انتقل الأحسائي إلى جوار ربه، فظنّ خصومه أن أفكاره قد ماتت معه ولم يعد لها شأن يستحق الاهتمام، فخمدت أصوات مناوئيه فترة. غير أن ظهور تلميذه الرشتي وزعامته المبكّرة وخضوع كبار تلامذة الأحسائي له، وجرأته في السير على هديه وتبنّي آرائه والدفاع عنه وعنها والبرهنة على صحتها وعدم فهم المعارضين لمقاصده، كلُّ ذلك جعلهم يحشّدون قواهم من جديد، ويوحّدون صفوفهم للوقوف في وجهه. وبدأت المهاترات ثانيةً بأسلوب أعنف وضراوة أشدّ ووقفوا منه موقفاً بعيداً عن الرحمة والإنسانية، مخالفاً للحياء وأخلاق العلماء وما يجب أن يكون عليه رجال الدين من سيرة تحتذى وسلوك يتّبع. وكثر نقده في المجالس وثلبه على ألسنة الخاصة والعامة من الناس، وكانت بداية الاتصال به أن أرسلوا إليه من يأمره بترك ما هو عليه من تدريسٍ وإفادةٍ، فكان جوابه: إنه يدرّس مواضيع هي صلب الإسلام وأصوله كالتوحيد ومراتبه، والنبوة ودلائلها، والإمامة ولوازمها، والتشريع وفلسفته، والأحكام وفائدتها، وما إلى ذلك، فما الداعي إلى تركها؟ فقالوا: إنك تدرّس الحكمة، والحكماء ضالون مضلّون. فردّ عليهم: بأنَّ الله أثنى عليها في كتابه الكريم، وخصّ بها رسله وكرّم أنبياءه، واستشهد على ذلك بعدد من آيات القرآن، وقال معقباً: وإذا كان البعض قد توغّل في الحكمة، فخرج عن الطريق وانحرف عن الاعتقاد السليم فلا يدلُّ ذلك على فساد العلم أو يدعو إلى تركه وإهماله، فليس في العلوم ما لم يتكلم فيه أهل الباطل، ولم يدخلوا فيه ما ليس منه حتى الفقه، وإذا كان كذلك؛ فعليكم أن تنبذوه ولا تتدارسوه، فردّوا عليه: بأن معرفة العوام كافية، والمعرفة الإجمالية مجزية، والخوض في تفاصيلها والبحث عن مسائلها غير واجب ولا لازم. وظلَّ معهم في أخذ وردّ وهو يناقش علمياً ويستدلُّ كثيراً بالآيات والأحاديث والنصوص، حتى

قالوا: إنهم لا يريدون منه ترك التدريس، بل ترك منهج الأحسائي الذي سلكه. فتساءل عن العيوب التي بدت لهم في الأحسائي، وعن الفرق بينه وبين العلماء السابقين، ولماذا وثّقه المعاصرون له وشهدوا بعظمته إذا كان فيه نقص أو عيب؟ فقالوا: لم يتبين منه للسابقين ما تبيّن لنا، فلا نكلّف بأقوالهم. فأجابهم بأن ذلك عين جواب السلف الأول لما قال لهم بريدة الأسلمي: إنَّ رسول الله ﷺ نصب علياً عليه السلام للخلافة فما عدل بكم عنه إلى ابن أبي قحافة؟ قالوا له: حضرنا وغبت والحاضر يرى ما لا يراه الغائب[1].

لم يقتنع القوم بأجوبته وردوده وما دافع به عن نفسه وعن شيخه الأحسائي، وأصرّوا على إحضاره في مجلس عام لمناقشته فرضي مرغماً، ومهّدوا لذلك بدعاية واسعة وبعثوا الرسل تلو الرسل لدعوة الناس من الأطراف للاجتماع والتفرّج وعيّن موعد لعقد المجلس[2] وكان انعقاده في بيت السيد محمود بن السيد علي الطباطبائي صاحب «الرياض»[3] وقد تضاربت بعض المصادر في وصف ذلك المجلس وتناقضت الأقوال حول ما دار فيه من نقاش، والقول الفصل ما كتبه الرشتي نفسه في ذلك، فلنستمع إليه وهو يقصُّ ما وقع له، قال:

«واجتمع فيه خلقٌ كثير يبلغ عددهم ألوفاً، وما فيهم من يصدِّقني، واحضروني في ذلك المجلس الشديد وإنه ليوم عصيب، وجاء القوم يسرعون من كلِّ جانب ولهم من رؤسائهم جواذب، وأنا إذ ذاك بينهم وحيد فريد، فقال لي واحد منهم في ذلك المجلس: ﴿**إنَّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنِّي لك من الناصحين**﴾ [القصص/١٩]. أنّى لي والخروج وقد حفّ القوم بي من كلِّ جانب ومكان شاكين بأسلحتهم، مشتملين بأرديتهم كأنهم أتوا للجهاد بين يدي المبعوث

(١) دليل المتحيرين، ٥٤ ـ ٦٣.

(٢) هداية الطالبين، ص ١٣٧.

(٣) أسرار الشهادة، ص ٩٣. و (شيخيگري بابيگري، ص ١١٢). ولم يصرح الرشتي باسمه بل اكتفى بقوله: صاحب المجلس. (دليل المتحيرين، ص ٦٩) وغير عنه الحاج محمد كريم خان الكرماني بقوله: كان من أكابر كربلاء: (هداية الطالبين، ص ١٤٠).

من ربٌ العباد. فلما استقرّ بنا وبهم الجلوس سألتهم: لماذا هذا الاجتماع؟ وما الموجب لهذه الغوغاء؟ هل سمعتم أو رأيتم مني خلافاً للشرع أو العرف أو الدين أو المذهب اجتمعتم لتثبتوه لي وتقيموا الحد؟ قالوا: لا. قلت: فأيُّ شيء إذن اجتماعكم وضوضاؤكم؟ قالوا: نريد أن نسألك عن عبارات الشيخ ونبيّن أنها كفرٌ. قلت: فهلا سألتم منه في اليوم الأول لما طلب منكم ذلك حتى يفسّرها لكم؟ وبعدما أبديتم الفضيحة وأظهرتم الشناعة، وملأتم الأمكنة والأصقاع من القول الباطل والمذهب العاطل ﴿ءالآن وقد عصيت قبل﴾ [يونس/ ٩٠]. ثم إن الرجل قد انتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة ليس له حضور حتى يبيِّن لكم مكنون ضميره ﴿عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم﴾ [المائدة/ ١٠٤]. قالوا: لا بدّ من أن ننظر إلى كلماته بعد مماته، ونسألك عنها. قلت: إنَّ أهل الباطل من الأموات كثيرون فهل صنعتم في عبارة أحدٍ من الأموات مثل صنيعكم هذا؟ قالوا: إن له تبعة يعتقدون معتقده، فيضلّون. قلت: وكذلك أموات من أهل الباطل فهم تبعة يتبعون اعتقادهم ويتجاهرون وهم قبل الشيخ فهلا أحضرتموهم وأتباعهم حتى تثبتوا عليهم فساد معتقد شيخهم ليرتدعوا ويرجعوا إلى الحق؟ وإن لم تعرفوهم فأنا أعرِّفكم بأسمائهم وكتبهم ومقالاتهم وعباراتهم، ثم ثنّوا بالشيخ وأتباعه. قالوا: مالك إلى ذلك من سبيل بل لا بد من بيان هذه العبارات. قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون هاتوا ما عندكم. فأبرزوا عبارة للشيخ نصّها: «إن الجسد العنصري لا يعود»[1]. قالوا لي: قل إنَّ هذه العبارة كفر أم لا؟ قلت: على الذي أفهمها وأدين الله بها ليس فيها كفر ولا زندقة، ولكنكم أخبروني عن الجسد بحسب اللغة على ما ذكره في «القاموس» و «الصحاح» و «مجمع البحرين» دون ما اصطلح عليه الحكماء كم معنىً ذكروا له؟ قالوا: ما نعرف. قلت: يا سبحان الله إذا لم تعرفوا معاني الجسد وإطلاقاته على ما عند أهل اللغة كيف تُنكرون على هذه العبارة؟ فلعلّ للجسد معنىً لو قلتم يعوده كفرتم. قالوا: نحن نريد فهم العوام. وجميع من حضر ولا واحد منهم صدَّقني أو ساعدني، قلت: أية مدخليَّة

(١) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ص ٣٦٩.

لفهم العوام بالمقام؟ ولو كان كل ما لم يفهمه العوام باطلاً للزم بطلان كتب العلماء، إذ لا شكَّ أن الحطاب والبقال لا يعرفان عبارات «شرح اللمعة»[1] ولا مسألة الأمر بين الأمرين[2]، ولا يعرفان أن الأمر بالشيء ينهى عن ضدِّه الخاص أو العام[3]، فهل يسوغ لهما أن يحكما ببطلانها؟ فهذا خرق اتسع على الرَّاقع[4].

ولما رأيت قلة إنصافهم وغلظة جورهم واعتسافهم، قلت لهم: ماذا تريدون؟ قالوا: نريد أن تكتب أن هذه العبارة كفر. فكتبت لهم: إنَّ العبارة إذا لم يكن لها بيان مقدماً ولا مؤخراً، ولم يحذف منها شيء من أوَّلها أو وسطها أو آخرها كفر بحسب فهم العوام كقوله تعالى: ﴿يد الله مغلولة﴾ [المائدة/ ٦٣] وقوله: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة/ ٢٣ و٢٤] ولا ريب أنه كفر بحسب متفاهم العوام؛ إذ ليس لله يد ولا وجه من الجوارح. وأبرزوا بعض العبارات منها محرَّفة ومنها لم يعرفوا أن يقرؤها وأرادوا مني أن أكتب على ما هي عليه، فكتبت هذه الصورة: ومرجع القول إنه كلام متشابه نسأل تفسيرها من قائلها كالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والعلوية، وبالجملة لا اعتبار بالقرطاس. ولما لم يبلغوا منِّي مرادهم ولم يقدروا أن يثبتوا لي شيئاً من زخاريفهم، وعجزوا والحمد لله... قالوا: نريد أن يثبت اجتهادك عندنا. فقال صاحب المجلس: ﴿قد تبيَّن الرشد من

---

(١) من كتب الفقه الدراسية في الجامعات الشيعية، اسمه «الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية» ألفه الشيخ زين الدين علي ابن أحمد العاملي المقتول عام ٩٦٦هـ/ ١٥٤٦م راجع (الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٦/ ٩٠ ـ ٩٨. و١١/ ٢٩٠ و١٣/ ٤٧ ـ ٥١).

(٢) من المسائل الكلامية المعضلة التي تعرض لها القدماء من علماء الكلام في مبحث الجبر والتفويض، ونص الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين...» وللإمام علي الهادي عليه السلام رسالة في ذلك كتبها للشيعة من أهل الأهواز حين سألوه عن تلك المسألة التي أخذت دوراً مهماً في تلك العصور، وقد رواها الحسن بن علي الحراني من محدثي الإمامية الثقات راجع كتابه (تحف العقول عن آل الرسول، ص ٣٤١ ـ ٣٥٦) طبعة النجف عام ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م وما خطته يمنى الإمام الفذ محمد حسين آل كاشف الغطاء (الدين والإسلام: ١/ ١٧٧ ـ ١٩٠) وعشرات الأسفار المهمة من قديم وحديث.

(٣) قاعدة معروفة في علم الأصول.

(٤) مثل يضرب في الأمر الذي لا يستطاع تداركه لتفاقمه. انظر الزمخشري (المستقصي في أمثال العرب: ١/ ٣٥).

الغيِّ﴾ [البقرة/٢٥٦]. أنتم قبل ذلك تحتجُّون عليه بفسادٍ في العقيدة لمخالفته للضرورة، والآن تبين عندنا أنه على صفاء الاعتقاد، وتطلبون منه الآن أن يثبت اجتهاده وها أنتم تدعون الاجتهاد. فإذا وجب ثبوت الاجتهاد بالإجلاس وإحضار الناس، فمتى ما أحضرتم وأجمعتم وأثبتم اجتهادكم فنحضر فلاناً ليجلس معكم مجلساً آخر لإثبات الاجتهاد، وقد بان أن قصدكم غير الله. وفي هذه الأثناء أذن المؤذن لصلاة الظهر فقمنا للصلاة وتفرّق المجلس ﴿فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين﴾ [الأعراف/١١٩] وظهر الحق والحمد لله ربِّ العالمين. ومن قلة إنصاف الحضَّار في ذلك المجلس أبادهم صرف الدهر ولم يبق منهم أي من أهل الحل والعقد أحد إلاّ واحد من حاضري ذلك المجلس لكنه كان من الأذناب والأتباع، ولم يكن له قابلية السؤال والجواب، ثم ما كفاهم ذلك، بل بقوا يثيرون الفتنة ويهيجون للفساد نائرة ويدفعها الله سبحانه ﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحبُّ المفسدين﴾ [المائدة/٦٣].

ثم مرَّة أخرى صاحوا بالناس وجمعوهم في حضرة العبَّاس ونشروا الألوية والأعلام واجتمعت عليهم الطغام واللئام لإخراجي من البلد بغير جرمٍ اجترمت ولا ذنب أذنبت إلى أن ردّ الله كيدهم في نحورهم، وماتوا بغيظهم وردهم الله خائبين عن نيل مقصودهم ومرادهم، وأفعالهم من ذلك القبيل كثيرة، وأعمالهم من هذا النمط عديدة، وأذيَّاتهم لي شديدة، يتكرَّم الإنسان عن ذكرها فالأولى والأحرى طيّها عن نشرها، فإن الأوقات أشرف من صرفها في جواب هذه المزخرفات وبيان الترهات، والله المستعان وعليه التكلان. . .»[1].

ولم تقف مقاومتهم بعد ذلك المجلس عند حدّها، بل استمرُّوا على إيذائه ومضايقته، ومطاردة أصحابه وتفريقهم من حوله، وظلَّ صابراً محتسباً صامداً في وجوههم متحمِّلاً لإساءتهم وتطرفهم في الخصومة إلى حدٍ لا يوصف ولا يتحمّل، فقد وصلت الحال إلى التعرّض له ولأصحابه في المجالس والطرقات

(١) دليل المتحيرين، ص ٦٦ ـ ٧٠.

بمختلف الأساليب وأنواع السخرية والاستهزاء، وكل عمل شائن يدلُّ على مستوى مرتكبيه ومن كان وراءهم من انحدار الخلق، فقد قال يصف بعض ما جرى له ولأصحابه: «... ففرَّقوا الآباء عن أبنائهم، والأولاد عن آبائهم، والزوجات عن أزواجهنَّ، والأخوة عن أخوتهم، والأخوال عن خالاتهم، والبنات عن أمهاتهن، باينوا بين مسالكهم، ورخصوا غيبة من ينسب نفسه إلى الشيخ أعلى الله مقامه وإليَّ، وأوجهوا تعزير من ينسب إلينا أو يقلّدنا، وحرموا مجالستهم معنا، فإذا حضرنا مجلساً هم فيه يتفرقون تفرّق المعزى إذا شدّ عليها الذئب، أو كأنّ صاعقةً نزلت عليهم، أو بلية حلّت بهم، ولا يبالون بمجالسة الكفّار والنصاب والفجار، وأهل الفسق والفجور، بل يجالسونهم ويخالطونهم بلا مبالاة ولا اكتراث، وإذا حضر واحد منا يتفرَّقون ولا يقعدون، وإذا مرّوا علينا يتغامزون، وإذا مرّوا بواحد منا لا يسلّمون، ويتقصدون ضررنا بكل وجه يمكنهم من مال أو عرض أو نفس على حسب إمكانهم وطاقتهم، ويرموننا بالعظائم من القبائح والشنائع، ويرخصون لأصحابهم بأن يفتروا علينا بالبهتان والكذب والزور، ولقد حاولوا قتلي مرَّات عديدة سرّاً وجهراً، والله سبحانه بفضله وكرمه يدفع عني حتى يبلغ الكتاب أجله..»[1].

ومن أفظع الأعمال التي قاموا بها تجاه الرشتي أنهم أوعزوا إلى بعض أتباعهم بخطف عمته من على رأسه أثناء الصلاة وهو يؤم الناس في حرم الحسين عليه السلام، وقد تكرّر ذلك العمل الشائن مرتين: إحداهما وهو يؤدي صلاة الظهر في إحدى الجمع، وأخرى في صلاة الفجر وهو ساجد، وقد صحب ذلك في الحادثتين تعالي الضحك من قبل الخصوم المتفرّقين في أرجاء الحرم وحول ضريح الحسين عليه السلام دون مراعاة لحرمة المكان وقدسية العبادة، وهو واقف بين يدي ربّه تعالى[2] وهمُّوا بقتله كما صرَّح به آنفاً، ففشلوا واعتذر إليه بعض من كان مكلفاً بالتنفيذ كما صرح به أيضاً، فقد قال: «فوالله الذي لا إله إلاّ هو عالم الغيب

(١) دليل المتحيرين، ص ٨٥.

(٢) هداية الطالبين، ص ١٥١ ـ ١٥٢.

والشهادة، قد أخبرني واحد ممن كان من المباشرين لقتلي في بيت هاشم خان خال نظام الدولة أيّده الله بتوفيقه، في ملإٍ من الناس، وجاءني يظهر التوبة والندامة ويستبرئ مني الذمّة ويطلب العفو...»[1] وأطلق عليه الرصاص بعض العلويين من خصومه وهو خارج من صحن الحسين عليه السلام بمحاذاة باب السدرة فلم يصب بأذًى، واخترقت إحدى الرصاصات يد بعض أصحابه، وكان في حاشيته حين وقوع الاعتداء تلميذه الحاج محمد كريم خان الكرماني وقد شرح ذلك مفصّلاً [2].

ووقف الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء موقفاً مشرّفاً. وتدخّل بين الفريقين بقصد الإصلاح وإخماد الفتنة ـ كما فعل من قبل أخوه الشيخ موسى كاشف الغطاء دفاعاً عن الأحسائي ـ وطلب من السيد كاظم الرشتي أن يكتب معتقداته بصراحةٍ وأن يوضّح النقاط التي تذرّع القوم بها للطعن في صحة معتقده ببيان وافٍ، ففعل الرشتي ذلك ولم يبق لخصومه حجّة. وقام الشيخ علي بدور الوسيط فحمل ما دوّنه الرشتي إلى مجلس خصومه وأطلعهم عليه، وكتب الرشتي عدة نسخ من ذلك فوزّعها على الأطراف إتماماً للحجة، فلم يجده ذلك ولم يبدّل القوم موقفهم منه. فطلب منه كاشف الغطاء أن يصعد المنبر ويشرح للناس معتقداته وينزّه نفسه مما نُسب إليه من العقائد الفاسدة. ورجاه أن يوضح ذلك بالعربية والفارسية ليفهم ما يقوله أبناء الأمّتين. فاستجاب أيضاً، وكان ذلك في أيام عرفة وعيد الأضحى وكربلاء مكتظة بالزوّار والغرباء الذين أموها من مختلف البلاد. فنصب له منبر مرتفع فخطب بالعربية مفصلاً وأوضح كل شيء يتعلّق بالمقام. وفي ليلة عرفة نصب له منبر في الصحن الحسيني الشريف فصعد على أعلى مراقيه وخطب بالعربية وثنّى بالفارسية ولم يترك من نقاط الاختلاف ومواد الشبهات والنقد ما لم يوفّه حقّه من البيان والإيضاح. ثم التمس منه بعض أصحابه أن يستمر على تلك الحالة ويلقي من نوع تلك الخطب التوضيحية ما قد يساعد على رفع سوء التفاهم فأجاب وواظب على ذلك، فكان يرقى المنبر في كلّ ليلة

(١) دليل المتحيرين، ص ٨٥.

(٢) هداية الطالبين، ص ١٥١.

عقب صلاة العشاء واستمر إلى ما بعد عاشوراء. ثم التمسه أصحابه أن يكثر من ذلك فكان يخطب في عصر كل خميس وجمعة وسائر أيام تعطيل الدراسة، وشهر رمضان كله. واستمرَّ على ذلك حوالي سنتين يوضح الشبهات ويدفع الاتهامات غير أن ذلك لم يجده ولم يعد عليه بفائدة ولو قيد شعرة، وربَّما زاد الخصوم إصراراً وعناداً [1].

وتُصرِّح بعض المصادر بتكرّر محاكمة السيد كاظم الرشتي في ثلاث جلسات وفي بيوت مختلفة[2] وكون الرشتي لم يقل ذلك عند تطرُّقه إلى ذكر مجلس المحاكمة[3] لا ينافي صحة ما ورد على لسان غيره لأنه لم يكن بصدد سرد الحادثة بالدقة والتسلسل، وإنما أشار إلى أنَّهم طلبوا مناقشته فحضر. وقد ذكر ذلك المقدار لتوضيح موقف الخصوم منه ومعاملتهم له. ثم إن مدعي تعدد الجلسات هو الشيخ محمد حمزة شريعة مدار وهو من لا يمكن تكذيبه أو التشكيك في نقله. وقد صرَّح بأنه قدم من بارفروش ـ مدينة في إيران ـ إلى كربلاء حينذاك زائراً، ووجد الخلاف بين الفريقين قائماً وحضر الجلسة الأولى واستمع إلى ما دار فيها من نقاش. وقد صرَّح هناك بأن السيد مهدي ابن صاحب الرياض وأتباعه كانوا جهلاء في الحكمة وفي فهم كلام الشيخ الأحسائي في «شرح الزيارة» وأنَّ مجلس درس الأحسائي في أصفهان وطريقته قد أفاد أهل العام كثيراً في فترة قصيرة. وقال: إنَّه لم يحضر الجلستين الأخريين لأنه حينئذٍ سيؤدي إلى تأييد أحد الفريقين. وكانت مخالفة السيد مهدي والعلماء التابعين له أمراً صعباً. ومخالفة الرشتي أصعب لأنه كان بارعاً في العلوم العقلية والنقلية والفقه والأصول وسائر العلوم الأدبية والغريبة. وكان كل فريق يتوقَّع الانتصار والتأييد[4].

---

(١) دليل المتحيرين، ص٨٩ و٩٠. ويتضح للقارىء أن أكثر هذا الفصل قائم على ما كتبه الرشتي عن نفسه وما كتبه أتباعه عنه. وقد اضطرنا عدم تدوين خصومهم شيئاً في الموضوع إلى الاكتفاء بوجهة نظر واحدة ولولا ذلك لما كانت كافية.

(٢) شيخيگري بابيگري، ص ١١٢.

(٣) دليل المتحيرين، ص ٦٦.

(٤) شيخيگري بابيگري، ص ١١٢.

ويقول المازندراني ما ترجمته: «إنَّ الجلسة الثالثة انعقدت في دار السيد محمد علي سادن روضة الحسين عليه السلام [1] وحضرها السيد كاظم الرشتي وحده. وتألف الفريق الخصم من السيد مهدي الطباطبائي، والشيخ خلف الحائري، وشريف العلماء المازندراني، والشيخ محمد جعفر الاسترابادي، وغيرهم. وقد عجزوا جميعاً عن مناقشة الرشتي إذ لم تكن لهم معرفة في الفلسفة وقواعدها التي هي فن الشيخ الأحسائي. وقد تقدَّم السيد مهدي بسؤالٍ إلى الرشتي عن بعض الجمل والعبارات من كتابه «شرح الزيارة» للأحسائي فأوضحها له الرشتي ببيانٍ وافٍ. ولما لم يفهمها ولم يستوعب ما قاله له توجَّه للرشتي قائلاً: «إن ظاهر كلمات شرح الزيارة الذي تعتقد به مخالف للشرع والدين، وبهذا الظهور والمظنَّة أظن فيك وفي شيخك الأحسائي الكفر، وأعتقد أنَّ الكفر الظني كفر. ويعرف الآخرون تكليفهم». فاضطرب المجلس على ضخامته، فلم يرق ذلك لشريف العلماء فتوجَّه للرشتي بسؤال بسيط في علم المنطق، فأجابه الرشتي بجواب متناقض، فضحك الناس وتفرَّقوا. وقد كان ذلك في عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٢٠م، وفي ذي الحجة من تلك السنة حدث طاعون عظيمٌ جارف استمر حتى آخر محرم عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م، وفتك بكربلاء والنجف وبقيَّة مدن العراق وسائر البلاد العربية فتكاً ذريعاً وأحصينا نسبة الوفيات في القبائل العربية والفارسية؛ فكانت النتيجة أنه لم يبق من المجموع ١٠٪ ومنذ ذلك التاريخ حتى الآن وهو عام ١٢٧٢ ـ ١٨٥٥ لم يبلغ الموجود نصف المفقود ولن يبلغ نظراً لاستمرار الطواعين...»[2]. والظاهر أنَّ ذلك هو ما أشار إليه الرشتي بقوله: «ومن قلَّة

---

(١) كان هذا السادن يلقّب بـ «أبي ردن» وهو جد «آل الشروقي» البيت المعروف في كربلاء، وهم فرع من الأسرة الكبيرة العريقة «آل طعمة» التي فيها السدانة حتى الآن. وكانت وفاته في سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م، كما قاله السيد محمدحسن مصطفى الكليدار (مدينة الحسين: ١/ ٨٠) أما في سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م التي كان الاجتماع فيها كما يقوله الاسترابادي فقد كان السادن السيد حسين نقيب الأشراف وقد توفي في الطاعون الذي أعقب الاجتماع كما في المصدر المذكور.

(٢) أسرار الشهادة، ص ٩٣.

إنصاف الحضَّار في ذلك المجلس أبادهم صرف الدهر ولم يبق منهم أي من أهل الحل والعقد أحد. . . »[1].

٢ ـ مساهمة النجف في التكفير والتشهير:

وكما تجاوبت كربلاء والنجف الأشرف مع قزوين وبعض المدن الإيرانية يوم أعلن الشيخ محمد تقي البرغاني تكفير الشيخ أحمد الأحسائي وأورى الشرارة الأولى لتلك الفتنة التي ظلَّ يستعر أوارها حتى الآن، ويحرق الأخضر واليابس وسيظل كذلك أيضاً ما دام لأبناء الشيعة أثر وما بقي منهم نفر. أقول: وكما تجاوبت كربلاء والنجف مع قزوين في تلك المأثرة الخالدة تجاوبت النجف مع كربلاء في المفخرة اللاحقة في تكفيرها للسيد كاظم الرشتي وتشهيرها به وبأتباعه؛ بعد أن كان علماؤها يعيبون على السيد مهدي الطباطبائي تصرّفه وتطويره للمسألة وتشعيبها، وسعيه في إيجاد الخلاف وتفرقة الصف، وإصراره على أنَّ مراد الشيخ أحمد الأحسائي من تعابيره غير ما يفسره به تلميذه الرشتي من رأي مقبول يوافق به المعتقد السائد لدى أبناء طائفته. وربما تنسب له بعضهم هياج المرّة السوداء، وقال عنه إنَّ وضعه غير طبيعي، وإن صدور تلك التصرفات منه أمر لا إرادي. كل ذلك وغيره كان منهم انتصاراً للحقِّ ودحراً للباطل، رتقاً للفتق وحيلولة دون تشتت الكلمة، وعملاً بقوله تعالى: ﴿**ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً**﴾ [النساء/ ٩٣]. وقد استمرَّت الحال على ذلك زمناً وعلماء النجف ينتصرون للرشتي وأتباعه ويواصلونه ويبادلونه الزيارة متى هبطوا كربلاء.

وتبدَّل الموقف فجأة وإذا بالنجف ترفع صوت الاستنكار على السيد كاظم الرشتي وأتباعه ممثّلة في الشيخ علي بن جعفر كاشف الغطاء الذي كان إلى وقت قريب جداً مدافعاً وإن لم يكن مؤيّداً، وكل حجته أنه وقف على قول الرشتي في رسالة له ألّفها في علم الأخلاق: «واعرض عن كتب القوم لا سيما العامة العمياء». وفهم منها حسب ادعائه أن الرشتي ينكر الاجتهاد والتقليد، وطريقة

(١) دليل المتحيرين، ص ٦٩.

المجتهدين، والكتاب والسنة، وأنه اخترع مذهباً آخر. وقد أشاع ذلك ونشره بين الناس على نطاق واسع، فَعَلَتِ الضوضاء في النجف وارتفعت أصوات الاستنكار من كل صوب، وتناهت أخبار ذلك إلى كربلاء وإلى السيد الرشتي، فدهش من استغرابه وكتب إلى كاشف الغطاء على الفور يستفسر عمَّا جعله يكر على ما فرّ منه. وذكَّره بنقمته على من فعل ذلك في كربلاء. فلم يجبه على رسالته. وكتب له ثانية بصورة مفصَّلة تعرض فيها لشرح الفقرة التي التبس فهمها عليه، وأوضح له قصده من ذلك، فكان نصيبه الاعراض أيضاً [1].

لم يصرِّح الرشتي عند تعرضه لذكر قصة أهل النجف معه باسم الشيخ علي بل صرح باسم والده الشيخ جعفر، وإنه كان لا يخاف في الله لومة لائم[2] وإنما صرح بذكره الحاج محمد كريم خان الكرماني ولم يهتد الرشتي إلى السبب الذي حدا به على القيام بذلك، وكأنه مقتنع بأنه لم يكن أكثر من وهم في العبارة المذكورة. لكن الكرماني ذكر لذلك حادثة غريبة تتلخص في أن أحد أتباع الرشتي قد جعله وصيه، وكانت له دار في كربلاء، وعندما همَّ الرشتي ببيع داره لتنفيذ وصيته رجاه الشيخ علي كاشف الغطاء أن يبيعها منه فوافق. ولما صار وقت دفع الثمن طالب الرشتي به؛ فرجاه الشيخ أن لا يستوفي ثمنها منه ريثما يصل إلى الرشتي مبلغ من الوجوه الشرعية لتوزيعه على الفقراء، فيقتطع ثمن الدار من ذلك المبلغ. فأجابه الرشتي بأنه لا يصله شيء من الحقوق وإذا ما وصل فإن له موارده التي يجب أن يصرف فيها، وأن البيت يعود لصغار قصّر فلا يمكنه التفريط فيه أو هبته له. وأصرّ على استحصال المبلغ فاستاء كاشف الغطاء، وعاد إلى النجف، وأبدى تأثره وتذمره من الرشتي، فتجرّأ الناس على ذكره بالسوء أمامه، ثم تذرّع بتلك العبارة[3].

والقصة غريبة للغاية، ونحن نربأ بكاشف الغطاء عن أن يهبط إلى ذلك المستوى، ولا يمكن بوجهٍ من الوجوه أن يصدّق في حقه ذلك أو أن يصدر منه

(١) دليل المتحيرين، ص ٧١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٣.
(٣) هداية الطالبين، ص ١٤١ و١٤٢.

عمل شائن مثله، لا سيما وهو يومئذٍ من أكابر مراجع الدنيا والدين، ولم يكن ليصعب عليه الحصول على ثمن دارٍ يهمُّ بشرائها. وقد صرح بعض مترجميه بأنه «كان عفيفاً أبياً مترفعاً عن الحقوق ولا يتناول منها درهماً واحداً كما أخبر بذلك وكيله الحاج إبراهيم شريف، وإعاشته ونفقة عياله مما يرد عليه من الأنعام والهدايا، وما تدرّه عليه بعض الأراضي الزراعية التي هي من عطايا الولاة له»[1]. هذا إذا غضضنا النظر في فقاهته وورعه ومركزه الاجتماعي، فمن رابع المستحيلات أن يتذلّل للرشتي بذلك النحو ويستعطفه ليعفيه من مبلغ تافه. ومن المستحيل أيضاً أن يقدّم كاشف الغطاء مثل ذلك الرجاء إلى الرشتي فيردّه ذلك الرد، وهو محتاج إلى صغار الأنصار والأتباع لا مثل كاشف الغطاء الذي هو مرجع النجف، ونصير الرشتي يزوره ويهبط داره في كربلاء، ويلوم خصومه على معارضتهم له. ويشكك في القصة أكثر كون المصدر الذي استقى منه الكرماني مجهولاً، فمعظم ما كتبه الكرماني عمّا حلّ بالأحسائي والرشتي ترجمة واقتباس ممَّا ذكره الأخير في كتابه «دليل المتحيرين» كما لا يخفى على البصير. وليس لهذه الحادثة هناك ذكر ولم يشر إليها الرشتي من قريب ولا من بعيد.

وقد أيّد كاشف الغطاء فقيه آخر من النجف واستند إلى فتواه، فكفّر الرشتي أيضاً دون أن يسمع منه أو يقرأ له ما يوجب التكفير وإنما اعتمد على حكم كاشف الغطاء فأمضاه. ولم نتوصَّل إلى معرفة هذا الشيخ المفتي بصورة تفيد الجزم، فقد عبّر عنه الرشتي بقوله: «وأعجب منه أن عديله ومثيله يقول بأني لم يتبيّن لي شيء، لكنّه عالم تكلّم وحكم، فأمضيت حكومته»[2]. وقال الكرماني إنه أخوه[3]. وعلى فرض صحة ذلك فإننا لا نعرف أي الأخوة كان، فللشيخ علي ثلاثة أخوة أكبرهم الشيخ موسى المتوفى سنة ١٢٤٣ ـ ١٨٢٧ وليس المراد قطعاً لأن تكفير الرشتي حدث بعد وفاته، ولأنه وقف من تكفير الأحسائي موقفاً مشرفاً

(١) ماضي النجف وحاضرها: ٣/ ١٧٠.
(٢) دليل المتحيرين، ص ٧٤.
(٣) هداية الطالبين، ص ١٤٣ و١٤٤.

ذكره الرشتي بالثناء[1] وثانيهم الشيخ محمد ولم يكن من أهل المرجعية والإفتاء إذ لم يكن له «ما كان لأخوته من المزايا العلمية»[2] بالإضافة إلى أنه لم يكن يسكن النجف، فقد قطن الحلة مرجعاً لأهلها على عهد أخويه الشيخ موسى والشيخ علي إلى أن توفي في طاعون سنة ١٢٤٧ ـ ١٨٣١[3]. وثالثهم الشيخ حسن، وقد كان على صلة حسنة بالرشتي، وهو الذي يكتب له مراسلاً:

شقيق أراه معرضاً عن شقيقه ... كأن طريقي كان غير طريقه
لك الخير لا يذهب بوجدك عاذل ... يفرّق منا شائقاً عن مشوقه
يحنُّ إلى ذكراك في كل ساعة ... كما حنّ وجداً عاشق لعلوقه
ترفّق بصب مستهام فؤاده ... «يحنّ وراء الركب حنَّة نوقه»
له ناظر يرعى النجوم ومدمع ... يسيل، وقلب خافق من مضيقه
فلا العين ترجو أن تجفَّ دموعها ... ولا القلب يرجو راحة من خفوقه
وشتان ما بين الخلّي وواجدٍ ... وما بين مأسور الهوى وطليقه
وما بين مألوف السهاد وراقد ... وما بين مثلوج الحشا وحريقه[4]

أضف إلى وثوق العلاقة أن الشيخ حسن قد سكن الحلة أيضاً على أثر وفاة أخيه الشيخ محمد في عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م، خلفاً له ولم يعد إليها إلا بعد وفاة أخيه الشيخ علي عام ١٢٥٣ ـ ١٨٣٧ ليخلفه[5] على أن ما كان بين الاثنين من صداقة لا يصلح لأن يكون دليلاً على عدم إمكان الإفتاء بحقه، فعلاقة الشيخ علي مع الرشتي كانت أوثق ثم قلب له ظهر المجن[6] لسبب لم يعرف. وما المانع أن

(١) دليل المتحيرين، ص ٨٧ و٨٨.
(٢) ماضي النجف وحاضرها: ٣/ ١٨٠.
(٣) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٣١٧.
(٤) طبقات الرجال: ١/ ٢١٣ و (ماضي النجف وحاضرها: ٣/ ١٥٠ و١٥١). و (شعراء الغرى: ٣/ ٦١ و٦٢).
(٥) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٣١٧.
(٦) مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد وخذله. والمجن القومي. راجع الزمخشري المستقصي في أمثال العرب: ٢/ ١٩٨) والميداني (مجمع الأمثال: ٢/ ١٠١).

يكون أخوه مقتدياً به في ذلك وتابعاً له؟ كما لا يصلح مكوثه في الحلة لأن يكون دليلاً على أنه غير صاحب الحادثة، فربما كان قام بذلك في النجف قبل عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م التي هاجر فيها إلى الحلة. ولو وقفنا على تاريخ الافتاء والتكفير لتوصَّلنا إلى معرفة المفتي والمكفّر، نعم للرشتي عبارة توحي بأن المفتي الثاني كان أخا للشيخ علي فقد قال: «أتاني آتٍ من قبل أحد الشيخين[١]! وحيث كان في القوس الصعودي الأصغر مقدم على الأكبر جاء رسول الشيخ الآخر...»[٢] وفي موضع آخر: «أتاني ثلاثة رسل من جناب الشيخ الأكبر» فلعله كان أخاه وإن الكرماني قد اعتمد في ما قاله على ما سمعه من مشايخه.

وكيفما كان قد انتشرت قصَّة الرشتي في النجف على نطاقٍ واسعٍ، وكثر ثلبه والاستخفاف به في الأوساط العلمية، وتناولته ألسنة العامة والسوقة بالنقد اللاذع والشتم البذيء... ولم يكتف القوم بذلك وبدا لهم أن لا يقصروا الدعاية ضدَّه على النجف، فتعدوها إلى سائر المدن العراقية، وقد وقع في يد الرشتي أحد الكتب التي أرسلها الشيخ علي كاشف الغطاء إلى البصرة، وكان قد منع فيه الرجوع إلى الرشتي في أمرٍ من أمور الدين من الأصول والفروع. بل تعدَّت الدعاية إلى خارج العراق وباقي البلاد الإسلامية، فقد بعث أحد رؤساء الهند إلى الرشتي صورة كتاب أرسله كاشف الغطاء إليه، وقد ورد فيه قوله: «إنَّ السيد كاظم الرشتي خرج من الدين وعن مذهب المسلمين، وقد أعرض عنه جميع العلماء، وعدل عن تقليده جميع المؤمنين الأذكياء، فوجب علينا إعلامكم بأنه لا يجوز تقليده ولا أخذ مسألة من المسائل الدينية عنه، فمن فعل ذلك لن يغفر الله له أبداً، ولن تقبل له توبة». وقد سأل الرئيس الهندي من الرشتي عمَّا إذا كان ذلك قد صدر عن كاشف الغطاء حقّاً؟ وعن الأسباب الموجبة له، وعلق بما مضمونه «إنه تمنَّى أن يكون قد مات ولم ير هذا الكتاب أو يسمع به»[٣].

---

(١) لا يخفى على الف.. ما قصده الرشتي بهذا التعبير؟

(٢) دليل المتحيرين، ص ٧٦، ٨٠.

(٣) دليل المتحيرين، ص ٧٥.

ولم يقف الرشتي مكتوف اليدين أمام تلك الحملات الواسعة التي كانت تشنُّ عليه من كل جانب ومكان، ولم يلتزم الصمت في قبال تلك الاتهامات والتقولات، بل ظل يصول ويجول، ويكتب ويخطب، ويناقش ويحاجج، ويردّ ويفنّد، فأحدث ضجة عالية في الأوساط، وبدا الانقسام حوله واضحاً مكشوفاً، فنبّهت تلك الصرخات المرتفعة من هنا وهناك بعض الغافلين، وأدّت ببعض المخدوعين إلى الفحص عن حقيقة ما يقال عن الرشتي، والنظر الجادّ إلى دفاعه وردّه، وما يعلنه من آرائه ومعتقداته، ويأخذه على خصومه ومعارضيه. فسعى المعارضون في النجف لإيجاد المبرِّرات لعملهم والاستشهاد على صحة مدَّعياتهم وسلامة مقاصدهم لأنهم بالغوا في تكفيره كثيراً، ووقعوا في مأزق حرج، ووقفوا موقفاً صعباً للغاية، فإما أن يُثبتوا كفره وزندقته وارتداده على الملأ، وإما أن يتراجعوا، وكلا الأمرين على جانب كبير من الصعوبة فلا إثبات كفره هيّن، ولا العدول على رأيهم فيه ممكن.

وصادف أن هبط الرشتي النجف بمناسبة زيارة عيد الغدير، فاغتنم القوم فرصة وجوده وأرسلوا إليه من يدعوه للاجتماع بهم، فتساءل: هل يريدون قطع الفتنة أم إثارتها؟ فأُجيب: بأنهم يهدفون إلى قمع الفتنة. لكنه لم يطمئن إلى حسن نواياهم، واعتقد أنها مؤامرة جديدة لتأكيد مدعياتهم بأن يجتمعوا به ويتفرَّقوا، فيشيعوا في الناس أنه مصر على عدم التراجع عن رأيه. فصرّح بأنه لا يأمنهم وأنهم لو كانوا صادقين لاستجابوا إلى طلبه بالاجتماع قبل اتّساع الخرق[1]. فطلب طرفاً ثالثاً للتحكيم على أن يتعهد الطرفان بقبول حكمه إذا حكم لأيٍّ الجانبين. ويرهن على استعداده التام لذلك باقتراحه تحكيم عدد من العلماء غير العراقيين الذين كانوا هبطوا النجف في تلك الأيام للزيارة لموقفهم الحيادي، مخافة أن يميل العراقي لو حكّم في البين إلى أحد الطرفين. واحتمل في الوقت نفسه أن يميل الحكم إلى جانبهم لأنهم أشهر وأقوى، ومع ذلك فقد أظهر الرضا.

---

(١) مثل يضرب في الأمر الذي لا يستطاع تداركه لتفاقمه. مرت الإشارة إليه نقلاً عن الزمخشري (المستقصى في أمثال العرب: ١/ ٣٥).

وعـزّز رسول القوم برسولٍ من عنده ينقل رأيه بنصه مخافة التحريف. فلم يوافق القـوم علـى ذلك بحجّة عدم قابليّة المطلوبين للتحكيم. فردّ عليهم بأنكم تنسبون لـي إنكـار ضـروريّ الـديـن وإذا كـان الأمـر يبلـغ في الظهور عندكم هذا الحد؛ فالضروري لا يخفى على أحدٍ من عامة المسلمين فكيف بالعلماء؟ وكيف تنسبون هؤلاء إلى الجهل لدرجة عدم القدرة على فهـم هـذا المقدار؟ وصدق ظنُّه بالقوم وأنهم لم يقصدوا إحقـاق الحـق، فقـد أذاعـوا في الناس أنهم بعثوا للرشتي تسعة عشر رسولاً يطلبون الاجتماع به فأبى. وكانت النجف غاصة بالزوّار من كل حدب وصـوب بمنـاسبـة الغـديـر، وهـي زيـارة مهمـة للإمـام علي عليه السلام عند شيعته، يتهافتون فيها على قبره سواء القريب منهم والبعيد.

وبلغ الرشتي ما أشيع عنه بين جماهير الزوّار، فأمر بنصب منبر له في صحن الإمـام علي عليه السلام بعد صلاة الظهر يوم الغدير، والمكان مكتظٍ بمختلف طبقات الناس ومن كل صقع ومكان. فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي وآله، ثـم قال: «أيها الناس إن هذا يوم اجتمعت فيه حرمتان، إحداهما الغدير والأخرى الجمعـة، فـازداد شـرفاً على شرف ونوراً على نور. والحرمة الثالثة الحضور عند أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه حرمات قلّما يتّفق اجتماعها وتداخلها، فاحمدوا الله واشكروه واعـرفوا قدر هذه النعمة، وافهموا قدر مقام الكرامة، وتقرَّبوا إلى الله تعالى بالعمل الصـالـح، واعلموا أن العمل الصالح لا يصعد إلى درجة القبول إلاّ بالاعتقـاد الصحيـح، ومعرفة فضل أمير المؤمنين عليه السلام، والاعتراف بعلوّ مقامه وسمـو رتبتـه، واعلمـوا أنـه عليه السلام وأخـاه وأولاده وزوجتـه عليها السلام أمنـاء الله، وأبواب رحمته، ومقاليد معرفته، وسحائب رضوانه، ومفاتيح جنانه، هم مفاتيح الغيب، هم السر اللاريب، هم مجال المشيئة، وهم ألسن الإرادة، وهم قصبة الياقوت، وهم حجاب الملك والملكوت.

أيها الناس: نزلوهم في مراتبهم ولا ترفعوهم عن الحد الذي جعله الله ﴿**لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق**﴾ [النساء/ ١٧٠]. هم ليسوا بأرباب من دون الله، ولا هـم شـركـاء مـع الله، ولا فوّض إليهم أمر الله ﴿**بل عباد مكرمون لا يسبقـونـه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلاّ**

لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ [الأنبياء/ ٢٥ ـ ٢٧] ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم وكذلك نجزي الظالمين﴾ [الأنبياء/ ٢٨].

أيها الناس: إنهم كلمة الله، وأنهم حملة أمر الله، وأن رسول الله ﷺ شرّفه الله وعظّمه بحقيقة ما هو أهله، وعرج بجسمه إلى السماء، بل بثيابه ونعليه، وأن الخلق يوم القيامة محشورون بأبدانهم وأجسادهم الدنيوية المرئية، المحسوسة في الدنيا. والله سبحانه هو العالم بالأشياء كلها قبل إيجادها ومع وجودها، وبعد وجودها فلا تتفاوت له الأحوال ولا يوصف بالانتقال، ولا يعتريه زوال ولا اضمحلال، وهو الحيُّ، القيوم، القادر، المتعال.

أيها الناس: هذا الاعتقاد الصحيح فمن اعتقد بهذا فميز أنه رجيح ـ كذا ـ يستحقّ ثواب الله ويستوجب عطاء الله بزيارة أمير المؤمنين عليه السلام في هذا اليوم، ومن لم يعتقد الذي ذكرناه كله أو بعضه ﴿فقد حبط عمله﴾ [المائدة/ ٤] ﴿وما له في الآخرة من خلاق﴾ [البقرة/ ٢٠٠].

أيُّها الناس: هذا اعتقادي وديني، وعليه انعقد ضميري، وبه أدين الله في سرِّي وعلانيتي، وملأت كتبي ومصنفاتي من هذا النوع، وإن كانت بعبارات مختلفة. وأرى علماء هذا البلد ينازعوني ويخالفوني، فإن كان نزاعهم وخلافهم في هذه العقائد، فإني أدين الله بها وأبرأ إلى الله من كل من لم يعتقدها. وإن كانوا ينسبون لي ما ينافي هذه العقائد فإني أبرأ إلى الله منها وممَّن يدين بها. وقد أرادوا مني الاجتماع فطلبت منهم الحكم لقطع النزاع وما استصعبت عليهم في أمر الحكومة بل اخترت لهم علماء أتقياء أبراراً زهاداً يصلحون للحكم في هذه المسائل. لأن الحكم في هذا المقام هو الذي يعرف ضروريَّات المذهب والدين، وحيث إن علماء العراق متهمون بي وبهم اخترت لهم علماء غرباء زواراً أتقياء، وأنا عندكم من الآن إلى غدٍ متى ما شاؤا بشرط الحكم فأنا حاضر. ولا تختلفوا ولا تتقولوا الكذب والزور، ولا تقولوا إنَّ فلاناً أردنا منه الاجتماع لقطع النزاع فأبى، ولا ريب أن قطع النزاع لا يكون إلاّ بالحكم المطاع، وأما بدونه فيزداد النزاع والجدال، ويحدث ما يمجّه أولو الأبصار والأسماع. والصلاة على رسول

الله الصادق الأمين، والسلام على عباد الله الصالحين، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1]. ثم نزل عن المنبر وبقي في الانتظار.

وقرب الغروب من ذلك اليوم جاءه ثلاثة رسل من الشيخ الأكبر: إثنان من التجار والثالث من أهل العلم قائلين: إن الشيخ يريد الاجتماع بك. فأعاد عليهم ما كان قاله للرسول الأول، فخشي التاجران من التحريف والزيادة والنقصان، وطلبا منه أن يجلسهما عنده ويبعث رسولاً مأموناً رشيداً من قبله. فاستجاب الرشتي وأرسل الشيخ حسن جوهر، وأمره أن يخيّر الشيخ بين ثلاثة أمور:

(الأمر الأول) ـ الاجتماع بشرط حضور الحكم. فإن أَبى محتجّاً بعدم قابلية من اختير للحكومة كما فعله سابقاً فليعرض عليه:

(الأمر الثاني) ـ وهو أنه لا يخلو إما أن يكون حال الرشتي مشتبهاً عليه أو أنه موقن بضلالة وأن قلبه ينافي لسانه. فإن كان مشتبهاً عليه فيجب عليه التصديق به بعد أن أظهر دينه ومعتقده امتثالاً لأمر الله بقوله: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لستَ مؤمناً﴾ [النساء/ ٩٤]. وإن كان موقناً بضلاله ونفاقه وجب عليه التصديق بظاهر اللسان وعمل الأركان ولا يجوز له ولا يجب عليه كشف الباطن اقتداءً بفعل رسول الله ﷺ مع أصحابه، فإنه كان يعلم يقيناً ما في ضمائر بعضهم لكنه كان يعاملهم على الظواهر صدوعاً بأمر الله تعالى: ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ [النساء/ ١٠٤]. وقد قال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء السحر: «اللّهم إنَّ قوماً آمنوا بألسنتهم ليحقنوا به دماءهم، فأدركوا ما أملوا» لا سيما وأنه لم يسمع أحد من لسان الرشتي ما يخالف ظاهر الشريعة على الباطن ـ بالرغم من أن ذلك لا يحقُّ لغير الله في الشريعة الإسلامية ـ فهو على أتم الاستعداد لأن يتباهل معه بأن يضع أحدهما يده في يد صاحبه ويدعوان معاً على المبطل منهما ﴿ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ [آل عمران/ ٦٠] ولا مانع لدى الرشتي أن يكون ذلك أيضاً، فأعرض عليه:

---

(١) دليل المتحيرين، ص ٧٥ ـ ٨٠. و (هداية الطالبين، ص ١٤٧ و١٤٨).

(الأمر الثالث) ـ وهو أنه زعم بأنَّ من اختير للحكومة غير لائقٍ. فهل يرى ثمَّة من يليق بذلك أم لا؟ فإن نفى، فقد أتى محالاً، وإن أثبت فليكتب اعتراضاته بأن ينقل نص الكلام المشتبه عليه بألفاظه، ويفسّر مراد قائله، ثم يورد تفسيره الخاص والمعنى الذي يفهمه من العبارة، ثم يورد اعتراضه. ويبعث ذلك إلى الرشتي ليوضح كلامه ويبيّن مرامه، فإن اقتنع الشيخ حكم به الطرف الثالث، فهو الحكم الفصل الذي لا ينازع. فذهب الشيخ حسن جوهر إلى كاشف الغطاء وعرض عليه الآراء كلها، فاختار الثالث وظلَّ يتماهل ويسوِّف عدة سنين حتى اختاره الله إليه[1].

ظلَّ الرشتي في كربلاء يتزعَّم المدرسة الشيخية، ولم يزر إيران خلال مدَّة زعامته وأمدها سبع عشرة سنة من وفاة شيخه الأحسائي إلى وفاته[2]، إلاّ أنه كان يتمتع بمكانة كبيرة في المدن الإيرانية كافة وفي البلاط القاجاري بالذات ولم تقتصر روابط الرشتي على إيران، بل كانت له صلات وثيقة وعلائق حسنة مع الهند وسائر الممالك الإسلامية الخاضعة للامبراطورية العثمانية، وكانت شخصيَّته في بلاط آل عثمان محترمة أيضاً، وظلَّ يواصل نشر أفكاره ويدافع بحماس عن شيخه وآرائه، والحقيقة أنه لم يضف جديداً إلى عقائد شيخه الأحسائي، فقد كان يدرس مؤلفاته ويوضح آراءه، وقد قضى السنين التي عاشها بعد أستاذه داعيةً له ومروِّجاً لطريقته ومدافعاً عنه، ومؤلفاته على كثرتها لم تأت بجديدٍ لم يسبقه إليه أستاذه أو لم يتعرّض له بالإشارة على الأقل، وقد فصل الرشتي مجملها ووضَّح غوامضها واستمرَّت تلك المطاحنة بينه وبين معارضيه، ودام ذلك الصراع العنيف، والرشتي يقاوم بصبرٍ وجلدٍ وأعصابٍ فولاذية حتى داهم نجيب باشا كربلاء، وجرى فيها قتل عام أبيد فيه معظم معارضي الشيخية، وانطفأت النائرة، وخمدت الأصوات، ولم يبق لدى القوم قدرة على المعارضة أو قابلية

(١) دليل المتحيرين، ص ٨٠ ـ ٨٣.
(٢) شيخيگري بابيگري. ص ٨٨.

للمصاولة[1] وسادت كربلاء وأطرافها التعاليم الشيخية، وانتشر اعلامها في المدن مبلِّغين دون أية معارضة[2].

٣ ـ حادثة نجيب باشا:

بديهي ما كانت عليه الحكومة العثمانية على عهد المماليك في العراق وغيره، فقد دبّ فيها الضعف والفساد إلى أبعد الحدود. وكان العراق خاصَّة في وضع سيىء للغاية حيث سادته الفوضى لحدّ جعل الحياة فيه على جانبٍ كبيرٍ من القلق والاضطراب بسبب تمرّد العشائر بين الآونة والأخرى في مختلف المناطق من جهةٍ[3] وتحديات الحكومة الإيرانية وتهديدها والقلاقل التي كانت تثيرها بين فترة وأخرى حول مسألة الحدود وغيرها من جهةٍ ثانية[4]. وكان للخلافات المذهبيَّة والقضايا الطائفية دورها البارز في تلك الحقبة من الزمن، فشعب إيران وحكومته شيعة يهمّهم أمر شيعة العراق وما فيه من عتبات مقدَّسة ومراقد محترمة للأئمَّة من آل محمد عليهم السلام وحكومة آل عثمان سنيّة تعمل على إضعاف الشيعة وسلب حريّتهم والحدّ من نشاطهم في الوقت الذي كانت تدعم فيه السنة وتغدق العطاء والمناصب لعلمائهم وسائر رجالهم[5]. وكان عملها يسيىء الحكومة الإيرانية ويثير حفيظتها، فتعمد إلى إثارة الأحقاد والفتن. وكانت الحكومات البريطانيَّة والفرنسيَّة والروسيَّة تستغلُّ تلك الفرص لتثبيت أقدامها وتحقيق مصالحها[6].

وكانت الحكومة العثمانية على عهد المماليك تحترم العتبات المقدّسة ومراقد أئمَّة الشيعة في النجف وكربلاء وغيرهما. وقد زاد احترامها على عهد علي

---

(١) مكارم الآثار در أحوال رجال دوره قاجار: ١/ ٢١٢.

(٢) قصص العلماء، ص ٤٧.

(٣) دوحة الوزراء، ص ٢٧٧ و (مطالع السعود، ص ١٣١ و١٣٢). و (تاريخ العراق بين احتلالين: ٦/ ٢٥٧) و (ماضي النجف وحاضرها: ١/ ٣٣٠ ـ ٣٣٤) ط٢.

(٤) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص ٢٤٣. و (دارد باشا والي بغداد، ص ١٦٧ و١٦٨) و (رحلة فريزر، ص ١٣٣).

(٥) الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، ص ١١١. وغيره.

(٦) الحياة في العراق منذ قرن، ص ٢٠ وغيره.

رضا بسبب ما كان يكنّه للأئمة عليهم السلام من حبّ وتقديس لأنه كان بكتاشياً[1] وقد

(١) البكتاشية فرقة صوفية تنسب إلى الولي العارف بالله السيد محمد الرضوي الملقب بـ «بكتاش» وهو من أولاد الإمام الرشا وقيل من أولاد الإمام الكاظم. جاء من خراسان إلى بلاد الروم على عهد السلطان مراد ابن السلطان أورخان بن عثمان الغازي المشهور بـ «غازي خداوندكار» وقد اعتكف بكتاش في النجف مدّة وتنسب إليه «التكية البكتاشية» المعروفة بجوار الصحن توفي عام ٧٣٨ ـ ١٣٣٧ وقبره في البلاد التركية. مزار عليه قبة يتبرك بها الناس ويتعهدونها بالزيارة والنذور. وللبكتاشية ألبسة خاصة يتميزون بها عن سواهم وينسب لهم الغلو في الأئمة من آل محمد عليهم السلام (تحفة العالم في شرح خطبة المعالم: ١/ ١٢٩) و (ماضي النجف وحاضرها: ١/ ١٢٩. ط٢) وهم يعادون الشيعة ويحقدون عليهم لكنهم يشاركونهم في ولاء أهل البيت وتقديسهم ولذلك تنفس الشيعة على عهد الوالي المذكور وتمتعوا بشيء من الحرية. والظاهر أنهم كانوا يعرفون بالبكتاشية لأنهم حين سمعوا عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م أنه توجّه إلى بغداد على رأس جيش كبير لمحاربة داود باشا استقبله نفر من وجهاء شيعة بغداد والتقوا به في الموصل فشكوا إليه تضييق داود باشا عليهم وأنهم يقيمون مجالس عزاء الحسين في السراديب خوفاً منه ـ ويقال أنهم كانوا يجلسون امرأة تدير الرحى في صحن الدار لئلا يتسرّب صوت الخطيب أو الباكي إلى سمع المارّة في الشارع ـ وقد طيب الباشا خواطرهم ووعدهم بأنه عندما يفتح بغداد سيجعلهم يقيمون مجالس عزاء الحسين فوق السطوح بدلاً من السراديب وأنه سيحضرها بنفسه. وقد وفى لهم فعلاً فحينما حلّ محرم من السنة التالية ١٢٤٨ ـ ٢١ أيار ١٨٣٢م أقامت إحدى الأسر الشيعية مجلساً في دارها فحضره الوالي وكان ذلك تشجيعاً لغيرها وأخذت مجالس التعزية تكثر وتنتشر (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١٠٩ ـ ١١١) وكان أوّل من أقام مجلس العزاء في النجف هو الشيخ نصّار بن سعد العبسي جدّ «آل نصار» (شعراء الغرى: ١٢/ ٣٢٤). ويقال أن الوالي كان مدمناً على الخمر واللهو ولكنه إذا هلّ شهر محرّم اعتكف في قصره وترك شهواته. وكان الشيخ صالح التميمي قد نظم له قصيدة في رثاء الحسين وكان يقرؤها له في محرّم (شعراء الحلة: ٣/ ١٥٢) و (ديوان التميمي، ص ١١٨ ـ ١٢١). ولمّا لمس الشعراء عنده هذه النزعة نظموا العديد من القصائد في مدح أهل البيت ورثائهم وذمّ أعدائهم بصراحة. ولم يقتصر ذلك على الشيعة بل تقرّب إليه بعض شعراء السنة بمدح أهل البيت وعلى رأسهم عبد الباقي العمري فقد نظم ديواناً خاصاً بهم (الباقيات الصالحات: ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م) ويتضح لقارئه بجلاء أنه أداة تقرّب للوالي ووسيلة لكسب رضاه حيث لا يجد فيه أثراً لصدق العاطفة المتدفقة والإخلاص العميق (الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، ص ١٣٣) وليس ذلك دليلاً على تشيعه كما احتمله بعض الأكابر (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣/ ١١ ـ ١٢) فهو يهاجم الشيعة ويسميهم «الرافضة» كما هي لغة خصومهم (الترياق الفاروقي، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٧).

ومما يذكر عن الوالي علي رضا سماحة بإقامة الطقوس الشيعية الأخرى في أيام محرم كمواكب اللطم ونحوها فقد تأسست في إيران على يد الحكومة الصفوية واقتصرت على بلادهم فلم يسمح العثمانيون بدخولها إلى العراق أكثر من قرنين إذ كان الولاة إلى عهد داود باشا يعتبرونها من أساليب الدعاية التي كانت حكومة إيران تحاول التغلغل في العراق عن طريقها لكن الوالي المذكور سمع بذلك وجرى =

أصبح بعضها ـ نتيجة احترام الولاة لها وعدم تدخُّلهم في شؤونها ـ ملجأً للهاربين من السُّلطة والمطاردين من قبلها. فكان المجرمون من ماردين حتى المحمرة يلجأون إليها ويحتمون بها[1]. ومن ذلك تجمّع حدث في كربلاء، فأدّى إلى تدميرها ووقوع مذبحة عظيمة فيها ذهب ضحيتها ألوف من الأبرياء. وإلى القارىء ملخّصها:

كان في كربلاء رجل من الأشقياء اسمه السيد إبراهيم الزعفراني لا يزال في بعض أزقّة المدينة الداخليّة، طاف ينسب إليه ويعرّف باسمه «طاق الزعفراني». ألّف هذا الشقي عصابة من الأوباش والسفلة وقطّاع الطرق، كان معظمهم من الأشرار الهاربين من الحكومة والباقون من أراذل المنطقة. وقد أطلق عليهم اسم «اليرمازية» وهو كلمة تركية معناها «الذين لا ينفعون لشيء» ويراد به الأشرار من طبقات المجتمع[2] وكانت بداية هذا التجمّع على عهد الوالي داود باشا.

وقد تزعّم الزعفراني هذه العصابة وأخذ عددها يتزايد يوماً بعد يوم واستفحل أمرها بمرور الزمن حتى صارت قوة هائلة ترهب الأهلين، وهيمنت على المدينة هيمنة تامة، فلم يكن بوسع أحدٍ أن يتحدَّاها أو يعصي لها أمراً. وعجزت السلطة المحليَّة وسطوة الوالي عن تأديبها وإيقافها عند حدّها.

عمدت هذه العصابة إلى السَّلب والنهب ومختلف ضروب الاعتداء على المواطنين والزوّار، فكانت تخضعهم لأوحش الطلبات وأقبحها، وتنهب أمتعتهم وملابسهم، بل زوجاتهم وبناتهم فقد كانوا يختطفون الفتيات الجميلات بالقوّة أو يسرقونها فلا تعاد إلاّ بعد فترة. وقد التقى السائح البريطاني جيمس بيلي فريزر بأحد الزوّار الإيرانيين ممَّن عوملت زوجته بتلك الصورة[3]. وصادف مرّة أن ألقوا

= الولاة من بعده على سنّته فتساهلوا في انتشارها حتى ولي مدحت باشا فحاول منعها ولم يفلح. ويقال أن أول موكب لطم هو الذي أخرجه الشيخ باقر أسد الله في الكاظمية ثم انتشرت في أرجاء العراق (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١١٠ ـ ١١١).

(١) أربعة قرون من تأريخ العراق، ص ٢٨٦.

(٢) رحلة فريزر، ص ١٧٨ و (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١١٦).

(٣) رحلة فريزر، ص ١٧٣ ـ ١٧٦.

القبض ليلاً على أحد المجتهدين في كربلاء، وهو السيِّد إبراهيم القزويني صاحب «ضوابط الأصول» ولم يطلقوه حتى أعطاهم أربعة آلاف قران من سكة محمد شاه[1].

وظلّ أولئك المفسدون على سيرتهم طوال ولاية داود باشا وعلي رضا باشا اللاظ، ولما ولي نجيب باشا واطَّلع على أمرهم نوى القضاء عليهم حتى لو أدَّى إلى هتك حرمة المدينة المقدّسة، وبدأ العمل بإرسال إنذار إلى رؤسائهم بوجوب الخضوع ونزع السلاح خلال شهر واحد فلم يستجيبوا له. فطلب إلى السيد كاظم الرشتي أن يعمل على حقن الدماء. ـ وكان المجتمع الكربلائي يومئذٍ منقسماً على نفسه بسبب الصراع العقائدي بين الشيخية وخصومهم ـ فلبّى الرشتي طلب الوالي وحثّ الناس على فتح أبواب البلدة للقوّة التركية والاستسلام لها. فأدّى عمله إلى زيادة الانقسام بين الأهالي حيث انصاع أتباعه لرأيه وازداد خصومهم عناداً وإصراراً على القتال، بل صرّحوا علانية بأنهم مستعدون للفناء وهتك الأعراض وراضون بأسر نسائهم وأطفالهم على يد العثمانيين وأن لا يتدخل الرشتي وتخمد الفتنة على يده فيرتفع ذكره ويثبت حقّه في أعناقهمْ ويكون له فضل عليهم[2]. وأرسل رؤساء الحركة إلى بعض العشائر المتحالفة معهم كآل فتلة وآل يسار وآل زغبة، يستنجدون بهم[3]. فجهّز الوالي قوّة عسكرية ضخمة قادها بنفسه إلى كربلاء.

اتَّخذ نجيب باشا قرية المسيَّب قاعدة له وجعل قيادة القوّات المحاصرة بيد سعدالله باشا[4] واتَّصل بالقنصلين البريطاني والفرنسي وبالوكيل الإيراني وبعض الشخصيَّات الإيرانية من سكنة كربلاء، فطلب منهم تسوية الأزمة ليظهر أمامهم عدم مسؤوليته ممَّا سيقوم به من إباحة وسفك دماء، وفشل الجميع في الوساطة بين الفريقين. وفي ليلة الحادي عشر من ذي الحجة عام ١٢٥٨ ـ ١٣ كانون الأول

(١) تاريخ العراق بين احتلالين: ٦/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨.
(٢) هداية الطالبين، ص ١٥٢ و١٥٣.
(٣) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١٢٠. و (تراث كربلاء، ص ٢٧٢).
(٤) بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، ص ٤٤ و (تاريخ كربلاء المعلى: ص ٢٤ و٢٥) و (تراث كربلاء، ص ٢٧٢) وفي (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١٢٠): مصطفى باشا.

١٨٤٢[١] ـ ثاني عيد الأضحى ـ سلّطت القوات التركية مدافعها على سور كربلاء من ناحية باب النجف[٢] ففتحت ثغرة واسعة وبعد معركة طاحنة عندها تغلغلت القوّات في المدينة، وتمّ لها النصر فسيطرت في برهة قصيرة وأبيحت البلدة ثلاث ساعات[٣] وبدأ القتل الذريع والنهب الفظيع. وكانت الأوامر قد صدرت إلى الجند باحترام بيت السيد كاظم الرشتي. وحين علم الأهالي بذلك تهافتوا على البيت طلباً للنجاة وكثر الازدحام حتى مات تحت وطء الأقدام عشرون شخصاً، واضطرَّ الرشتي لإضافة عدد من البيوت المجاورة له إلى بيته بغية إيواء اللاجئين إليه فنجوا جميعاً[٤] وكان الجيش مؤلَّفاً من أبناء السنة واليهود وقد قتلوا كل من لقوه في الأزقّة والشوارع والبيوت والمخابىء والزوايا وغيرها، ويتراوح عدد الذين لاقوا حتفهم بين عشرة آلاف واثني عشر ألفاً. ونجا بسبب الدور التي فتحها الرشتي من دار إلى دار قرب عشرة آلاف نفرٍ ـ من أعدائه وأصحابه ـ كما استطاع الكثيرون حفظ أموالهم وذخائرهم بنقلها إلى بيته، بينما نهبت أموال باقي أهل كربلاء وأسرت نساؤهم وأطفالهم[٥] ولم يُقتل من أصحاب الرشتي في تلك الواقعة ولا واحد في الوقت الذي لم يسلم فيه حتى الذين لاذوا بضريح الحسين واختفوا في أروقته بل وحتى الذين تمسّكوا بالضريح[٦]. ونفى ذلك بعضهم فزعم أنَّ الذين التجأوا إلى صحن الحسين قد نجوا، وكان السبب أنَّ الحاج مهدي كمونة نائب سادن الحرم الحسيني قد خرج مع بعض السدنة إلى القائد وهو واضع

(١) أعيان الشيعة: ٤٦/ ٢٣٨ و (زنبيل فرهاد، ص ٢٥٧) و (شهداء الفضيلة، ص ٣٠٦) و (بغية النبلاء، ص ٤٥) و (روضات الجنات، ص ٣١٢) وغيرها.

(٢) تراث كربلاء، ص ٢٧٢. وفي (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ٢١٠).

(٣) هداية الطالبين، ص ١٥٣ و (بغية النبلاء، ص ٤٥) وفي (لمحات اجتماعية: ٢/ ١٢٠): أربع ساعات.

(٤) مطالع الأنوار، ص ٢٨.

(٥) التبس الأمر على مرتضى الجهاردهي فخلط بين واقعة نجيب باشا وما زعمه البعض من أن خصوم الأحسائي قد وشوا به إلى الوالي داود باشا فأمر الجيش بمهاجمة كربلاء والفتك بأهلها!! ثم تساءل: كيف سلمت دار الرشتي وصارت مأمناً للاجئين وهو خليفة الأحسائي؟ ولماذا قتل معارضوه والمخالفون له في المعتقد ولم يتعرّض أصحابه لذلك؟ (شيخيكري بابيكري، ص ٥٣).

(٦) هداية الطالبين، ص ١٥٣ و١٥٤.

عمامته في رقبته ويبكي ويلطم ويطلب الأمان. وإنه خاطب القائد بالتركية قائلاً ما تعريبه: «أفندم، إننا لم نخلع الطاعة ولم نفارق الجماعة فلا تأخذنا بذنوب المفسدين، وترحّم علينا بالأمان». فرفع القائد يده مشيراً إلى الجند بالتوقّف عن الضرب، فنجا بذلك جميع من كان في داخل الصحن إلاّ من مات منهم من شدّة الزحام[1].

وقد ذهب القائد بعد ذلك إلى صحن العبّاس، فلم يفتح له المعتصمون فيه الباب فأمر الجند بقلع أحد الأبواب فقلعوه وهجموا على من كان في الصحن وحول الضريح فقتلوهم جميعاً. ووجد بعد ذلك في السرداب الذي تحت رواق العباس ما يزيد على ثلاثمائة قتيل.

وفي صباح اليوم التالي، دخل نجيب باشا كربلاء ولمّا اقترب موكبه من صحن الحسين ترجّل عن جواده، فاستقبله الحاج مهدي كمونة ومن معه من السدنة وهم يحملون القرآن وأعلام الروضة، فدخل نجيب باشا إلى الصحن وقد حفّ به الحاج مهدي كمونة، والسيد كاظم الرشتي، والشيخ وادي الشّفلح رئيس عشيرة زبيد، والملا علي الخصي، وغيرهم فزار القبر واستراح في «تكية البكتاشية» قليلاً.

وألقي القبض على الزعفراني فنقل إلى بغداد مكبّلاً ومات بعد قليل، كما ألقي القبض على بعض أشراف كربلاء بتهمة التحريض على الحركة والمقاومة كالسيد صالح الداماد، وعلي كشمش، وطعمة العبد، وبعض آل نصر الله وآل النقيب، وطورد السيّد عبد الوهّاب آل طعمة سادن الروضة الحسينية، ثم عفي عنه بشفاعة السيد علي الكيلاني نقيب الأشراف في بغداد[2].

وقد اختلف الرواة في تقدير عدد القتلى فمنهم من جعله أربعة آلاف[3] ومنهم من قال: إنّه خمسة آلاف[4] وثالث قدّره بتسعة آلاف[5] وزعم آخران عشرة آلاف[6]

---

(١) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١٢١.
(٢) موسوعة العتبات المقدسة ـ قسم كربلاء: ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠.
(٣) موسوعة العتبات المقدسة ـ قسم كربلاء: ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠.
(٤) تاريخ العراق الحديث، ص ٩٢ و٩٣.
(٥) زنبيل فرهاد، ص ٢٥٣. و (بغية النبلاء، ص ٩٥).
(٦) معارف الرجال: ١/ ٢١٤. و (روضات الجنات، ص ٤١٣).

وادّعى بعضهم أنه بين عشرة آلاف واثني عشر ألفاً [١] وقال غيره إنّه ثمانية عشر ألفاً [٢] وروى آخر إنّه عشرون ألفاً [٣] وارتقى غيره إلى أربعة وعشرين ألفاً [٤]. أما المندوب العثماني فقد نصّ تقريره على أن عدد القتلى من الأهالي يناهز المائتين والخمسين أكثرهم من الإيرانيين؛ وإن خسائر الجيش التركي أربعمائة قتيل ومئتي جريح[٥]. بينما حكي عمَّن شهد الواقعة من الثقات: إنه لما أقفل العسكر أحصينا القتلى وسألنا الحفّارين وتحقّقنا ذلك، فكان ما يزيد على عشرين ألفاً من رجل وامرأة وصبي، وكان يوضع في القبر الأربعة والخمسة إلى العشرة، فيهال عليهم التراب بلا غسل ولا كفن وتفقّدنا القتلى منهم في الدور والآبار[٦].

وبعد انتهاء الواقعة نظم عبد الغفّار الأخرس قصيدة هنّأ بها الوالي بالفتح والنصر وذمّ أهل كربلاء ذمّاً قبيحاً، وأشار إلى أن الباشا ضحّى بهم في العيد كما تنحر الغنم[٧]، ونظم بعض النواصب أبياتاً في سبّ الشيعة فردّ عليه السيد داود الحلي بعد أن عكس معناها[٨] كما نظم السيد محمود الآلوسي قاضي عسكر الوالي بيتين فردّه الشيخ عزيز ابن شريف[٩] النجفي[١٠] والمولى محمد[١١] التبريزي[١٢]، وقد أرّخ الواقعة الشيخ محمد السماوي[١٣].

---

(١) هداية الطالبين، ص ١٥٣.
(٢) تراث كربلاء، ص ٢٧١.
(٣) شهداء الفضيلة، ص ٣٠٧ و (أحسن الوديعة، ص ١٣٧. ط ٢).
(٤) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١٢٢.
(٥) موسوعة العتبات المقدسة ـ قسم كربلاء: ١/ ٢٧٩.
(٦) شهداء الفضيلة، ص ٣٠٦ و٣٠٧.
(٧) موسوعة العتبات المقدسة ـ قسم كربلاء: ١/ ٢٣١ ـ ٢٣٣.
(٨) البابليات: ٢/ ٧٦ و (الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، ص ٢٠٠) و (لمحات اجتماعية: ٢/ ١٢٤).
(٩) سمّاه الوردي (يوسفاً) انظر (لمحات اجتماعية: ٢/ ١٢٤).
(١٠) زنبيل فرهاد، ص ٢٥٣.
(١١) سمّاه الوردي «محموداً» انظر: اللمحات: ٢/ ١٢٤.
(١٢) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٨١٦ و (زنبيل فرهاد، ص ٢٥٣) و (بغية النبلاء، ص ٤٥).
(١٣) مجالي اللطف بأرض الطف، ص ٥٩.

٤ ـ وفاته وقبره:

وأخيراً، وبعد صراع طويل وجهاد مرير، وحروب طاحنة وحملات واسعة قاومها الرشتي بأعصاب فولاذية، وقابلها بصبر ورباطة جأش، وبالرغم مما تميّز به من قدرة خارقة على تحمُّل الصعاب والمتاعب؛ فقد أثرت عليه واقعة نجيب باشا تأثيراً بالغاً، فلم يكن ليهون عليه ما حلّ بالقوم وإن كانوا أعداءه وخصومه، ولم تفرحه إبادتهم وإن صفا له الجو وخلا الميدان من معارضٍ، فقد كان يمرّ بالديار وهي خرائب؛ تنعى فيها البوم وتصفر في أروقتها الرياح وتتجاوب الأصداء؛ فيقف عليها منكسراً خاشعاً يتصوّر المأساة وأيامها السود، حين كانت المدافع العثمانية تمطر المدينة بوابلٍ من القنابل، وسيوف الجند تعمل في رقاب المارّة من مختلف الطبقات، لا ترحم شيخاً لكبره، ولا طفلاً لبراءته، ولا امرأة لضعفها، ولا زائراً لغربته، ولا تميّز بين محارب ومحايد، ومخالف ومؤيد، بل تحصد الرؤوس كما يحصد المنجل السنابل، والناس مذعورة تفر فرار الغنم إذا شدّ عليها الذئب، ﴿يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ [عبس/ ٣٣ـ ٣٥] وكيف انهالوا على بيته بلا شعورٍ طلباً للنجاة وأماناً من الموت بعد أن رفضوا الحلّ السلمي إذا كان عن طريقه أو بواسطته كرهاً وتحدّياً، وكيف حدا بالقوم حادي الموت زرافاتٍ ووحدانا، فخلت منهم الديار وعفت الآثار مرة واحدة، وتعود به الذاكرة إلى ما قبل الحادثة بسنين يوم جمعوا عليه الغوغاء من كل صوب وحدب حتى ضاقت بهم البلاد، وحشروهم في مجلس عام ضاقت أرجاؤه فتسلّقوا جدرانه وسطحه وملأوا الطرق المؤدية إليه، وذلك ليحاكموه ويهتكوه ويعلنوا كفره على الملأ... ويوم أمروا أتباعهم بخطف عمّته في حرم الحسين عليه السلام وهو يصلّي بين يدي ربّه... ويوم رموه بالرصاص وهو خارج من صحن الإمام ليقتلوه فأخطأوه وأصابوا خادمه... ويوم أرادوا إجلاءه عن كربلاء فنادوا بالناس وجمعوهم عليه وهو يدرّس، وأرادوا أن ينزلوه على المنبر لإخراجه... كان يستعرض ذلك كله في ذاكرته كما يستعرض شريط السينما فتنهار قواه وتضعف عن حمله رجلاه، لكنه لم يكن ليهون عليه ما حلّ بالقوم من إبادة وفناء ومصير مؤلم.

وبقيت تلك الخواطر تجول في ذهنه، وظلّت مظاهر استباحة المدينة ماثلةً بين عينيه لا تفارقه لحظة، فظهرت عليه إمارات المرض والانهيار بالتدريج، وأخذ يحسّ بدنوّ الأجل، فقرر أن يزور العتبات المقدسة في العراق ويودّع مراقد الأئمة عليهم السلام وأحبَّ أن يرافقه أصحابه وأحبابه في تلك الزيارة، فأمرهم بذلك وطلب إلى الميرزا حسن الطبيب ـ وكان من تلامذته الأعلام ـ أن يصحبه أيضاً، فاعتذر منه لإشرافه على معالجة عددٍ من المرضى، فرجاه أن ينظم لهم العلاج ودستور العمل به ليصحبه لأنه يظنُّ أن ذلك آخر أسفاره، فردّ عليه بأنّه صحيح سالم وسوف تتكرر زياراته بإذن الله، فقال له: إنني أعرف شيئاً لا تعرفه، فاسمع ذلك مني ولا تفض به إلى أحدٍ. فامتثل وزار مع أصحابه سامراء، ولما عاد إلى الكاظمية وانتهى من زيارة الإمامين عليهما السلام دعاه الوالي نجيب باشا، فزاره في بغداد وبالغ في تعظيمه وتكريمه، ودسّ له سماً في القهوة، ولما عاد إلى منزله تقيّا دماً واضطربت حالته، فعجل أصحابه بحمله إلى كربلاء وبقي يومين أو ثلاثة، وتوفي بعد ساعتين ونصف من منتصف ليلة الثلاثاء الحادي عشر من ذي الحجَّة عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م ـ وهي الليلة نفسها التي هاجم فيها نجيب باشا كربلاء من السنة السابقة[١] ـ وجهّزه وصلّى عليه الشيخ حسن كوهر بوصية منه[٢] ودفن في رواق الحسين عليه السلام خلف الشباك الواقع عند أرجل شهداء الطف (رض) ووسعوا الحفر من الأسفل حتى ألحدوه في داخل الحرم الحسيني بالقرب من قبور الشهداء، وأرّخ وفاته بعضهم في آخر قصيدة نظمها في رثائه ـ وكانت مكتوبة على لوح قبره ـ بقوله: وكل شطر منه تاريخ:

ألا قل بتاريخه (غاب نور) وإن شئت قل (غاب بدر الهدى)

١٠٠٣/٢٥٦ ١٠٠٣/٢٠٦/٥٠

(١) مكارم الآثار در أحوال رجال دورة قاجار: ١/ ٢٢٠ و (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٥٤ و١٥٥) و (هداية الطالبين، ص ١٥٤ و١٥٥) وفي الأخير أنه سمّ في شراب قدّم له وابتلي على أثره بعطش شديد فكان لا يهدأ حتى توفي.

(٢) الرسائل المهمة في التوحيد والحكمة، ص ٤.

وقد دفن بعده إلى جنبه تلميذه الحاج محمد كريم خان بن إبراهيم خان ظهير الدولة القاجاري، رأس شيخية كرمان والمتوفى عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، وكان قد سأل ذلك من الله عندما تحدَّث عن موضع دفن الرشتي وقبور الشهداء، فقد قال: «اللّهم أحينا حياتهم وأمتنا مماتهم وتوفّنا على محبَّتهم وولايتهم واحشرنا معهم آمين يا ربّ العالمين» وعلَّق ولده الحاج محمد خان الكرماني على ذلك بقوله ما ترجمته: إنَّ الله قد استجاب دعاءه، وقد اجتمعت هناك تربة غريبة عندي منها وفيها رائحة تفّاح[1]! وكان بين الحرم والرواق شباك ترى منه قبور شهداء الطف، ومن في الحرم الشريف، وكان الغرض من وضعه ليكون حائلاً دون العبور والمرور احتراماً للشهداء بعدم وطء قبورهم، وكان قد وضع على قبر كلٌّ من الرشتي والكرماني رخامة نفيسة كبيرة ومصاحف أثرية مذهَّبة وأضوية ثمينة وستائر نادرة مهمة، وفي أيام الحرب العالمية الأولى وضعف آل عثمان وتسلّط الإنكليز، في سنة ١٣٣٥ أو ١٣٣٦ ـ ١٩١٦ أو ١٩١٧ أقدم آل كمونة ـ من بيوت كربلاء ـ لسابق عدائهم مع السيد أحمد بن السيد كاظم الرشتي المقتول عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م، وكانوا يتطاولون على الناس بحماية الإنكليز، وبمساعدة جمع من أعراب أطراف كربلاء، أقدموا على الهجوم على دار السيد قاسم بن السيد أحمد الرشتي؛ فهرب صاحب الدار ونهب ما كان فيها، وأشعلت النيران بعد ذلك، وبعد الفراغ منها هجموا إلى داخل الرواق الحسيني؛ فقلعوا صخرة قبر السيد كاظم الرشتي وتلميذه الكرماني ونهبوا ما كان هناك من نفائس الأشياء المذكورة، وقلعوا الشبكة التي كانت تفصل بين الحرم والرواق لتصبح مدخلاً ومعبراً ولتداس القبور بالأرجل[2] ثم وضع بدل الشبَّاك باب هو الآن أحد أبواب الحرم الطاهر، والظاهر أنَّ خصوم الرشتي وأبناءهم لم يشفوا صدورهم منهم وهم أحياء، بل تتبعوهم وهم أموات، وظلوا يلاحقون أبناءهم وأشياعهم ويجرّعونهم ما يتمكنون عليه من الغصص. ومن غرائب الأشياء ما وقفت عليه في بعض

(١) هداية الطالبين، ص ١٥٥ و١٥٦.

(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٥٥ ـ ١٥٧.

منشورات (ديوان النشر والترجمة والتأليف التابع لجامعة مدينة العلم للإمام الخالصي الكبير في الكاظمية) فقد قدَّم له الناشر كلمة جاء فيها: «والذي يؤخذ على أهل كربلاء أنهم لم يكافحوا هؤلاء المشركين ويتقوا ضلالهم بالطرق الإرشادية وغيرها إلاّ ما جرى للمرحوم الشيخ فخري كمونة أيام الحرب العالمية الأولى فإنه قضى عليهم ونبش قبر كاظم الرشتي وعفّى أثره وأحرق ما فيه من رميم، وذكر أن ذلك كان بوصيةٍ من أبيه إذ قال له: متى سنحت لك هذه الفرصة؛ فافعل ذلك»[1] وسيأتي في فصل (أولاده وأحفاده) سبب عداء آل كمونة المستحكم.

٥ ـ أولاده وأحفاده

بالرغم من الدعايات السيئة التي كانت تبثّ ضدَّ الرشتي، والإشاعات المغرضة التي كان يطيّرها خصومه حوله لتفريق الناس عنه، فقد كان له مركز اجتماعي مرموق، ومكانة دينيَّة كبيرة، ومجلس درس حافل بوجوه أهل الفضل، وكانت داره ملتقى كبار الرجال ومختلف طبقات الناس من كل المدن العراقية، كما كانت حكومتا إيران وآل عثمان تكنّان له احتراماً وافراً، وكان السفراء والقناصل وغيرهم من الشخصيات التي ترد إلى بغداد وكربلاء من مختلف البلاد الإسلامية تحرص على لقائه وزيارة داره، وظلَّ بيته محط رحال الأدباء ومنتجع الشعراء، فقد قصدوه من معظم المدن العراقية ومدحوه بغرر القصائد وحظوا بنائله وجوائزه، أما شعراء كربلاء فشذّ فيهم من لم يشارك في مدحه أو تهنئته أو غير ذلك من الأغراض.

وبقيت داره طيلة حياته نادياً «يؤمُّه الشعراء حيث تروى فيه الأخبار وتنشد الأشعار»[2] وكانت «مدرسة فكرية موجَّهة لأكثر شباب ذلك الجيل حيث تطرح فيها القضايا الدينية ويدور النقاش في العلم والأدب والفكر»[3] وكانت للرشتي

---

(١) الاعتصام بحبل الله، ص ٨.

(٢) تراث كربلاء، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٩.

(٣) شعراء من كربلاء: ١/ ١٤٣.

مكتبة تعدُّ من أضخم مكتبات العراق في وقتها «وقد بلغ عددها عشرة آلاف مجلد بين مخطوط ومطبوع»[1] ويقول السيد سلمان الطعمة: «حدَّثني أحد الأصدقاء، فقال: رأيت أطلالها في بيت أناس لا يقدرون الأدب ولا يعطفون على تراث الأجداد، ومن بين هذه الأطلال تظهر مجموعة ضخمة جداً من دواوين قدامى الشعراء كلها خطّية، وكلها أوراق متناثرة، ويقال: إنَّ المكتبة تناهبها كثير من الموظفين الكبار في كربلاء وغيرهم ومنهم محام جليل في بغداد[2]. وحدَّثني السيد عبد الرزاق الحسني أنَّ لدى المحامي عباس العزاوي في بغداد كمية كبيرة من كتب الشيخية وآثارهم كانت في أكياس. وأظنه المقصود في كلام السيد سلمان.

وتوفي السيد كاظم الرشتي عن ولدين هما: السيد حسن، والسيد أحمد، وابنة واحدة لم تتزوج، أما السيد حسن فعقبه في (شاهين دازافشار) من بلاد إيران[3] ولا نعرف عنه شيئاً، وأما السيد أحمد فهو الذي خلف أباه على زعامة بيته وقومه، وحراسة مجده وكيانه.

ولد السيد أحمد في كربلاء، ونشأ محاطاً برعاية أبيه واهتمامه؛ وفي دار أبيه ومعهد درسه اللذين كانا يضمّان فصائل من أهل الفضل وجموعاً من رجال العلم والأدب، وتولّى تربيته مع أخيه الشيخ محمد حسين الكرماني الملقب بالمحيط[4]، فأخذ مقدّمات العلوم وحضر على أبيه في الفقه وأصوله وفي الكلام والحكمة. وتخرّج على مجلس أبيه الذي كان مدرسة تغذي بأنواع العلوم وصنوف المعرفة، وحاز نصيباً وافراً من الفضل، وتوفّي أبوه، فخلفه على منصة الزعامة الاجتماعية، وحرص على أتباعه وأصحابه وشعرائه، فأغدق عليهم العطاء وتعهّد لمن كان يعيل به والده بما كان يدرّه عليه من نائل، فالتفُّوا حوله وتجمَّعوا عليه،

(١) تراث كربلاء، ص ٢٢٥.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٣٨ و٢٣٩. بلغني أن الصديق الأستاذ أحمد حامد الصراف.
(٣) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٥٥.
(٤) فتنة باب، ص ٢ ومكارم الآثار: ١/ ٢١٨.

وكـان لفضله الغزير وخلقه الرفيع وسيرته المرضية ونفسه العالية مدخلية كبيرة في حبِّ الناس له واهتمامهم بشأنه، كما تولّى توزيع (خيرية أوده) نحو عامين وكانت في يد أبيه من قبل[١].

وقـد خطـا خطـوات واسعة ونمّى بعض المشاريع التي كان قد أسَّسها أبوه، فأضاف إلى صرح مجده لبناتٍ أخرى، فقد وسّع مكتبة أبيه ونمّاها بما أضافه إليها من نوادر الكتب التي جلبها من إيران واسطنبول والحجاز والهند وغيرها، وعرضها لفائـدة المطـالعيـن، فكان الناس يختلفون إليها للاستفادة، وورث من أبيه تصدّيه لقضـاء حـوائـج الناس وإمداد المعوزين ومساعدة المحتاجين[٢] ومجاملة الأعداء والإغضـاء عـن السيئـات، فضخّم ذلك رصيده وأعلى مكانته، وقد أنعش الحركة الأدبية في كربلاء بما أغـدقـه على الشعراء من جوائز ومنح وعطاء وفير، فاتجهوا إليه والتفُّوا حوله وتـفنّنوا في مدحه وتهنئته، وتفوّقت داره في عهده على ما كانت عليه في عهد أبيه من ناحية النشاط الأدبي لأنه كان شاعراً أيضاً يشاركهم في النظم ويطارحهم، وصارت الدار مدرسة أدب وشعر يقام له فيها سوق رائجة وتلقى قبولاً تاماً، وإلى القارئ قائمة بأسماء عدد من الشعراء الذين مدحوه أو هنأوه ممَّن كانوا يرتادون مجلسه ويلجأون إليه، وفيهم من كان هو وأبوه وليُّ نعمته وكافل شؤونه:

١ ـ الشيخ إسحاق المؤمن[٣].

٢ ـ الشيخ جواد الأصفر[٤].

٣ ـ الشيخ جواد بذكت[٥].

٤ ـ الشيخ صالح الكوّاز[٦].

---

(١) شيخيگري وبابيگري، ص ١٧٦.

(٢) طرائق الحقائق: ٣/ ١٢٣.

(٣) شعراء من كربلاء: ١/ ١٢٣.

(٤) المصدر نفسه: ١/ ٢٩٢.

(٥) المصدر نفسه: ١/ ٧٣ و٧٤.

(٦) تراث كربلاء، ص ٢٢٥. والبابليات: ٢/ ١٠٠.

٥ ـ السيد علي العذاري[١].

٦ ـ الشيخ علي الناصر[٢].

٧ ـ الشيخ فليح حسُّون[٣].

٨ ـ الشيخ قاسم الهر[٤].

٩ ـ الشيخ كاظم الهر[٥].

١٠ ـ الشيخ محسن أبو الحب[٦].

١١ ـ الحاج محسن الحميري[٧].

١٢ ـ السيد محمد الأعرجي[٨].

١٣ ـ الشيخ محمد فليح[٩].

١٤ ـ الشيخ محمد علي الشيخ خليل[١٠].

١٥ ـ الحاج محمد علي كمُّونة[١١].

١٦ ـ الشيخ محمد علي الهر[١٢].

١٧ ـ السيد مهدي الهندي[١٣].

---

(١) شعراء من كربلاء: ١/ ٣٩.
(٢) المصدر نفسه: ١/ ١٧٩ و١٨٠ و١٨١ و١٨٢.
(٣) المصدر نفسه: ١/ ١٥٠ و١٥٢ و١٥٣ و١٥٤ و١٥٦.
(٤) المصدر نفسه: ١/ ١٠١ ـ ١٠٢.
(٥) المصدر نفسه: ١/ ١٩٤.
(٦) المصدر نفسه: ١/ ١٧٦.
(٧) المصدر نفسه: ١/ ١١٨.
(٨) المصدر نفسه: ١/ ٣٥٠.
(٩) المصدر نفسه: ١/ ١٦٠ ـ ١٦٤.
(١٠) المصدر نفسه: ١/ ١٥٧ و١٥٨.
(١١) المصدر نفسه: ١/ ١١٤ وديوان ابن كمونة / ٥٦.
(١٢) المصدر نفسه: ١/ ٢٠٦ و٢٠٧.
(١٣) المصدر نفسه: ٢/ ٤٢.

١٨ ـ الشيخ موسى الأصفر[١].

١٩ ـ الشيخ يوسف بريطم[٢].

وبحكم احتكاك السيد أحمد مع الشعراء ومجالسته المستمرّة لهم؛ فقد اندفع إلى نظم الشعر ومجاراة إخوانه في هذا المجال، إلاّ أنه بالنظر لانصرافه إلى العلوم الدينية وما يتّصل بها لم يعر ناحية الشعر كبير اهتمام ولم يتّجه إليها اتجاهه إلى القضايا الشرعية، ومع ذلك ففي نظمه قصائد ومقاطع من الشعر المقبول ما يدل بوضوح على أنه لو انصرف إلى الشعر لأجاد فيه وأبدع.

وقد ورث السيد أحمد مكانة أبيه في بلاط آل عثمان؛ إذ كان أحد رجال أربعة لهم في مجلس الخليفة العثماني في البلاط كراسٍ ثابتة بأسمائهم[٣] وكان ذلك سبباً في دعم شخصيته وفرض وجوده على مجتمعه ولما كانت السياسة البريطانية يومئذٍ تعمل على خلع العراق من جسم الامبراطورية العثمانية وإخراجه من حكمها تمهيداً للسيطرة عليه واستعماره فقد استغلّت موضوع الدين والمذهب وأثيرت خلافات وبدأت تحرشات من قبل بعض العوائل الكربلائية المعروفة بقدم صلاتها بالإنكليز وامتثالها لأوامرهم وتمثيلها لسياستهم بعد أن كانت الفتنة نائمة والسيد أحمد وصحبه وأتباعه في منأى عن الخلافات الدينية مع غيرهم.

وصادف أن تدخّل الرشتي في أمر سدانة الروضة الحسينية على أثر وفاة السادن المرزا حسن كمونة الذي وليها بعد أخيه الحاج مهدي كمونة، وكانا طارئين عليها، فأدّى ذلك إلى بغض آل كمونة له، فقد رغب الرشتي في إعادتها إلى بيتها[٤]، وقد نقل السيد محمد حسن مصطفى الكليدار قول صاحب «مناهل

(١) شعراء من كربلاء: ١/ ١٢٨ و١٣٠ و١٣٥ و١٣٨.
(٢) المصدر نفسه: ١/ ١٢٠.
(٣) شيخيگري بابيگري، ص ١٥٧.
(٤) كانت سدانة الروضة الحسنية بيد آل طعمة العلويين ولما هاجم نجيب باشا والي بغداد، كربلاء عام ١٢٥٨ ـ ١٨٤٢ وأحدث تلك المذبحة العظيمة فرّ السادن السيد عبد الوهاب بن محمد علي آل طعمة، ولماوصل الوالي إلى الصحن وتقدم الحاج مهدي كمونة ـ من أسرة كان لها شرف الخدمة في الحرم ـ=

الضرب في أنساب العرب» المخطوط بشأن تولية السدانة وهذا نصُّه: «عندما توفي المرزه حسن كمُّونة حدث نزاع عائلي بين كلٌّ من الشيخ محمد بن المرزا حسن، والحاج محسن بن الحاج مهدي كمونة بسبب تهالكهم على تولية السدانة، وكان أهالي كربلاء آنذاك منشقين إلى قسمين: قسم ينبذ آل كمونة وهم الأكثرية، ويتزعَّمهم المرحوم السيد أحمد السيد كاظم الرشتي وينضم إليه جميع طبقات كربلاء من الوجوه والأعيان والمهنيين وقسم كبير من عشائر كربلاء، وينحصر القسم الثاني بزعامة الحاج محسن كمونة ومعه جماعةٌ كبيرةٌ من الإيرانيين المقيمين في كربلاء، فتجمَّع القسم الأول في دار الزعيم المرحوم السيد أحمد وقرَّروا بالإجماع تولية السيد محمد جواد آل طعمة سدانة الروضة الحسينية وإرجاع أمرها إلى بيتها السابق، وسعى السيد أحمد وجماعة كبيرة من الخدمة العلويين لدى الوالي، فقرَّر تصديق القرار الإجماعي بتولية السيد المذكور وأصدر البلاط العثماني إرادة سلطانية (فرمان) بتوليته بعد أن دفعت أسرته البدل المقرَّر لذلك وقدره ألف ليرة عثمانية. وكان ذلك عام ١٢٩٢هـ ـ ١٨٧٥م، الأمر الذي أوغر صدر ابن كمونة فدبر مؤامرة لاغتيال السيدين الخازن والرشتي، فنجا الخازن

= إلى الوالي وكانت عمامته في رقبته وهو يبكي ويلطم طالباً الأمان، وخاطب الوالي بلسان تركي بأعلى صوته: أفندم أننا لم نخلع الطاعة ولم نفارق الجماعة فلا تؤاخذنابذنوب الغير، المفسدين وترحّم علينا بالأمان. فلم يعره الفريق أذناً صاغية حتى اليوم الثاني فتقدم نجيب باشا حتى وصل باب صحن الحسين عليه السلام فدخل الصحن بهيئة مرهبة وأبهة حسنة وإلى جانبه السيد كاظم الرشتي فتقدم الحاج مهدي كمونة باكياً متضرعاً وقبّل إلية فرس الفريق وبيده القرآن الكريم ومعه جماعة من الخدمة بيدهم أعلام الروضة فساروا خلف الفريق حتى زار الحضرة ومن ثمّ أمّ التكية وصاحبها يومئذ السيد محمد تقي الدرويس فنادى الفريق نجيب باشا ونهر بالحاج مهدي: أين الكليدار؟ فأجابه الحاج مهدي: هرب. فأولاه نجيب باشا سدانة الروضة الحسينية ريثما يذهب إلى بغداد ويخبر البلاط العثماني ويصدر له (البيورلدي) ـ الأمر الذي يصده الوالي وتعريبه ـ الهامش ـ وهو غير الفرمان الذي كان يصدره البلاط العثماني ـ فتولى الحاج مهدي كمونة سدانة الروضة في عام ١٢٥٨ ـ ١٨٤٢ حتى وافاه الأجل في عام ١٢٧٢ ـ ١٨٥٥ وقد عفي عن السادن الأول أخيراً بشفاعة نقيب بغداد السيد علي الكيلاني.

راجع (مدينة الحسين: ١/ ٨٠ ـ ٨٢) و (مطالع الأنوار، ص ٢٨) و (موسوعة العتبات المقدسة / قسم كربلاء: ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠) و (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١٢٠ ـ ١٢٢).

لكثرة أفراد أسرته وشدة بأسهم، عدا عن كونه مهاب الجانب ويوزع على خدمة الروضة جميع الهدايا التي يتبرع بها الزائرون، وأما السيد أحمد فقد قتل... بتحريضٍ من الحاج محسن كمُّونة...»[1].

وقد قتل السيد أحمد غيلة ليلة الاثنين السابع عشر من جمادى الأولى عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م، في زقاق باب السدرة وهو خارج من الصحن الشريف بعد أداء صلاة العشاء[2]، وكان القاتل له جعفر بن باخية[3]، واشترك معه في قتله كل من الحاج حسن شبيب، وسليمان الصائغ، وأحد أفراد أسرة الفتوني، وجماعة آخرون.

وقتل معه بعده بقليل في الصحن الحسيني الشريف خدنه وشاعره الملازم له الشاب الشيخ محمد فليح الذي أراد أن يفديه بنفسه وفاءً منه ونبلاً، فقد كان أبوه الشيخ فليح حسُّون ملازماً للسيد كاظم الرشتي أبي السيد أحمد، فورث الشيخ محمد هذه الصحبة من أبيه، فكان ملازم السيد أحمد وشاعره، فقد أعجب به السيد أحمد وسعى في تزويجه عام ١٢٩٢ ـ ١٨٧٥ وأسبغ عليه وعلى آله النعمة[4]، فدفع به وفاؤه ونبله إلى أن يفدِّيه بنفسه، ولمَّا لم يستطع ذلك هرب بولده السيد قاسم، فأخفاه لأن خصوم الرشتي كانوا يرومون أن يطفئوا هذا البيت بالمرَّة ولا يبقوا منه مخبراً، واستطاع أن يحفظ الطفل لكنهم تبعوه بنفسه إلى الصحن فأردوه قتيلاً.

وقد دفن السيد أحمد مع أبيه في رواق الحسين، وأقيمت له الفواتح ومجالس العزاء، وقد فجَّرت هذه الحادثة عواطف الشعراء، فرثوهما أبلغ الرثاء وأرقّه وأشجاه، وظلُّوا ينوحونهما بما يفطر الأكباد، وقد خصّوا الشيخ محمد

---

(١) مدينة الحسين: ١/ ٨٢ و٨٣.

(٢) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ١٠٢.

(٣) اسم امرأة اشتهرت ببطولتها في واقعة (المناخور) كما في (مدينة الحسين: ١/ ٨٣) وكانت الواقعة في كربلاء عام ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م على عهد الوالي داود باشا الذي طمع في الاستقلال بالعراق والانفصال من الامبراطورية العثمانية على أثر استقلال محمد علي باشا في مصر، وعلي باشا ذلتلي.. في ألبانيا. وتفصيل ذلك في (بغية النبلاء في تأريخ كربلاء: ٤١ ـ ٤٣) و (تراث كربلاء، ص ٢٦٧ ـ ٢٧٠).

(٤) شعراء من كربلاء: ١/ ١٦١ وقد عبّر عنه في: مدينة الحسين: ١/ ٨٣ بالخادم وينافيه رثاء أبيه له في: شعراء من كربلاء: ١/ ١٥٥ فقد قرنه مع الرشتي واعتبره خدناً له.

لشبابه وفتوّته وشيخوخة أبيه فقد كانت رؤيته في مجالس العزاء تبكي العدوّ قبل الصديق، فقد رأى ولده مضرَّجاً بدمائه وهو في ريق العمر ونضارة الشباب ولم يمض على زواجه أكثر من ثلاث سنوات، وليس له ذنب سوى الوفاء والشهامة، وقد ناح ولده بقصائد مشجية ولحق به بعد عام.

وترجم للسيِّد أحمد جماعة منهم الشيخ آغا بزرك الطهراني[1] والميرزا أغا القزويني[2] ومرتضى الچهاردهي[3] واعتماد السلطنة المراغي[4] ومحمود الجندي[5] وسلمان الطعمة[6] وغيرهم وله من الآثار غير ما ذكر (رحلة إلى إيران) فارسيَّة توجد في مكتبة حسن عبد الأمير في كربلاء[7] وديوان شعر، وألفيَّة شعرية بعث بها إلى تلميذ أبيه الحاج محمد كريم خان الكرماني، ضمّن كل بيت منها شطراً من ألفية ابن مالك النحوية بتجو بديع وقد بثه فيها أشواقه، وأجابه الكرماني بمثلها[8].

وقد خلفه على مجده ولده السيد قاسم الرشتي سمي جدّه، وكان وجهاً من وجوه كربلاء، وعنواناً بارزاً بين أهل العلم والفضل والأدب في وقته، وقد حافظ على سمعة البيت وكرامة الأسرة بسلوكه نهج أبيه وجدّه في خدمة الأدب والكمال وأهلهما، وكان أديباً ظريفاً أيضاً، وظلَّ الشعراء على سابق عهدهم يتوافدون على ديوانه العامر ومجلسه الآهل بالاعلام والأشراف وذوي القدر والجاه، وقد مدح وهُنّي بكثير من الشعر وأطراه غير واحدٍ من الشعراء، منهم الشيخ حمادى نوح الحلي المتوفى سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م فقد أكثر من القول فيه وخصَّه بالفصل

(١) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ١٠٢.
(٢) طرائق الحقائق: ٣/ ١٢٣.
(٣) شيخيگري بابيگري، ص ١٧٦.
(٤) المآثر والآثار، ص ١٨٤.
(٥) دائرة المعارف العراقية: ٢/ ٤٩.
(٦) شعراء من كربلاء: ١/ ١٤٢ ـ ١٤٩.
(٧) تراث كربلاء، ص ٢٤٦ و٢٤٧.
(٨) شيخيگري بابيگري، ص ١٤٥.

الخامس من ديوانه، فقد أطلق عليه عنوان (الرشتيات)[1] كما راسله وطارحه الشيخ حسين الكربلائي[2].

وفي سنة ١٣٣٥ أو ١٣٣٦ ـ ١٩١٦ أو ١٩١٧ وفي أيّام ضعف الامبراطورية التركية وتسلّط الإنكليز هاجم دار السيد قاسم جماعةٌ من عرب أطراف كربلاء بتحريك عائلةٍ معروفة بحماية الإنكليز لها، وقد اعتدت على الكثيرين من أشراف وبيوت كربلاء اعتماداً على حكومة الاحتلال، وقد نهبت الجماعة دار الرشتي وأثاثها، ثم أحرقتها واضطرَّ السيد قاسم إلى الفرار إلى بغداد ومنها إلى اسطانبول، والتجأ إلى السلطان محمد رشاد العثماني، فاحتفى به البلاط وأكرمه وظلَّ هناك مدة على جانب من الاحترام والإجلال حتى هدأت الأوضاع في كربلاء، فعاد إليها[3] وعادت داره ملتقى للعلماء والأعيان وملجأً لذوي الحاجات والمعوزين، ومنتدىً للأدباء وأهل الكمال، كما ظلَّ على سابق سيرته في إكرام الشعراء وتنمية الحركة الأدبية حتى توفي عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م[4] و «أصيب الأدب... بنكسةٍ كبرى وخسارة عظمى، حيث توقف النشاط الفكري والإنتاج الأدبي بين علماء وشعراء ذلك العصر، وخبت تلك الشعلة الفيّاضة التي كانت تبعث بأنوارها من أرجاء هذا البيت»[5].

وخلف السيد قاسم من الذكور السيد أحمد وفي الذي توفي قبل سنوات، وهو والد السيد علي الموظَّف في مديرية تربية كربلاء، وله بنو عم من ذرية السيد كاظم الرشتي فيهم بعض حملة الشهادات العالية من أطباء وغيرهم، وقد صحف لقب الأسرة من (الرشتي) إلى (الرشدي) بالدال بدلاً من التاء[6] لغلبة طابع

(١) الت...: ٣/ ٩٤. وشعراء الحلة: ٢/ ٣٠٠. وتراث كربلاء، ص ٢٢٧.
(٢) شعراء من كربلاء: ٣/ ٥٦ و٥٧.
(٣) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٥٦.
(٤) حدثني بهذا التاريخ حفيده السيد علي بن السيد أحمد وفي بن قاسم في محل الأديب الكربلائي المعروف حسن عبد الأمير وعليه فإن ما ذكر في (تراث كربلاء، ص ١٠٣ و٢٢٩) من أنه توفي عام ١٣٦٠ هـ في غير محله.
(٥) تراثه كربلاء، ص ٢٢٨.
(٦) مدينة الحسين: ١/ ٨١.

الإرشاد على أعلامها في عصرهم[1] ويعدُّون من بيوت كربلاء الشريفة وأسرها النابهة، وقد ذكرهم الشيخ محمد السمَّاوي في عداد العوائل العلمية بقوله:

و(آل قاسم) الحسيني النسب والمنتمي لرشت من مسكن أب[2]

ولهم في النجف بنو عم يحملون اللقب نفسه، وكان فيهم بعض أهل العلم أدركت منهم السيد مهدي بن السيد جعفر الرشدي، المتوفى عام ١٣٥٨ ـ ١٩٣٩ ولهم مقبرة معروفة في الصحن الشريف دفن فيها السيد مهدي المذكور وأبوه، وهو والد السيد صالح الرشدي المعاصر.

والحقيقة إنَّ لهذا البيت من لدن عصر مؤسسه وباني كيانه السيد كاظم الرشتي حتى أيَّام أحفاده الأخيرة تأثيراً كبيراً على الحياة العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية في كربلاء لا يستطيع أحد تجاهله، كما ليس في وسع من يريد أن يؤرِّخ لفترةٍ من تلك الفترات إلاّ أن يشير إلى ما لرجال هذا البيت من أهمية ومساهمة وأثر بالغ في مراحل الحياة كافة، وبالرغم من أنَّ ظهور هذا البيت وبروز رجاله لم يتجاوز القرن الواحد إلاّ قليلاً فقد خطَّ لهم التاريخ صحائف لا تمحوها الأيام، وخلد لهم مآثر وآثاراً سوف تبقى مع الزمن، فمن تجديد إنشاء المسجد الواقع في القسم الشرقي من الصحن الحسيني[3] إلى (نهر الرشدية)[4] الذي عرف باسمهم والذي أنفذه جدهم إلى بحيرة الرزازة على نفقة زوجة السلطان محمد شاه القاجاري[5] إلى حفظ دماء عشرات الألوف من أهالي كربلاء في واقعة نجيب‌باشا[6] إلى خدماتٍ ومساعٍ أخرى لا يأتي عليها العد.

---

(١) تراث كربلاء، ص ١٠٢.
(٢) مجالي اللطف بأرض الطف، ص ٧٥.
(٣) بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، ص ٩٩ و١٦٥.
(٤) عين التمر، ص ١٩٣.
(٥) بغية النبلاء، ص ١٦٥.
(٦) هداية الطالبين، ص ١٥٣ و (شيخيگري بابيگري، ص ٥٣). و (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١٢١) ومطالع الأنوار، ص ٢٨.

الباب الرابع

إنقسام الشيخيّة وتعدُّد الزعامات

الفصل الأول: تنازع الرئاسة

لم يدر في خلد الشيخ أحمد الأحسائي في يومٍ من الأيام أنه سيصير زعيم طائفة خاصة أو مؤسس فرقة مذهبيّة معروفة، ولم يكنْ ليخطر على باله أن أفكاره وآراءه ستكوّن مدرسة فكرية فلسفية لها اتجاهاتها ومميزاتها وأنصارها ومعارضوها، ولذلك لم يخطّط لمن يخلفه على زعامته ويفكّر بمن ينوب عنه في مهامه ـ لا سيما إذا صحَّ ما ينسب إليه من التبشير بظهور المهدي المنتظر وتوجيه إنتباه مريديه إلى أن الإمام الغائب على وشك الظهور وأنهم يجب أن يكونوا على أهبّة الاستعداد لنصرته[1] ـ لكنّه كأيِّ عالم مدرّس كان ربّما أشار إلى الأفضل من تلامذته والمتفوّق من طلاّبه، وأطراه بما تشمّ منه رائحة الترجيح على غيره كاستعداده للتلقّي أو هضمه للآراء قبل غيره، وقد صدر مثل ذلك من الأحسائي بالنسبة إلى تلميذه السيد كاظم الرشتي؛ فقد كان يفضّله على من عداه ويتوسّم فيه الخير، ويؤثر عنه أنه قال: «ولدي كاظم يفهم وغيره لا يفهم»[2] وأنّه كان لا يشرع في التدريس ما لم يحضر الرشتي ولو اجتمع تلامذته، وأنّه إذا أبطأ أخّر تدريسه وأرجاه إلى وقت حضوره[3] ومن ذلك نظائره عرفت مكانته لدى أستاذه، واعتماده عليه، وركونه إليه، وثقته به، حتى وصفه الخوانساري بقوله: «قرة عينه الزاهرة... ومن كان بمنزلة القميص على بدنه»[4].

ولم يعهد عن الأحسائي أنه نصّ على الرشتي، ولذلك فمن الغريب جدّاً ما رواه محمد الزرندي من أنه استخلفه ونصَّ عليه بقوله لأتباعه: «لا يوجد سوى السيد كاظم الرشتي الذي يعرف مقصدي ولا يقدر أن يفهمه أحد خلافه، فاطلبوا

(١) مطالع الأنوار، ص ١٢ و١٣، و (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١٣٢).
(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٤٧.
(٣) مكارم الآثار در أحوال دورة قاجار: ١/ ٢١٠ و (شيخيگري بابيگري، ص١٩٤).
(٤) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: ١/ ٢٢٥.

علومي من السيّد فقد تلقاها منّي مباشرةً وهي التي تلقيتها من الأئمّة الذين تلقوها من رسول الله، فهو وحده الذي يعرف مغزى كلامي»[1]، وقال مرتضى الجهاردهي قريباً من ذلك[2] ولم يقل بمقالتهما أحد. وإذا صحّ ما يروى من أن الأحسائي أوصى الرشتي بأن يكون يقظاً يترقب ظهور الإمام الغائب ويمهّد أذهان الناس له[3]، فقد انتفت الحاجة إلى استخلافه.

وتوفي الأحسائي عن عددٍ كبيرٍ من التلامذة يعدُّ بالمئات، وكان فيهم المتقدّمون سناً، والمبرَّزون علماً، والنابهون ذكراً، لولا أن توجَّهت الأنظار إلى الرشتي ورشّحه وجوه أهل الفضل للنيابة عن شيخه في الرِّئاسة، وقدّمه الباقون من تلامذة الأحسائيّ على أنفسهم مع أنَّ فيهم الأفذاذ وأكابر العلماء، وحاز لقب «الأرشد»، بينهم فعلماء الشيخية يعبرون في مؤلفاتهم عن الأحسائي بـ «الشيخ الأوحد» وعن الرشتي بـ «السيد الأرشد» وقد يقولون «الأمجد».

والحقيقة أنَّ الرشتي كان جديراً بالزعامة وكفؤاً لها فقد تولاّها باستحقاق، وأدّى حقّها ببطولة، وخرج من عهدتها ظافراً، فنحن إذا تأمّلنا الظروف الدقيقة التي عاشها، والمراحل الشاقة التي قطعها، والمصاعب والمصائب التي عاناها، والحرب الطاحنة المستمرَّة التي شنّت عليه وقاومها بصبر وجلد، والتي لم يكن ليثبت أمامها أشدّ الرجال شكيمة وأصلبهم عوداً، وأقدرهم حنكةً وأبرعهم تخطيطاً، إذا تأمّلنا ذلك جيّداً عرفنا أيّة قابلية قد وهب، وأيّة بطولة كان يمتلك، ووجدنا أن القوم قد أحسنوا الاختيار وسقطوا على الخبير الجدير.

كانت وفاة الرشتي في ليلة الثلاثاء الحادي عشر من ذي الحجَّة عام ١٢٥٩ ـ ١٨٤٣ وقد ظلّ مقامه شاغراً عدَّة شهور دون أن يتقدم لملئِهِ أحد من تلاميذه أو يرشّح نفسه له، وكان السيد علي محمد الشيرازي حينذاك في بوشهر مشغولاً في

(١) مطالع الأنوار، ص ١٢.
(٢) شيخيكري بابيكري، ص ١٩٤.
(٣) مطالع الأنوار، ص ١٤.

تجارته وتأليف الخطب والأدعية، فلمَّا بلغه نبأ وفاة الرشتي طوى بساط تجارته وعاد إلى شيراز وتهيّأ لإعلان دعوة النيابة عن أستاذه، واتَّفق أن هبط شيراز زميله في درس الرشتي الملا حسين البشروئي، فكاشفه بأمر الدعوة فكان أول المؤمنين به ولذلك لقبه بباب الباب، وكان إعلانه للدعوة في الساعة الثانية والدقيقة الحادية عشرة بعد الغروب من الليلة الخامسة من جمادى الأولى عام ١٢٦٠ ـ ٢٣ مايس ١٨٤٤، وكان عمره يومذاك خمساً وعشرين سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام، وقد اعتبر البابيون ذلك اليوم «عيد المبعث» إذ أظهر فيه الباب دعوته ورفع بها الصوت جهراً، وما زال البابيون والبهائيون يحترمون هذا اليوم ويقدّسونه ويحرمون فيه تعاطي الأشغال بتة[١]، ويقول الشيخ جعفر محبوبة: إن الشيخ علي بن جعفر كاشف الغطاء قد أخبر عنه قبل ظهور دعوته[٢]، كما يقول محمد حسن خان المراغي: إن الشيخ حسن النائيني الذي كان من أهل المكاشفات قد أخبر عنه قبل ظهوره وإعلان دعوته[٣].

وكانت آراء الأحسائي والرشتي وآثارهما قد أحدثت انقلاباً فكرياً وسياسياً بصورة دينية، وقد شمل ذلك العراق وإيران ووجّهت الأفكار والأنظار إلى قرب ظهور المهدي المنتظر الذي جاء على لسان الأخبار بأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً[٤]؛ لأن ضغط الحكام المستبدين كان قد ضيَّق الخناق على الناس وبلغ بهم اليأس والجزع حدّاً لا يوصف، وبات الناس ينتظرون وضع حد لتلك المآسي والأحداث والاضطرابات، فاستغلَّ الشيرازي تلك الظروف فأعلن أنه «الباب» إلى المهدي المنتظر، ثم أعلن أنه المهدي نفسه ثم ادَّعى النبوّة، وانتشر أمر دعوته في البلاد وحدثت الفتن والاضطرابات والمجازر الدموية والوقائع الغريبة.

---

(١) البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم، ص ١٧.
(٢) ماضي النجف وحاضرها: ٣/ ١٦٨.
(٣) المآثر والآثار، ص ١٦٩.
(٤) بحار الأنوار: ١٣/ ١٧٤ وكثير غيره.

وقد استهدفت دعوة الباب نسخ التعاليم الإسلامية التي مرّ عليها نحو ثلاثة عشر قرناً، وزلزلة العقائد الدينيَّة الثابتة وهدم أصولها من الأساس، وتسخيف كلّ ما أنتجه علماء المسلمين عبر القرون المتطاولة من جلائل الأسفار ومهام الآثار، فهبّ العلماء والكتّاب والمفكّرون كافة في وجهه واستنكروا دعوته ودحضوا حججه، وقام كلُّ فردٍ من أهل المعرفة في مختلف البلاد بقسطه من ذلك على قدر معرفته وفي حدود إمكانياته وبالنحو الذي ارتآه. . . غير أنَّ سواد الناس لم يكن ليروق لهم ما استعمل العلماء المتزمّتون من أساليب لقمع الفتنة، وما لجأوا إليه من طرق لمعالجة الموقف واستئصال جذور الدعوة. وكان أتباع الأحسائي والرشتي أكثر تفتُّحاً وتفهماً في نظر الناس يومذاك، وأبرع أسلوباً وألين جانباً، بل كان الواعون يرون فيهم تنوراً في الفكر وروح تجديد وتهذيب في علوم أهل البيت وفهمها وتفسيرها بأسلوب خاص وطريقة حديثة[1]، وقد حاول الباب أن يكسبهم إلى جانبه ويثبت لهم أنَّه الموعود الذي ينتظرونه، لكنهم لما لم يجدوا صفات المهدي المنتظر متوافرة فيه لم ينصاعوا إليه ولم يكترثوا به، وأصبحت إيران في حاجة ماسة إلى قائد روحاني يوصل السفينة إلى ساحل السلامة، وينحيها من ذلك العباب المتلاطم والموج العاتي؛ على أن يؤدي مهمتين جسيمتين في وقت واحد، أُولاهما: جلب الناس، وتوجيه أنظارهم إلى آراء وتعاليم الأحسائي والرشتي، والثانية: دحر الباب وكسر شوكته، وتلك مهمَّة كبيرة وشاقة ليس من اليسير على كلِّ أحدٍ القيام بها، غير أن الحاج محمد كريم خان الكرماني قد تصدّى لذلك وظهر إلى الوجود مدَّعياً أنه خريج مدرسة الأحسائي والرشتي الوحيد الذي يفهم ما قالاه ويستطيع أن يوضّح ما قصداه، وأن ما يقوله هو قولهما، وأن السيد علي محمد الشيرازي «الباب» رجل ضحل ليس له من التحصيل العلمي والفهم رصيد[2].

(١) شيخيگري بابيگري، ص ١٢٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

وانفجرت هذه القنبلة، فدوّت في أوساط إيران والعراق كافة، وعلت الغوغاء من جديد، وبدأ الصراع على أشدّه بين الجانبين بعد فشل محاولات «الباب» التي بذلها للوفاق مع الكرماني، فقد كتب له رسالتين طلب منه في أولاهما أن يأمر أتباعه بذكر اسمه عند الصلاة، وطلب منه في الثانية أن يضع يده في يده ليسخّرا الدنيا. وظاهر كلام مرتضى الجهاردهي أن أصل الرسالتين موجودٌ عنده[1] ومن المضحك «وشرّ البلية ما يضحك» أن «الباب» رشى الكرماني بآية ادّعى نزولها عليه في حقّه وهي قوله: «إن الكريم كان في الكرمان كريما» إلا أنها لم تقع منه موقع القبول ولم تعط الثمرة المطلوبة»[2].

وبدأ نجم الكرماني يتألّق وأخذت شهرته تتضاعف بمرور الأيام، وتجمّع حوله عدد كبير من الأتباع والأنصار وصار له خلال فترة قصيرة مركز كبير لا يضاهيه مركز عالم روحاني في كرمان، وبدأ بالإرشاد ونشر الأحكام والتدريس والتأليف وبدأت به مدرسة شيخية كرمان.

وعلى أثر ظهور بعض آرائه وانتشارها تحرّك أتباع الرشتي الذين كانوا يعايشونه في كربلاء، وتجمهروا وأنكروا عليه ما أشيع عنه ونسب له من أفكار وأقوال، والتفوا حول الشيخ حسن جوهر، وكان أبرز وجوههم العلمية لأنه من تلامذة الأحسائي المجازين منه، وقد صحب بعده السيد كاظم الرشتي. وأجمع شيخية كرمان وكربلاء وغيرهم ممّن كان في أطراف أخرى على مقاومة «الباب» والقضاء عليه، فكان لهم ما أرادوا وقتل في عام ١٢٦٥ ـ ١٨٤٩[3]، وتوفي جوهر أيضاً في عام ١٢٦٦ ـ ١٨٥٠[4]، فانتقلت زعامة أصحابه إلى آل حجة الإسلام المامقاني في تبريز وظلت مدرستا كرمان وتبريز تتنازعان زعامة الشيخية وتدّعيان الخلافة الحقيقية عن الأحسائي والرشتي وتتراشقان الاتهامات والسباب حتى الوقت الحاضر.

---

(١) شيخيگري بابيگري، ص ١٥٩.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم، ص ٤٦.
(٤) الرسائل المهمة في التوحيد والحكمة، ص ٧.

وتتميز مدرسة تبريز وآذربايجان بأنها تتبع الأحسائي في أصول الدين والعقائد، وأما في فروع الدين ومسائل الفقه كافة فهي كباقي الإمامية ترجع إلى مراجع الإمامية وزعماء مذهبهم وتهتدي بهداهم[1] وأما مدرسة كرمان فقد زادت بعض العقائد والأمور على آراء الشيخ الأحسائي. ومسلكهم في الفقه يقرب من الصوفية لأنهم يرون الرئيس واحداً، ويعطون لشخصه أهمية كبيرة[2] ولا يحقُّ لأحدٍ غيره ـ في نظرهم ـ أن يبدي نظراً في الفقه مهما بلغ من قوة الاستنباط[3].

وكان أفراد الشيخية طوال زعامة الرشتي وهي نحو سبع عشرة سنة، يسيرون في تأدية الفرائض والواجبات الدينية وفق آراء الأحسائي والرشتي وتعليماتهما، ويرون لأنفسهم ميزة على باقي فرق الشيعة ولا يكترثون بالفقهاء والروحانيين الآخرين لأنهم يرونهم قشريين يتّبعون الظواهر ويتعبّدون بموجبها، ويرون أنفسهم أهل المعنى والباطن. كما كانوا لا يحفلون بأتباع صدر الدين الشيرازي لأن رئيسهم ومعلّمهم الأول الأحسائي كان يسميه «ظهراً» ويخطّئه[4]، ولم يتفق لهم خلال تلك المدة أي خلاف أو نزاع بشأن الزعامة والمرجعيّة.

وتوفي الرشتي دون أن يستخلف أحداً أو ينصّ على من ينوب منابه[5] إذ اعتذر بقرب ظهور الإمام الغائب[6]، وقيل: إنه أوصى أتباعه بأن يهجروا بيوتهم ويطهّروا أنفسهم من كل أغراض الدنيا، ثم يتفرقوا في البلاد مكرّسين أوقاتهم كلها للبحث عن الموعود الذي حان حينه[7]، وقد انشطر أتباع الرشتي بعده إلى شطرين متناقضين أحدهما الركنية ـ شيخية كرمان ـ والثاني البابية[8]، أما الشيخ

(١) عقيدة الشيعة، ص٦٩ ـ ٧٦ و (شيخيگري بابيگري، ص ٤٥ و١١٥).
(٢) الجامع، ص١٩، وشيخيگري بابيگري، ص ٤٥.
(٣) شيخيگري بابيگري، ص ٤٥.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٩٤.
(٥) المصدر نفسه، ص ٤٣.
(٦) الشيعة والتشيع، ص ٥٧.
(٧) مطالع الأنوار، ص ٢٠ و٣٧ و (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١٣٣).
(٨) طرائق الحقائق: ٣/ ١٥٢.

حسن جوهر الذي كان من خواصّ الرشتي فقد أنكر الفريقين وكان يعتقد أنهما لا ينتسبان إلى الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي مطلقاً، وإنما فتح كل منهما لنفسه متجراً نسبه إليهما لترويج بضاعته[1].

ويقول الدكتور علي الوردي: «انقسم الشيخيون بعد وفاة الرشتي إلى ثلاث فرق: فرقة تابعت المرزا محمد حسن جوهر الذي كان يسكن كربلاء، والثانية: تابعت الحاج كريم خان القاجاري الذي كان يسكن كرمان في إيران، أما الفرقة الثالثة: فلم ينحازوا إلى أحد هذين الرجلين، بل ذهبوا يتجولون في البلدان بحثاً عن الإمام الغائب الذي هو في اعتقادهم على وشك الظهور، وكان على رأس هذه الفرقة الأخيرة رجل كان من الملازمين للرشتي والمتعلقين به اسمه الملا حسين البشروئي الذي استطاع بعد الجهد أن يعثر على الموعود في شخصٍ شاب من أهل شيراز اسمه السيد علي محمد، وهو الذي لقب بالباب، ومنه انبثقت الدعوة البابية ثم البهائية»[2].

الشيخ حسن جوهر[3]

... ـ ١٢٦٦ / ... ـ ١٨٤٩

هو الشيخ حسن بن علي القراجه داغي التبريزي الملقب بجوهر. وتنطقه العامة بالكاف الفارسية «كوهر».

---

(١) مكارم الآثار: ٢/ ٢١٣ و٢١٧ و (طرائق الحقائق: ٣/ ١٥٢.

(٢) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٣) مصادر الترجمة:

١ ـ إجازات العلامة الكبير الميرزا حسن كوهر، ص ٣ ـ ٦.

٢ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣/ ٨٠ و١٨/ ٣٤٣ و٢٠/ ١٦٥.

٣ ـ الرسائل المهمة في التوحيد والحكمة، ص ٣ ـ ٧.

٤ ـ شرح حياة الأرواح / المقدمة.

٥ ـ طبقات اعلام الشيعة: ٢/ ٣١٨ و٣٤١ ـ ٣٤٢.

٦ ـ عقيدة الشيعة، ص ٩٥.

٧ ـ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١٣٩ و١٦٩.

ولد في قرية «أوج دبين» وهي من قرى «قراچه داغ» من محال آذربايجان، ونشأ هناك فتلقى مبادئ العلوم وأكمل دراسة المقدمات والسطوح، ثم هاجر إلى النجف الأشرف فحضر على كبار علمائها في الفقه والأصول والتفسير والحديث والحكمة والكلام وغيرها حتى حاز درجة عالية من العلوم الإسلامية، ثم هبط كربلاء فصحب الشيخ أحمد الأحسائي، فأعجب به وتأثر بحكمته وآرائه، فلازمه سنين طوالاً، وحظي عنده بمكانة رفيعة، وأجيز منه إجازة تدلُّ على عظم قدره عنده وعلو منزلته لديه. وكان يحيل إليه بعض الأسئلة التي ترده في الفلسفة والكلام وغيرهما فيجيب عليها. ولازم بعد وفاته تلميذه الأرشد السيد كاظم الرشتي حتى توفي عام ١٢٥٩ ـ ١٨٤٣م، وقد رأس بعده وصار من علماء كربلاء النابهين ورجع إليه في التقليد والإفتاء في العراق وإيران. وقد حضر مجلس الوالي نجيب باشا عندما ورد العراق الشيخ علي البسطامي داعية السيد علي محمد الشيرازي «الباب» فناقشوه وأفتى الكلُّ بكفره وكان المترجم له والسيد إبراهيم القزويني صاحب «ضوابط الأصول» ممثلين لعلماء كربلاء في مجلس المحاكمة المنعقد عام ١٢٦٠ ـ ١٨٤٤ وقد ضايق قرة العين حتى أخرجها من كربلاء، ثم استغلَّ صلته بنجيب باشا والي بغداد، فطلب منه إخراجها من العراق.

أدّى فريضة الحج عام ١٢٦٦ ـ ١٨٤٩ وتوفي بعده في مكة المعظمة، فدفن في وادي قريش تحت درج الصفة المتّصل بحائط لحرم عبد المطلب وعبد مناف وأبي طالب. ومادة تاريخ وفاته «به غاب نور».

والشيخ حسن عالم كبير، وفيلسوف بارع، وفقيه متضلع، ومتكلم حاذق، وأديب خبير، ترك ثروة علمية هائلة وآثار جليلة مهمة تدل على سمو مكانته في العلوم الإسلامية ولا سيما الحكمة الإلهية، وآثاره كما يلي:

١ ـ أجوبة مسائل كتبها بأمر أستاذه الأحسائي.

٢ ـ البراهين الساطعة في الحكمة، طبع في كربلاء وتبريز عام ١٣٥١ ـ ١٩٣٢م، منضماً إلى «المخازن» و «اللمعات» الآتي ذكرهما. وأعيد طبعها في مجموع واحد في كربلاء عام ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦.

٣ ـ ديوان شعر.

٤ ـ رسالة في تأويل آية النحل: ﴿وأوحى ربُّك إلى النحل. . .﴾.

٥ ـ رسالة في الصلاة.

٦ ـ رسالة في الصوم.

٧ ـ رسالة في معنى قول النبي ﷺ: «علماء أمتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل» طبعت مع رسالة التأويل وأجوبة المسائل في مجموعة في إيران عام ١٣٤٩ ـ ١٩٣٠.

٨ ـ رسالة في إثبات ضلالة الحاج كريم خان الكرماني، مخطوط.

٩ ـ رسالة عملية في العبادات، عربية.

١٠ ـ رسالة عملية في العبادات، فارسية.

١١ ـ شرح حياة الأرواح الذي ألّفه الشيخ محمد جعفر الاسترابادي في الردّ على الأحسائي، في ٦٢٠ صفحة، طبع في تبريز عام ١٣٧٦ ـ ١٩٥٦.

١٢ ـ شرح خطبة الإمام الرضا عليه السلام في التوحيد. وهي المروية في «عيون الأخبار» للشيخ الصدوق، أولها: «أول عبادة الله تعالى معرفته، وأصل معرفة الله توحيده. . . الخ» توجد منه نسخة خطيَّة في «مكتبة الحائري العامة في كربلاء».

١٣ ـ لمعات أنوار الهداية والرشاد، في المبدأ والمعاد. فرغ منه في سنة ١٢٣٩هـ ـ ١٨٢٣م، وتوجد منه نسخة مخطوطة في (مكتبة الشيخ محمد رضا فرج الله) في النجف، كتبها السيد كاظم بن مصطفى الحائري بأمر أستاذه الميرزا محمد إبراهيم الحائري عام ١٢٩٤ ـ ١٨٧٧، وعليها صورة تقريظ أستاذه الشيخ الأحسائي. وقد طبع في تبريز منضماً إلى «البراهين» و «المخازن» السابق ذكرهما عام ١٣٥١ ـ ١٩٣٢ وأعيد في كربلاء عام ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦.

١٤ ـ مخازن جواهر أسرار التنزيل. في المبدأ والمثال. طبع مع «البراهين الساطعة» و «اللمعات» في مجموع واحد في تبريز عام ١٣٥١ ـ ١٩٣٢ وأعيد طبعها في كربلاء عام ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦.

١٥ ـ مختصر شرح حياة الأرواح، مخطوط.

الفصل الثاني: شيخية تبريز

١ ـ آل حجة الإسلام:

(١)

الشيخ محمد حجة الإسلام المامقاني[١]

... ـ ١٢٦٩/... ـ ١٨٥٢

هـو الشيـخ محمـد بن حسين بن زين العابدين بن علي بن إبراهيم المامقاني التبريزي.

كـان مـن كبـار العلماء ومشايخ الاجتهاد وأصحاب الرأي، وهو رأس أسرة علميَّة كبيـرة فـي تبريز وآذربايجان، جمع بين المعقول والمنقول، وعرف بالزهد والـورع والعـزوف عن الدنيا ولذائذها، ولع منذ نعومة أظفاره بطلب العلم؛ فجدّ فـي تحصيلـه وأكمـل الأوليات في بلاده، ثم هاجر إلى النجف الأشرف فأخذ عن علمائها، ولازم حضور دروس كبار الفقهاء والروحانيين فيها وفي كربلاء. ومذ أنسـوا منه اللياقة ولمسوا الكفاءة أجازوه في الاجتهاد وعاد إلى إيران. واجتاز في

---

(١) مصادر الترجمة:

١ ـ البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم، ص ٤٣ و٤٦.

٢ ـ دانشمندان آذربايجان، ص ٣٨٨.

٣ ـ شيخيگري بابيگري، ص ١١٥.

٤ ـ صحيفة الأبرار في مناقب المعصومين الأطهار، ص ٢ و٣.

٥ ـ طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

٦ ـ عقيدة الشيعة، ص ٧٠ و٩٣.

٧ ـ لغت نامة دهخدا / حرف الألف، ص ٣٢٤ و٣٢٥.

٨ ـ مطالع الأنوار، ص ٢٤٩ و٢٥٠.

٩ ـ المآثر والآثار، ص ١٦١.

١٠ ـ مفتاح باب الأبواب، ص ١٩٤.

طريقه بكرمان شاه، فقصد مسجدها الجامع لأداء الصلاة وكان الشيخ أحمد الأحسائي يومها مرجع البلد في أمور الدين والدنيا وزعيمه الروحي. وكان يصلّي بالناس آنذاك. وبعد الانتهاء من الصلاة رقى المنبر وأخذ بالوعظ والإرشاد وتطرّق خلال خطبته إلى بعض المعارف الإلهية ومسائل الحكمة ومكانة أهل البيت النبوي وما اختصّهم الله به من فضائل، فلاقى ذلك هوى في نفسه، وأعجب بعلم الشيخ وحكمته وأسلوبه، فعدل عن القفول إلى بلده وصمم على البقاء في كرمان شاه للاستفادة من الأحسائي، فقطنها عدة سنين حتى ارتوى من علم الشيخ وعبّ من معارفه إلى أن شعر بالاكتفاء، فأجازه الشيخ وأمره بالعودة إلى بلاده لترويج الدين ونشر الأحكام وبثّ الفضائل.

ورد المامقاني تبريز فعكف في بعض زواياها مشغولاً بنفسه، وظلّ مجهولاً لدى الناس برهة. ثم اشتهر فضله وانتشر ذكره ولمع نجمه في الأوساط بين الخاصة والعامة، فالتفّ الناس حوله وكثر ازدحامهم عليه، وأقبلت عليه النفوس لما وجدته فيه من مزايا ومؤهّلات، وعظم شأنه عند الملوك والأمراء وسائر الطبقات، وبني له مسجد عظيم قدّم فيه للإمامة فاتجه إلى إقامة الشعائر وتأدية وظائف الشرع بالتدريس والتأليف والخطابة ونشر الأحكام ولقّب بـ «حجة الإسلام» وغطّت شهرته بلاد آذربايجان جميعاً، ورجع إليه الناس في التقليد لا سيما طبقة الأمراء والأشراف والحكام، وصار في مصاف الأعاظم، فأكل الحسد بعض القلوب، وأغرض له بعض بيوتات الرياسة الدينية في تبريز، ووشي به إلى البلاط، إلا أنه تمكّن بإخلاصه واستقامته وشجاعته أن يقلب الاتهام على خصمه ويحظى بحب الملك وتقديمه، وصار صدقه وثباته وطهارته سبباً لتركّزه أكثر من قبل، وتضخّم رصيده الشعبي وانكشف غرض خصومه.

وله صحيفة بيضاء وتاريخ ناصع في بلاده وجهاد في سبيل الله، خلّد ذكره ورفع قدره، وهو من الذين ناظروا «الباب» وحكموا بكفره وقتله، فعندما أعلن «الباب» دعوته كان السلطان ناصر الدين شاه القاجاري ولي عهد أبيه، يشغل حاكمية آذربايجان فأمر بإحضار «الباب» من «قلعة جهريق» وعقد له مجلساً بحضوره كان فيه من العلماء المترجم له وهو يومئذ رئيس شيخية تبريز، والمولى

محمود نظام العلماء، والسيد ميرزا علي أصغر شيخ الإسلام الطباطبائي، فناقشوه وأعلنوا كفره وأفتوا بوجوب قتله وبفتواهم قتل.

توفي المامقاني عام ١٢٦٩ ـ ١٨٥٢، ودفن في تبريز في «مزار السيد إبراهيم» الواقع في محلة «شتربان ـ دوه جي» وعلى قبره صخرة مرمر كبيرة عليها أبيات أولها:

طرق الشريعة حادث الأيام وتغيّبت شمس الهدى بظلام

ومادة التاريخ فيها:

فإن سألت العام عن تاريخه أرّخ «نعته شرايع الإسلام»

٥٢٥ + ٥٨١ + ١٦٣ = ١٢٦٩

(٢)

الميرزا محمد حسين حجة الإسلام المامقاني[١]

... ـ ١٣٠٣ / ... ـ ١٨٨٥

كان كبير أنجال أبيه الشيخ محمد، وهو أعلم من أخويه الميرزا محمد تقي والميرزا إسماعيل، قرأ مقدمات العلوم في بلاده، ثم هاجر إلى العراق، فقرأ على علماء النجف وكربلاء، وتتلمذ على السيد كاظم الرشتي مدَّة، وقد ضَمَّ إلى علمه وفضله زهداً وتقى، وتميّز ببلاغة فائقة وعقل راجح وبسالة ورسوخ عزم، ونشط في الدعاية الدينية ونشر الوعي وإعمام الأحكام، فصار له خصوم كما صار لأبيه من قبله، واتُّهم في معتقده ودينه، ووشي به إلى البلاط وحرّض عليه الحكام والأمراء، ولفّقت عليه الاتهامات الباطلة ونسب إليه ما لم يكن فيه، وأثار بعض منافسيه ضجّة كبيرة عليه، فاضطر السلطان ناصر الدين شاه إلى استدعائه مع

(١) مصادر الترجمة:
١ ـ شيخيگري بابيگري، ص ١١٥ و١١٦.
٢ ـ صحيفة الأبرار في مناقب المعصومين الأطهار ـ الطبعة الثانية، ص ٢.
٣ ـ لغت نامة دهخدا: حرف الحاء/ ٣٢٤.

خصمه إلى طهران، فألف كتابه «علم المحجة» وأوضح فيه معتقداته الدينية، فنال إعجاب السلطان وحاشيته، فأرسل الكتاب إلى منافس المامقاني ليطلع عليه ويبدي رأيه فيه، وفي صاحبه، وأمره بترك مخاصمته والكفّ عنه، فلم ينصلح ولم يعر الكتاب وتوصية السلطان اهتماماً وظل على لجاجته وعناده، فاضطرت حاشية السلطان إلى سقيه السم في فنجان قهوة.

عاد المامقاني إلى تبريز، مرفوع الرأس، منتصراً على خصمه، وواصل نشاطه الديني بحرية مطلقة، وقد كثر على عهده عدد علماء الشيخية في تبريز وسائر مدن آذربايجان، وكانت مساجدهم معاهد ثقافة ومراكز توجيه ونشر فضائل محمد وآله عليهم السلام ومناقبهم على النحو الذي يحبّذونه، ومهدوا لذلك بحملات توعية وبأساليب تربوية تعليمية، ساعدت على نجاح مهمتهم وتجمع الناس حولهم وتقبّلهم لآرائهم. ومن أولئك: الميرزا شفيع ثقة الإسلام، والسيد ميرزا علي الطباطبائي ـ وكانا من أكبر شخصيات تبريز ومراجعها في التقليد ـ والمولى علي معين الإسلام، والميرزا موسى ثقة الإسلام، والسيد مصطفى الأسكوئي وغيرهم. وكان لكل منهم أتباع وأنصار ونفوذ، غير إن شخصية المامقاني قد طغت عليهم وغطتهم فكان زعيم الروحانيين وكبير العلماء إلى أن توفي عام ١٣٠٣ ـ ١٨٨٥.

(٣)

الشيخ محمد تقي حجة الإسلام المامقاني[1]

١٢٤٨ ـ ١٣١٢/١٨٣٢ ـ ١٨٩٥

(١) مصادر الترجمة:

١ ـ آشكده / مقدمة الطبعة الثانية.

٢ ـ دانشمندان آذربايجان، ص ٣٨٩ و٣٩٠.

٣ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ٥ و٤٩٧ و٩/ ١٢٤١.

٤ ـ ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب: ١/ ٣١٣ ـ ٣١٤.

٥ ـ شيخيگري بابيگري، ص ١١٧ ـ ١٢١ و١٧٨.

٦ ـ صحيفة الأبرار في مناقب المعصومين الأطهار، ص ٢ و٣.

٧ ـ طبقات أعلام الشيعة: ١/ ٢٦٦ و٢٦٧.

ثاني أنجال الشيخ محمد المذكور، ومن أشهر زعماء الدين الشيخية، كان من رجال العلم وأساطين الفضل وأعلام الأدب شعراً ونثراً في اللغتين العربية والفارسية، وقد عدّه بعض مترجميه من أبرز علماء أوائل القرن الرابع عشر الهجري، ولد في تبريز عام ١٢٤٨ ـ ١٨٣٢، فنشأ في بيت علم ودين وزعامة، أخذ أوليات العلوم ومقدماتها هناك، وهاجر إلى العراق وعمره اثنتان وعشرون سنة، فحضر على علماء النجف مدة وتتلمذ في كربلاء على بعض تلامذة السيد كاظم الرشتي، وبعد زمن عاد إلى بلاده واشتغل بترويج الدين والتأليف.

وقد برع في الأدب ونبغ في الشعر، وتفوقه في الفارسية ثابت. ويقول بعض من كتب عنه: إنّه كان ذا قريحة وقادة وعبقرية نادرة لا سيما في غزله، فقد ضارع فيه سعدي الشيرازي الذي هو من مفاخر الشعب الفارسي. وكان يتخلص في شعره بـ «نيّر». وكان على جانب كبير من حسن الخلق وطيب السيرة والورع والتقى كما كان زاهداً في ملاذ الحياة، شديد القناعة، يكتفي بالنزر القليل من كل شيء، ويميل إلى العزلة والانزواء وعدم مخالطة الناس. ومع ذلك لم يسلم من الحسد والمقاومة والخصومة والكيد وتكثر في شعره ـ ولا سيما الفارسي منه ـ شكوى الزمان وأهله.

وقد أضاف إلى كمالاته مهارة فائقة في الخط، فقد كان يعدُّ من متقني هذه الصناعة حتى أنه لمّا ابتلي بالشلل وعجز عن تحريك يمناه كتب بشماله خطاً ما كان ليختلف عما كان يخطُّه بيمينه وهي سالمة.

توفي في الحادي عشر من شهر رمضان عام ١٣١٢ ـ ١٨٩٥م، ونقل إلى النجف فدفن في وادي السلام بين مقام الإمام المهدي وسور النجف. وترك آثاراً قيمة مختلفة، وهي كما يلي:

= ٨ ـ عقيدة الشيعة، ص ٧٠ و٩٣.

٩ ـ لغت نامة دهخدا: حرف الحاء، ص ٣٢١ ـ ٣٢٤.

١٠ ـ أعيان الشيعة: ٤٦/ ٢١٢. وقدسها فسمّاه محمداً وقال أنه توفي عام ١٣١١ والصحيح ما ذكرناه.

١ ـ آتشكده، فارسي منظوم. نشره على عهد الناظم عام ١٣٠٩ ـ ١٨٩١ رئيس الذاكرين السيد عبد الحسين ابن سيد الذاكرين السيد أبي الفضل الحسيني الخلخالي التبريزي على الحجر في تبريز، ولا زال الخطباء حتى اليوم يتلونه على المنابر.

٢ ـ ألفية شعر نظمها بالاشتراك مع الميرزا محمد الطوجي لكل منهما ٥٠٠ بيت.

٣ ـ تفسير: ما خلقت الجن والإنس... الخ.

٤ ـ درخوشاب ـ ديوان شعر بالفارسية.

٥ ـ رسالة علمية أدبية حول الألف باء، أجاب فيها على كتاب الميرزا يوسف خان مستشار الدولة إليه[1].

٦ ـ شرح: أنا النقطة.

٧ ـ صحيفة الأبرار في مناقب المعصومين الأطهار. كتاب كبير يروي فيه عن والده عن الشيخ أحمد الأحسائي، وعن جهة من تلاميذ السيد كاظم الرشتي. طبع للمرة الأولى في إيران عام ١٢٩١ ـ ١٨٧٤، وأعيد طبعه في إيران عام ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨ باهتمام الميرزا حسن الإحقاقي الحائري.

٨ ـ علم الساعة.

٩ ـ كشف السبحات في تحقيق الصفات.

١٠ ـ اللآلئ المنظومة.

١١ ـ مفاتيح الغيب.

١٢ ـ ملح البصر.

١٣ ـ نصرة الحق، وغيرها.

---

(١) كان من فضلاء تبريز ومن روّاد الحركة الوطنية فيها، أسندت إليه مناصب هامة في الداخل والخارج، ومن آثاره: طبقات الأرض، رسالة في الخط الإسلامي، كنجينه دانش، يك كلمة، توفي في سجن قزوين في العقد الأول من القرن الرابع عشر الهجري (صحيفة الأبرار، ص ٣) و (شيخيگري بابيگري، ص ١١٧).

وتوجد في «مكتبة الشيخ محمد علي الأوردبادي» في النجف مجموعة كتبها بخطه من سنة ١٢٧٩ ـ ١٨٦٢ إلى ١٢٩٤ ـ ١٨٧٧ فيها «صفات الشيعة» للشيخ الصدوق، و «العروس» و «الأربعين» لأسعد بن إبراهيم، و «مسار الشيعة» وغيرها.

(٤)

الميرزا إسماعيل حجة الإسلام المامقاني[١]

... ـ ١٣١٧ / ... ـ ١٨٩٩

كان ثالث أنجال أبيه، وهو كأخويه سالفي الذكر: عالم كبير، وفقيه فاضل، وأديب بارع، أخذ مقدمات العلوم في بلاده ثم هاجر إلى العراق، فحضر على علماء النجف مدة وقرأ على السيد محمد حسن المجدّد الشيرازي في سامراء، والميرزا محمد باقر الأسكوئي في كربلاء، واشتهر بالزهد والورع والتقوى، وكان مقرَّباً لدى أستاذه الشيرازي وقد أجازه هو والأسكوئي.

عاد إلى بلاده، فقام في الرئاسة الدينية مقام أخيه، وتولّى مسجدهم الكبير المشهور في تبريز، فكان يقيم فيه الصلاة ويخطب الناس وينشر الأحكام، وكان كأخيه «نيّر» بارعاً في الأدب والشعر له في مدح أمير المؤمنين عليه السلام قصائد غرّاء، وكان محبوباً بين الناس، له في النفوس مكانة سامية ومنزلة مرموقة. توفي في شهر رجب عام ١٣١٧ ـ ١٨٩٩، ونقل إلى النجف فدفن في وادي السلام.

---

(١) مصادر الترجمة:

١ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٩/ ١٢٣٩.

٢ ـ شيخيگري بابيگري، ص ١٢٧ و١٢٨.

٣ ـ صحيفة الأبرار، ص ٣ و٤.

٤ ـ لغت نامة دهخدا / حرف الحاء/ ٣٢٠.

(٥)
الميرزا أبو القاسم حجة الإسلام المامقاني[١]
... ـ ١٣٦٢ / ... ـ ١٩٤٣

هو ابن الميرزا محمد حسين بن الشيخ محمد المامقاني، نشأ في بيت العلم والزعامة والتقى، وسلك نهج آبائه في التخصص في العلوم الدينية، قرأ المقدمات في بلاده وهاجر إلى النجف الأشرف، فحضر دروس مشايخ الاجتهاد وكبار الفقهاء عدة سنين وبرع في العلم وعرف بالعفاف والزهد واتسم بالتقى كأسلافه، ولما توفي عمه الميرزا إسماعيل عام ١٣١٧ ـ ١٨٩٩م، كان لا يزال يواصل دراسته العالية في النجف، فعاد إلى تبريز لحفظ شؤون عائلته وقومه فخلف عمه في الإمامة في «مسجد آل حجة الإسلام» واشتغل بأداء وظائف الشرع من تبليغ وهداية وإرشاد ونشر أحكام. إلا أنه كان يفضّل الانزواء والعزلة والابتعاد عن المجتمع، ولذلك لم يكن له من الشهرة والأثر والتوجيه ما كان لآبائه.

توفي في مدينة تبريز عام ١٣٦٢ ـ ١٩٤٣ وبه انقرض مجد آل حجة الإسلام العلمي وخرجت من بيتهم الزعامة الدينية، وهو آخر من تزيّى بزّي أهل العلم من هذا البيت الشريف.

ويجدر بنا أن نشير إلى جانب مهم في حياة أعلام هذا البيت ونذكر حقيقةً يجب أن يخلّدها التاريخ، وهي أن آل حجة الإسلام قد تزعّموا الطائفة الشيخية في تبريز وبقية مدن آذربايجان وإيران وغيرها، وتولوا مرجعية التقليد وأشغلوا منصة الحكم والإفتاء قرابة قرن ونصف قرن، وكان في أتباعهم الملوك والأمراء والتجار والأثرياء والشخصيات المهمة والوجوه البارزة، وكانت الحقوق الشرعية والهدايا تنهال على بيوتهم كالسيل إلا أنهم لشدّة ورعهم لم يكونوا ليغتنموا

---

(١) مصادر الترجمة:
١ ـ شيخيگري بابيگري، ص ١٢٩.
٢ ـ صحيفة الأبرار، ص ٤.

الفرص ويستغلوا الظروف ويدخروا الأموال لأولادهم وذويهم، وكان الزعيم منهم إذا انتقل إلى جوار ربّه بيعت كتبه ودار سكناه لتسديد ديونه، لأنهم كانوا ينفقون ما يدخلهم على الفقراء ويوزّعون الحقوق على مستحقّيها ولا يتناولون منها إلى بقدر ما يصل غيرهم.

وقد نبغ في علماء الشيخية في تبريز من غير أسرة (آل حجة الإسلام) رجل كانت له مكانة كبيرة وأثر بالغ، ولذلك لا يمكن إغفال ذكره، وهو:

(٦)
الميرزا علي ثقة الإسلام التبريزي[١]
١٢٧٧ ـ ١٣٣٠/ ١٨٦٠ ـ ١٩١١

هو الشيخ الميرزا علي بن الميرزا موسى بن الميرزا محمد شفيع بن محمد جعفر بن محمد رفيع بن محمد شفيع مستوفي الممالك الخراساني التبريزي الملقّب بثقة الإسلام.

ولد في ليلة الأحد سابع رجب عام ١٢٧٧ ـ ١٨٦٠م، في تبريز ونشأ على حبّ العلم، فأخذ عن جدّه وأبيه مدة ثم هاجر إلى النجف الأشرف، فحضر على الشيخ حبيب الله الرشتي وغيره من العلماء ثم هبط كربلاء فقرأ فيها على الشيخ زين العابدين المازندراني، والشيخ علي البفروئي، وصارت له يدٌ طولى وقدم راسخة في الفقه والأصول، والحكمة والكلام، والأدب والرياضيات، والتاريخ والنجوم، وغيرها وأُشير إليه في الأوساط العلمية، وأشاد غير واحدٍ من أساتذته بنباهته وعلوّ كعبه في العلوم الإسلامية.

---

(١) مصادر الترجمة:
١ ـ طبقات أعلام الشيعة: ١/ ١٥٤٦ ـ ١٥٤٧.
٢ ـ إيضاح الأنباء في مولد خاتم الأنبياء/ المقدمة.
٣ ـ شيخيگري بابيگري، ص ١٢١ ـ ١٢٧.
٤ ـ مقتل سيد الشهداء / المقدمة.

عاد إلى بلاده تبريز، فنشط في الدعاية للشيخية وكان ورثها عن أبيه وجدّه، وكانت له خدمات دينية ووطنية، وكان لوعظه وخطبه وتوجيهه أثرٌ بالغ في سامعيه، وقد أعجب به وأطراه كلّ من التقى به، واستمع إليه، فقد وهب أسلوباً فذاً وقابلية نادرة ومعرفة غزيرة، وكان له نفوذ كبير وشخصية مهابة استغلهما في أيام دخول الروس إلى تبريز، فبدا بمعارضتهم وشنّ حملة شعواء عليهم فكتب بواسطة ثقة الملك حاكم البلد إلى القنصل الروسي وآمر الجيش معترضاً على أعمالهم وعبثهم، فاحترموه وقابلوه بكمال الإجلال في بداية الأمر مخافة أن يجلب سخط الناس عليهم، ولما استتبت لهم الأوضاع أعدموه شنقا عصر يوم الاثنين عاشر محرم عام ١٣٣٠ ـ ١٩١١ المصادف ليوم عاشوراء وعشرة من أفاضل الرجال، فعمّ الحزن وعظم المصاب، ورثاه أديب الممالك الفراهاني وأرّخ وفاته الشاعر علي رضا الرضائي عضو لجنة الأدب الآذربايجاني بأبيات مادة التاريخ منها قوله: «ثقة الإسلام مصلوب». والغريب أن الأميني لم يترجم له في كتابه «شهداء الفضيلة».

له آثار علميّة أدبيّة كثيرة منها:

١ ـ إيضاح الأنباء في مولد خاتم الأنبياء. ألفه في سنة ١٣٢٩ ـ ١٩١١ وطبع عام ١٣٥٢ ـ ١٩٣٣.

٢ ـ ترجمة بثّ الشكوى، لأبي نصر محمد بن عبد الجبار العتبي. ترجمه بطلب الأمير نظام الكروسي.

٣ ـ حواشي الغيبة للشيخ الطوسي.

٤ ـ رسالة لالان وملحقاتها.

٥ ـ مرآة الكتب في أسماء مصنفات الشيعة.

٦ ـ مقتل سيد الشهداء عليه السلام. طبع عام١٣٥٢ ـ ١٩٣٣.

٢ ـ آل الأسكوئي:

(١)
الميرزا محمد باقر الاسكوئي
... ـ ١٣٠١ / ... ـ ١٨٨٣

هو الشيخ الميرزا محمد باقر بن محمد سليم الأسكوئي التبريزي الحائري.

ولد في أسكوئ ونشأ على أبيه، وكان من أهل الفضل، فأخذ عنه ثم هبط تبريز، فقرأ فيها على خاله السيد سليمان الحسيني الأعرجي وأخيه السيد محمد أيضاً فترة، وهاجر إلى العراق عام ١٢٦١ ـ ١٨٤٥، فحضر في النجف درس الشيخ مرتضى الأنصاري مدة وكتب تقريرات دروسه في كثيرٍ من المباحث، ثم جاور كربلاء ولازم درس الشيخ حسن جوهر في المعقول والحكمة الإلهية حتى صار من أبرز تلامذته، وأخذ أستاذه يطريه ويشيد بمكانته، وربّما كلّفه بالإجابة عن بعض الأسئلة التي ترد عليه، وأجازه إجازة مفصّلة دلّت على مبلغ رضاه عنه واعتزازه به واهتمامه له.

رأس بعد وفاة شيخه جوهر، وخلفه على زعامة قومه ورجع إليه الناس في التقليد من العرب والعجم في كلٍّ من العراق وإيران، والخليج وبلاد القفقاز وتركستان، ومعظم بلاد آذربايجان وتبريز، خصوصاً مسقط رأسه «أسكوئ» ومن عرب العراق الذين رجعوا إليه بعض أهل كربلاء وشثاثة «عين التمر» والمسيّب، وطويريج وغيرها، وكان ورعاً، زاهداً، رضي الخلق، واسع الصدر، لين العريكة، خشناً في ذات الله، دائم العبادة والذكر والصلاة، كان يصلي بالناس في الأوقات الثلاثة في حرم الحسين عليه السلام إلى أن توفي في فجر اليوم العاشر من شهر صفر سنة ١٣٠١ ـ ١٨٨٣ عن أكثر من سبعين عاماً، ودفن في دار سكناه بوصيةٍ منه، ومقبرته اليوم قرب «طاق الزعفراني» المعروف في كربلاء.

من أهم آثاره: «المصباح المنير» ردّ به على فصلين من «الفصول المهمة» للحاج محمد كريم خان الكرماني زعيم مدرسة شيخية كرمان، و «حق اليقين» في

رد باقي فصوله، وقد طبعا في كربلاء عام ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣م، وله في الفقه والأصول والحكمة وأجوبة المسائل وغيرها من المواضيع نحو ستين كتاباً ورسالة، توجد بخطه في مكتبة أحفاده في كربلاء. فصل ترجمته حفيده الشيخ علي الحائري في بعض آثاره[١]، وذكره الجهاردهي أيضاً[٢]، وعنهما لخصنا هذه الترجمة.

(٢)
الميرزا موسى الأسكوئي الحائري
١٢٧٩ ـ ١٣٦٤/١٨٦٢ ـ ١٩٤٤

هو الشيخ الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر بن محمد سليم الأسكوئي التبريزي الحائري.

ولد في كربلاء في ٢٥ شوال عام ١٢٧٩ ـ ١٨٦٢، فتعلّم القراءة والكتابة وقرأ القرآن، ودرس على الشيخ علي أصغر بن ملا بابا النحو والمنطق والبلاغة ومقداراً من الأصول، وقرأ بعض السطوح والحكمة على والده، والشيخ محمد تقي الهروي، والشيخ علي اليزدي، وهبط النجف فحضر في الدروس العالية على الشيخ حبيب الله الرشتي، والشيخ محمد الإيرواني، والشيخ حسين قلي الهمداني، والشيخ هادي الطهراني، والشيخ محمد الشرابياني، وغيرهم من الحجج وكبار الاعلام، وعاد إلى كربلاء مشغولاً بالتدريس وخدمة الدين ونشره.

كان عمره يوم توفي أبوه اثنتين وعشرين سنة، فتعصّب له عرب كربلاء الذين كانوا يرجعون إلى أبيه في التقليد، وهم أهل السلالمة، والوزون، والطهامزة، وبنو سعد، وأهل باب الخان وباب الطاق وغيرهم، وألزموه بالإمامة في مكان أبيه في حرم الحسين عليه السلام في الأوقات الثلاثة فأجابهم، وكان التجمُّع لصلاته كبيراً حرّك عليه بعض الجهات المعارضة، فهمّ بعضهم بتنحيته واحتلال

(١) المصباح المنير / المقدمة.
(٢) شيخيگري بابيگري، ص١٢٨.

مكانه، وتقرّر ذلك وعيّن وقته فتسلّح قومه لدى سماعهم الخبر وتجمهروا، وأوشكت أن تقع الفتنة وتراق الدماء لو لم يتدارك ذلك بحنكته وحسن تدبيره وعدم حضوره للصلاة تلك الليلة بذلك المكان حفظاً لحرمة الإمام من الهتك، وصيانة لدماء المسلمين من السفك، فشكر له العقلاء والنابهون والأشراف من كل الأطراف موقفه وتعقّله مع صغر سنه، لا سيما وأنَّ في قومه عدة وعدداً. وأخذ العوام والسذج من أصحابه وأتباعه يلومونه ويعتبون عليه، وربّما أنبّه البعض. وفي اليوم التالي للحادث جاءه السيد جواد خازن حرم الحسين عليه السلام وفرش له مصلّى بيده في رواق الإمام الحسين عليه السلام قرب الباب الذي يفتح للشهداء، واحترمه وشكره على حسن تصرّفه، فاستمرّ على إقامة الصلاة زمناً، ثم رأى أنّه بحاجة إلى تكميل معلوماته فترك ذلك وهبط النجف لإكمال دراساته العالية.

ولمّا عاد إلى كربلاء وجد المكان المخصص له من قبل السادن قد أشغل من قبل بعض أئمة الجماعة، فانصرف عن الصلاة في الحرم واشتغل بالتأليف والتدريس، وكان يقيم الصلاة في داره ويأتمّ به قومه إلى سنة ١٣٤٤ ـ ١٩٢٥ التي اشترى فيها دار الداماد المعروفة في كربلاء، وبناها حسينية وهي تعرف اليوم باسم «حسينية الحائري» وموقعها قرب صحن الحسين عليه السلام، فكان يقيم فيها الصلاة عند الغروب فقط، وقد رجع إليه في التقليد كثير من العرب والعجم في الكويت والبصرة ونواحيها، والإحساء وكربلاء، وتبريز وأطرافها من أسكوْ وميلان وخسروشاه والقرى التي حولها، وكوكان ودستكير وأطرافها، وبعض أهالي طهران ومشهد الرضا عليه السلام بخراسان، وقوجان وشيروان وغيرها، وبعض بلاد تركستان الخاضعة لحكم روسيا أخيراً كبخارى وسمرقند وطاشقند والقفقاز، واردوباد، وبادكوبا، وعشق آباد، وغيرها.

أصيب أخيراً بالشلل حتى توفي في الخامس من شهر رمضان عام ١٣٦٤ ـ ١٩٤٤، ودفن مع أبيه في مقبرته ورثاه عدد من الشعراء، وأرّخ وفاته السيد علي الهاشمي بقوله:

لقد فقد الأنام بفقد موسى ... فنون العلم والفضل العميم

وناح «الحائر» السامي عليه بقاني الدمع يذريه سجيم
فهدّ مصابه الأطواد شجواً وهزّ نعيّه ركن الحطيم
ورضوان بها أرخ «ينادي ثوى موسى بجنات النعيم»

له آثار قيمة من أهمها (إحقاق الحق)، وهو كتاب ضخم ردّ به على المولى رضا الهمداني صاحب «هدية النماة» التي ثلب به الأحسائي والشيخية. يدلّ على علم وسعة معرفة وتضلع في الحكمة. طبع في النجف عام ١٣٤٣ ـ ١٩٢٤، وأعيد طبعه عام ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥، وقدّم له ولده الشيخ علي فترجم لأبيه وذكر له هناك عدة آثار في مواضيع مختلفة.

(٣)
الشيخ الميرزا علي الحائري
١٣٠٤ ـ ١٣٨٦/١٨٨٦ ـ ١٩٦٦

هو الشيخ الميرزا علي بن الشيخ الميرزا موسى بن الشيخ الميرزا محمد باقر ابن محمد سليم الأسكوئي الحائري.

ولد في كربلاء عام ١٣٠٤ ـ ١٨٨٦، ونشأ على أبيه، فتلقّى الأوليّات وقرأ المقدمات، وأخذ عنه النحو والصرف والبلاغة والفقه والأصول والحكمة الإلهية حتى أجازه، فهبط النجف عام ١٣٢٤ ـ ١٩٠٦ فحضر في الفقه والأصول درس شيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والسيد محمد كاظم اليزدي، والسيد مصطفى الكاشاني، والشيخ محمد علي الخوانساري، وفي الحكمة على الشيخ محمد حسن الطوسي، وأجازه منهم عدا والده الأخير والأصفهاني والكاشاني وحجة الإسلام الخوئي الذي كان من علماء الشيخية في خوي.

سافر إلى الأحساء فمكث فيها مدة ثم هبط الكويت بدعوة من مقلدي أبيه فأقام فيها سنيناً، ثم ذهب إلى أسكؤ وتبريز بدعوة من أبناء الطائفة أيضاً، فأقام خمس سنين ثم أتى إلى العراق وذهب منه إلى الكويت ثانية، ولمّا توفّي الشيخ

موسى أبو خمسين الأحسائي كان المترجَم له في البحرين فهبط الأحساء وأقام في عاصمتها «الهفوف» مقام الشيخ المذكور، فتولّى أمر طلاب العلوم الدينية وتدريسهم وتدريبهم بأمر أبيه.

ولما توفّي والده رجعت إليه أمور الطائفة، وصار مقلّداً ومرجعاً عاماً للعرب والعجم، وسكن الكويت وكان يقضي أيام الصيف في كربلاء غالباً، وله في الكويت آثار خيريّة منها: تأسيس حسينيات هي الجعفرية والعباسية، وتوسيع المسجد الجامع ومسجد آخر، وهو أول من بنى مأذنة في الكويت بعد جهد كبير، وأول من سعى في إعلان الشهادة الثالثة على المنائر والمنابر، وأسّس في الإحساء حسينية الجعفرية والحسينية الحيدرية. وأحيى كثيراً من آثار طائفته بالنشر فقد طبع العديد من مؤلفاتهم.

وله مؤلفات في الفقه والحكمة وغيرهما منها «عقيدة الشيعة» المطبوع في النجف عام ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠.

توفّي عام ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦ ونقل من الكويت إلى كربلاء بتشييع مهيب، فدفن مع أبيه في مقبرتهم في مدخل «حسينية الحائري» في كربلاء. وخلفه أخوه الميرزا حسن وقد لخّصت هذه الترجمة عن خطه.

(٤)
الشيخ الميرزا حسن الاحقاقي
١٣١٨ ـ .../١٩٠٠ ـ ...

هو الشيخ الميرزا حسن بن الشيخ الميرزا موسى بن الشيخ الميرزا محمد باقر بن محمد سليم الأسكوئي الحائري الاحقاقي.

ولد في الثاني من محرم عام ١٣١٨ ـ ١٩٠٠ ولما بلغ الرابعة من العمر عيّن والده لتربيته تلميذه الشيخ علي فخر الإسلام الخسروشاهي، فعلّمه القرآن وبعض الكتب الفارسية ثم مقدمات النحو والصرف، وفي السابعة من عمره أخذه أخوه الميرزا علي إلى النجف فكان يشرف على تدريبه وتدريسه وبقي إلى العاشرة.

ولمّا أسست «المدرسة الحسينية» في كربلاء التمس أعضاؤها من أبيه أن يسهم في تشجيع العوام على إدخال أبنائهم فيها بإدخال بعض أولاده، فاختاره من بينهم فدخلها حتى أتمّ صفها السادس، وأتمّ المقدمات والسطوح عند أخيه وأبيه. وفي سنة ١٣٤٨ ـ ١٩٣٠ سافر إلى تبريز مع أخيه وبقي معه إلى حين عودته إلى العراق، ولمّا عاد سكن المترجم ـ له مدينة «أسكو» بأمر أبيه. ولما وقعت الحرب العالمية الثانية واحتلت اسكو سافر إلى خراسان في ١٣٦١ ـ ١٩٣٢ وسكن مشهد الرضا عليه السلام خمس سنين حضر خلالها البحث الخارج في الفقه عند الفقيه السبزواري، والشيخ محمد حسن الطوسي الملقب بـ «پائين خياباني»، والأصول عند الشيخ أحمد بن محمد كاظم الخراساني، وجاءه وفد من تبريز يلتمسه الإقامة عندهم فاستجاب وكان أول عمل قام به تعمير «مسجد حجة الإسلام» وهو من أعظم مساجد تبريز، وقد هجر وآل إلى الخراب خمس عشرة سنة، فجدّده على جانب من الروعة والجلال، ثم ثنّى بتجديد عمارة «مدرسة صاحب الأمر»، الدينية وكانت قد هجرت هي الأخرى وصار بعض حجرها مخازن لبقاقيل الميدان، فشيّدها من جديد واختار مجموعة من طلاب العلوم الدينية المعروفين بالشرف والتقى فأسكنهم فيها. وتخرّج منها الأفاضل من العلماء والخطباء، ومذ أنس في ولده الشيخ عبد الرسول الكفاءة والرشد أناط به إدارة مهامه الدينية، وهبط طهران فباشر في تأسيس مسجد ومدرسة أيضاً لولا أن فوجىء بوفاة أخيه، فانهالت عليه البرقيات وطلب حضوره للصلاة عليه فاستجاب وحضر التشييع في كربلاء، ثم عاد مع المشيعين إلى الكويت لتقبّل التعازي في مجلس الفاتحة، وصادف عيد الفطر فصلى في المسجد الجامع وخطب في الناس ثمّ ذكّرهم بوجوب التقليد وعدّد أسماء مراجع الشيعة المعاصرين وخيّرهم في تقليد من يشاؤون، فقطعوا خطبته بالبكاء وأعلنوا عن رغبتهم في تقليده كما كانت الحال بالنسبة إلى أخيه، فاعتذر بعدم استعداده لتحمل المسؤولية فكان جواب البعض: أنّهم سوف يبقون بدون تقليد ويشكونه يوم القيامة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فما كان منه إلا الاستجابة فرجعوا إليه، وهو اليوم مرجع شيخية تبريز وكل من يوجد من هذه المدرسة في أطراف البلاد العربية والإيرانية فإنّما هو وكيله ونائبه.

من آثاره الخيريّة غير المسجد والمدرسة المذكورين في تبريز، بناء حمام ضخم في «أسكؤ» وقفه على طلاب العلوم الدينية، وتدريب عشرات المبلغين في أطراف آذربايجان، وتأسيس مجالس أسبوعية في خراسان وطهران وتبريز ونواحيها لتثقيف العوام، وبناء مسجد في «سوق الشيوخ»، وهو قضاء تابع لمحافظة ذي قار ـ في العراق ـ وهو خاص بالأحسائيين. وتأسيس مكتبة عامة في الكويت، وصناديق إعانة خيريّة عامة للعرب والعجم، وصناديق خيريّة خاصة للعرب والعجم. وهو مشغول بتشييد حسينية باسم الإمام السجاد عليه السلام في خراسان.

له تآليف مختلفة مطبوعة ومخطوطة، فمن المطبوع بالعربية: «أحكام الشيعة» رسالة عملية مفصلة، و «أصول الشيعة»، و «منظرة الدقائق»، ومن الفارسي «أحكام شيعيان»، و «أصول شيعيان» و «سرمايهٔ سعادت» رحلة، و «نامهٔ شيعيان»، و «نامهٔ آدميّت» ردّ على الكسروي، و «منهج الرشد» ردّ على «إزالة الغي»، و «حاكم عدل» ردّ أيضاً، وله آثار أخرى مخطوطة. ومركزه اليوم في الكويت مرموق وشخصه محترم من الجميع.

الفصل الثالث: شيخية كرمان

آل الكرماني:

لعل من الأمور البديهية التي لا يختلف فيها اثنان في إيران والعراق وغيرهما، أنّ العائلة الكرمانية المعروفة فرع من الأسرة القاجارية التي حكمت إيران نحو قرن ونصف[1]، كما نصت المصادر العربية والفارسية على أنّ آل قاجار من المغول من أحفاد جنگيز خان، وأنّ قاجار نويان بن سرتاق نويان بن سابا نويان بن جلاير بن نيرون. وقد كان سرتاق نويان من قواد المغول الذين اجتاحوا إيران والعراق وما جاورهما في جيش هولاكو خان، ولمّا مات خلفه ابنه قاجار الذي تنسب إليه السلالة القاجارية[2].

وقد تفرّد الشيخ زين العابدين خان الكرماني بنقل قصة غريبة، ادّعى فيها أنّ الفرع الذي ينتمون إليه من السلالة القاجارية علوي من ذرية الملوك الصفويين المعروفين بانتسابهم إلى أهل البيت عليهم السلام، لكنهم لم يُعرَفوا بذلك إلا عند بعض الخواص. وإلى القارئ خلاصة القصة مترجمة عن الأصل الفارسي.

«كان فتح علي خان القاجاري قواد الشاه حسين الصفوي وكان محنكاً. اشتهر بانتصاراته على الأفغان الذين غزوا إيران يومذاك، وقد فتح بجيشه الموصل وكركوك فأراد الشاه حسين مكافأته لظفره في حروبه وإخلاصه في خدمته، فطلّق إحدى نسائه وكانت كرجية اسمها «خير النساء»، وأجاز له تزوّجها تكريماً له

---

(١) المآثر والآثار، ص ١٤٧ و٢٠١ وشيخيگري بابيگري، ص ١٣٨.

(٢) آثار الشيعة الإمامية: ٣/ ١٠٢ ـ ١١٨ و (ناسخ التواريخ: المجلد الأول الخاص بالأسرة القاجارية) و (مكارم الآثار در أحوال رجال دورة قاجار: ١/ ١٣ ـ ١٧) و (معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر: ٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٦) و (منتظم ناصري: ٣/ ١٨٤) و (تاريخ اجتماعي وسياسي قاجارية/ أوائله) و (المآثر السلطانية، ص ١٩٦) و (شمائل خاقان، ص ٨٣) و (حقائق أخبار ناصري، ص ٣٢٥) و (اكسير التواريخ، ص ٤٧١).

فشكر إنعام الشاه، وأخذ الجارية معه إلى منزله في استراباد، فلمّا أراد التزوّج بها ادّعت أنّها حامل من الشاه حسين فاعتزلها، واتّصل بمجتهد استراباد وعالمها يومئذ وهو السيد أبو جعفر الاسترابادي والد السيد مفيد المعروف فقصّ عليه الخبر، فاستمهله السيد ليكتب إلى الشاه مستفسراً، فراسله؛ وأجاب الشاه بأنّ ادّعاء الجارية صحيح. وبعد شهور وضعت الجارية حملها وكان ولداً فسمي «محمد حسن خان»، وفي تلك الأيام هاجم الأفغان إيران فدخلوها وقتل الشاه حسين وانقرضت بموته الدولة الصفوية، وبقي المولود في بيت فتح علي خان القاجاري ونشأ مع أولاده ونسبه لنفسه حفظاً له ومخافة عليه من طائفة «دولّو»، فمحمد حسن خان في الحقيقة ابن الشاه حسين الصفوي وفي الظاهر ابن فتح علي خان القاجاري، وقد رغب السلطان فتح علي شاه القاجاري في إعلان هذا الأمر لشدة إخلاصه واحترامه لأهل البيت عليهم السلام فثار في وجهه آل قاجار وقالوا: إنهم أخذوا الملك بسيوفهم من الأسر المالكة ونقلوه إلى أسرتهم بالقوة، وإذا ما حاول الشاه أن يبعد نسبه عنهم وينتسب إلى الصفوية فإنه سيضطرهم إلى الخروج عن طاعته، فخشي السلطان من اختلال نظام المملكة فكتم الأمر. ولهذه القصة في مازندران وشيراز شهرة تامة، وكان محمد إسماعيل خان وكيل الملك والسيد جواد الشيرازي أمام جمعة كرمان على يقين من ذلك وكانا يشهدان بصحتها، كما أن أسرة آل المفيد من أحفاد السيد أبي جعفر المذكور مطّلعة على القصة، ورأى كثير من أهل استراباد وبيوتها القديمة رسالة الشاه حسين الصفوي في منزل السيد مفيد بن السيد أبي جعفر المذكور، وحكى السيد عبد الوهاب شيخ الإسلام الاسترابادي من أولاد السيد مفيد المذكور للحاج محمد رحيم خان الكرماني في طهران عام ١٢٨٣ ـ «١٨٦٦» أنه رأى كتاب الشاه حسين الصفوي بخطه وخاتمه، وسمع ذلك الحاج محمد رحيم أيضاً في كرمان من حاكمها وكيل الملك نقلاً عن أبيه فتح علي خان النوري كما ذكره في كشكوله...»[1]. هذا ما قاله الحاج زين العابدين خان

(١) صواعق البرهان في رد دلائل العرفان، ص ٤٢٠ من طبعة كرمان و/ ٢٦٧ من طبعة تبريز.

في الوقت الذي اعترف فيه أخوه الحاج محمد خان الكرماني أنهم ينتسبون إلى القاجارية[1].

كان إبراهيم خان ظهير الدولة ابن مهدي قلي خان بن محمد حسن خان بن فتح علي خان القاجاري المذكور والياً على كرمان وبلوجستان من قبل ابن عمه السلطان فتح علي شاه القاجاري، وكان حسن السيرة والعقيدة عادلاً تقياً مهتماً بأمور الدين وشعائر المذهب، محترماً للعلماء كثير المبرات والخيرات، وله آثار ومآثر في كرمان وأطرافها منها «المدرسة الإبراهيمية» التي شيّدها لطلبة العلم، وأوقف لها قصيرية وحماماً وعمارات عديدة وأملاكاً واسعة، وكان كبير الإعجاب بشخصية الشيخ أحمد الأحسائي كثير الاحترام والإخلاص له، وقد عرف الأحسائي بعدم الميل إلى الحكام والأمراء والاتصال بهم لكنه كان لا يبتعد عن إبراهيم خان حتى أنّه زار بيته عندما كان في يزد[2] وهو والد رأس شيخية كرمان:

(١)
الحاج محمد كريم خان الكرماني
١٢٢٥ ـ ١٢٨٨ / ١٨١٠ ـ ١٨٧١

ولد في كرمان ليلة الخميس ١٨ محرم ١٢٢٥ ـ ١٨١٠[3] وكان أبوه يتمنّى

---

(١) انظر: ترجمة هداية المسترشد، ص ١٩٧.
(٢) شيخيگري بابيگري، ص ١٣٨.
(٣) مصادر الترجمة:
١ ـ تنبيه الأدباء / المقدمة بقلم أحمد بهمنيار.
٢ ـ تذكرة الأولياء، ص ٢ ـ ٦٣.
٣ ـ سيماي بزركان، ص ١٧٣ ـ ٢٠٤.
٤ ـ شيخيگري بابيگري، ص ١٢٩ ـ ١٥٣.
٥ ـ ظهور الحق: ٣/ ٣٩٩ ـ ٤٠١.
٦ ـ عقيدة الشيعة، ص ١٦ ـ ٧٧.
٧ ـ فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ٨٢.
٨ ـ المآثر والآثار، ص ١٤٧.
٩ ـ مكتب شيخي ازحكمت إلهي شيعي / ٧٦.

أن يكون له ولد، ولـذلك فـرح به كثيراً وبالغ في العناية به حتى شبّ، فأحضر له المـربّيـن والمعلميـن وأتـقـن الكتابة وقراءة الكتب الفارسية، وبدأ بدراسة العلوم العـربيـة علـى بـعض أسـاتذة كرمان وشغف بالخط فأتقن أنواعه. وكان منذ نشأته طمـوحـاً لـذلك، فلـم يكتـف بما كان مألوفاً من العلوم وظل ينشد الرقي العلمي والتفوّق، ويتساءل عمّن يمكنـه أن يـأخذ عنه الحكمة والعلوم الكونية فقيل له أنّ فـي بعـض الـقرى المجـاورة عـالماً عارفاً يدعى بالحاج إسماعيل، وهو ينقل أنّه حظي في كربلاء بخـدمة عالم كبير اسمه السيد كاظم الرشتي فطلب إحضاره؛ غير أنّ الرجل قد خاف مـن صولته لأنّه ابن حاكم البلد فطمأنوه، ولما حضر حدّثه عن الرشتي فعشقه سمـاعـاً. ويقول بعض مترجميه أنّ الميرزا زين العابدين الشيرواني صاحب «بستان السياحة» و «رياض السياحة» هو الذي أرشده إلى الرشتي. وكيفما كان فقد شدّ الرحـال متـوجهـاً إلى العراق، فمرّ بأصفهان فلقي فيها الشيخ محمد إبـراهيـم الكلبـاسـي، وحضـر درسه في بعض الأيام، ومرّ بكرمان شاه فلقي فيها الشيـخ علـي بن الشيخ أحمد الأحسائي، وحضر درسه كذلك أياماً ثم هبط كربلاء فكان فرحه بلقاء الرشتي كبيراً لأنه وجد عنده ضالته. وتفانى في حبّه حتى أنّه قدّم له ثروته وممتلكاته كافة كهدية، وطلب منه أن يقبلها فامتنع الرشتي، فعاد وأخرج خمس أمواله ورجاه أن يقبله كحق شرعي فقبله.

وقد حظي بعناية الرشتي منذ اللقاء الأول، فكان يقرّبه ويحترمه ويزوره في منزله مرة أو أكثر في كل أسبوع ويقبل دعوته لتناول الطعام مرتين أو أكثر في كل شهر، وبلغ من تواضع الكرماني وإخلاصه له ـ رغم كونه من أبناء الأمراء وكبار الـذوات ـ أنّـه كان يميل إلى الخدمة في بيت الرشتي إلى أبعد حدّ وبكل رغبة ولا يتـوقف عن خدمته بأي شكل، حتى أنه كان ـ لشدة محافظته على حياته ـ يطبخ له الطعـام بيـده أحيـانـاً وهو مسرور، ويؤثر عنه أنّه قال مراراً: «إنّ البصيرة والعلم الذين حظيت بهما ومنحهما الله لي كانا من بركة دخان مطبخ السيّد». وظل ملازماً لـدرسـه ثـم عـاد إلى كرمان وخرج الرشتي لتوديعه إلى خارج المدينة. ولكل من شيخية كرمان وتبريز نقاش طويل وأخذ وردّ في موضوع إجازة الرشتي للكرماني،

فـأحفاد الكرماني يدّعون أنّه أجازه، وعلماء تبريز ينفون ذلك، ولكل من الفريقين كلام واستدلال[1].

مـرّ الكـرماني في طريق عودته بهمدان فتزوّج فيها من ابنة محمد علي ميرزا ملك آراء ابن السلطان فتح علي شاه القاجاري، وأمها ابنة شاه رخ شاه الذي ينتمي نسبه إلى السلطان نادر شاه الأفشار وملوك الصفوية، ومكث معها في طهران مدة محـاطـا بـرعـايـة البلاط القاجاري وعظماء البلد، ثم عاد إلى كرمان فاشتغل فيها بـالتـدريـس والـوعـظ، وتصـدّى للـرئـاسة الدينية، ونجح في بسط نفوذه وفرض شخصيته وآرائه نجاحاً باهراً في ظرف قصير.

ولنجاحـه أسبـاب واضحـة، منهـا: انتسابه إلى العائلة المالكة وهي صاحبة الأمـر والنهـى، فالأمراء والحكام يلحظون جانبه ويدارون رأيه، والناس على دين ملـوكهـم فـي كـل زمـان ومكـان، ومنهـا أنـه كـان له أكثر من أربعين أخ وأخت ولأولئك الأخوة والأخوات مـا بين مئتيـن إلـى ثـلاث مئة ولد وبنت، وكلهم من كبـار المـلاكين وأهـل الثـراء الضخم، ولهؤلاء اتباع وأنصار وعمّال وغير ذلك، وأفـراد أسـرته على جلالة قدر كل منهم يحترمونه لدرجة كبيرة، فلا يدخلون عليه ولا يجلسـون إذا دخلوا إلا بعد استئذانه، وهم وحواشيهم وثرواتهم وكل ما في حيـازتـهم وقـدراتـهم طَوْع أمره ونهيه، وكان كل واحد منهم يدفع له في كل عام مبلغـاً ضخمـاً مـن الحقـوق الشـرعيـة، كما كانت موقوفات أبيه تدرّ عليه أرباحاً طائلـة، وكـان إذا حضـر فـي المجلس الذي يعقد في داره أخرج من مقهى البيت الخـاصّ خمسيـن ومئـة غليون رؤوسها من الذهب، وكانت بدلات الخدم محلاّة بـالـذهب، وعـدد حـاشيتـه إذا همّ بسفر أو زيارة تزيد على المئة من غير الخدم، وموكبه يجمع بين الروحانية العلمية والملكية الرسمية وعز الدين وجلال الدنيا.

وكـان موقف الخان من دعوة الباب والبابية مشرفاً لحد كبير، فقد وقف في وجهـه وأدل فـي ردّه وحـاضـر وخطـب فـي نـقـده وكشف زيفه، واستخدم ثراءه

(١) منظرة الدقائق على تبيان الحقائق، ص ٧ ـ ١٣.

الفاحش وسلطانه الواسع وقابليته العلمية وأقرباءه وأتباعه الكثيرين وغير ذلك من دعائم المقدرة لمقاومته وفضح أكاذيبه، وتعرض له بالنقد والردّ والسخرية والهتك في اثني عشر كتاباً من مؤلفاته، وبعضها خاص فيه. ويقول عباس أفندي الملقب بـ «عبد البهاء» أحد زعماء البابية البهائية: «لو أطاع الحاج محمد كريم خان أمر الباب لصارت إيران كلها بابية». وقد تعرض له خليفة الباب الميرزا يحيى نور الملقب بـ «صبح أزل» في بعض خطبه وملأها بالتهديد والوعيد له والعذاب يوم القيامة لمخالفته أمر الله. وعبّر عنه بـ «الأثيم»، وكان الكرماني يعبّر عن نفسه تواضعاً بـ «العبد الأثيم كريم» كما كانت ـ ولا تزال ـ عادة رجال الدين في توقيعاتهم. والحق أنّه بالغ في إيذائهم وتعقّب من يسمع بأتباعه للباب وتضييق الخناق عليه بكل وسيلة ممكنة وأسلوب منتج مهما بلغ من القسوة والتنكيل، ومن ذلك: أنّ الشيخ المولى كاظم ابن الأستاذ يوسف البنّاء الذي كان في عداد علماء الشيخية وأتباع الكرماني، قد زار الباب وآمن بدعوته وأطراه على المنبر بحضور الكرماني فما كان من الحاج غلام علي خان أخي الكرماني إلا أن انهال عليه بالضرب بالعصا حتى حطّمه ومات بعد أيام على أثر الضرب. وهكذا ظلّ يتتبّعهم ويبذل جهده في سبيل إفنائهم، وقد ساعده ذلك على ترسيخ مكانته ونشر دعوته وإثباتها ضمناً خلال وعظه وإرشاده وتحذيره من المزالق وبيان الطرق الصحيحة.

وقد أكبره شاه إيران في بداية الأمر وتجاوب معه للاستفادة منه في مقاومة «الباب» والبابية، ولمّا انتهى دورهما وانتفت الاستفادة منه تغيّر عليه على أثر اتهامه بمحاولة جرّ الحكم إلى نفسه، فانكمش واتخذ الحيطة شعاراً له، وأخذ يعلن في المجتمعات العامة أنّه لا يدّعي لنفسه شيئاً ولا يدعو لفكرة معينة، إلا أنّه كان في مجالسه الخاصة وبين أتباعه وحاشيته يدّعي أنه «الركن الرابع»، وكان البابيون يشنعون عليه في ذلك ويعبّرون عنه بالسفياني.

واتّفق أن صلّى الكرماني صلاة الظهر يوماً في مسجده الخاص بجمع من الناس، وظلّ جالساً في محرابه يشتغل بالتعقيبات والأوراد منتظراً وقت صلاة العصر، فرقى المنبر شاب من حضّار درسه فحكى رؤيا ومكاشفة غريبة ملخّصها:

أنّ الخان المحترم ـ الكرماني ـ حاضر لأن يدعوه الناس بالركن الرابع وهو السفياني المعهود المذكور في أخبار الأئمة عليهم السلام، فأنزله الحاضرون عن المنبر وضربوه ضرباً مبرّحاً ألزمه الفراش زمناً.

ويرى البعض أنّ الخان من أول ـ إن لم يكن أول ـ من تصدّى للإصلاح الاجتماعي والتجديد في إيران، وأنّه سبق السيد جمال الدين المعروف بالأفغاني والشيخ هادي النجم آبادي في آرائه وأفكاره، فقد ألّف قبلهما كتاباً باسم السلطان ناصر الدين شاه القاجاري سماه بـ «الناصرية» ـ طبع يومذاك في بمبى بالهند ـ وقد طالب فيه بالإصلاح والتجديد، ودلّ الشعب على طرق النهضة بالبلاد، وكيف يجب أن يكونوا مجدّدين مصلحين، وكانت الأفكار الحديثة قد سرت إلى إيران والشرق يومذاك من أوربا، ولم تكن قد حدثت التحولات السياسية والاجتماعية بعد. وكان كتابه وآراؤه حدثاً مهماً بالنسبة للشعب الإيراني وفي الأوساط المثقفة، إذ لم يكن من المألوف ولا المتوقّع أن يبرز من بين صفوف الروحانيين والعلماء زعيم طائفة دينية ومرشد طريقة مذهبية يدعو إلى الإصلاح الاجتماعي.

وللكرماني مؤلفات كثيرة متنوعة في العربية والفارسية، وكان شاعراً بالعربية أيضاً، وله في مدح الإمام علي عليه السلام وسائر الأئمة قصائد عديدة، وأهمّ آثاره وأشهرها «إرشاد العوام» وهو أكثرها تعرضاً للنقد والمؤاخذات عليه، وقد أحصى حفيده الإبراهيمي مؤلفاته فأنهاها إلى «٢٤٦» رسالة و «٢٢» فائدة و «٩» مراسلات ومقالة واحدة، و «٢١» موعظة وغير ذلك من الصغار، ومجموعها «٢٦٧» مجلداً و«٥٧٦٥٣٤» بيتاً.

توفي يوم الاثنين ٢٢ شعبان عام ١٢٨٨ ـ ١٨٧١ في قرية «ته رود» على ثلاثة منازل من كرمان وهو في طريقه إلى زيارة العتبات المقدسة في العراق، فنقل جثمانه إلى قرية «لنكر» على ستة فراسخ من كرمان، فأودع جسده قرابة عام ونصف ثم نقل إلى كربلاء فدفن في الرواق الحسيني قرب السيد كاظم الرشتي، وأقيمت له الفواتح في إيران والعراق وفي كربلاء أقامها السيد أحمد بن السيد كاظم الرشتي، ورثاه عدد من الشعراء منهم: الشيخ إسحاق المؤمن، والشيخ

يوسف بريطم، والحاج محسن الحميري، والشيخ محمد علي الهرّ، وغيرهم، وأرّخ وفاته أصحابه من الشيخية بالآية الكريمة: (هو ﴿الحي الذي لا يموت﴾)، أما خصومه البابيون فأرّخوها بقولهم: «خسوف السفياني بالبيداء محققاً».

(٢)
الحاج محمد خان الكرماني
١٢٦٣ ـ ١٣٢٤/١٨٤٦ ـ ١٩٠٦

هو الحاج محمد خان بن الحاج محمد كريم خان بن إبراهيم خان القاجاري الكرماني[١].

كان للحاج محمد كريم خان ثمانية أولاد أكبرهم الحاج محمد رحيم، وهو فاضل شاعر ونبيل، وكان أولاد إبراهيم خان قاطبة والشيخية عامة يحبونه ويحترمونه، وثاني أولاد الخان هو محمد المترجم له، وهو من ابنة ملك آراء ابن السلطان فتح علي شاه، وكان لذلك أكثر جلالة وأعيانية في نظر الناس، وهو وأخوته من ابنة ملك آراء أقرب إلى قلب الأب وأحب إلى نفسه من باقي الأولاد لأدبهم وظرافتهم وسلوكهم، وقد انصرف إلى الدراسة العلمية على عهد أبيه، وكانت همته مصروفة إلى خدمته وتمشية أموره وكسب رضاه.

وتوفّي الخان فالتفّ عامة الشيخية حول محمد خان عملاً بوصية أبيه، وكان عدد من الخواص وأصحاب السر يرونه أولى من غيره بنيابة أبيه، وقد توقف خلال ذلك عدد من فحول علماء الشيخية، وظهر أنّهم لم يرتضوا تطبيق قانون الوراثة بالنسبة لرئاسة الشيخية، فسكت بعضهم على مضض وتحمّلوا ذلك ولم يدلوا بآرائهم. واعترض آخرون كالميرزا محمد باقر الدرچهي «الهمداني» على تلك

---

(١) مصادر الترجمة:
١ ـ شيخيگري بابيگري، ص ١٦٢ ـ ١٧٥.
٢ ـ فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/٥٧ ـ ٧١ و٢/٣٠٦ ـ ٣٩٨.
٣ ـ المآثر والآثار/ ٢٠١.
٤ ـ مكتب شيخي از حكمت إلهي شيعي/ ٥٩ ـ ٦٤.

الإجراءات، وأعلنوا احتجاجهم على الملأ، وعبّروا عن سخطهم بترك كرمان والهجرة عنها، فغادرها الميرزا محمد باقر الذي كان صاحب مؤلفات كثيرة، والميرزا أبو تراب الكرماني من مجتهدي الشيخية أيضاً ومن عائلة «آل النفيسي» المشهورة في كرمان، وعدد آخر غيرهم، وقد حصل للميرزا محمد باقر ـ بالإضافة إلى ما كان له في كرمان من رصيد ضخم وأتباع أقوياء متنفذين ـ أنصار في نائين، وأصفهان، وجندق، وبيابانك، وهمدان، وغيرها، واستمروا على انفصالهم وكانوا يعرفون بـ «شيخية ميرزا محمد باقر» أو «شيخية باقري».

وحصلت اختلافات داخلية أخرى بين أتباع الأخوين رحيم خان ومحمد خان، وكان كل فريق يرغب في دعم صاحبه وتعيينه للخلافة والزعامة المذهبية، غير أنّ الخواص الذين هم أتباع الحاج محمد خان قد اقتصروا على العوام الذين اتبعوا أخاه محمد رحيم خان، إلا أنّ أتباع الأخير قد بقوا على اعتقادهم بأولوية صاحبهم حتى توفي، فالتحقوا بالحاج محمد خان الذي انحصرت رئاسة شيخية كرمان فيه، ونتيجة لذلك فقد بقيت الزعامة إرثاً لأولاد الحاج محمد كريم خان في كرمان.

كانت ولادة الحاج محمد خان يوم الأربعاء (١٩) محرم عام ١٢٦٣ ـ ١٨٤٦، وقد نشأ على أبيه فأحسن تربيته وتوجيهه، وتعلم القراءة والكتابة وقرأ أوّليات العلوم على عدد من الأفاضل، ولازم مجلس أبيه وعمل في إدارة شؤونه واستفاد من درسه وألف كتابه «فصل الخطاب» في الفقه وقرأه بتمامه على أبيه فأجازه وصرّح أمام أصحابه بأنّ ولده فقيه، وقد أجازه عدد آخر من العلماء منهم الشيخ علي البحراني، والمولى حسين الكنجوى، والشيخ جعفر البرغاني، وغيرهم.

وتصدّر بعد وفاة أبيه للتدريس والإفادة ونشر الأحكام، واشتغل بالتأليف فكتب في مختلف العلوم الإسلامية وترك ثروة فكرية كبيرة، وقد أحصى ابن أخيه الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي آثاره فكانت «١٨٠» رسالة، و «١٢» فائدة، و «٥» مراسلات، و «١٥١١» درساً، و «١٥٢٤» موعظة، وبلغ مجموعها «٢٠٥» مجلدات، و «١٤٤٤٧٤٢» سطراً.

وقد قاوموه بشدّة وتوسّع خصومه في إيذائه وتحريض العوام عليه، واستهانوا به كثيراً وعرّضوا كرامته للهتك بأبشع الأساليب، وأوعز خصومه إلى الأوباش والأراذل، فكانوا يخرجون على شكل مظاهرات ضدّه تطوف الشوارع وتطلق شعارات معادية، وتسب وتشتم بكل ما لا يليق من فحش وتكفير ولعن، وطالما تجمهر الغوغاء على باب داره مهددين، وتفاقم الأمر في السنين الأخيرة من حياته فبلغت بهم الحال مرة أن هجموا على داره وهم يحملون الحطب والنفط لإحراقها بمن فيها، وتجمهر أصحابه وأقاربه واتباعه وهم مدججون بالسلاح إلا أنّه أمر بفتح أبواب بيته لخاصته وأتباعه فدخلوا جميعاً، وأمر بتجريدهم من السلاح وجمعه في مكان خاص بعد إحصائه، ووضع حارساً عليه حذّره من تسليم شيء منه، ثم تدخلت السلطات وقام الجيش والشرطة بتفريق الناس، ووقع كثير مثل ذلك ممّا اضطرّه إلى الهجرة من كرمان، فخرج منها بأهله وأتباعه ووصل «باغين» على خمسة فراسخ من كرمان، فعلم الناس بخبره وهموا بإرجاعه؛ فخرج الشاه زاده ركن الدولة والي كرمان مع عدد من العلماء منهم الميرزا حسين إمام الجمعة، والشيخ أغا باقر، والميرزا محمود بن محمد صالح، وغيرهم من رجال الدين والأعيان والأشراف، وجمع من عامة الناس، فلحقوا به واعتذروا منه لما حدث وطلبوا عودته فرجع، وهدأت الأوضاع بالنسبة له واتّخذت التدابير اللازمة من قبل الحكومة للحيلولة دون وقوع مثل ذلك، وأخذت تؤدّب الأشرار وتعاقب المفسدين، إلا أنّه ظلّ متأثراً، وكان يتألم لجهل الناس إلى ذلك الحد وخضوعهم للتوجيه السيء الذي يعود عليهم بالوبال والعاقبة الوخيمة، ومع كل ما أصابه من أذى العوام فلم يكن ليحقد عليهم؛ لاعتقاده بسذاجتهم وبراءتهم وأنّ تبعة أعمالهم على المحركين والمنتفعين. ورغب أن يرتاح بعض الشيء فهبط قرية «النكر» على سبعة فراسخ من جنوب كرمان، ومن المؤلم وما يدل على شدة انفعاله ما نقله بعض ثقات خدمه من أنّه نزل في طريقه إلى «النكر» ليستريح على نهر ماء فهم الخادم بوضع سجادة له يستريح عليهافأمره بنكثها ففعل، فردّ عليه: أن كرّر نفضها جيداً لأنني أريد أن لا يكون فيها ذرّة من تراب كرمان. وهكذا يرخص الوطن الغالي على المواطن مهما كان مخلصاً لتربته إذا تعرّض فيه للذل.

توفي في «لنكر» في العشرين من محرم عام ١٣٢٤ ـ ١٩٠٦ ونقل إلى كربلاء فدفن بجانب أبيه في رواق الحسين عليه السلام .

(٣)
الحاج زين العابدين خان الكرماني
١٢٧٦ ـ ١٣٦٠/١٨٥٩ ـ ١٩٤١

هو الحاج زين العابدين بن الحاج محمد كريم خان بن إبراهيم خان الكرماني[١] .

ولد في ليلة الثلاثاء سابع رجب عام ١٢٧٦ ـ ١٨٥٩ من ابنة محمد قلي ميرزا ملك آراء كبير أنجال السلطان فتح علي شاه القاجاري، وكان عمره يوم وفاة أبيه اثنتي عشرة سنة فكفله أخوه الحاج محمد خان فكان له أباً ومربياً، وقد كان شديد العطف عليه والبرّ به، قرأ بعض مقدمات العربية على المولى محمد حسن الذي كان من أصحاب جدّه، ولازم أخاه المذكور حضراً وسفراً فكان مجلسه مدرسته التي تخرّج منها، وكان يقابل معه كتبه ويعينه على مؤلفاته، وقد برع كأخيه وأبيه في العلوم الإسلامية ولا سيما الحكمة الإلهية، وعُرِف بالأخلاق الفاضلة وسلامة الذات، وحسن النية وصدق اللهجة والورع والصلاح، والتصدي لقضاء حوائج الناس، فأحبّه القريب والبعيد، وأثنى عليه الصديق والعدوّ.

وقد تزعّم الطائفة بعد وفاة أخيه وقام مقامه في إدارة شؤونها، وتصدّر للتدريس ونشر العلم والإفادة وخدمة أهل البيت عليهم السلام وآثارهم، حج عام ١٣٠٥ ـ ١٨٨٧ وزار العتبات المقدسة في العراق بصحبة أخيه في وقته، وتشرّف بزيارة المراقد في العراق طوال عمره بعد تلك الزيارة ثلاث مرّات، وزار مرقد الإمام الرضا عليه السلام في خراسان أربع مرّات.

---

(١) مراجع الترجمة:
١ ـ فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/٢٩ ـ ٥٦ و٢/ ٤٠٠ ـ ٤٦٢ .
٢ ـ مكتب شيخي از حكمت إلهي شيعي، ص ٦٤ ـ ٦٨ .

ولم يسلم من المعارضة كسلفه، فقد اتفقت معه أحداث قاسية، وقوبل بالمعارضة والاستنكار في إيران والعراق، فمن ذلك ما حدث له في النجف وكربلاء عام ١٣٣١ ـ ١٩١٢ على أثر تشرفه للزيارة، فقد تكهرّب الجوّ ضدّه وكثرت احتجاجات طلبة العلوم الدينية عليه، وعقدت اجتماعات ومجالس لبحث الموقف منه وما يجب أن يُتّخذ بشأنه، فتصدى زعيم الشيعة الديني ومرجعها الأكبر السيد محمد كاظم اليزدي للدفاع وكف الأذى عنه، وأصدر أمره بإلغاء تلك التجمعات وعدم القيام بأي عمل في معارضته والتصدي له. ومنها ما حدث له في خراسان عام ١٣٣٥ ـ ١٩١٦ فقد تشرف لزيارة الإمام الرضا عليه السلام وجرى مثل ما جرى له في النجف، فقد عقد اجتماع كبير في «مسجد كوهرشاد» المجاور لمرقد الإمام الرضا عليه السلام احتجاجاً على زيارته ولأغراض أخرى، فتصدّى لهم قوام السلطنة السياسي الإيراني المعروف، وكان يومها محافظ خراسان ـ فأخمد الفتنة وأبعد بعض المحركين والمسببين، ومنها ما حدث في العراق أيضاً في سنة ١٣٥٣ ـ ١٩٣٤، ففي أيام توقفه في مشهد الكاظمين عليهما السلام أوعز بعض معارف الشيخ محمد الخالصي إلى بعض أصحاب المحلات بغلق محلاتهم وتعطيل السوق، وتجمّع الناس في صحن الإمامين عليهما السلام وطالبوا الحكومة بإصدار الأمر للشيخيين الذين أنهوا زيارة المراقد بالتعجيل في مغادرة البلد، وقصد بعض بني أعمام الخالصي الملك غازي الأول فقابلوه وطلبوا ذلك منه أيضاً، فكان جوابه: «إن هذا النوع من السلوك بين المسلمين وخاصة العلماء منهم بالنسبة إلى عالم ضيف ورد لزيارة الضرائح المقدسة عندهم ليس مألوفاً ولا معهوداً بل هو خارج عن السلوك الإنساني، ولعلكم تريدون بذلك أن تفهموا الملل غير الإسلامية بأنكم إذا لم يتصدّ أحد من الخارج لإلقاء الفتن والاختلافات بين المسلمين فإنكم قادرون على ذلك ومستعدون لتلك المهمة»، قال لهم ذلك وتركهم في الغرفة وخرج[1].

«جاء شيخ الكشفية إلى النجف زائراً ـ وكان يومها الشيخ زين العابدين ـ ونزل عند بيت شمسه، ولمّا مرّ عن طريق مدرسة الشيخ مهدي كاشف الغطاء ألقى

(١) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ٥٢.

عليه بعض الطلبة شيئاً من القذارات تحقيراً له، فدخل بيت شمسه ومن معهم إلى المدرسة وضربوا الطلبة ضرباً شديداً فمات واحد منهم وأصيب الآخرون فنقلوا إلى المستشفى وهاجت فتنة، ثم توجه المذكور إلى كربلاء حقيراً ثم إلى الكاظمين عليهما السلام، وصادف أن التقى به أحد أولاد الشيخ مهدي الخالصي في الطريق فسبّه وبصق في وجهه، وكان معه من المزورين شقيق السيد باقر البلاطي فقبض على ابن الخالصي هو ومن معه وأوجعوه ضرباً وهاجت أيضاً فتنة عظيمة ثم سكتت...»[1].

مرض المترجم له في السنين الأخيرة فانقطع عن التدريس وغيره من التكاليف الشاقة إلى أن توفي يوم السبت خامس جمادى الأولى عام ١٣٦٠ ـ ١٩٤١، وكان أوصى بنقله إلى كربلاء فتعسّر ذلك بسبب قيام رشيد عالي الكيلاني بالثورة على الحكم في العراق، فأودع جثمانه في قرية «لنكر» خمسة عشر يوماً حتى هدأت الأوضاع في العراق فنقل ودفن في رواق الحسين عليه السلام بجوار أخيه وأبيه والسيد كاظم الرشتي في الثلاثين من جمادى الأولى بعد خمسة وعشرين يوماً من وفاته.

وقد ترك مجموعة كبيرة من الآثار تحتوي على «١٣٨» رسالة و «١٠» فوائد ومراسلتين ومقالة واحدة و «١٤٢» درساً وسبع مواعظ ومجموعها «١٥٧» مجلداً و «٣١٠٩٨١» سطراً.

(٤)
الحاج أبو القاسم خان الكرماني الإبراهيمي
١٣١٤ ـ ١٣٨٩/١٨٩٦ ـ ١٩٦٩

هو الحاج أبو القاسم خان بن الحاج زين العابدين خان بن الحاج محمد كريم خان بن إبراهيم خان القاجاري الكرماني الملقب بالإبراهيمي نسبة إلى جده إبراهيم خان.

---

(١) من رسالة كتبها السيد محمد جواد العاقلي النجفي بتاريخ ٣ جمادى الثانية سنة ١٣٥٥.

ولد في كرمان في ليلة الأربعاء العشرين من ذي الحجة عام ١٣١٤ ـ ١٨٩٦ ونشأ في «رفسنجان» من قرى كرمان على بعد عشرين فرسخاً من شمالها الغربي، وقرأ فيها على الأغا مير محمد الدوّاني. وفي عام ١٣٢٤ ـ ١٩٠٦ انتقل به والده إلى كرمان فقرأ على أحمد بهمنيار مدة في العلوم العربية، وحدث الانقلاب الدستوري في إيران فهاجر الأستاذ إلى خراسان فقرأ المترجَم له على محمد جواد بهمنيار الشقيق الأكبر لأستاذه الأول مدة في المنطق والفقه والأصول وغيرها، وتوفّي الأستاذ فلازم المترجَم له أباه ودخل في زمرة تلامذته وحضّار حوزة درسه وراظب على ذلك زمناً، وكان أبوه يأمره بكتابة بعض المواضيع العلمية وتقريرات الدروس ويطلب منه اطلاعه عليها، وكان يصحّح أفكاره ويوجّهه إلى أن بلغ رتبة ارتاح لها والده فكتب له إجازة.

استمر على عهد أبيه في خدمته، ورأس قومه بعد وفاته، وسار فيهم سيرته، فتعلّقوا به وأحبوه وعظّموه والتفّوا حوله، واستمر في إدارة شؤونهم وتمشية أعمالهم، وفي التدريس والتأليف والخطابة والإرشاد وغيرها من فروع المعرفة والخدمة الدينية، ولم يسلم من المعارضة والإيذاء كما لم يسلم آباؤه من قبل، ومن القضايا المؤلمة التي شرحها بنفسه أنه تشرف إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام في خراسان مرة فهجم جماعة من الناس عبّر عنهم بالأراذل والأوباش على «مطبعة السعادة» ـ والظاهر أنها تعود للشيخية فمعظم آثارهم مطبوع فيها ـ وأحرقوا الآلاف من كتب التفسير والأخبار والزيارات والمصاحف والمحفوظة في مخازنها، وكانوا يقولون عن المصحف: إنّه قرآن الشيخية وفي حرقه ثواب، وبعد تدمير المطبعة وإتلاف ما فيها هجموا على «ثانوية السعادة» التي مرّ على إنشائها لحد تاريخ الحادثة أكثر من أربعين سنة، والتي يتخرّج منها في كل سنة ما بين ٢٥٠ ـ ٣٠٠ طالب من أبناء كرمان يدرسون فيها مجاناً، وأحرقوا الصفوف والأبواب والشبابيك وسائر الأثاث والمكتبة الكبيرة في المدرسة، ثم أحرقوا مؤسسة للنجارة تعود لبعض أولاد الإبراهيمي وأوقعوا فيها خسارة فادحة، ثم توجّهوا إلى داره للإغارة عليها وترويع عياله وهو غائب عن البلد، وقد كسروا الباب وهجموا على الدار ففزع من فيها من نسائه وأطفاله الصغار وهربوا من

طريق خلفي، وقد أدركهم الشرطة ففرقّتهم وحالت دون نهب أثاث البيت. وقد شرح هذه الحادثة بنفسه بأسلوب رقيق مؤدب، وقرّع أهل كرمان وأنّبهم بلطف ممّا جعل القارئ يخجل عند تأملها، فممّا قاله ما ترجمته: «إنّ إخوانه أهالي كرمان قد حفظوا غيبته بالنسبة إلى عياله وأطفاله، وأبدوا شكرهم وتقديرهم للخدمات والمساعدات والعواطف الإنسانية والتربية والتعليم التي سبق لآبائه أن قدّموها لهم خلال قرن ونصف من الزمن، وقدّم للمسببين جزيل الشكر لأنّه كان يتوقع منهم أكثر مما حدث ممّا لم يقوموا به، وأنّه لم يقدم على ذكر أسمائهم لئلاّ يخلّد لهم التأريخ مثل هذا الذكر».

ومن الحوادث التي وقعت له في أيامنا في العراق أنّه تشرّف إلى الزيارة عام ١٣٧٠ ـ ١٩٥٠ عن طريق البصرة مع حاشيته فركب القطار منها إلى كربلاء رأساً، وبعدها زار النجف والتقينا به فيها، ثم عاد إلى كربلاء وفي طريقه إلى الكاظمية اتصل به بعضهم فأعلمه أنّ الشيخ محمد الخالصي يعدّ للحيلولة دون وروده إلى الكاظمية، وعزّز ذلك سفير إيران في العراق حسين قدس النخعي بمخابرة، وطلب منه التريّث قليلاً في كربلاء وعدم التعجيل في ورود الكاظمية ففعل، وبعد أيام سافر بالقطار من كربلاء إلى سامراء رأساً، ولما وصل الكاظمية ورأى قبتي الإمامين عليهما السلام زارهما على البعد وغلب عليه الحزن، وتذكّر الأيام التي كان خلفاء بني العباس يمنعون فيها من زيارة قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام، وواصل سيره إلى سامراء فمكث فيها أياماً ظنّ بعدها أنّ الأمر قد عولج والمحذور قد ارتفع، فعاد إلى الكاظمية بالقطار، وجاء معه نحو أربعمائة من أصحابه العرب والعجم للمحافظة عليه، وما أن وقف القطار في المحطة حتى صعد بعض مدراء الشرطة وأفهمه بأنّ الخالصي قد دعا إلى التجمع في الصحن، فتجمهر أصحابه وهم يزعمون بأنّ الإبراهيمي خارج عن المذهب فلا يجوز دخوله إلى الصحن المقدس، ولم يسمح له بالنزول فاستجاب وظلّ في مكانه، إلا أنّ معظم أصحابه قد نزل فلم يتعرض له أحد إذ كان هو المقصود في الواقع، وواصل سيره إلى بغداد فنزل في «فندق قصر المأمون» ومكث عشرة أيام زاره خلالها كثير من العلماء والوزراء والرؤساء والأعيان وأظهروا تأثرهم لما قوبل به، وعرض عليه

بعض كبار شيوخ العشائر أنّهم على استعداد لأن يجنّدوا للدفاع عنه ألف رجل أو أكثر من قبائلهم إذا أحبّ أن يزور الحرم، لكنه خاف من إراقة الدماء البريئة فشكرهم. وألف كتاباً خلال ذلك سماه «رحلة بغداد» وطبع، كما كتب مقالاً مفصلاً تحت عنوان شكوى الملهوف نشرته صحف بغداد، وطبع في مطبعة النجاح في بغداد، وأيضاً شكا لإخوانه أهالي الكاظمية حرمانه من زيارة قبر الإمامين عليهما السلام، وعرض عقائده وعقائد آبائه ومن سبقهم من سلف الطائفة، وأنّهم لا يخالفون الشيعة الإمامية لا في الأصول ولا في الفروع.

توفّي المترجم له في خراسان يوم الجمعة الثامن عشر شهر رمضان عام ١٣٨٩ ٢٨/ ١١/ ١٩٦٩، وشُيّع من قبل رئيس الأستانة، وحمل جثمانه خدّام الحرم الرضوي وشيّعه كثير من أهالي خراسان، ودفن في الرواق ممّا يلي رجلي الإمام عليه السلام وأقيمت له الفاتحة من قبل متولي الحرم، وفي مدن إيران الأخرى، وفي العراق وغيره، كما كتبه لي نائبه في البصرة السيد عبدالله الموسوي.

له آثار عديدة منها «فهرست كتب شيخ أجل أوحد شيخ أحمد أحسائي وسائر مشايخ عظام» وهو كتاب قيّم في مجلدين، ترجم فيه لنفسه ولمشايخه إلى الأحسائي، وأنهى فيه مؤلفاتهم إلى قرب الألف مع وصف دقيق لمحتوياتها، وتعيين الموجود والمفقود، والمخطوط والمطبوع. وهو خير مصدر لمن يريد الاطلاع على سِيَر وآثار شيخية كرمان. وله «رسالة عملية» ومؤلفات أخرى في الفقه والعقائد وغيرهما. وقد ترجم له المستشرق الفرنسي هنري كربن[1].

(٥)
الحاج عبد الرضا خان الإبراهيمي
١٣٤٠ ـ .../١٩٢١ ـ ...

هو الحاج عبد الرضا خان ابن الحاج أبي القاسم خان بن الحاج زين العابدين خان ابن الحاج محمد كريم خان ابن إبراهيم خان ظهير الدولة.

(١) مكتب شيخي از حكمت إلهي شيعي، ص ٦٨ و٦٩.

ونـد في كرمان في سابع ربيع الثاني عام ١٣٤٠ ـ ١٩٢١ ونشأ محاطاً برعاية جـدّه وأبيـه فـاهتمّـا بتربيته كثيراً، وشبّ في بيت علم وزعامة وثراء ومجد، أنهى دراستـه الابتـدائيـة والمتوسطة والإعدادية في كرمان، وهبط طهران لقراءة العلوم الحـديثـة فتلقـاهـا عـن مَهَـرة الأسـاتذة، وبرع في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والهندسة الميكانيكيـة، وحـاز خبـرة واسعة في أنواع مكائن الزراعة وحفر الآبار، وفـي صنـاعـة الصـابـون وتحضيـر بعض المواد الكيمياوية، وقام بإجراء تجارب واختبارات عديدة، وتوسّع في الثقافة الغربية فاطّلع على الكثير من مصادرها وألمّ بعدد من علومها وفنونها.

عـاد إلـى كـرمان وتخصّص في الدراسات الدينية بأمر والده، وقرأ مقدمات العلـوم مـن نحـو وصـرف ومنطـق وبـلاغـة وغيـرهـا فـي «المـدرسة الإبراهيمة» التـي أسسهـا جـدّه، وواصـل قـراءة الفقـه والأصـول والحكمـة الإلهيـة وسـائـر العلوم الإسلامية على مدرسيها حتى نبغ، وأصاب حظاً وافراً منها، فتولى التـدريـس فيهـا علـى عهـد أبيـه، وأُوكـل إليـه أمـرهـا وإدارة شـؤون طـلابـهـا، وعُهـدت إليـه مهمـة الأشـراف علـى المطبعـة الخـاصـة بـإخـراج مؤلفاتهم فأدار كـل ذلـك بجـدارة، وظهـرت لـه بـالـرغم من مشاغله العديدة آثار قيّمة ارتاح لها أبوه فأجازه.

تـوسعت دائـرة أعمـاله على أثر وفاة أبيه، ورجع إليه في التقليد اتباع أبيه، وصـار مرجع شيخية كرمان وزعيمها، وهو اليوم مستمر على التدريس في مدرسة جـدّه وعلـى رعـايـة شـؤون طـلاب العلوم الدينية وغيرهم هناك، وله آثار فارسية وعربية، طبع من الفارسية:

١ ـ نظري بقرن بيستم. (نظرة إلى القرن العشرين).

٢ ـ تكريم الأولياء.

٣ ـ سياسة المدن.

٤ ـ دوستي ودوستان (أي المحبة والمحبّون).

ولـه بـالفارسية أيضاً: رسالة في جواب المهندس موسى زام الذي سأل عن سلمـان العصـر فـي الـطب، مخطـوطـة، وفـي العـربية ممّا لم ينشر «شرح كتاب المواريث من الجامع لأحكام الشرائـع» لجدّه وهـو كتـاب استدلالي، ورسالة في أصول الفقه مفصلة أيضاً، ورسالة في الرضاع استدلالية، ورسالة في شرح أحكام القصر والإتمام وأحكام القبلتيـن مـن كتاب الجامع المذكور، ورسالة في المنطق تعليقاً على «تهذيب المنطق»، وله غير ذلك بالعربية أيضاً.

بعث لي ترجمته السيد عبدالله الموسوي من البصرة.

(٦)
السيد عبدالله الموسوي
١٣١٧ ـ ... /١٨٩٩ ـ ...

ولشيخية كرمان مركز كبير واسع في العراق مقرّه البصرة، ويرأسه وكالة عن المرجعية الكرمانية السيد عبدالله بن السيد علي الموسوي البصري.

ولـد فـي شهـر ذي الحجـة عام ١٣١٧ ـ ١٨٩٩ في قرية البراضعية من قرى البصرة، ونشأ فقرأ النحـو والصـرف والمنطـق ومقدمات الفقه وأصوله على السيد محمـد بـن السيـد أحمـد السـويـج، وأخـذ الحكمة الإلهية وبعض العلوم الغريبة كالـرمـل والجفر عن الشيخ محمد طاهر المزيدي، وهبط النجف فحضر في الفقه بحث السيد أبي الحسن الموسوي الأصفهاني، وفي الأصول بحث الشيخ محمد حسيـن النـائيني برهة، ثم هبط كرمان فحضر بحث مرجع شيخيتها يومذاك الحاج زين العابديـن الكـرمـانـي في العلوم الفلسفية والحكمة الإلهية، وأمره يومذاك أن يكتب رسالة في الأصول فألّف كتـابـه «الأصول الكريمية» فارتضاه وأجازه، وعاد إلى البصرة وكيلاً عنه وظلّ على عهد ولده وحفيده.

له آثار علمية طبع منها «ترجمة هـدايـة المسترشد»، وترجمة رسالة في الردّ علـى البـاب، و «تـرجمـة هـدايـة الصبيـان»، و «ترجمة الفصول الأربعة ـ چهار

فصل»، و «ترجمة سي فصل»، كلها من تأليف الحاج محمد كريم خان بالفارسية، وقد نقلها المترجم جميعاً إلى العربية، و «الأنوار الجلية في رفع الشبهات عن الشيخية»، و «كتابا المخلصين» تعليق على ما ذكره الشيخ أحمد عارف الزين صاحب العرفان في مجلته، والشيخ عبد المنعم الكاظمي، وله آثار أخرى مخطوطة في موضوعات مختلفة. وقد كتب لي موجز ترجمته بخطه.

الباب الخامس

المدرسة الشيخيّة وآراؤها

١ ـ الشيخية والكشفية والركنية:

فرقة من الشيعة الإمامية ظهرت في أواخر النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري ـ التاسع عشر الميلادي. وقد سمّيت بذلك نسبة إلى عميد مدرستها الشيخ أحمد الأحسائي المتوفى عام ١٢٤١ ـ ١٨٢٥[١] وتُسمى بـ «الكشفية» أيضاً لما ينسب إلى زعيمها من الكشف والإلهام[٢] أو «لأنّ الله سبحانه قد كشف غطاء الجهل وعدم البصيرة في الدين عن بصائرهم... الخ»[٣] كما تسمّى بـ «الركنية» لقولها بالركن الرابع والشيعي الكامل واعتباره من أصول الدين[٤]. وقد يعبّر عنهم ـ لا سيما بين الإيرانيين ـ بـ «پشت سري» في مقابل خصومهم الذين يعبّر عنهم بـ «الأسري» و «پشت سر» وهما كلمتان فارسيتان معناهما «خلف الرأس» والياء في «سري» للنسبة، ومثلهما «بالأسري» ومعناهما «فوق الرأس»، ومنشأ هذه التسمية الفارسية أنّ اتباع الشيخ أحمد الأحسائي يبالغون في احترام الأئمة من آل محمد عليهم السلام وتقديسهم ويتّهمون بالغلوّ فيهم، ومن أجل ذلك لا يجوّزون الوقوف للزيارة أو الصلاة في مراقدهم وعند قبورهم بمحاذاة رأس الإمام أو فوقه، على العكس من خصومهم الذين لا يرون في ذلك بأساً[٥] أو لأن أتباع الشيخ لا يجوّزون دفن موتاهم في كربلاء عند رأس الإمام وأمامه في الرواق المطهّر وفي الصحن الشريف، ولا يدفنون إلا خلف الإمام أو تحت رجليه تأدباً

---

(١) راجع أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩١، وأنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، ص ٤٠٨، وطبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٨٨، والرحلة المدرسية والمدرسة السيّارة: ٣/ ١٥٨، ودليل للمتحيرين، ص ١٠، وكلمة ازهزار، ص ١٧٦ و١٧٧، والبابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم، ص ١٤، وتاريخ الشيعة، ص ٦٧، ومجلة الرسالة المصرية / العدد ٦٣٣/ ٨٨٦، وشيخيگري بابيگري، ص ١٥٤، وغيرها.

(٢) تاريخ الشيعة، ص ٦٧، وأعيان الشيعة: ٨/ ٣٩١.

(٣) دليل المتحيرين، ص ١٠.

(٤) مجملة العرفان / مج ٣٣/ ١٩٩، وعقائد للشيخية من كتبهم، ص ٤، وسيماي بزرگان، ص ١٩٣.

(٥) روضات الجنات، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٧، ط١.

واحتراماً [١]. ويبدو لنا أن «پشت سري» أول اسم أطلق على هذه الجماعة لتمييزها عن غيرها، ثم سمّوا «الشيخية» ثم «الكشفية» ثم «الركنية» أخيراً [٢].

وقد أنكر زعيم شيخية كرمان المعاصر، الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي، تسمية غير الشيخية بـ «المتشرعة» واعتبرها سبة ضمنية للشيخية واتهاماً بعدم اتباع الشرع المقدس، وقال أنّها تسمية اصطُلح عليها في بعض أطراف آذربايجان في نطاق محدود جداً، ولم يعبّر بها أحد في باقي البلاد الإيرانية والعراق وغيرهما، وأن الاصطلاح الأول والمعروف هو «شيخية» و «بالأسرية»[٣]. وناقش الشيخ علي الحائري الأسكوئي زعيم شيخية تبريز في وقته كذلك الشيخ آغا بزرك الطهراني على تعبيره بالمتشرعة[٤] ودافع بحماس وقال: «إن الشيخية من أحسن من يعمل بالشرع وأحرص المتدينين به... وأنهم هم الإماميون حقاً والمتشرعون صحيحاً وصدقاً»[٥]. وأنكر الشيخ موسى الاسكوئي على الشيخ محمد رضا الهمداني تسميتهم بالشيخية[٦] وجعلهم فرقة في قبال الإمامية مع دعواهم الاتفاق والاتّحاد في الأصول والفروع[٧]. وتبعه ولده الشيخ علي في ذلك[٨]، كما أنكر السيد عبدالله الموسوي تسميتهم بالكشفية وقال: إنّه اسم نبزهم به أعداؤهم الخصوم[٩]، وقال الشيخ علي الحائري مثل ذلك أيضاً [١٠]. وأنكر على السيد محسن الأمين نقله عن رسالة للسيد كاظم الرشتي سماها «اختلاف الأصولية والشيخية»[١١]

---

(١) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٣٤.
(٢) المصادر المتوافرة تمكّن من الوقوف على تسلسل الأسماء دون أن تشير إلى تأريخ ظهور كل منها.
(٣) فلسفية، ص ٢٣ ـ ٢٦.
(٤) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٣٤١.
(٥) المقالة الناصحة الزاجرة، ص ٢٩٦.
(٦) هدية النملة إلى مرجع الملة / بمبي عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م.
(٧) إحقاق الحق، ص ٩، ط٢.
(٨) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ١١١.
(٩) مجلة البيان النجفية / السنة الأولى/ العدد ١٥/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧.
(١٠) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ١٠٦.
(١١) أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩٤.

وجَعْله الأصولية قسيماً للشيخية والحال أنّ الشيخية قسم منهم. وقال: «في الحقيقة أنّ الإمامية تنقسم إلى أخبارية وأصولية، وهم أي الأصولية انقسموا إلى شيخية وغير شيخية»[1]. وقد سماهم محمد سيد كيلاني «المشيخية» بالميم[2] والظاهر أنّه من خطأ المطابع.

٢ ـ عوامل ظهور الأحسائي:

ويجدر بنا قبل التحدث عن الأحسائي وانتشار أفكاره وتكامل مدرسته من بعده أن نلمّ بصورة موجزة بأسباب ظهوره في تلك الفترة بالذات، فالنهضات الدينية والتيارات الفكرية والسياسية في كل عصر ومكان نتيجة لمقدمات وتفاعلات اجتماعية شاذة تتبلور ثم تظهر بشكل من الأشكال «والعقائد ظواهر اجتماعية قبل أن تكون أفكاراً مجرّدة، والناس يتمسكون بإحدى العقائد أو يغالون فيها من جرّاء ما يحيط بهم من ظروف اجتماعية ونفسيّة معينة»[3]، فالأحسائي والرشتي ليسا أكثر من معبّر عن خواطر الفترة التي عاشاها ومرآة انعكس عليها صور المجتمع يومئذ.

اعتلى آل قاجار عرش إيران بعد انتهاء حكم كريم خان الزند، ورأوا كيف آل حكم الدولتين الأفشارية والزندية إلى الانهيار وقصر الأمد بالرغم من قدرتهما وعظمتهما. فلم يكن لهم همٌ إلا تثبيت دعائم الحكم والعمل على إرساء أسسه لإطالة مدتهم وتخليد العرش واحتكاره للتعاقب عليه بمختلف الوسائل وشتى السبل، وقضوا وقتاً طويلاً في التفكير بذلك واختيار أقصر الطرق وأضمن النتائج حتى اهتدوا إلى مزج السياسة بالروحانية، ورأوا فيه الضمانَ الوحيد والطريق الموصلة إلى الهدف.

ولمّا لم يكن لهم سابق عهد بذلك، ولم يكن لهم رصيد علمي وروحاني يمكّنهم من اجترار الأمجاد والتشدّق بالماضي والافتخار بعظام الآباء النخرة،

---

(١) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ١٢٣.
(٢) ذيل الملل والنحل، ص ٤٢.
(٣) مهزلة العقل البشري، ص ٨٧.

وربط الحلقات بعضها ببعض بشكل يضمن لهم النجاح ويكفل الخروج من عهدة الموضوع ـ كما كانت الحال بالنسبة للصفويين من قبلهم ـ فقد أخفقوا ولم يتمكنوا من تحقيق الغرض المنشود والوصول إلى الغاية المطلوبة فلم يتركوا للسياسة بساطتها الأولى وللروحانية قدسيتها ونزاهتها، بل خلطوا بينهما خلطاً عجيباً أدّى إلى ضياعهما معاً، ولم تكن لهم القدرة الكافية على فصلهما من جديد وإعادة كل منهما إلى سابق حالته وقديم وضعه، بل بقيا خليطاً متداخلاً لا يصلح لشيء.

ومن المضحك جداً أنّ السلطان فتح علي شاه القاجاري المتوفى عام ١٢٥٠ ـ ١٨٣٤ رأى أنّ حسن سياسته وكمال روحانيته لا يزال ينقصه المظهر الجذّاب، فأطلق لحيته حتى طالت طولاً مفرطاً، واحتذى «الصاغري» ـ وهو حذاء كان مخصوصاً بالعلماء ـ واعتقد أنّه يتمكن من الاحتفاظ بالقفقاز بذلك ضمناً في وسط تلك المعامع والأحداث والتحركات على الحدود. وقد أدّى احترامه للعلماء وتواضعه لهم إلى انتشار أهل العلم وكثرة العمائم وتزايدها بشكل واسع، فما من قرية أو ناحية في عصره ـ فضلاً عن المدن الكبيرة ـ إلا وأصبح فيها عدد من المشتغلين بطلب علوم الدين، أما المدن المهمة فقد صارت مراكز علم كبيرة تعجّ بالمئات من أرباب العمائم على تفاوت درجاتهم في العلم والمعرفة، وكان من أبرز تلك المدن يومئذ: خراسان، أصفهان، طهران، تبريز، يزد، قزوين، كاشان، قم، شيراز، همدان، كرمان شاه، رشت، بروجرد، وغيرها، ولم يفته أن يعيد عهد ملوك الطوائف إلى الأذهان، فقد قسّم الولايات بين أولاده ووزّع البلاد عليهم ممّا أحدث الحسد والتنافر فيما بينهم، فنشبت في عام ١٢٤٦ ـ ١٨٣٠ خصومة عنيفة بين أولاده: حشمة الدولة، وحسام السلطنة، وعلي ميرزا، في بروجرد وملاير وكرمان شاه، ممّا اضطره أن يرسل غلام حسين السبهدار لإصلاح ذات البين بين الأمراء. وفي الوقت الذي كان السلطان يفكّر فيه بطول لحيته وعرضها بدلاً من إدارة المملكة وتقوية الجيش ونشر الثقافة، كان ولده ظِلُّ السلطان يمهّد الطريق للاستيلاء على العرش في حياة أبيه قبل أن يموت فيسبقه بعض إخوانه إلى اعتلائه، فقد قام بمغامرة في منطقته وأبلغ أخاه محمد شاه أنه

جلس على العرش وانتهى كل شيء فثنى عن قصده، وكان من نتائج ذلك أنّه بدّد من خزينة الدولة خلال أربعين يوماً سبع مئة ألف تومان غير المعدّات وباقي الأشياء.

وكان فتح علي شاه يجهل كثيراً من الأمور ويقصر إدراكه عن فهم القضايا المهمة، ولم تكن له أية معرفة بإدارة الحكم وصيانة البلاد وتوسعة العمران وتنمية الزراعة. ومن طريف ما يروى: أنّ أوربياً حمل معه نموذجاً من البطاطس إلى إيران ولمّا قابل السلطان شرح له فوائدها الغذائية وخصائصها وأنها طعام تمكن الاستعاضة به عن الخبز والرز في أيام القحط والغلاء، وأنّه من المناسب أن تصدر الإرادة الملكية بزراعتها في إيران لصالح الشعب، فما كان من صاحب الجلالة إلا أن سأله: وكم ستدفعون لنا لقاء أمرنا بزراعتها؟! فبهت الأوروبي استغراباً لأنّه لم يكن ليتصوّر مدى غباء السلطان وجهله المفرط.

وقد أدّت تقوى السلطان وورعه واشتياقه إلى المدارس الدينية ورغبته في صحبة العلماء ومعاشرتهم إلى أن يترقّى ولده محمد شاه فيتجاوز الشريعة إلى الطريقة، وينتقل من المدرسة إلى التكية والخانقاه فيصحب العرفاء والمرشدين، ويدخل عالم الإرادة والمريدين، ويشتغل بهما ويسلّم زمام إيران إلى الميرزا أغاسي رئيس الوزراء، فيؤدي سوء سياسته إلى وقوع أحداث وكوارث وقيام فتن وظهور دعوات[1].

وكان من نتائج امتزاج الدين بالسياسة أن تردّت المملكة الإيرانية وانحدرت إلى حدّ كبير بما حدث من أوضاع غريبة وأطوار مستهجنة وطرز مخصوص قد لا يوجد له نظير في بشاعته، وقد فقد الشعب رشده بفضل حكّامه وضلّ الطريق، وكان يعيش على أعصابه وهو يرى الثغرات التي انفتحت عليه والمفاسد التي انتشرت وقصر الدين والسياسة عن تلافيها، ويئس الناس من كل إصلاح واستولى عليهم القنوط، على أنّ بعض الناس كان ينتظر تجديداً للقوتين الهائلتين «الدين

(١) فلسفة نيكو: ٢/ ٢ ـ ٤. ونيكو رجل رجع عن اعتناق البابية ودعا إلى اتحاد المسلمين.

والسياسة»، وكانت الأفكار الإصلاحية تراود الناس وتدور في مخيلاتهم وتصطبغ بمختلف الألوان والصور.

وصادف أن عادت البعثة الهندسية من أوربا عام ١٢٣١ ـ ١٨١٥ ـ وكانت أول بعثة إيرانية ـ وكان أعضاؤها من أبناء الأمراء والذوات وكبار الموسرين، ومنذ أن عاد أولئك النفر إلى بلادهم أخذوا بالمقارنة بين نظم الحياة عندهم وعند الغرب، ولمسوا الفرق الواضح بين حياتهم فيها والحياة التي كانوا يحيونها هناك، والبوْن الشاسع في مراحلها كافة، وحتى المعتقدات فقد وجدوا فيها بعد عودتهم ما لا يهضم ولا يلائم العقل الحاضر ومقتضياته، وأخذوا ينبذون بعض الآراء والأفكار ويطالبون بإثباتها بالدليل العقلي حسب قواعد العلم الحديث، وقد طرحوا بعض الأسئلة الدينية من قبيل: كيف يعيش المهدي المنتظر أكثر من ألف سنة؟ وأين يعيش؟ ولماذا لا تمكن مشاهدته؟ وما هي الفائدة من وجوده في الخفاء؟ وكيف عرج النبي محمد ﷺ إلى السماء بجسمه؟ وما هي الواسطة التي أقلّته؟ وإلى أين وصل؟ وماذا شاهد؟ وبمن التقى؟ وكيف تمكّن من العروج والصعود في طبقات الجو العليا وفيها مناطق تنعدم فيها الحياة بسبب انعدام مادة الأوكسجين؟ وما معنى الرجعة والمعاد؟ وكيف يعود الإنسان ثانية إلى الحياة بعد موته وانعدام حياته؟ وكيف تعقل إعادة المعدوم؟ وأمثال ذلك من الأفكار التي حملوها معهم من أوربا أو حصلت لهم بعد عودتهم واتّساع دائرة مشاهداتهم وتفكيرهم، فقد أخذوا يلقونها على بعض رجال الدين ويطالبون بالأجوبة المقنعة على ضوء العلم لا عن طريق الشرع والتعبّد[1]. وانتشرت الشكوك من جرّاء ذلك في الأوساط المثقّفة وبيوت الأشراف والنابهين، وكان الحكام بمساعدة العلماء قد أبدوا للشعب ضروباً من التخلّف الذهني والتأخّر العقلي فماذا ينتظر من العامة وسواد الناس إذا كان الملك يتوجّه إلى بعض العلماء بالسؤال عن كيفية نكاح أهل الجنة؟! وعن حكم الزواج بأكثر من أربع فيها؟ الأمر الذي لا يبيحه الإسلام في الحياة الدنيا[2].

(١) عن الدكتور علي نقي النزوي في لقاء معه.

(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ٢/ ٣١.

وقد بهت رجال الدين ووقفوا موقف الحائر، فبماذا يجيبون؟ وهم لا يدرون ما يقولون وكيف يعالجون الموقف قبل تأزّمه وقبل أن ينكشف للسائلن وبقية الناس أنّهم لا يحسنون جواباً؟ وقد ملأوا الدنيا قبل ذلك بالادعاءات، وكان الروحانيون في تلك الفترة بالذات في حالة تسيّب غريب، فقد أدّى احترام البلاط القاجاري وتقديره للعمائم إلى تكاثرها بشكل فظيع كما مرّ، فقد اتّجه الناس إلى هذا الزي وسلوك هذا السبيل كمتجر لمن ضاقت به سبل الحياة، أو عجز عن تطمين شهواته ورغباته عن غير هذا الطريق، وقد رأى الفريق المستنير منهم بمساعدة الغيارى على العلم وأهله والدين ورجاله أن يضع حداً لتلك المأساة وماثزاً لرجل الدين الحقيقي عن غيره من عوام المعمّمين لحفظ عقيدة الناس بهذا النوع، وجلب المارقين إلى حضيرة الدين بعد فرارهم من الهياكل والجوفاء والعناصر المرتزقة التي لا همّ لها إلا الضحك على الذقون وتطمين العيش بدون عمل وتسخير السذج والبسطاء من المؤمنين[1].

وورد الأحسائي إلى إيران في تلك الفترة، ولقي من العلماء في مختلف مدنها ترحيباً بالغاً واحتراماً كبيراً، وتناهت أنباؤه إلى السلطان فتح علي شاه فاجتمع به وأعجب بعلمه، ووجّه له بعض تلك الأسئلة فبادر للإجابة عنها بأسلوب فريد وطريقة جديدة لم يألفها العارفون من قبل، وكانت أجوبته مرضية لكثير من المشككين ووجد الأحسائي أنّ الكثير من التعاليم الإسلامية بحاجة إلى الإصلاح والجلاء، وأنّ بعض الحقائق العلمية بحاجة إلى التهذيب، فهمّ بإنقاذها وحاول أن يجمع بينها وبين الحكمة، وقد اعتمد في طرح بعض المسائل وبيان العديد من الآراء والأحكام على المنطق والعقل، وأخذ بالتعليل والتحليل وتفلسف في بياناته واستعمل مصطلحات لم يكن ليألفها القوم وآراء لا عهد لهم بها، وعاد كلامه مقبولاً عند السامعين إن لم يكن مقنعاً تماماً، وكان ذلك هدف المثقفين وأمل النابهين، فاتّجهوا إليه والتفوا حوله ودعوا له وروّجوه وحصل له أتباع كثيرون.

---

(١) ليت الله يهيىء لنا اليوم من يصلح شأننا فما أشبه الليلة بالبارحة.

وكان سبب رواج أفكار الأحسائي اتّكاؤه على المثقفين وأبناء الذوات والبلاط القاجاري من الذين كانوا على صلة بالأوروبيين، ولم تكن له في بداية أمره وأوّل ظهوره قاعدة شعبية، ولمّا سرت أفكاره إلى الطبقة الوسطى حصلت هزّة عظيمة، غير أنّ الذين كانوا لا يفهمون أقواله ولا يهضمون آراءه قابلوه بالصمت إحتراماً لمقامه العلمي الذي كان معترفاً به من قبل الجميع.

وثمة نقطة جديرة بالذكر وهي: أنّ أمر رجال الدين وزعمائهم قد تفاقم لدرجة قصوى، فكانوا هم الحاكمين في الحقيقة، والسلطات الحكومية ـ حتى العليا منها ـ تبع لهم ومنصاعة لأوامرهم، فلا تجرؤ على مخالفة رأي مهم كان بسيطاً. ومثال ذلك أنّ السيد محمد باقر الشفتي الشهير بحجة الإسلام الأصفهاني كان يقيم الحدّ الشرعي والقصاص من جلد وقطع وقتل ورجم لأنّه كان يرى نفسه حاكماً مبسوط اليد ونائباً للإمام عليه السلام يجب عليه تطبيق أحكام الشرع وتنفيذها نصاً طالما يتمتع بالقدرة ويأمن المعارضة[1]. وقد رأيت في أصفهان مقبرة خاصة بقتلى هذا الحاكم الشرعي الذين أقام عليهم الحدود كما أمر الله، وهي في واجهة من مقبرتها الكبيرة المعروفة بـ «تخت فولاذ». وحدّثني بعض أصدقائي من علماء أصفهان وهو مضيفي العلامة الجليل السيد محمد علي الروماني، أنها تحوي مئة قبر. ولم تكن للسلطان قدرة على الاعتراض أو صلاحية للمنع لأنه حكم الإسلام المنصوص عليه في القرآن ينفّذه المجتهد الذي هو خليفة الإمام الغائب.

وأكثر من ذلك! إنّ السلطان اضطر لاستجازة الشيخ أبي القاسم القمي صاحب «القوانين» لإصدار الحكم وتولي شؤون الرعية بالنيابة عنه، لأنه الحاكم الحقيقي في الشريعة الإسلامية، والملك نائب عنه يتولى الحكم وإصدار الأوامر بالوكالة[2].

كان السلطان قد ضاق ذرعاً بذلك الوضع لأنه كان مشلول اليد لا يشعر بقيمة وكيان، وكل ما في الأمر أنّه آلة تنفيذ، لكنه لم يستطع أن ينبس ببنت شفة،

(١) طبقات أعلام الشيعة: ٢/١٠٩.
(٢) ناسخ التواريخ، مجلد القاجارية، ص ٦١٢.

لا سيما وقد تظاهر بالورع والتقى وتشبّه بالعلماء في إطلاق لحيته كما يطلقون، واحتذى برجله «الصاغري» كما يحتذون، لكنه لما سمع بدخول الأحسائي إلى إيران وبآرائه التي تتّسم بالجرأة والصراحة نسبة لعلماء عصره كانت فرحته به كبيرة، فبادر إلى دعوته إلى العاصمة واحتضنه ورفع قدره حتى تفوّق سمعةً ومكانةً على زعماء الدين في إيران كافة، وذلك ليتخلّص بواسطته من تزمّت المتشددين والمعارضين وعنجهيّتهم وليجد بسببه طريقاً لتقليص هيمنتهم على الناس والأفكار بعض الوقت ليتسنّى له تدارك الموقف ومعالجته والتخطيط للمستقبل بحرية، واستمرّ على احتضانه له ودعم كيانه ليدكّ به الآخرين ويقلّص نفوذهم، وهذا ما حصل بالفعل، وقد أَوْغر عليه الصدور. وما يدرينا؟ فلعلّه هو الذي كان يوعز إلى حاشيته بتقديم نوع خاص من الأسئلة عليه ليجيب عنه بصراحته المعهودة وبأسلوب لا يقوى عليه علماء إيران، لأنّه كان غريباً عن البلاد، فلا زعامة ولا مرجعية له فيها يخشى عليها وليست له مصالح خاصة لدى أهلها يضطر لتأمينها، ولا روابط وعلاقات تحتّم عليه التحفظ والحيطة والحذر، ولذلك كان يدلي بآرائه بصراحة ووضوح حتى حلت به النكبة بعد أن تحقق هدف الشاه في إضعاف صولة علماء إيران، وكان موقف السلطان منه سلبياً فكأنّه لم يعرفه ولم يسمع به، وكأنه ليس هو الذي سخّره لمصلحته وجعله مطيّة لغايته فنجح.

وعمل السلطان ذلك يدل على حنكة وذكاء واستخلاص للعبرة من تاريخ بلاده، فقد سبقه إلى مثل ذلك ملوك إيران من الساسانيين والصفويين، فقباد فسح المجال لمزدك والمزدكية، فدكّ رجال الدين حتى أَمِن كيدهم، فثنّى بمزدك وأتباعه. والشاه عباس الصفوي استفاد من الصوفيين وفسح لهم المجال حتى عادوا قوام ملكه، ثم ضربهم وسلط عليهم خصومهم.

٣ ـ منهج الأحسائي العلمي:

لقد كثر النزاع والجدل حول الأحسائي منذ عصره حتى الآن ووجّهت له انتقادات وطعون عديدة، ونسبت له آراء وأقوال تنافي ما أجمع عليه علماء الشيعة

وتخالف ما نصّوا عليه من اعتقادات. وفي تلك الآراء ما يخرجه عن مذهب الشيعة، بل ما يخالف إجماع المسلمين على اختلاف مذاهبهم. وقد أُلّف في الردّ عليه وعلى أتباعه قديماً وحديثاً من الكتب ما يصعب إحصاؤه بين كبير وصغير، وبلغات عديدة كالعربية والفارسية والهندية وبعض اللغات الأوروبية. وقد تشعّبت تلك الآراء وتفرّعت لدرجة أصبح من الصعب جداً بل من غير المتيسّر الإحاطة بها والتأمّل فيها كلاًّ على حدى لمعرفة الصحيح من غيره. والحقيقة أنّ الجدل ممّا لا يرتاح إلى نتائجه في هذه الديار ولدى رجال الدين بصورة خاصة، لأنهم يجرّونه غالباً إلى مواقف لا يدفع إليها إلا التبرير الجدلي وحب الانتصار الشخصي، لا انتصار الحق. فالرفق والهوادة منعدمان عندهم، فهم لا يتجنّبون مزالق الجفوة، ويجرّون الكلام إلى بعض النوازع النفسية التي لا تتّصل بالموضوع، بينما يجب أن يكون الجدل في المسائل العلمية خاصة خالياً كل الخلوّ من الملابسات الغريبة، وأن يكون العقل في بروده وصرامته وحيادته هو المتكلم وحده.

ويتراءى لنا واضحاً أنّ عنصراً دخيلاً يتطرق إلى موضوع الردّ على الأحسائي وأتباعه، فيرفع حرارة المجادل ويفسد هدوء المناقشة، وبما أنّ الموضوع يبحث عن فكرة إسلامية وعقيدة دينية فالواجب يفرض أن يتّسم الجدال فيه بالهدوء والوضوح لتجلي الفكرة، ولا مانع من أن يطول بشرط أن يُحتفَظَ فيه بضبط الكلمات حتى لا تشذّ كلمة جارحة.

ومن الصعب جداً الحكم على الأحسائي بسرعة وبدون الوقوف طويلاً على آثاره والتأمّل كثيراً في آرائه ومعتقداته، فقد انقسم الناس حوله إلى قسمين، أحدهما: يراه مظهر الاسم السماوي للرسول العظيم ﷺ، ونظير سلمان الفارسي (رض)، والشيعي الكامل، بينما يراه الثاني ضالاً فصلاً، ويصرّ في حالة العناد على نفي الفضل عنه[1] وينكر علمه ومعرفته، وربّما أنكر إسلامه كما هي الحال بالنسبة للخالصي والروحاني كما مرّت الإشارة إليه في موضعه. وتلك هي

(١) إحقاق الحق، ص ٥.

سيرة الشرق منذ الأزمنة البعيدة، بل هي سيرة الخلق في كل مكان، حيث يختلف الناس في العظماء اختلافاً كبيراً، ويذهبون إلى رأيين متعارضين في الإفراط والتفريط، وقلّما عدلوا أو اعتدلوا في ذلك، وتكفينا للتدليل قصة ابن سينا، فقد كان أعلم تلامذته يشير عليه ويصرّ بادعاء النبوّة لأنه يؤمن ببلوغه مرتبة الأنبياء، وكان إلى جانب ذلك قوم يحكمون بكفره وخروجه عن الإسلام.

كان الأحسائي من الفلاسفة والحكماء الإلهيين، وللفقهاء وعلماء الظاهر مع الحكماء وأصحاب المعقول عداء مستحكم استمرّ عبر القرون الطويلة، ومرّت الإشارة في التمهيد إلى تكفيرهم والحكم بقتلهم، وقد ذهب كثير منهم ضحية الأهواء فعلاً بفتاوى الفقهاء والقشريين، ولم يسلم أحد من الحكماء ولا سيما الإسلاميين من الجرح والنقد والاتهام بما يخالف العقائد الإسلامية، وفي كلام أكثرهم ما يخالف ظاهر الشريعة، فابن سينا وابن العربي ونظراؤهما إلى عهد صدر الدين الشيرازي متّهمون بذلك من قبل علماء الظاهر مع أنّ أكثرهم كان من أهل التقية، فأصحاب المذاهب المختلفة والمدارس العرفانية ومشايخ الطرق الصوفية والباطنية كانوا يلاحظون عقول العامة فيكلمونها على مقدار فهمها ومدى تحمّلها، ويعمدون إلى التعمية، وربّما رمزوا إلى معتقداتهم رمزاً لا يخفى على النابه الذي لا يخافونه. وقد كان الأحسائي كذلك، فمجلس درسه في دار الشيخ عبد الوهاب القزويني كان خاصاً لا يسمح لكل أحد بحضوره، بل بالإذن والإجازة من الشيخ عبد الوهاب[1]، وذلك لأنّ للحكماء اصطلاحات خاصة بهم، وكثيراً ما يرى في مؤلفاتهم عبارات تنافي ما عليه المعتقد السائد بين المسلمين، وتخالف الآراء المجمع عليها من قبل مشايخ السلف، وهم يدافعون عنها ويؤولونها بما يرفع الخلاف ويوافق المعتقد، ولذلك لا يحسن التسرع بالحكم عليهم، خاصة من قبل من لا أنس له بمصطلحاتهم. وقد ألّف الشيخ محمد علي البرغاني كتاباً في مصطلحات العرفاء وغيرهم وبيان مراداتهم من الألفاظ الدائرة بينهم[2]، وقد حذّر

(١) شيخيگري بابيگري، ص ١٤.

(٢) لسان العارفين / بمبي ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م. وانظر (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٨/ ٣٠٦ـ ٣٠٧.

الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء من الطعن فيهم قبل فهم مقاصدهم بقوله: «. . . إياك وسوء الظن في الحكماء الشامخين والعلماء الراسخين خصوصاً بحكمائنا الإسلاميين، وإياك والمبادرة إلى التفسيق مثل بعض الناس ممّن لا يفهم مرادهم ولا يصل إلى مغزى مقاصدهم ومطالبهم فيتسرّع إلى التجوال في ساحة الطعن والإيراد مع الذهول عن الغفلة والمراد. .»[1]. وقال عن الأحسائي بالخصوص: «. . . اختلف الناس فيه بين غالٍ وقالٍ، بين من يقول بركنيته وبين من يقول بكفره، والتوسّط خير الأمور، والحق أنه رجل من أكابر علماء الإمامية وعرفائهم، وكان على غاية من الورع والزهد والاجتهاد في العبادة كما سمعناه ممّن نثق به ممّن عاصره ورآه، نعم له كلمات في مؤلفاته مجملة متشابهة لا يجوز من أجلها التهجّم والجرأة على تكفيره بها، ولكنّ تلميذيه الكرماني[2] والرشتي قد خرجا عن الجادة القويمة وزاغا زيغاً عظيماً، ولكن لا أدري هل بلغ ذلك بهما إلى حد الكفر والخروج عن الدين أم لا؟! نعم أدخلا على الشيعة الإمامية أشد محنة وأعظم بليّة، ومنهما نشأت بليّة البابية. . .»[3].

والحق أنّ كلمته قيمة ونصيحته ثمينة، لا سيما وأنها صدرت عن شخصية لها مقامها الشامخ في العلوم الإسلامية، ولا سيما الفلسفة والكلام والفقه. ولم يكن ممّن يرسل القول جزافاً، فقد وزن الأحسائي بدقّة، ووفاه حقّه، وأحلّه مكانته، وقال عنه ما له وما عليه، فجدير أن يؤخذ رأيه بنظر الاعتبار وأن يعدّ القول الفصل في الأحسائي.

ولا بد لنا ـ قبل التعرّض لآراء الأحسائي ـ من بيان أمر مهم وصفة خاصة في حياته ونشأته لها أثرها الكلي في تفكيره وعلاقتها المهمّة بمنهجه العلمي وطابع ثقافته، وهي: أنه كان منذ صغره محبّاً للعزلة والانزواء مبتعداً عن أقرانه لا يشترك معهم في اللعب إلا نادراً، ـ كما ذكره فيما كتبه عن نفسه ـ وكان بحكم

(١) الفردوس الأعلى، ص ٤١ و٤٢، ط٢.
(٢) كان الكرماني تلميذ الرشتي لا الأحسائي كما مرّ في ترجمته.
(٣) مزخرفات البابية وخرافات مذهبهم/١٨. و (المعصومون الأربعة عشر: ٤/٢١٦).

انفراده الدائم يقضي الوقت في التفكير ويشغل نفسه بالتأمّل في محيطه الصغير ـ البيت ـ ومن ثمّ قريته فمدينته، وبدأ ذلك ينمو عنده حتى أخذ يفكّر في الطقوس الدينية والعقائد المذهبية، وصار يرى في عالم الرؤيا بعض الأحلام التي تنقله إلى عالم آخر، وكان ينشرح وينبسط للأحلام الجميلة التي كان يراها، كما كان يسرّه جداً أن يحلّ بعض مشكلاته في عالم الرؤيا لأنه يتصوّر أنها الرؤية الصادقة حين يسأل عمّا عنّ له وأشكل عليه فيجاب، لأنّه قرأ في الأخبار أنّ الشيطان لا يتشبّه بالأنبياء والأولياء مطلقاً حتى في عالم الرؤيا، وكان كلّما اشتدّ في احتياطاته وغالى في ورعه وتقواه رأى منامات أجمل ومواقف أروع ومشاهد جذّابة، وهذا ما شجّعه وعوّده أن ينتظر حلّ كل مشكلة وجواب كل سؤال يستعصي عليه فهمه أو حلّه في عالم الأحلام، ولا سيما في الأمور المذهبية وفهم الحديث النبوي والقضايا الروحية، وكان يتوسّل بأرواح أكابر الدين الطاهرة لكشف مشكلاته فيسمع في الحلم أو يرى ما جعله قاعدة آرائه ومعتقداته. وكان يرى نفسه مترّسماً خطى الأئمة عليهم السلام وتابعاً لهم ومستفيضاً من باطنهم، فهو يقول بكل ثقة واطمئنان: «ليس للخطأ إلى كلماتي سبيل لأنني تابع للأئمة»[1]. ويقول: «أنا لم أسلك طريقهم ـ الحكماء ـ وأخذت تحقيقات ما علمت عن أئمة الهدى ولم يتطرّق إلى كلماتي الخطأ»[2]. وعندما قيل له مرّة: «إن بعض المجتهدين يعترض على آرائك». قال: «هل لا يزال في المسلمين من يرد على ما قال الباقر وما قاله الصادق، فإنني لم أقل شيئاً غير قولهما»[3]. ويحكي هو ويروي خواصه: أنّه فُتحَتْ في وجهه أبواب الغيب لإخلاصه في اتباع الأئمة عليهم السلام [4] ويكرّر في مواضع عديدة من كتبه أنّه سمع من الإمام الصادق عليه السلام، ويصرّح في بعضها أنه

(١) شيخيكري بابيكري، ص ٧٣.
(٢) شرح الفوائد، ص ٤.
(٣) شيخيكري بابيكري، ص ٧٣.
(٤) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ١٧. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن القوى المتخيلة هي أساس النبوة عند الفارابي وابن سينا والسهروردي وكل الصوفية فالأحسائي يدعي الإشراق فإذا قال رأيت النبي أو الصادق فإنه يريد تخيلت وهو صادق في قوله ولكن هنا معنًى لا يفهمه مخالفوه وخصومه.

سمعه شفاهاً يقول كذا، وليس مراده أنّ ذلك كان في عالم اليقظة بل في الحلم، ويؤكد على القصة التي رواها من أنه رأى الأئمة عليهم السلام مجتمعين في عالم الرؤيا، وطلب من الإمام الحسن عليه السلام أن يعلمه شيئاً يتلوه إذا أراد أن يرى أحد الأئمة عليهم السلام ليسأله عمّا أشكل عليه، فأعطاه أبياتاً من الشعر، ويؤكّد الأحسائي أنّه فهم أنّ الغرض ليس المداومة على تلاوة ألفاظها وإنما هو الاتصاف والتحلّي بمضامينها، وأنّه جرى على ذلك مدة، فكان يرى من يريد متى شاء، حتى هبط إيران واتّصل بالسلطان وأكل طعامه وطعام أعوانه من الأمراء والحكام وعندها فقد تلك المزيّة وذهبت الملكة التي حصل عليها بواسطة الرياضات الطويلة الشاقة[1]، ويقول التنكابني: «أنه سمع من السيد كاظم الرشتي أنّ أستاذه الأحسائي ارتاض رياضة صعبة شاقة أربعين أربعينياً حتى وصل إلى درجة عالية»[2].

لم يكن الأحسائي كاذباً في مدعاه، فهو ورع إلى أقصى حدّ، ومحتاط إلى أبعد غاية، لا سيما فيما يخص الأخبار، ولكنه قضى سنين طوالاً في قراءة الأحاديث وتأمّلها، فأوجد ذلك عنده ذوقاً خاصاً وسليقة مستقلّة في فهم محتوياتها ومضامينها، وقد قام بناء الأحسائي الروحي على هذا الاعتبار وتلك المشاعر والأحاسيس، وانطبع عليها تفكيره وألفها حتى عاد لا يستطيع التفكير بنحو آخر وشكل مغاير، بل حتى عاد لا يحسن غير هذا النوع.

ولبعض الفقهاء طريقة في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية وراء الطرق المعروفة بين السنة والشيعة تشبه طريقة الصوفية الإشراقيين، وهي الاستحسان بناء على تفسيره بأنّه دليل ينقدح في نفس المجتهد تقصر عنه عبارته. وقد أطلق فقهاء الإمامية على هذه الطريقة لفظ «شمّ الفقاهة»، وحاصل مراد القائلين بالاستحسان وشم الفقاهة: أنّ المتوغّل في الفقه قد يدرك بذوقه الفقهي حكماً لا يجد عليه دليلاً من الأدلّة المعروفة، ولكنّ الذوق الفقهي الحاصل من كثرة الممارسة يوجب الحدس بصحة ذلك الحكم. وقد اشتهر بين العلماء من باب الملح: أنّ لدى

(١) شيخ أحمد أحسائي، ص ١٣.
(٢) قصص العلماء، ص ٤١.

الشيخ جعفر كاشف الغطاء دليلاً زائداً هو دليل الشمّ، وذلك لقوة استنباطه من الأدلّة واعتدال سليقته في الفقه[1].

وهؤلاء المتوغّلون في التألّه قد يدركون بذوقهم بعض القضايا ولا يجدون عليها برهاناً منطقيّاً ولا يعرفون المقدمات المنتجة لها، ولكن الذوق الحاصل من كثرة ممارسة البحث في أحوال الموجودات يوجب الحدس والجزم بصحة تلك القضايا فيطلق على هذا القسم من الإدراكات الذوقية «الكشف والإلهام»[2]. ويفسّر الشيخ البهائي الإلهام بقوله: «ما وقع في القلب من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة، وهو ليس بحجة عند العلماء إلا الصوفيين»[3]. فسبب ما يرى من القضايا التي لا تعرف المقدمات المنتجة لها عند التجرّد وصفاء الذهن هو الحدس كما يظهر من كلمات ابن سينا، فهو يقول: «التجربة والقياس متطابقان على أن للنفس الإنسانية أنّ تنال من الغيب نيلاً ما في حالة المنام، فلا مانع من أن يقع مثل ذلك النَيْل في حالة اليقظة إلا ما كان إلى زواله سبيل ولارتفاعه إمكان. أمّا التجربة فالتسامع والتعارف يشهدان به وليس أحد من الناس إلاّ وقد جرّب ذلك في نفسه تجارب ألهمته التصديق؛ اللهم إلاّ أن يكون أحدهم فاسد المزاج نائم قوى التخيّل والذكر»[4]. وقد أيّد ذلك نصير الدين الطوسي[5] والفخر الرازي[6].

وإذا أمعنّا النظر في مؤلفات الأحسائي وقرأناها بتدبّر وتأمّلنا أقواله ومعتقداته لم نجده قد أتى بجديد، وإنّما هي الآراء والعقائد الإسلامية والشيعية ممزوجة بمشرب أخباري وذوق فلسفي وعرفاني خاص به اختاره لنفسه فطغى على آرائه وأسلوبه، وهو يختلف كل الاختلاف عمّا ألفه الفلاسفة والعرفاء، فهو

(١) أعيان الشيعة: ١٥/ ٤١٧ ـ ٤١٨.
(٢) مجلة الحكمة الحلية، السنة الأولى، ص ١٤ و١٥.
(٣) المخلاة، ص ٢٠٤، ط٢.
(٤) الإشارات والتنبيهات: ٣/ ٣٩٩.
(٥) شرح الإشارات: ٣/ ٣٩٩.
(٦) شرحا الإشارات: ٢/ ٢٨ طبعة الخيرية عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.

ينقم على الفلاسفة ويتطاول على الصوفية، فيسمي محي الدين ابن العربي بـ «مميت الدين»، ويسمي كتابه «الفتوحات المكيّة» بـ «الحتوفات»، ويطعن الشيخ محسن الفيض صهر صاحب «الأسفار» والقائم مقامه في نشر الفلسفة وإذاعتها؛ لكنّه غارق إلى هامته في آرائهم محرّفة كما يحب ويرتأى، ويكاد يكون مقلداً لهما في أصول مقاصد الفلسفة الإشراقية وإن اختلف معهم في بعض فروعها وفي إبدال بعض المصطلحات، ولعلّ الخلاف بينه وبينهم في بعض المسائل لفظي، ولعلّ طعنه فيهم ناشىء عن التقية وحذراً من أن تنسب إليه مذاهبهم[1]، وتلك سجية المتحررين في الإسلام، فهم يشتمون المتحررين خوفاً من الحكام ومداراة للمتزمتين الظاهريين لكنهم يحذون حذوهم، فالمعتزلة يشتمون القدرية ويقولون بقولهم، والشيعة يسبّون الغلاة وبعضهم على نهجهم، وأكثر الصوفيين يشتمون الصوفية ويرون رأيها. وكما اعتاد كل مجتهد على أن يكوّن له رأياً خاصاً به يختلف عن آراء غيره، ونظريات يتفرّد بها عن سواه، فقد خرج الأحسائي بذلك عن دائرة الاجتهاد والرأي في المنقول إلى المعقول والحكمة وفروعهما[2].

ويجب أن يُعلَم بأنّ الإشراق كان عاملاً مهماً في بلورة العقائد الشيعية، فالارتباط وثيق بين الفلسفة الإشراقية والمذهب الشيعي، وقد كان لعلماء الشيعة مجهود كبير في الربط بين الآراء الشيعية والأفكار الإشراقية[3]، هذا من جهة، ومن جهة ثانية يجب أن نعلم بأن الشيعة مؤولة، فلا يأخذون بالظواهر، سواء في القرآن أو الحديث، وهم يروون عن أئمتهم من أهل البيت عليهم السلام: أنّ القرآن كتاب الله الصامت وهم ـ أي الأئمة ـ كتاب الله الناطق. وقول النبي صلى الله عليه وآله: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» ورووا بشأن القرآن: «إنه لا يعلم تفسيره إلا الله والراسخون في العلم» أنّ المراد بالراسخين هم الأئمة، ولذلك فإنّ كل أقسام الحكمة الإلهية الأصلية التي هي من مصدر شيعي

(١) مجلة البيان النجفية، السنة الأولى، ص٥٩٩ و٦٠٠.

(٢) انظر: شيخيكري بابيكري، ص ٥٢.

(٣) أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي، ص ٤٧.

ولها أصول اعتقاد أساسية ترجع إلى أصل واحد مشترك هو الحقيقة التي يرتكز عليها المذهب الشيعي وتقوم عليها تعاليمه وأسسه، وهي: أنّ مسألة الإمامة بمثابة نتيجة مستقيمة وحقيقة ثابتة لمسألة النبوّة، وأنّ الوحي القرآني ككل ما أوحي إلى النبي له ظاهر وباطن، وأنّ شأن الإمامة وثمرة تعليمات الأئمة عليهم السلام هي أنّهم يهدون الناس إلى الباطن ويعلمونهم باطن الوحي، فالنبوة والإمامة مجتمعتان في شخص الرسول، وقد أبلغ النبي صلى الله عليه وآله ظاهر الرسالة، وبقي تعليم باطنها الذي هو من خصائص الإمامة.

وإذا نظرنا إلى الأحاديث عند الإمامية وجدناها تشير إلى هذه التعليمات، وعندما تفسّر لفظ القرآن والحديث النبوي فإنها لا تقتصر على الشرح اللفظي؛ خاصة فيما يخصّ التكوين والحياة الأزلية والأبدية، والملأ الأعلى وآخر الزمان وغيرها، وإنّما تفسّره بالرمز والإشارة وبشكل يحتاج معه إلى التأويل.

تلك هي سيرة الشيعة العلمية، فقد اتّخذوا من العقل ميزاناً ومنطلقاً، وعمدوا الاستناد إلى آراء أئمتهم من آل محمد عليهم السلام إلى تفسير ماديات القرآن وظواهره وتأويلها تأويلاً علمياً مثالياً، بينما جمد إخوانهم السنة على الظواهر وعمدوا إلى تفسير مثاليات القرآن بالماديات، وحافظوا على الظواهر القرآنية فاضطّروا إلى القول بالتجسيم وغيره ممّا تخلّصت الشيعة من القول به وبباقي المنافيات لذات الله تعالى بواسطة التأويل.

وقد اضّطر أحرار الفكر عند الشيعة وعلماؤهم النابهون عبر الأجيال إلى التكتّم بذلك خوفاً من الحاكمين والظاهريين من السنة الذين كانت السلطة لهم أبداً، والذين كانوا يعتبرون مثل ذلك كفراً وخروجاً على الإسلام وتعاليمه، وصارت ظاهرة الرمز والإشارة والمصطلحات الخاصة صفة جمهور كبير منهم، إذ كانوا يرمزون إلى معتقداتهم بنحو يخفى على خصومهم الظاهريين ويفهمه أهله من أتباعهم والمتعلمين منهم، وما مضت الأيام حتى انعطف على السنة جماعة من الشيعة خوفاً على أنفسهم، ويعتبر ذلك تخاذلاً وتنازلاً وتنكّراً لماضٍ علمي ناصع له أهميّته.

٤ ـ المؤاخذات على الشيخية:

كانت المؤاخذات في بادئ الأمر خاصة بالشيخ أحمد الأحسائي ـ بالطبع ـ وكان النقد والجرح شفهياً ـ في الغالب ـ يدور حديثه في المجالس والمعاهد العلمية، وأول من نقد الأحسائي تحريرياً وناقشه علمياً هو الشيخ إسماعيل بن سميع الأصفهاني المعروف بـ «واحد العين» المتوفى عام ١٢٧٧ ـ ١٨٦٠[١] ـ وكان من فلاسفة عصره الأفاضل ـ وقد كان الأحسائي ـ تعرّض لصدر الدين الشيرازي وردّ بعض أقواله فانتصر له واحد العين وردّ على الأحسائي ـ[٢]. ويتّصف ردّه بالحشمة والاتزان، فقد نقده برفق وأدب واحترام مقامه العلمي وأثنى عليه بما هو أهله، فقد قال: «وقد تصدّى لشرحها ـ «الحكمة العرشية» للشيرازي ـ المولى الجليل والفاضل النبيل البارع الشامخ شيخ المشايخ الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي حرسه الله تعالى عن الآفات وحفظه من العاهات، فشرحها شرحاً كان كله جرحاً، لعدم فهمه ما هو المراد من الألفاظ والعبارات لعدم اطلاعه على الاصطلاحات، وإلاّ فهو عظيم الشأن في فهم المطالب، ومنيع المكان في نيل المآرب، رفيع الرتبة في تحقيق الحقائق، جليل المرتبة في تدقيق الدقائق.. الخ»[٣].

واستمرّت الحال كذلك بعد وفاته عدة سنين على عهد تلميذه وخليفته السيد كاظم الرشتي، فقد قضى فترة طويلة وهو يدرّس مؤلفات أستاذه الأحسائي وجهده منصبّ على شرح آرائه وتوضيح ما غمض منها والتبس، وبقي كذلك حتى بعد أن بدأ بالتأليف، فإنّ عدداً من آثاره ليس إلا اجتراراً لآراء أستاذه، وقد بدأ بعد ذلك يتوسّع بالتدريس ويدلي بآرائه ويتطرّق إلى بحوث ومواضيع لم يكن ليتطرّق إليها أستاذه الأحسائي حتى بنحو من الإشارة، وبدأت المؤاخذات عليه شخصياً. ثم خلفه الشيخ حسن جوهر، فكانت آراؤه ومؤلفاته امتداداً لأفكار الأحسائي والرشتي، ولمّا اختلفت الشيخية بعده وانقسمت إلى مدرستين: تبريز وكرمان

---

(١) روضات الجنات: ١/ ٢١٦ و٢١٧، ط٢.

(٢) الذريعة: ١٣/ ٣٦٨.

(٣) شرح العرشية، ص ١١٢.

ـ كما مرّ تفصيله ـ كان لكل مدرسة رجالها وأفكارها، وقام بينهما الخلاف على أشدّه حتى الآن، وكل فرقة ترى أنّها التابع الحقيقي والممثّل الصحيح للأحسائي، وأنّ الفرقة الثانية مدّعية ومخالفة.

والملاحظ أنّ الذين تصدّوا للردّ على الشيخية لم يلتفتوا إلى تلك الخلافات مطلقاً، ولم ينتبهوا إلى الانقسامات التي حصلت بين الفرق المتناحرة وإلى تباين آرائها ليشيروا إليها، وكثيراً ما نرى في المؤلفين المتأخرين من يحاسب الأحسائي على بعض الآراء المحدثة بعده والتي لم يسمع بها؛ فضلاً عن القول بها واعتناقها، أو من يحاسب مطلق الشيخية على آراء تفرّدت بهامدرسة كرمان وتبنّتها ولم تقل بها مدرسة تبريز، بل استنكرتها وقاومتها وكتبت الردود عليها.

وبما أنّنا أشرنا إلى أول من ردّ على الأحسائي وناقشه في كتابه، رأينا من المناسب أن نشير إلى أول كتاب ألّف في الردّ على الشيخية وحمل اسمها وخصّ بمناقشة أفكارها، ويبدو لنا بعد الاستقراء الواسع أنّ السيد حيدر بن ابراهيم الكاظمي جدّ أسرة «آل السيد حيدر» في الكاظمية، والمتوفّى عام ١٢٦٥ ـ ١٨٤٨ هو أوّل من تصدّى للردّ على هذه الفرقة، فقد فرغ من كتابه «البارقة الحيدرية في نقض ما أبرمه الكشفية والردّ على طريقة الشيخية» عام ١٢٥٥ ـ ١٨٣٨[١] ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً[٢].

أمّا أول كتاب طبع في الردّ على الشيخية فالمظنون قوياً كونه «ترياق فاروق» للسيد محمد حسين الشهرستاني المتوفّى عام ١٣١٥ ـ ١٨٩٧، فقد فرغ منه عام ١٣٠١ ـ ١٨٨٣[٣] وطبع بعد ذلك بقليل، ولم تكن له تلك الشهرة في الأوساط العلمية، لكن ارتضاه الشيخ موسى الأسكوئي ووصفه بالمتانة والحسن وأنه لم يتجاوز في ردّه الحدود والقواعد، وقد ألّف كتابه في ردّه[٤]، وردّ السيد مهدي

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣/ ٩.
(٢) وقفنا عليه في «مكتبة الإمام الصادق» في حسينية آل السيد حيدر في الكاظمية.
(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٤/ ١٧١.
(٤) إحقاق الحق، ط٢، النجف ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص٧.

القزويني على ذلك الردّ[1]، أمّا الكتاب الذي اشتهر جداً وصار موضع الأخذ والردّ فهو «هدية النملة إلى مجدّد الملة» تأليف الشيخ ميرزا محمد رضا الهمداني المتوفّى عام ١٣١٨ ـ ١٩٠٠ وقد ألّفه باسم السيد محمد حسن الشيرازي الملقب بالمجدّد[2]، وهو مختصر ألّفه عام ١٣٠٣ ـ ١٨٨٥ في سامراء خلال ثماني ساعات[3]، والظاهر أنّه هبطها زائراً فكتبه لإطلاع المرجع الأعلى للطائفة الشيعية على معتقدات هذه الفرقة، وقد طبع في بمبي عام ١٣٣٥ ـ ١٩١٦ مع ترجمته بالفارسية سطراً بسطر، وكانت قد كثرت نسخه الخطية واشتهرت في البلاد من لدن تأليفه وقبل طبعه بسنين طوال، وقد كتبت ردوداً عليه قبل نشره.

ويقول الشيخ موسى الاسكوئي: إنّ السيد الشيرازي لم يكن ليرتضي هذه التفرقة ولا التطاول على الأحسائي، وأنّه كان يجلّه كما كان يجلّه أستاذه الأنصاري، ولم يرتح لهذه الرسالة ولذلك لم يقرّضها أو يزيّنها

---

(١) ظهور الحقية على فرقة الشيخية / النجف ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م.

(٢) اشتهر في بعض الأوساط الإسلامية وعلى ألسنة عدد من المؤرخين إن الله يقيّض للدين على رأس كل مئة من يجدّد أمره ويرسّخ قواعده ويركز تعاليمه. وأمر المجددين من الأمور الثابتة عند أهل السنة فقد رواه أبو داود في صحيحه وابن الأثير في كتاب النبوة من «جامع الأصول في أحاديث الرسول» (طبقات أعلام الشيعة: ١/ ٤٤٠).
ويعتقد الشيعة أن مجدد المذهب الشيعي على رأس المئة الثانية الإمام محمد الباقر عليه السلام وعلى رأس المئة الرابعة الشيخ الكليني صاحب «الكافي» وهكذا عينوا لكل قرن مجدداً للمذهب. وقد لقب الشيرازي بالمجدد على هذا الأساس باعتباره مجدداً للقرن الرابع عشر، فقد ثنيت له الوسادة وطارت شهرته وامتدت زعامته وجمع مؤهلاتها من علم وتقى وعقل وكرم وسعة صدر وبعد نظر، وحظي بقبول الخاصة من علماء وأعيان وتقديس العامة في كل البلاد، وهددت شخصيته السلطان ناصر الدين شاه القاجاري حتى اضطر لفسخ امتياز التنباك الذي كان أعطاه لشركة رزي البلجيكية عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م. ولد في شيراز عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م وتوفي في سامراء عام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م وحمل على الرؤوس منها إلى النجف تتسابق القبائل وأهالي المدن والقرى والأرياف على طول الطريق للتبرّك بجثمانه. وللشيخ أغا بزرك الطهراني (هدية الرازي إلى المجدّد الشيرازي ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) وللشيخ محمد علي الأوردبادي (حياة الإمام المجدّد الشيرازي) لم يطبع (الذريعة: ٧/ ١١٦) و (سبائك التبر فيما قيل في الإمام الشيرازي وآله من الشعر) مخطوط في ٦٠٠ من (الذريعة: ١٢/ ١٢٥) وذكره في المعاجم وكتب التراجم.

(٣) هدية النملة، ص ٣٩.

بخاتمه[1]. ويقول الشيخ أغا بزرك الطهراني: إنّ أحدهم ردّ على «الهدية»، فردّه الهمداني بكتاب آخر سمّاه «المكواة المكيّة»[2]، والظاهر أنّه يقصد الحاج محمد خان الكرماني فله على الهدية ردّ مطبوع[3]، ويوجد في «مكتبة الدكتور جلال الدين المحدّث في طهران ردّ مخطوط على ردّ الكرماني المذكور وهو مجهول المؤلف، ويحتمل مالكه أن يكون للشيخ هادي الطهراني المتوفّى عام ١٣٢١ ـ ١٩٠٣[4]. وللهمداني كتب أخرى في ردّ الشيخية، منها: كتاب «السيف المسلول على مدّعي دين الرسول ﷺ»[5]، الذي أكثر النقل عنه في «الهدية» وأحال التفصيل إليه، ومنها «تثنية الثلاثة»[6] و «تربيع الشيخين»[7]، ويقول الحاج محمد خان الكرماني: إنّ سبب ردّ الهمداني وشتمه: أنّه «كان متوطّناً في همدان، وقد آذاه بعض الجهّال المنسوبين إلى هذه السلسلة الجليلة لأغراض شخصية فأظهر لنا عداوته القلبية وتصدّى للردّ والبحث معنا، وفي كل حين يظهر بشكل ولون ومع ذلك لم يبرد غليله...»[8].

وهناك آخرون لهم في الردّ على الشيخية أكثر من كتاب، كالشهرستاني السابق ذكره، فله أيضاً: «تلويح الإشارة في تلخيص شرح الزيارة» للأحسائي[9] و «تنبيه الأنام في مفاسد إرشاد العوام» للكرماني[10]. وقد بيّن في الأخير فساد مئة مطلب معين مع بيان موضعها في كلتا الطبعتين: الهند وتبريز، وبعد تمام المئة ذكر أن موارد الفساد فيه لا تحصى، لكنه اكتفى منه بالمئة[11]. وكالسيد مهدي

---

(١) إحقاق الحق، ص ١٠.
(٢) طبقات أعلام الشيعة: ١/ ٧٦٦.
(٣) هداية المسترشد، ١٣٥٤ ـ ١٩٣٥ / كرمان/ الطبعة العربية.
(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٠/ ١٣٧.
(٥) المصدر نفسه: ١٢/ ٢٨٩.
(٦) المصدر نفسه: ٣/ ٣٤٦.
(٧) الذريعة: ٤/ ٦٤.
(٨) ترجمة هداية المسترشدين، ص ١٤٩.
(٩) الذريعة: ٤/ ٤٣٠.
(١٠) الذريعة: ٤/ ٤٤١.
(١١) طبقات أعلام الشيعة: ١/ ٦٢٩.

القزويني الكاظمي الذي ألف في ردّهم «بوار الغالين»، وقد طبع في بمبي عام ١٣٣٢ ـ ١٩١٣[١] و «ظهور الحقية على فرقة الشيخية» طبع في النجف عام ١٣٤٧ ـ ١٩٢٨ ردّ به على «إحقاق الحق» للشيخ موسى الاسكوئي، و «غش الركنية وغفلة البريّة»[٢]، و «مخازي الشيخية ومفاخر الشيعة» طبع أيضاً[٣] وهو ترجمة كتابه الفارسي «هدى المنصفين» في مجلدين طبع في النجف عام ١٣٤٢ ـ ١٩٢٣ ويسمّى «إلقام الحجر»[٤]، وله «جلب الشيخية إلى طريقة الحقية» مخطوط[٥]. وكالشيخ عبد الرزاق الواعظ الهمداني، له «الخلافية بين الشيخية وسائر الإمامية»[٦]. و «سؤال وجواب بين الشيخية والمتشرعة»[٧]. و «السيف القاطع في إبطال الركن الرابع»[٨] وغيرها، إلى غير ذلك من الردود التي لا تحصى.

إنّ العلوم الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة، هي: الفقه والأخلاق والعقائد، وليس بين الشيخية وخصومهم خلاف في الأولين، فطريقة فقهاء الفريقين إلى معرفة الفروع الفقهية واحدة، إلا أنّ مدرسة كرمان قد نهجت طريقة الأخباريين من الشيعة، وهي الاقتصار على الروايات المنصوصة، ولا يريدون تكثير الفروع باستنباطها من عمومات الكتاب والسنة أو من الأصول والقواعد العامة[٩]، وكان الحاج محمد كريم خان رأس شيخية كرمان لا يرى طريقة الاجتهاد والتقليد، والأدلة عنده إثنان: الكتاب والسنة وهو يقول: «فالواجب تقليد آل محمد»[١٠]، وكان يأمل أن تبقى رسالته العملية «الجامع» إلى ظهور

---

(١) الذريعة: ٣/ ١٥٣.
(٢) مجلة العرفان اللبنانية / المج ٣٠/ ١٠٠. و (الذريعة: ١٦/ ٥٦).
(٣) الذريعة: ٢/ ٣٠٠.
(٤) الذريعة: ٢٠/ ١٦٥.
(٥) مجلة العرفان / المج ٣٠/ ١٠٠.
(٦) الذريعة: ٧/ ٣٣٩.
(٧) الذريعة: ١٢/ ٢٤٥.
(٨) الذريعة: ١٢/ ٢٨٨.
(٩) مجلة البيان النجفية: ١/ ٦٢٨.
(١٠) فصل الخطاب، ص ٩ و (منظرة الدقائق، ص ٣٧).

الحجة (عج)[1]. وقال ولده الشيخ زين العابدين أنّه «ليست هناك حاجة لتعداد الرسائل»[2]. وقال الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي عند ذكر رسالته العملية «رسالة اجتهاد وتقليد» ما ترجمته: «ليس ثمة حاجة إلى الرسائل العملية، فإنّ رسائل المشايخ الموجودة لديهم كافية، وهي عين متون أخبار آل محمد عليهم السلام...»[3] وقال في رسالته ما ترجمته: «ينبغي أن يقلّص تجديد الرسائل والفتاوى المختلفة لأنّ الدنيا يجب أن تسير نحو الوحدة والتكامل وتوحيد الكلمة...»[4].

هذا ما قاله علماؤهم بالنسبة للفروع الفقهية، لكن يبدو أنّ الحاج محمد كريم خان وولده الحاج محمد خان لم يقتصرا على متون الأخبار، وإنّما كانت لهما بعض الآراء في الفروع الفقهية، فلهما فتاوى شاذة خالفا بها الإجماع، فقد تعرّض لتعداد بعضها الشيخ حسن الإحقاقي في رحلته الفارسية[5] وأعادها في موضع آخر[6].

ولم يكن بين الشيخية وخصومهم خلاف في الفقه والأخلاق كما أسلفناه، وإنّما اختلفوا في العقائد، فقد نسبت للشيخية أقوال وآراء تخالف ما عليه الشيعة الإمامية من اعتقاد سائد وتشعّبت وتفرعت تلك الأقوال عبر الأجيال المتعاقبة، وفسّرت حسب الظنون والاحتمالات مرّة، والأهواء والرغبات أخرى. كما فُسّرت من قبل من لا غرض له حسب ظواهرها، إلا أنّ الشيخية برهنوا في ردودهم على أنّهم يقصدون بها غير الظواهر، وأنّ في البعض منها مقاصد خفيّة يعرفها أهلها من أهل الباطن[7]. والظاهرة التي يتميّز بها علماء الشيخية على اختلاف عصورهم والتي تلفت نظر القارىء لكتبهم وآثارهم هي التناقض الواضح بين بعض الآراء والأقوال، وهو في حقيقته فارق بين أهل الظاهر والفلاسفة منهم، فهم كبقية

(١) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ٢٤.
(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ٢٤.
(٣) المصدر نفسه: ١/ ٢٤.
(٤) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ٢٥.
(٥) سرماية سعادت / ١٢٤.
(٦) منظرة الدقائق على تبيان الحقائق، ص ٩٥ ـ ٩٧.
(٧) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ١٠٤ و١١٩ طبعت مع «عقيدة الشيعة» للحائري.

الشيعة فريقان أيضاً. أمّا أهل الظاهر من الفريقين فهم يرفضون الآراء الفلسفية ويمقتون من يعتنقها، كما أنّ أهل الظاهر من الشيخية ينزّهون مشايخهم عن الآراء الفلسفية لأنّهم لا يفهمون رموزهم ومقاصدهم.

لقد كثرت الاعتراضات على الشيخية وتشعّبت كما قلنا والكثير منها إتهام للإنتقام وتقوّلات لا صحة لها. ويقول الشيخ أغا بزرك الطهراني أنّ السيد محمد حسين الشهرستاني بيّن في كتابه «تنبيه الأنام في مفاسد إرشاد العوام» للحاج محمد كريم خان الكرماني فساد مئة مطلب معين مع بيان مواضعها في كلتا الطبعتين الهند وتبريز، وبعد تمام المئة ذكر أنّ موارد الفساد فيه لا تحصى، لكنّه اكتفى بالمئة[1] فإذا كان في واحد من كتب الكرماني هذا المقدار من الخلافات فما ظنّ القارئ بباقي كتبه وقد تجاوزت المئة كما في فهرسها المارّ؟ وما ظنّك بمؤلفات الأحسائي والرشتي وقد قاربت آثارهما الثلاثة مئة؟ هذا عدا بقية علماء الشيخية من مدرستي تبريز وكرمان، وفيهم مؤلّفون مكثرون، والأسف أنّ كتاب الشهرستاني المذكور لم يطبع لنرى نوعية مباحثه ومؤاخذاته.

أمّا أبرز نقاط الاختلاف وأشهر موارد الخصومة بين الفريقين فهي المسائل الآتية، وبقية الخلافات والمؤاخذات تنضوي في الحقيقة تحت هذه العناوين وتتفرّع عنها، وإلى القارىء بيانها:

١ ـ المعاد الجسماني.

٢ ـ المعراج الجسماني.

٣ ـ الغلوّ والتفويض.

٤ ـ الركن الرابع.

وسنقف عند كل واحدة من هذه المسائل لنستعرض آراء الشيخية فيها، ونرى حقيقة المزاعم وواقع الاتهامات، ونقف على ما خالفت الشيخية فيه بقية الشيعة وما وافقتهم عليه.

---

(١) انظر (طبقات أعلام الشيعة: ١/٦٢٩).

أولاً: المعاد الجسماني:

يعتبر المعاد من المسائل الفلسفية، لأنّ الكلام فيه يدور حول النفس وخلودها والوجود وعلله الأولى، ولا يمكن اعتباره خارجاً عن دائرة البحث الفلسفي، لأنّ فكرة المعاد ليست وليدة التعاليم الدينية، وإن كانت الأدلة فيما يتّصل بتفاصيل أحوال المعاد سمعية لا مجال فيها للنظر العقلي.

ولم تكن فكرة المعاد وخلود النفس وليدة الديانات والشرايع السماوية، بل هي قديمة العهد جدّاً، فقد نشأت مع الإنسان مذ راعته ظاهرة الموت، فطفق يفكّر في أسبابه ونتائجه، وشغل ذلك باله وأجهد عقله، فلماذا يموت؟ وأين تذهب روحه بعد الموت؟ سؤالان يتوقّف جوابهما على معرفة سرّ الحياة وإدراك حقيقتها، وهذا ما عجز عنه العلم قديماً وحديثاً، وربما بقي سراً مستوراً وراء حجب الغيب.

ولقد آمن قدماء المصريين والفرس بخلود النفس واعتقدوا بعودتها إلى جسدها، وأنّ مصيرها إلى السعادة والشقاء، إلا أنّهم اختلفوا في الكيفية التي تسعد بها النفس الإنسانية أو تشقى في عالم خلودها[1]. وجاءت الأديان تشرح للناس كيفية الخلود بما في الجنان من لذّة لا تفنى، وما في النيران من عذاب لا ينتهي[2]. وقد اختلف في المعاد منذ قديم الأزمنة وذهبوا في ذلك مذاهب شتى تتلخّص في أربعة أقوال، وهي كما يلي:

١ ـ إنكار المعاد مطلقاً لا جسماً ولا روحاً، وهو قول جميع الملاحدة والطبيعيين الذين ينكرون المبدأ فكيف بالمعاد وهما متلازمان؟.

٢ ـ إثبات المعاد الروحاني فقط، نظراً إلى أنّ الأرواح مجرّدة والمجرّد باق، والجسم مركّب من عناصر شتّى، فإذا فارقته الروح انحلّ هذا المركب وانعدمت تلك الصورة ولحق كل عنصر بأصله وتستحيل إعادة المعدوم.

---

(١) الفلسفة الشرقية، ص ٩٢.

(٢) فلسفة الإمام، ص ١٢٥.

أمّا الروح فهي باقية وهي التي تعاد للحساب، وهذا الرأي المثالي هو الذي يشير إليه الفارابي في أرجوزته بقوله:

أصبح في بلابلي وأمسي ... أمسي كيومي وكيومي أمسي
يا حبّذا يوم حلول رمسي ... مطلع سعدي ومغيب نحسي
من عرض يبقى بدار الحسّ ... وجوهر يرقى لدار القدس

٣ ـ القول بالمعاد الجسماني فقط، وكل جنس لاحق للجنس وهو قول من أنكر وجود النفس والروح المجرّدة، وهو رأي أهل الظاهر من المسلمين وبعض المتكلمين.

٤ ـ إثبات المعادين الجسماني والروحاني، ومعناه عودة هذا الجسد الذي كان في دار الدنيا بجسمه وروحه إلى النشر يوم الحشر كما كان، فيقف للدينونة بين يدي الله لينال خبراءه من ثواب أو عقاب كما هو صريح القرآن الكريم[١]. وقد أحصى ما ورد في القرآن من آيات بخصوص عالم البرزخ وما فيه من ثواب وعقاب وعالم النشأة الأخرى والبعث والنشور وعالم الحساب وما يعقبه من خلود في النعيم والجحيم وما إلى ذلك السيد عبدالله شبر[٢] والشيخ محمد رضا فرج الله[٣] وغيرهما.

ويعتقد الشيعة الإمامية ـ كما يعتقد سائر المسلمين ـ أنّ الله عز وجلّ يعيد الخلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء، وأنّ المعاد هو الشخص بعينه وجسده وروحه بحيث لو رآه الرائي لقال: هذا فلان. فهم ممّن يقول بإثبات المعادين الجسماني والروحاني[٤]، وقد تضمّنت كتبهم المطوّلة في الكلام والعقائد تفصيل ذلك وإثباته عن طريقي العقل والنقل ونفي أقوال المخالفين ودحض شبهات المنكرين.

---

(١) نهاية العقول، ص ٦٣، وشرح التجريد، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٧، والأسفار الأربعة: ٢/ ١٦٣ ـ ١٧١، وحق اليقين في معرفة أصول الدين: ٢/ ٤٩ ـ ٨٧، والفردوس الأعلى، ص ٢٢٧ ـ ٢٣٠، ط٢ وغيرها.
(٢) حق اليقين: ٢/ ٥٨ ـ ٦١.
(٣) الإنسان وأول الواجبات، ص ٢٥٦ ـ ٢٦٢.
(٤) أصل الشيعة وأصولها/ ٨٧ ـ ط٨.

وقد اتّهمت الشيخية بإنكار المعاد الجسماني والقول بأنّ المعاد هو الروح وحدها، وأنّ القول بإعادة الجسد يقتضي القول بإعادة المعدوم وهو محال، قال الشيخ محمد رضا الهمداني: «وقالت الشيخية أنّ الجسم جسمان، والجسد جسدان: جسد عنصري دنياوي وهو مخلوق من عناصر هذه الدنيا التي تحت فلك القمر، وهذه تفنى ويلحق كل شيء إلى أصله ويعود إليه عود ممازجة واستهلاك فيعود ماؤه إلى الماء وهواؤه إلى الهواء وناره إلى النار وترابه إلى التراب ولا يرجع ولا يعود لأنه كالثوب يلقى من الشخص، والثاني جسد أصلي من عناصر هورقليا، وهو كامن في هذا المحسوس، وهو مركّب الروح فيقوم للحساب وهو الجسد الذي يتألّم، ويتنعّم وهو الباقي وبه يدخل الجنة والنار... وما سطرناه عين عبارة... «شرح الزيارة»، وشبهتهم في المقام شبه منكري الأنبياء، كأميّة بن خلف وغيره... ولا حاجة إلى بيان فساد هذا القول فإنّه كافر لإنكاره الضرورة صريحاً»[1].

وقال السيد مهدي القزويني: «إنّ المستفاد من كلماتهم كون الجسد المُعاد هو الجسد البرزخي، وزعموه في باطن الجسد العنصري وهو فاسد؛ فإنّ البرزخ عالم بعد عالم الدنيا فكيف يشتمل الجسد العنصري عليه قبل الوصول إلى عالمه، فلقد كان قصدهم النجاة من مخالفة الضرورة من الدين القائمة على كون الجسد المعاد هو الدنيائي، ولكن بعد تصفيته لزمهم القول بالجسد البرزخي نجاة من الشبهة المذكورة التي دفعها من عرفت بذهابه إلى الجسد البرزخي، فيقال له: الجسد البرزخي لم تصدر منه طاعة ولم يأت بمعصية حسبما هو مفروض من كون عالمه غير عالم التكليف. ومع غض النظر عمّا نبهنا عليه؛ فهم بسبب ذهابهم إلى القول المذكور مخالفون للمتشرعة من جهات عديدة... فشيخهم قد ذهب إلى ما خالف ضرورة العقول والمشاهد بالعيان... وهذه سفسطة...»[2]. هذا نموذج ممّا قيل في الشيخية، ومثال لنوعية ما يوجّه إليهم من نقد وطعن، ولنرجع إلى

(١) هدية النملة إلى مجدّد الملة، ص ٣٣ و٣٤.
(٢) بوار الغالين، ص ٦٥ و٦٦.

مصادرنا الأولية وآراء علمائنا القدامى لنقف على أقوالهم ولنرى ما إذا كانت الشيخية قد خالفت معتقداتهم.

إنّ مسألة البعث والمعاد الجسماني من المسائل التي استبعدتها العقول وكثرت حولها الشكوك وتعدّدت الآراء وتضاربت الأقوال، وقد حكى القرآن الكريم ذلك وأجاب المعترضين بقوله: ﴿**وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرّة وهو بكل خلق عليم**﴾ [يس/٧٨ ـ ٧٩] وقوله: ﴿**أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوّي بنانه**﴾ [القيامة/٣ ـ ٤] وقوله: ﴿**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم**﴾ [البقرة/٢٨]. وبرهن على مدى القدرة الإلهية وعدم عجزه تعالى عن إعادة الإنسان، وهو الذي أنشأه النشأة الأولى: ﴿**أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد**﴾ [ق/١٥]. بل تحدّى الذي استكثروا ذلك مصرحاً بأنّ إعادة الخلق بأجمعهم بالنسبة إليه تعالى إنّما هي كإيجاد نفس واحدة: ﴿**ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة**﴾ [لقمان/٢٨] غير أنّ جذور تلك الشكوك قد بقيت فلم تقتلعها الأدلّة والبراهين التي أتى بها القرآن وأيّدتها وأوضحتها السنة النبوية.

وعندما اتسع الفكر الإسلامي وانتشر العلم ودخلت الفلسفة تعقّدت المسألة أكثر من قبل، ووقفت العقول منها موقف الحيرة؛ فكيف تمكن إعادة المعدوم؟ وكيف يعاد الشيء بعد تفكّكه وتلاشيه؟ ثم أنّ الإنسان في حياته يخلع صورة وتفاض عليه أخرى، فهو بعد المراحل التي يجتازها في عالم الأرحام رضيع ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ، فهو لا يزال في خلع ولبس يخلع صورة ويلبس أخرى، وينتقل من حال إلى حال فهو هزيل تارة وسمين ثانية، أبيض مرة وأسمر أخرى، معتدل القامة طوراً ومحدودب الظهر أخرى، فبأي هيئة يبعث وعلى أية حالة يعاد؟

لقد عدّ الشيعة المعاد روحاً وجسماً أصلاً من أصول الدين الخمسة ودعامة من دعائم الإسلام الثلاث، فلا مجال للشك في أنّه من ضروريات الإسلام، والضروري ما يكون التديّن مستلزماً للاعتقاد به، ومعنى ذلك أنّ من لا يؤمن به

ليس مسلماً، فيجب التصديق به تبعاً للكتاب والسنة، ولا ينظر إلى إمكانه العقلي وغيره، من قبيل استحالة إعادة المعدوم وشبهة الآكل والمأكول وغير ذلك من المنافيات، هذا هو رأي الشرع وتقريره. أمّا العلم فله رأيه الخاص الذي لا يخضع للقضايا التعبدية، وإنّما يلجأ إلى الحجة والاستدلال المنطقي على ضوء العقل. وقد عجز ابن سينا عن إثباته من طريق العقل، فقد قال في المقالة التاسعة من إلاهيات الشفاء: «وبالحري أن نحقق هاهنا أحوال النفس الإنسانية إذا فارقت أبدانها، وأنّها إلى أي حالة ستصير، فنقول: يجب أن يعلم أنّ المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوّة، وهو الذي للبدن عند البعث. وخيرات البدن وشروره معلومة، وقد بسطت الشريعة الحقة التي أتانا بها سيدنا ونبينا ومولانا محمد بن عبدالله ﷺ حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن. ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني وقد صدّقته النبوة وهو السعادة أو الشقاوة اللتان للأنفس. . .»[1].

وأوضح رأيه في موضع آخر فأنكر المعاد الجسماني بصراحة فقد قال: «. . . فإذا بطل أن يكون المعاد للبدن وحده، وبطل أن يكون للبدن والنفس جميعاً، وبطل أن يكون للنفس على سبيل التناسخ، فالمعاد إذن للنفس وحدها على ما تقرّر بعد أن كان المعاد موجوداً. . .»[2].

أمّا بقية فلاسفة الشيعة وكبار علمائهم، فقد قالوا بالمعاد الجسماني، لكنهم صرّحوا أنّ للجسم أجزاءً أصلية هي المعنية بالبعث والمعاد، وأجزاءً تضمحلّ وتذهب ولا تعاد. قال نصير الدين الطوسي: «الضرورة قاضية بثبوت الجسماني من دين النبي مع إمكانه، ولا يجب إعادة فواضل المكلف»[3]. وقد أوضحه العلامة الحلي عند شرح كلامه فقال: «. . . الواجب في المعاد هو إعادة تلك

(١) الشفاء، ص ٦٣٤.

(٢) رسالة أضحوية في أمر المعاد، ص ٩٣.

(٣) تجريد الاعتقاد، ص ٢٥٥. وأخبرني الدكتور علي نقي المنزوي: إن الطوسي صرح في كتابه الفارسي «آغاز وأنجام» بروحانية المعاد. ولم أوفق للوقوف عليه.

الأجـزاء الأصليـة، أو النفس المجردة مع الأجزاء الأصلية. أمّا الأجسام المتصلة بتلك الأجزاء فلا تجب إعادتها بعينها... وأنّ لكل مكلف أجزاء أصلية... وهي التي تعاد، وهي باقية من أول العمر إلى آخره»[1]. وقوله: لا تجب إعادتها بعينها صـريـح فـي أنّ هنـاك إنشـاءً جـديـداً، وقد أوضحه بقوله: «وذهب آخرون وهم المحقّقون من المتكلمين ـ وهو الذي اخترناه ـ بأنّه (أي الإنسان) عبارة عن أجزاء أصلية في هذا البدن باقية من أول العمر إلى آخره لا يتطرّق إليها الزيادة والنقصان ولا يتبدّل، وعند الموت تعدم إن قلنا بجواز إعادة المعدوم، ثم يوجدها الله تعالى وقت الإعادة، ويتفرّق عند الموت إن قلنا بامتناعه، ثم يوجد الله تعالى تأليفاً آخر وقـت إعـادتـه»[2]. والغريب أنّه يبدو متردّداً في رأيه ومجارياً للظاهريين، فهو لا يجـزم بـإمكان إعادة المعدوم ولا باستحالتها: إن قلنا بالجواز فكذا... وإن قلنا بالامتناع فكذا... فأي الرأيين يمكن الأخذ به؟ وله قول ثالث وهو: «وأمّا المسلمون فقد اتّفقوا على إثبات المعاد البدني واختلفوا في كيفية إعدامه، فقال المثبتون للجواهر في العدم: إنّ الله تعالى يعدمه بأن يسلب عنه صفة الوجود وهيئته ثم يعود إلى الوجود بأن يخلق له وجوداً آخر للثواب والعقاب، وأمّا إعدامه فلقوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾. وقوله: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾، وأمّا عوده فلوجوب إيصال الثواب والعقاب إليه، لأنّ الوفاء بالوعد والوعيد واجب. وقال الثقات القائلون بكون الإنسان جسماً: فناؤه وهلاكه عبارة عن تفرّق أجزائه وإبطال تركيبه ومزاجه، وإعادته جمع أجزائه وإحداث الأعراض فيه مثلما كانت فيه قبل موته لاستحالة إعادة المعدوم، ولأنه أمر ممكن والله تعالى قادر على جميع المقدورات والممكنات»[3].

وقال المقداد السيوري: «... المعاد زمان العود أو مكانه، والمراد به هو الوجود الثاني للأجسام وإعادتها بعد موتها وتفرّقها، وهو حق واقع خلافاً للحكماء، والـدليـل علـى ذلـك مـن وجوه... الثالث: إنّ حشر الأجساد ممكن والصادق

(١) شرح التجريد، ص ٢٥٥ و٢٥٦.
(٢) كشف الفوائد، ص ٨٩.
(٣) كشف الفوائد، ص ٩١.

أخبر بوقوعه فيكون حقاً، أمّا إمكانه: فلأنّ أجزاء الميت قابلة للجمع وإفاضة الحياة عليها، وإلا لما اتصف بها من قبل، والله تعالى عالم بأجزاء كل شخص... وقادر على جمعها، لأن ذلك ممكن، والله قادر على كل الممكنات...»[1].

ولا تخلو أقوال صدر الدين الشيرازي فيما يرى القارئ من اضطراب فهو يقول مرة: «وأمّا ما تزيّن به محققو الملّيين وأفاضل المسلمين، فهو: أنّ مع هذه الأجساد جواهر أخرى هي أشرف وأنور، وليست هي بأجسام كثيفة بل هي أرواح لطيفة تخرج عن هذه الأبدان عند الموت، فلا يتصوّر عندهم أمر البعث والقيامة إلا برد تلك الأرواح إلى تلك الأجساد أو أجساد أخرى مثلها تقوم مقامها يحشرون ويثابون أو يعاقبون بما عملوا من خير أو شر. فهذا الرأي أجود وأقرب إلى الحق»[2] ويقول أخرى: «إنّ الأبدان الأخروية متوسطة بين العالمين جامعة للتجرّد والتجسّم مسلوب عنها كثير من لوازم هذه الأبدان الدنيوية، فإنّ البدن الأخروي كظل لازم للروح وكحكاية ومثال له، بل هما متّحدان في الوجود بخلاف هذه الأبدان المستحيلة الفاسدة...»[3].

ويقول ثالثة: «إنّ من تأمّل وتدبّر لم يبق له شك وريب في مسألة المعاد وحشر النفوس والأجساد، ويعلم يقيناً ويحكم بأنّ هذا البدن بعينه سيحشر يوم القيامة بصورة الأجساد، وينكشف له أنّ المعاد في المعاد مجموع النفس والبدن بعينهما وشخصهما، وأنّ المبعوث في القيامة هذا البدن بعينه لا بدن آخر مبائن له عنصرياً كما ذهب إليه جمع من الإسلاميين، أو مثالياً كما ذهب إليه الإشراقيون. فهذا هو الاعتقاد الصحيح المطابق للشريعة والملّة الموافق للبرهان والحكمة...»[4]. فهو في القول الأول يعترف بكثافة الأجسام التي تعود للحشر في الأرواح، وبأجساد أخرى مثلها تقوم مقامها، وفي القول الثاني يرى المعاد بالجسم الأثيري، وأنّ

(١) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، ص ٥٨ ط عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م.
(٢) الأسفار الأربعة: ٢/ ١٨١.
(٣) المصدر نفسه: ٢/ ١٨٣.
(٤) المصدر نفسه: ٢/ ١٩٧ و١٩٨.

الجسد العنصري مستحيل فاسد، بينما المثالي يفقد كثيراً من لوازم الجسد الدنيوي العنصري، ويبدو في القول الثالث مرائياً خائفاً مدارياً لمعتقد الظاهريين معترفاً بأنّ هذا البدن بعينه هو المحشور لا غيره كما قاله هو. والأظرف أنّه ينقل رأي الإشراقيين ـ أنّ الحشر بالبدن المثالي ـ وكأنّه ليس من أركانهم، وهو أوضح دليل على تهرّبه من الواقع الذي يلمسه.

تلك ملتقطات من آراء الشيعة القدامى في مسألة المعاد الجسماني، ولن تخرج أقوال باقي الفلاسفة والمتكلمين منهم عن دائرتها، وإذا رجعنا إلى كتب العقائد عند الشيخية وإلى أقوال علمائهم في هذه المسألة، وقرأناها بتدبّر لم نجد فيها شيئاً جديداً من تفرّد بقول أو ابتكار لرأي ممّا يمكن اعتباره خرقاً لإجماع الطائفة أو خروجاً على معتقداتها بحيث يستحق هذا التهويل، بل وجدناهم يجترّون أقوال الأوائل ويعيدون أفكارهم مع بعض الاختلاف في المصطلحات والتغيير في الألفاظ، بل مع اللف والدوران في بعض الأحيان. وبما أنّ معظم الناقدين قد صبّوا جام غضبهم على الأحسائي ناسب أن نتعرّض إلى أقواله أولاً، لا سيّما وأنّها الأساس والمرجع لمن خلفه وتأثّر بآرائه واتّبعه.

يبدو لنا أنّ الأحسائي كان يرى ما رآه بعض قادة الفكر وفلاسفة الشيعة من قبل، من أنّ المعاد روحاني أو بالجسد المثالي، وأنّه لا علاقة للجسد الدنيوي فيه مطلقاً، لكنّه بدا متحفظاً بعض الشيء حين قسّم الجسم إلى عنصري وهورقليائي، وقال بتفكّك العنصري واندراسه وعودة الهورقليائي وقيامه، ويظهر من تحفّظه واختلاف تعابيره وتصرّفه في الألفاظ تهرّبه من مجابهة الظاهريين المتمسكين بلفظية القرآن، فقد قال: «إنّ الإنسان له جسمان وجسدان، فأمّا الجسد الأوّل: فهو ما تألّف من العناصر الزمانية، وهذا الجسد كالثوب يلبسه الإنسان ويخلعه ولا لذة له ولا ألم ولا طاعة ولا معصية... وأمّا الجسد الثاني: فهو الجسد الباقي وهو الطينة التي خلق منها ويبقى في قبره إذا أكلت الأرض الجسد العنصري وتفرّق كل جزء منه ولحق بأصله، فالنارية تلحق بالنار والهوائية تلحق بالهواء والمائية تلحق بالماء والترابية تلحق بالتراب... وهذا الجسد هو الإنسان الذي لا

يزيد ولا ينقص يبقى في قبره بعد زوال الجسد العنصري، ولهذا إذا كان رميماً وعُدِم لم يوجد شيء حتى قال بعضهم أنه يعدم وليس كذلك، وإنّما هو في قبره إلاّ أنّه لا تراه أبصار أهل الدنيا لما فيها من الكثافة فلا ترى إلا ما هو من نوعها... وهذا الجسد الباقي هو من أرض هورقليا وهو الجسد الذي فيه يحشرون ويدخلون به الجنّة أو النار...»[1].

وقوله صريح بأنّ المعاد بالجسد المثالي أو الأثيري أو البرزخي ما شئت فسمّه ممّا اصطلح عليه علماء الكلام الذين تعدّدت تسمياتهم له، وقد أشار الأحسائي في كلامه عن بلاء الجسد العنصري إلى حديث روي عن الإمام الصادق عليه السلام فقد سئل عن الميت يبلى جسده فقال: «نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم إلاّ طينته التي خلق منها فإنّها لا تبلى تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرّة[2] وهو قول ورد نظيره عن طريق أهل السنة فيما رواه البخاري ومسلم من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «وليس من الإنسان شيء ألاّ يبلى إلاّ عظم واحد وهو عجب الذنب منه يركّب الخلق يوم القيامة. وسئل عن عجب الذنب فقال: مثل حبّة خردل منه تنشاؤون»[3].

وقال أيضاً: «والجسد جسدان جسد عنصري بشري مركّب من العناصر الأربعة التي هي تحت فلك القمر، وهذا يفنى ويلحق كل شيء إلى أصله ويعود عود ممازجة واستهلاك... والثاني جسد أصلي من عناصر هورقليا وهو كامن في هذا المحسوس وهو مركّب الروح وهو الباقي في قبره مستديراً... وهو من عناصر البرزخ المعبّر عنه بجنّة الدنيا وبنار الدنيا وهو لطيف... كما أنّ الجسد العنصري من أحكام الدنيا ولوازمها فلا يخرج منها، كذلك الجسم الأوّل البرزخي من أحكام البرزخ فلا يخرج منه...»[4].

---

(١) شرح الزيارة الجامعة، ص ٣٦٩ و٣٧٠.

(٢) انظر: فروع الكافي: ٣/ ٢٥١. باب النوادر من كتاب الجنائز.. الحديث السابع.

(٣) العقيدة الإسلامية ـ لعبد العزيز عطية، ص ١٢٣.

(٤) شرح الزيارة، ص ٤٥٧ و٤٥٨ فقرة: ويلغ أرواحهم وأجسادهم... الخ.

وهو تأكيد لما سبق وتصريح بأنّ الجسد الأول المخلوق من عناصر الدنيا فانٍ في القبر، والمُعاد هو الجسد المخلوق من عناصر عالم البرزخ الذي هو عالم المثال.

وقد رأى الأحسائي في كلامه صراحة لا تحتمل وجرأة لا تستساغ فاستدرك قوله بما جرّه إلى التناقض وأوقعه في ورطة أخرى حين قال: «فإن قلت: ظاهر كلامك أنّ هذا الجسد لا يبعث وهو مخالف لما عليه أهل الإسلام من أنها تبعث كما قال تعالى: ﴿وأنّ الله يبعث من في القبور﴾ [الحج/٧]. قلت: هذا الذي قلت هو ما يقوله المسلمون قاطبة فإنّهم يقولون: إنّ الأجساد التي يحشرون فيها هي هذه التي في الدنيا بعينها لكنها تصفّى من الكدورة والأعراض... فتُبعَث صافية وهي هي بعينها... ولو وزنت هذا الجسد في الدنيا وصفّي بعد الوزن حتى ذهب منه الجسد العنصري وبقي الجسد الذي هو من هورقليا ثم وزنته وجدته لم ينقص عن الوزن الأول قدر حبة خردل... وقد سأل ابن أبي العوجاء الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير قوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾ [النساء/٥٦]. ما ذنب الغير؟ قال: ويحك هي هي وهي غيرها، قال: فمثّل لي في ذلك شيئاً من أمر الدنيا، قال: نعم أرأيت لو أنّ رجلاً أخذ لبنة فكسرها وردّها إلى ملبنها فهي هي وهي غيرها، فبيّن أنّ الجلود المبدّلة غير جلودهم وهي جلودهم فالمغايرة مغايرة صفة...»[1].

ويظهر تراجعه في هذا القول صريحاً، فقد نقض في آخره ما قاله أولاً، فبعد أن صرّح بأنّ الجسد العنصري يخلع ولا لذّة له ولا ألم، والجسد الباقي هو من أرض هورقليا وهو الجسد الذي فيه يحشرون، عاد فقال: إنّه لا يريد بقوله مخالفة الرأي السائد بعودة هذه الأجسام، فالجسم المُعاد هو هذا العنصري لكن بعد تصفيته، ولكنّه مع ذلك لم ينفه بالمرّة بل ظلّ يلوّح إليه بعدم اختلاف الوزن قبل التصفية وبعدها، ويعلّله بقول الصادق عليه السلام: إنّ الجلود هي نفسها وهي غيرها لأنّه من صميم معتقده.

(١) شرح الزيارة الجامعة، ص ٣٦٩ و٣٧٠.

وقد تكرّر تعرّضُ الأحسائي لمسألة المعاد غير مرة وفي غير واحد من مؤلفاته، لا سيما بعد أن كثر الاعتراض عليه وقامت القيامة ضدّه، لكنّه لم يقل جديداً بل ظلّ يلف ويدور ويتهرّب من التصريح، وربّما أوجز ودعا إلى الاعتقاد الإجمالي دون الدخول في تفصيلات الموضوع كما عليه معظم الظاهريين، كمثل قوله: «ويجب أن يعتقد المكلف أنّ وجود المعاد يعني عود الأرواح إلى أجسادها يوم القيامة... أي: عود الأرواح إلى أجسادها كما هي في الدنيا، ويجب الإيمان بهذا... لأنّه أمر ممكن مقدور لله عز وجل... ولأنّ المسلمين أجمعوا على وقوعه وعلى أنّه أصل من أصول الإسلام، ولا يتحقّق الإسلام بدون اعتقاد وقوعه، وعلى أنّ منكره كافر...»[1].

وسئل مرة عن مراده بالجسمين والجسدين فأجاب جواباً مضطرباً يظهر منه إصراره على القول بالمعاد الهورقليائي مرة، وتراجعه والقول بعودة الجسد المادي بعد تبدّل صورته أخرى. والجواب مفكّك يتّسم بالقلق ويطغى على صاحبه الخوف والهلع، بل الاستنجاد وإظهار التوبة، فهو يدّعي البراءة ممّا يخالف ويقسم على سلامة قصده وصحة معتقده بشكل يستوجب العطف عليه، فقد قال: «إنّي ما ذكرت إلاّ ما هو رأي الأئمة عليهم السلام ومن يعترض إنّما اعترض لأنّه ما فهم المقصود ولا علم أيضاً أنّه من كلام أئمّته، فلذا قال ما قال، مع أنّي لم أقل في هذا شيئاً، ولكنّه ما فهم مرادي ومعنى كلامي، ومرادي... أنّ الجسد الأول... في الحقيقة هو الجسد الصوري، ومثاله الخاتم من الفضة... صورته استدارة حلقته وتركيب موضع الفص منه فإذا كسرته وأذبته وصنعت خاتماً على هيئته الأولى فإنّ الهيئة الأولى التي هي الجسد الصوري لا تعود، وهو بعينه من حيث مادته... وهذا مرادنا بالجسد الأول... بمعنى أنّ الأرض تأكل جميع ما فيه من الأعراض والكثافات المعبّر عنها بالجسد العنصري، ويخرج يوم القيامة هذا الجسد بعينه بعد أن يصفّى... هذا مرادي وابرأ إلى الله من غير هذا، وهذا

(١) حياة النفس، ص ٣٧ ـ ٣٩.

مذهب أئمة الهدى عليهم السلام إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء ممّا تجرمون... لعن الله من قال بغير هذا فافهم...»[1].

وعقّب على كلام صدر الدين الشيرازي في المسألة نفسها فقال: «الجسد الأول... بعد الموت يتلاشى في قبره شيئاً فشيئاً، وكلما تحلّل منه شيء لحق بأصله فيمتزج به... فإن قلت: ظاهر كلامك هذا أنّ الجسد الأوّل لا يعاد ويلزم منه القول بنفي المعاد الجسماني، قلت: ليس حيث تذهب لأنّا نريد بالجسد الثاني المُعاد هو هذا الجسد المرئي الملموس بعينه وهو جسد الآخرة، لكنه يُكسر ويُصاغ صيغة لا تحتمل الفساد والخراب، وهذه الصيغة الدنيوية تفسد، فإذا كسرت ذهبت الصورة الأولى المعبّر عنها بالعناصر... فإنّ الجسد الثاني الذي يحشر فيه لمّا نزل إلى الدنيا لحقته أعراض عنصرية كالثوب إذا لبسته لحقه وسخ عارض ليس منه فإذا غسلته ذهبت أعراضه ولم يذهب منه شيء أبداً فتأمّل وافهم مذهب أئمتك...»[2].

وتناقض هذا القول واضح، فهو يعتبر الجسد العنصري جسداً أوّلاً مرة، وجسداً ثانياً أخرى، ويراوغ فيلفّ ويدور ويعود إلى حيث بدأ. فهو يقول: إنّ الجسد الأول يتلاشى بعد الموت ويتحلل فيلحق كل جزء منه بأصله، ومعنى ذلك أنّه لا يعود. ثم يقول: إنّنا نريد بالجسد الثاني المُعاد هذا المرئي الملموس بعينه الذي هو جسد الآخرة، ولا أدري كيف اعتبره جسد الآخرة بعد أن حكم بتلاشيه وتحلّله وعدم عودته؟ فهو يفسّر الألفاظ حسب رأيه ويوزّع مدلولاتها بصورة كيفية، فإذا اعترف بأنّ مادته العناصر الأربع، وأنّه إذا كسر ليُصاغ مجدّداً ذهبت الصورة الأولى المعبّر عنها بالعناصر، فماذا بقي بعد ذهاب العناصر وما الذي يصاغ؟! جوابه عند الأحسائي الذي يغالط القارئ أو يغالط نفسه.

وقد أجاب أيضاً على سؤال في الموضوع نفسه أكّد فيه بأن يفهمُ ما يقول، وأنّه لم يخالف رأى آل محمد عليهم السلام في ذلك. وإذا ما وجد القارئ في كلامه ما

(١) جوامع الكلم: ٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨١.
(٢) شرح العرشية، ص ١٤٧.

يخالف المعتقد حسب رأيه دلّل على عدم فهمه للاصطلاحات والتعابير الخاصة، فإنه كتبه لأهله ممّن يألف مصطلحاته ويفهم مقاصده وإشاراته، وهو واثق بأنّ ما قاله لا ينافي العقل ولا النقل، قال: «إعلم أيّها الناظر في رسائلي وكتبي أني بعون الله وتوفيقه ما كتبت فيها إلا ما فهمته على نحو اليقين من أنّه مذهب أهل العصمة عليهم السلام، وما تتوهّمه مخالفاً من كلامي فليس منافياً لدليل العقل والنقل معاً لكنّه اصطلاح غير مأنوس عندك... وهذا كتب لأهله ومرادي منه والله الشاهد على أنه الجسم التعليمي وهو ذو الأبعاد الثلاثة من دون مادة، كالصورة في المرآة، فإنها أعراض والأعراض لا تعاد. ألا ترى إلى جلد كتابك إذا كان أحمر ثم عاد يوم القيامة إلى الشاة فإن الحمرة لا تعود معه لأنّها أجنبيّة من الجلد والشاة. ولا يقال أنّك قلت من العناصر وهو يدلّ على أنّ المراد الجواهر؛ لأنّا نقول كلما في هذه الدنيا ممّا تحت فلك القمر كلها من العناصر جواهرها وأعراضها والأعراض الغريبة من الشيء كلها من العناصر ومع ذلك لا تعود يوم القيامة. الحاصل أنّ المنصف يعرف من هذا الكلام ونحوه اعتقادي في ضميري في جميع كتبي، ولعنة الله على من يعتقد غير هذا الذي كتبته هنا مني ومن غيري والله على ما أقول وكيل وهو شاهد عليَّ وكفى بالله شهيداً... إن افتريته فعلي إجرامي وأنا برئ ممّا تجرمون حسبي الله وكفى...»[1].

والقول الأخير هذا هو آخر ما كتب في الموضوع ظاهراً، فقد دوّنه في ثامن ذي القعدة عام ١٢٤٠ ـ ١٨٢٤. أي قبل وفاته بعام. وصريح عبارته أنّه كتبه ردّاً على ما اتّهم به من إنكار المعاد الجسماني وبعد أن سمع أقوال الناس فيه وفسّرها بعدم فهم مقاصده ومصطلحاته فأوضح لهم هدفه وأبان رأيه. وللأحسائي رأي غريب في المعاد، ومفاده: أنّ بعض الناس يحشرون على هيئة الحيوانات التي تشبه المعاصي التي كانوا يرتكبونها في حياتهم، فهو يقول ما ملخصه ومعناه: «ومنها (أي ومن الصورة) ما تحصل للمادة من أعمال ذي المادة من حسن أو قبح، فهذه الصورة لن تفارق المادة وربّما تتغيّر بها حقيقة الشيء وتغيّر هذ

(١) إحقاق الحق، ص ٢٧ و٢٨.

الصورة تابع لتغيّر العمل. وعلى كل حال فالمادة إنّما تعاد وتحشر في هذه الصورة ولذلك تحشر هذه العصاة في صور أعمالهم فيحشر النمّام عقرباً، أي في صورة عقرب أو حية، ويحشر الحريص غراباً، ويحشر صاحب الشهوة في النكاح في صورة فرس، وصاحب شهوة أكل المحرَّم خنزيراً. . إلى غيرها. فتعاد المادّة في صورة صاحب عمل ذي المادة عند موته عليه، كما قال ﷺ: على ما تعيشون تموتون وعلى ما تموتون تحشرون»[1].

وهو رأي غريب في الحقيقة! وقد ناقشه السيد مهدي القزويني بعد نقل حديث عن الإمام الرضا عليه السلام روي في الكافي، وهو أنّه قال: «ثلاث من سنن المرسلين العطر وأخذ الشارب وكثرة الطروقة أي المقاربة للزوجات». واستنتج منه القزويني قول الأحسائي بحشر الرسل والأنبياء خيلاً، وساءله لمن خلقت الجنة والنعيم إذن؟ وإذا لم تكن للبشر الذين قال فيهم خالقهم ﴿**ولقد كرّمنا بني آدم. . .**﴾ [الإسراء/ ٧٠] فهل خلقت هي والحور العين للخيل والخنازير والعقارب والحيات؟ وتطاول عليه فرماه بسخافة العقيدة وخبث السريرة، وساءله عن الصورة التي يحشر بها الأحسائي نفسه[2]؟ وتبع الأحسائي الحاج محمد كريم خان الكرماني رأس مدرسة كرمان وزاد عليه أنّ هناك من يحشر بصورة النبات والجماد والشياطين وفسّر بذلك قوله تعالى: ﴿**إذا الوحوش حشرت**﴾ [التكوير/ ٥] [3].

وخلاصة القول في مسألة المعاد عند الأحسائي أنّه قال بالمعاد الروحاني في الجسد الهورقليائي وأنكر المعاد الجسماني بالبدن العنصري، وقوله في ذلك صريح لا يقبل التأويل ولا يحتمل التعليل، غير أنّه لمّا انتُقِد من قبل خصومه وشُهّر به وكفّر أردف الرأي الأول بأقوال مفادها القول بالمعاد الجسماني، وأنّ المُعاد في المَعاد هذا الجسم الدنيوي المرئي المحسوس بعد تصفيته وذهاب كدوراته والأعراض الغريبة التي لحقته في عالم الحياة، وهو تراجع صريح عن

(١) الرسالة اليعقوبية، ص ٣، وشرح العرشية، ص ١٥٤ و١٨٩ و٢٦١.
(٢) ظهور الحقية على فرقة الشيخية، ص ٢٣ و٢٤.
(٣) إرشاد العوام: ٢/ ٢٤.

رأيه الأول ومداهنة جارى بها خصومه المتزمتين خلافاً لرأيه الأول الذي اتّبع فيه من سبقه من الفلاسفة، والتعليلات التي برّر بها رأيه والاتهامات التي ألصقها بغيره من عدم فهم مقصوده واعتذاره بأنّه اصطلاح غير مأنوس، أو أنّه كتب لأهله ونحو ذلك من الأقوال الواهية إنّما هي تمحّل صرف وتهرّب من واقع ملموس لا يقبل الإنكار، فقد صرّح هو وغيره من قدامى ومحدثين أنّ الجسم يتألّف من العناصر الأربعة، وأنّه إذا فارقته الحياة تلاشى وأكلته الأرض ولحق كل جزء بأصله من تراب وماء ونار وهواء، فما هو معنى التصفية؟ وأيّ جزء من هذه الأجزاء يترك وأيّها يعود؟ وما هي الكدورة والعرض؟ وما هو الجوهر؟

أمّا السيد كاظم الرشتي فقد دافع عن أستاذه الأحسائي بحرارة ونفى قوله بالمعاد الهورقليائي، وأنكر ما قيل فيه، وحاول أن يثبت بزعمه موافقة أستاذه لسائر الظاهريين في حشر الأجساد الدنيوية على حالتها الأولى أو بعد تصفيتها كما قاله البعض؛ لكنّه احتمل ضمناً عدم عودة الصورة المادية والهيئة الدنيوية زاعماً موافقة ذلك للعقل، كما لم يغفل الإشارة إلى أنّ المسألة خلافية وأنّ الحكماء قد عجزوا عن إثبات المعاد الجسماني بالبراهين العقلية وإنّما اكتفوا بأخبار الشرع. يشير بذلك إلى ابن سينا. قال: «زعموا أنّه ـ أي الأحسائي ـ يذهب إلى أنّ المعاد ليس بهذا البدن العنصري وأنّه يذهب ولا يعود... وقد كذبوا وافتروا وقالوا زوراً وبهتاناً، بل المعاد عنده... هذا الجسم المحسوس الملموس لكنه تتفاوت الصور... والصورة الدنيوية قد لا ترجع في الآخرة، ألا ترى أنّ لقمان كان عبداً أسود، أتظن أنّه يحشر يوم القيامة أسود الوجه والبدن؟ وأبو بصير ليث المرادي البحتري كان أعمى، أتظن أنّه يحشر أعمى؟ وتغيير الصورة ممّا لا يستوحش منه عاقل... حاشا ثم حاشا بل هو ـ الأحسائي ـ الذي أنكر على المنكرين... وأثبت المعاد الجسماني... مع اعتراف الحكماء بالعجز عن البرهان العقلي واكتفائهم بما نطقت به الشريعة...»[1] ويفهم من كلامه أنّ الأحسائي أفضل من ابن سينا وأعلى فلسفة لأنّه عجز عن التدليل المنطقي وتمكّن منه الأحسائي!!

(١) إحقاق الحق، ص ٣٢ و٣٣.

والملاحظ أنّ الرشتي كان عندما يسأل عن المعاد الجسماني أو يضطرّ إلى ذكره في بعض المواضع في عداد ما يجب الاعتقاد به يتناوله على شكل عموميات، فلا يتوسّع ولا يبحث الخصوصيات تفادياً للخلاف وتجنّباً للردّ والنقد فهو يقول: «وأنّ الخلق يوم القيامة يحشرون بأبدانهم وأجسادهم الدنيوية المرئية المحسوسة في الدنيا»[1]، ويقول في موضع آخر: «فتطير الأرواح وتدخل في أجسادها كل روح في جسدها الذي كانت فيه دار الدنيا... وهذا معنى المعاد، يعني عودة الأرواح إلى أجسادها الدنيوية، ويجب على كل أحد الإيمان بهذا المعاد»[2] وتراه في بعض الموارد يكرّر كلمة الجسد الدنيوي في السطر مرتين أو ثلاثة ولا يكتفي بنعته بصفة واحدة بل يعدّد المحسوسة والملموسة والمرئية وغيرها إن وجد في قواميس اللغة كلمة بمعناها، كل ذلك مبالغة في التعمية وإرضاءً للخصوم ودفعاً للشبهات، فهو يقول مثلاً: «وأمّا في المعاد فنعتقد أنّ الله سبحانه يحشر الأجساد والأرواح ويجعل الأرواح في الأجساد الدنيوية الموجودة في الدنيا المحسوسة المرئية الملموسة فيبعثها في القيامة ويجري عليها الثواب والعقاب، ومن اعتقد أنّ هذا البدن الدنياوي الموجود في الدنيا لا يبعث يوم القيامة فهو كافر ملعون مردود...»[3]. أرأيت كيف يكرّر الكلمات للتأكيد ويعدّد العبارات طلباً للسلامة وتهرباً من العلامة؟ فهو لا يكتفي بالاعتراف بذلك بل يلعن من لا يقول به ويحكم بكفره. وله قول آخر تحمّس فيه ضد المنكر للمعاد الجسماني أكثر حيث أفتى بقتله، قال: «المختار عندنا في ذلك ما أجمع عليه المسلمون بل الملّيون ممّن انتحل مذهباً من المذاهب التي أتت بها الأنبياء والمرسلون من القول بالمعاد الجسماني والروحاني معاً، ومن أنكر المعاد الجسماني فقد خالف الضرورة من الدين وهو كافر إجماعاً من المسلمين ويجب قتله على اليقين، نعم استصعب العلماء إقامة البرهان على ذلك الدليل القاطع على حشر الأجساد واكتفوا في إثباته بما ثبت بالضرورة

(١) دليل المتحيرين، ص ٧٩.
(٢) أصول العقائد، ص ٢٤٨.
(٣) الحجة البالغة، من مجموعة الرسائل: ٢/ ٣٢١.

والإجماع وأخبار المعصومين على نهج القطع واليقين، ولكنّا بحول الله وحسن توفيقه قد أقمنا على المعاد الجسماني براهين قطعية عقلية إلاهية بالأدلّة الثلاثة من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة التي هي أحسن في كثير من مباحثاتنا وأجوبتنا للمسائل، سيما في جواب الشاه زاده عن شبهة الآكل والمأكول. . .»[1].

وقال: «وقد كتبت في هذه المسألة رسالة مستقلة ودفعت عنه ـ يعني أستاذه الأحسائي ـ أوهام الناقضين وشبه السوفسطائيين، ومن أراد التفصيل فليرجع إليها ليعرف أنّ ما ذكره في المعاد هو ما اتفق المسلمون عليه، والرادّ عليه رادّ على النص المبين وتابع غير سبيل المؤمنين. . .»[2].

تلك هي جملة أقوال الرشتي في المعاد الجسماني، ويبدو كثير التحفّظ فيها من الهفوة ومتابعة أستاذه الأحسائي في رأيه الأول، وقد نفى ذلك عنه وأكّد على آرائه الأخيرة ووضّحها وأيّدها ما وسعه الإمكان.

ولم يكن الشيخ حسن جوهر تلميذ السيد الرشتي وخليفته ليختلف عن أستاذيه في هذه المسألة، فقد أكّد هو الآخر ما قاله سلفه من الاعتقاد بعودة الجسد العنصري بعد ذهاب الأجزاء الغريبة، إلا أنّه زاد توسط الجسد المثالي بين الروح والجسد العنصري، فقد قال: «إنّ الإنسان الذي يعاد هو بعينه الذي كان في الدنيا بلا زيادة ونقصان، إلا أنّه يذهب عنه الكثافات العارضية التي عرضته في البرزخ والدنيا. . . تجمع الأوصال المتفرقة فتأتي الروح فتلج في البدن المثالي ثم يلج البدن المثالي في الجسد الأصلي الطبيعي المركب من الطبائع الأربع كما كان في دار الدنيا خالياً عن الكدورات والكثافات. . . وبالجملة فالذي يعود هو حقيقة جسم المكلّف الذي لا يطرأ عليه الزيادة والنقصان في كونه هو هو، فلا يخرجه عمّا هو عليه عروض العوارض. . .»[3].

---

(١) ألّف هذا الكتاب بطلب الشاه زاده محمد ميرزا ابن السلطان فتح علي شاه القاجاري ولا يزال مخطوطاً. وتأتي الإشارة إليه برقم (١٣٤) من قائمة مؤلفات الرشتي في الملاحق.

(٢) كشف المحجة. من مجموعة الرسائل: ٢/ ٥٠٢.

(٣) المخازن، ص ١٢٣ و١٢٤.

ويوضح العناصر الزمانية ومواد تكوينها ليبرّر كلام الأحسائي ويتمكّن من الدفاع عنه فيقول: «إنّ الأجزاء الفضلية التي خلقت من العناصر الزمانية التي هي تحت فلك القمر التي هي متكوّنة من حركات الأفلاك وأشعّة الكواكب، وهي ليست من حقيقة جسم الإنسان، وهي الكثافات والأعراض الغريبة التي لحقت بجسم الإنسان، وليس مراده ـ الأحسائي ـ من ذهاب هذه الأجزاء أنه تذهب أجزاء جسمه الأصلي المعبّر عنه بالأجزاء الأصلية، وهذا مطابق للشريعة الحقة المحمدية»[1]. وقد يتطرّق للمسألة فلا يتناول إلا عمومياتها، كما كان يفعله أستاذه الرشتي، ومثال ذلك قوله: «المنكر للمعاد الجسماني كافر لأنّه للضرورة وحكم العقل، وكون المعاد الجسماني من ضروريات الدين في الجملة بمعنى أنّ الجسم لا بدّ وأن يعود حتى لو رأيته لقلت هذا فلان الذي كان في الدنيا»[2].

ويتعرض الشيخ موسى الأسكوئي للمسألة بصورة سطحية لا تختلف عن آراء الظاهريين مرة فيقول: «ممّا يجب الاعتقاد به ومنكره منكر لضرورة الدين وخارج عن ربقة المسلمين هو المعاد الجسماني والجسداني بمعنى أنّ التي تحشر يوم القيامة... هي هذه الأبدان الدنيوية المحسوسة الملموسة المرئية... وهي التي تدخل الجنة أو النار لا غيرها... فمن قال بعود الأرواح فقط أو بأجساد غير هذه الأجساد الدنيوية... فقد قال قولاً باطلاً وخرج عن مذهب الإمامية»[3] ويتكلم عنها بشيء من البسط والتحليل أخرى، لكنّه لا يتجاوز حدود ما قاله سلفه من قبل، بل يكرّر معظم عباراتهم ولا يجرأ على التمثيل بغير ما مثّلوا به فهو يقول: «المراد من الجسد العنصري الذي يفنى ولا يعود... هو الأعراض والكثافات الموجودة في بدن الإنسان... وليس لها ربط بالبدن بوجه من الوجوه... والإنسان بعدما يلحد في قبره تتلاشى أجزاؤه وتأكل الأرض تلك الأعراض والكثافات... ولا تلحق بالبدن عند قيامه للحساب... والذي يعود

(١) شرح حياة الأرواح: ٢/ ٥٢٤ و٥٨٣.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) إحقاق الحق، ص ٨.

هو الجسد الأصلي الذي هو المحسوس الملموس المبصر الدنيوي... نعم، الذي يتغيّر منه هو الصورة... كاللون في الثوب، وتتبدّل بأحسن منها مثلها يعني كان في الدنيا في صورة كثيفة ويكون في الآخرة في صورة لطيفة...»[1].

أمّا ولده الشيخ علي الأسكوئي الحائري فيعيد كذلك أقوال من سبقه بمعناها وألفاظها تقريباً، فهو يقول: «يجب الاعتقاد بما هو معتقد قاطبة الإمامية بأنّ جميع الأجساد الدنيوية لا بدّ أن تعود يوم القيامة الكبرى... وأنّ المعاد يوم القيامة هو هذا الجسد المحسوس الملموس المبصر المرئي الدنيوي لا غيره ولا الروح فقط. واعتقادنا الذي ندين الله به ونعتقد أنّ من لم يقل به فليس بمسلم هو: أنّ الجسد الذي هو الآن موجود محسوس بعينه هو الذي يعاد يوم القيامة... إذ المعاد الجسماني من أصول الإسلام... نعم لا بدّ في هذه الأجساد من التصفية والتهذيب عن الأوساخ والأعراض الفضلية... فلا يرجع العبد الأسود بسواده...»[2].

ويقول شقيقه الشيخ حسن الأحقاقي رئيس شيخية تبريز ومرجعهم الديني المعاصر ما تعريبه: «وبناء على هذا فإنّ الله القادر العالم يجمع أجزاء البدن الدنيوي المتلاشية يوم القيامة ويعيد هذه الأجساد المحسوسة الملموسة في الآخرة. نعم، هناك أجزاء غريبة تمنع بقاءه وخلوده، وهي التي كانت سبب المرض والموت في الدنيا فإنّها لا تعود، وسوف يعيد الله هذا الجسم بصورة أبدع وأروع تليق بالبقاء والخلود الأبدي...»[3].

هذا عرض شامل وشواهد ونصوص في مسألة المعاد الجسماني، وقد احتوى آراء الشيخ أحمد الأحسائي وتلميذه وخليفته السيد كاظم الرشتي ومن تعاقب بعدهما من رجال مدرسة تبريز. وكان الأحسائي قد قال بالمعاد الهورقليائي ثم تراجع، فكفّر عن قولته بشتى المعاذير ومختلف التعابير والتأويلات،

(١) المصدر السابق، ص ١٣ و١٤.
(٢) عقيدة الشيعة، ص ٥٠ و٥١.
(٣) نامهٔ شيعيان، ص ٢١٢.

وعاد إلى قول الظاهريين وما تعارفوا عليه من تعريف لمسألة المعاد. والملاحظ على هذه الآراء جميعاً هو التكرار والاجترار، فكأنّ أصحابها قد اتفقوا على صيغة خاصة ومفهوم معيّن تلقّاه الخلف عن السلف موصٍ بالحفاظ عليه، وأن لا تطرأ على نصّه زيادة أو نقصان. ومهما يكن الأمر فإنّنا لا نرى لدى شيخية تبريز في مسألة المعاد الجسماني أدنى اختلاف مع ما عليه باقي الشيعة الظاهريين من اعتقاد، فأقوالهم واحدة وآراؤهم متفقة. نعم تواطأوا على إنكار ما نسب لشيخهم الأحسائي ودافعوا عنه وأوّلوا ألفاظه ومصطلحاته، وردوا على ناقديه بعنف وبدون هوادة نافين قوله الأول ومؤكدين أنّ قصده في أقواله واحد وإن اختلفت تعابيره ومصطلحاته، مع أنّه صريح لا يقبل التأويل.

أمّا مدرسة كرمان فهي متّهمة بالقول بالمعاد الروحاني وإنكار الجسماني من قبل شيخية تبريز مرة[1]، ومن قبل سائر الشيعة الإمامية أخرى[2]، وسنستعرض آراءها لنرى مدى صحة اتهامها بمخالفة غيرها من الشيخية وباقي الطائفة الشيعية في هذه المسألة.

قال الحاج محمد كريم خان الكرماني رأس المدرسة: «ويجب أن يعتقد أنّ جميع ما أخبر به النبي ﷺ من الرجعة والمعاد الجسماني وإحياء العظام الرميم وجنة البرزخ وناره وجنة الآخرة ونارها والصراط والميزان والحشر والنشر والقضاء ومنبر الوسيلة حق. . . .»[3]. وقال ما تعريبه: «والمعاد جسماني، والاعتقاد بالروحاني والصوري مخالف لضرورة الإسلام، والقائل به كافر، وإنّما يعود هذا الدنيوي. . .»[4] وقال ما تعريبه أيضاً: «وستقوم القيامة ويحيي الله عباده كافة ويعيد أزواجهم إلى أجسادهم. والمعاد جسماني، يعني هذا الجسم الدنيوي يعود في الآخرة بدون زيادة أو نقصان، حتى أنّه لو وزن في الدارين لما وجد فيه

(١) إحقاق الحق، ص ٣٧، و٥٩ و٦٠.
(٢) ظهور الحقية، ص ٢٩.
(٣) الجامع لأحكام الشرائع، ص ١٤ و١٥.
(٤) هداية الطالبين، ص ٧٩.

أدنى تفاوت. والثواب والعقاب للجسم والروح معاً...»[1]. هذا ما قرأته للكرماني من أقوال في المعاد وكلها صريحة بأنّه جسماني روحاني ولم أجد له قولاً صريحاً بأنّ المعاد روحاني. وقد نقل الشيخ موسى الأسكوئي بعض آرائه عن مؤلفات له لم أقف عليها، منها: «العوائد». قال الأسكوئي أنّه قال فيه: «إنّ البدن المستعار الدنيوي لا يعود»، وأنّه قال في رسالته الفارسية: «إنّ هذا البدن بالنسبة للجسد الأصلي كالصندوق»[2] نعم من غرائب آرائه قوله: «إن الجسم الباطني لهؤلاء الناس يستطيع أن ينتقل من حال إلى حال لرقته ومرونته، على العكس من باقي الحيوانات، فهي لا تتمكّن من ذلك فتظلّ ملازمة لحالة واحدة، وبوسع الإنسان أن يظهر في اليوم الواحد بمئة صورة أو أكثر! مثلاً: إذا غلب عليه طبع السرقة صبحاً أمكنه أن يظهر بشكل فارة، وبعد أن يتمّ عملية السرقة يفكّر بشيء آخر كالمكر والخديعة فتتحوّل صورته إلى ثعلب لكنّها تثبت في اللوح المحفوظ على شكل فارة، وإذا أراد أن يتحوّل إلى صورة أخرى تحوّل فارتسمت صورة الثعلب في اللوح المحفوظ، وهكذا يستطيع من الصبح إلى الليل أن يتشكّل بألف شكل ولن يفارق صورة إلى غيرها قبل أن ترسم في اللوح المحفوظ...»[3]. ولا أفهم منه إلا أنّه جعل من الله مصوراً ومن اللوح المحفوظ معرضاً للصور، ولكن ما هي الغاية من ذلك؟ وما هي الفائدة منه؟ علم ذلك عند الكرماني.

وقال ولده الحاج محمد خان الكرماني: «بقي الكلام في المادة ولا شك أنّها واحدة، إلا أنّها بعد نزولها إلى الدنيا لحقها بعض الأعراض من الأغبرة الدنيوية، فإذا ذهب العرض ترجع المادة بصورتها الذاتية. والمثل في ذلك الماء، فإنّه إذا لم يحرّك يكون في كمال الصفاء بحيث يحكي ما واجهه فإذا حرّكته أزبد وحجب ما وراءه، وفي الحالين هو ماء وجسم. وهذا مثال الأبدان في الدنيا والآخرة... وحاصل المطلب أنّ الجسد الذي تراه جسد عرضي والجسد الأصلي

(١) إرشاد العوام: ٢/٧. طبعة تبريز. وتلاحظ من ٢٣ منه.
(٢) إحقاق الحق، ص ٥٩.
(٣) إرشاد العوام: ٢/٢٦.

فيه، والذي يبلى هو الإعراض وهو الجسم التعليمي باصطلاح أهل الهندسة، والذي يبقى هو الجسد الأصلي المخلوق من الجسم الطبيعي»[1].

وقال في شرح حديث أنّ الحسين عليه السلام يأتي الحشر يوم القيامة وأوداجه تشخب دماً: «.. من الأحاديث الصعبة إذ في القيامة لا يكون شيء من الاعراض ولا تصعد هنا حال الفناء والاضمحلال... وانقطاع الأوداج وسيلان الدم أيضاً من أقسام الفناء فكيف يأتي الحسين هنا هكذا..»[2]. وقال: «الصور العرضية كلها زائلة و(زيد) الأخروي يجمع جميع المراتب من الفؤاد إلى الجسم بحسبه، وكلها بالنسبة إلى مظاهرها في البدن دهرية ثابتة باقية مخلّدة...»[3]. فرأيه صريح بأنّ المعاد روحاني وأنّ البدن العنصري وما يتألف منه من لحم ودم وعظم عرض لا يعاد.

أما الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي زعيم شيخية كرمان المعاصر فقد قال ما تعريبه: «... وصريح الأخبار المتعدّدة المتواترة أنّ جسد الإنسان الأصلي في هذه الدنيا بين الأعراض التي تلحقه وتزول عنه كسحالة الذهب في تراب حانوت الصائغ، فإذا غسلت بالماء زال ما علق بها من غبار وتراب وظهر الذهب الخالص»[4].

تلك هي آراء الشيخية الكرمانية في المعاد، فمنهم من قال بالروحاني فقط، ومنهم من وافق الظاهريين بالقول بالجسماني والروحاني. ولعلمائهم آراء أخرى مبثوثة في كتبهم لا فائدة في الاستشهاد بها إذ لا تختلف في فحواها عما أوردناه.

وخلاصة القول: أنّ مسألة المعاد من المسائل المعقّدة التي اضطربت حولها الأفهام والمعقول وتضاربت الآراء واختلفت الأقوال، فالقرآن الكريم والسنة يثبتان أنّ هناك حشراً ونشراً ومعاداً وبعثاً وكتاباً وحساباً. فقوله تعالى: ﴿ونفخ في

(١) ترجمة هداية المسترشد، ص ٢١٨ و ١٢١.
(٢) شرح الحديثين، ص ١١٥.
(٣) شرح الحديثين، ص ٧، ١٠.
(٤) فلسفية، ص ٧٧ و٧٨.

الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ [يس/ ٥١ ـ ٥٤] وآيات أخرى مرّت في هذا الفصل كلها صريحة بذلك، ومثلها ما جاء عن النبيّ وأهل بيته عليهم السلام من أحاديث لا تحصى كالتي ذكرها الطبري[١]، والبهائي[٢]، والمجلسي[٣]، وغيرهم.

أمّا من جهة العلم والعقل الذي هو الرسول الباطن، فثمّة أمور ليس من الصعب هضمها والإيمان بها، واعتراضات من غير الممكن أن لا يقتنع الإنسان بأجوبتها السمعية، فإعادة المعدوم أمر غير مستحيل مهما حاولنا إثبات استحالته وأعدنا القول وصقلناه وأطلنا الشرح وأكثرنا التحليل والتعليل، وصحيح أنّ الجسد يذوب وتتوزّع عناصره فيلحق كل جزء بأصله وتتقلب الأرض ويصير عاليها سافلها وبالعكس، ويختلط القديم بالحديث والرجل بالمرأة والفاسق بالتقي ويظل ينتقل من حال إلى حال، من تراب إلى لبن، ومن لبن إلى تراب وهكذا إلى ما لا نهاية له، ففي الأخير تتقربّ تلك المتباعدات وتجمع تلك المتفرقات وتعود بشراً سوياً من جديد.

وكذلك الحال بالنسبة إلى شبهة الآكل والمأكول، فليست سداً منيعاً كما يعتقده البعض، فالغريق يكون طعمة للأسماك التي نأكلها فينتقل بواسطتها إلى معدنها وتحوله بدورها إلى سماد تصلح به الأرض وتهيّأ للزراعة ثم يعيدها الذي أنشأها أول مرة. وإذا أكل إنسان إنساناً أو بعضه وصار جزءاً من بدن الآكل أعيد كل واحد منهما ولا يعاد في واحد منهما فلا يكون الآخر معاداً، ولا يحرم بذلك من الجزاء إذا كان مطيعاً أو يسلم من العقاب إذا كان عاصياً. إنّ الضرورة الدينية وما ينعقد الإجماع على وجوبه، والأدلة السمعية والشرعية تحتّم الإيمان بالمعاد

(١) انظر: الاحتجاج، ص ٨٢ ـ ١٨٥.
(٢) انظر: الأربعين، ص ٣٣٨ ـ ٣٦٢.
(٣) انظر: بحار الأنوار: ١٨/ ١٤٥ ـ ١٤٩.

الجسماني ووجوب الاعتقاد به لأنّها الحقيقة التي لا مفرّ منها، فليس يصلح ولا يقف في مقابل ما نصّ عليه القرآن اجتهاد أو رأي مهما كان.

وهكذا نجد الاختلاف قائماً في المسألة، فواحد يقول: إنّ المعاد روحاني، فيهبّ في وجهه الظاهريون متهمين له بمخالفة نص القرآن وصريح السنة. وآخر يقول: إنّه جسماني وروحاني، فيخطّئه الحكماء والفلاسفة لقولهم باستحالة إعادة المعدوم. والقائلون بعودة الجسد العنصري فريقان أيضاً، منهم من يقول بالمادة، ومنهم من يقول بالمادة والصورة... إلى ما هنالك من آراء مختلفة ووجهات نظر متعددة. ولذلك نجد الكثير من العلماء ينهون عن الخوض في تفاصيل المسألة ويحذّرون من التعمق في تشعباتها مخافة انزلاق قاصري النظر ومحدودي المعرفة. قال الشيخ جعفر كاشف الغطاء: «ولا تجب المعرفة على التحقيق التي لا يصلها إلا صاحب النظر الدقيق كالعلم بأنّ الأبدان هل تعود بذواتها أو إنّما يعود ما يماثلها بهيئاتها؟ وأنّ الأرواح هل تعدم كالأجساد أو تبقى مستمرة حتى تتصل بالأبدان عند المعاد؟ وأنّ المعاد هل يختصّ بالإنسان أو يجري على كافة ضروب الحيوان؟ وأنّ عودها بحكم الله دفعي أو تدريجي؟...»[1].

وقال السيد عبدالله شبّر: «والأحوط والأولى التصديق بما تواتر في النصوص وعلم ضرورة من ثبوت المعاد الجسماني وسائر ما ورد فيه من الخصوصيّات، وعدم الخوض فيما زاد على ذلك إذ لم نكلّف به. وربّما أفضى التفكّر في دقائق هذه الأمور وكيفيّتها إلى القول بخلاف الواقع ولم نُعذَر في ذلك...»[2].

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: «لا يجب على المكلفين ولا سيّما العوام البحث عن كيفية المعاد الجسماني، بل قد لا يجوز لهم ذلك كسائر قضايا القواعد النظرية والمباحث الحكمية مثل قضيّة القضاء والقدر، والخير والشر،

(١) كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، ص ٥.
(٢) حق اليقين في معرفة أصول الدين: ٢/ ٧٣. ط٢.

والاختيار والجبر، وما إلى ذلك من المعضلات العويصة. إذ قد تعلق الشبهة في ذهن أحدهم ولا يقدر على التخلّص منها...»[1].

وقال الشيخ محمد رضا المظفر: «وما المعاد الجسماني على إجماله إلا إعادة الإنسان في يوم البعث والنشور ببدنه بعد الخراب وإرجاعه إلى هيئته الأولى بعد أن يصبح رميماً. ولا يجب الاعتقاد في تفصيلات المعاد الجسماني أكثر من هذه العقيدة على بساطتها التي نادى بها القرآن...»[2].

وهذا هو الحق والصواب، لا سيما لمن يقصر إدراكه عن استيعاب نكات المسألة ويعجز عن حلّ ملابساتها وفهم تفريعاتها وما تؤدي إليه من تشعّبات واستنتاجات.

ثانياً: المعراج النبوي:

اتّفقت كلمة الشيعة الإمامية وباقي المسلمين على أنّ من أبرز معاجز النبي محمد ﷺ عروجه إلى السماء. فقد أُسرِيَ به من مكة إلى المسجد الأقصى ومنه كان عروجه. قال تعالى: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله...**﴾ [الإسراء/١] وقال: ﴿**ثم دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى..**﴾ [النجم/٨ـ١٠].

وقد اختلف المسلمون في كيفية المعراج وهل أنّه كان جسمانيّاً وروحيّاً أم روحياً فقط. قال الفخر الرازي: «اتفق أكثر المسلمين على أنّ رسول الله عرج بجسده المطهّر. وذهب شرذمة منهم إلى أنّ عروجه كان روحانياً»[3] وروى الطبري عن عائشة أنّ عروجه كان في النوم وأمّا جسده فهو في مضجعه تلك الليلة[4] وقال ابن شهراشوب: «اختلف الناس في المعراج، أمّا الخوارج فأنكروه مطلقاً. وقالت الجّهمية: كان المعراج روحانياً في عالم الرؤيا. وقالت الإمامية

(١) الفردوس الأعلى، ص ٢٢٣ و٢٢٤. ط٢.
(٢) عقائد الإمامية، ص ١٢٧.
(٣) مفاتيح الغيب: ٥/ ٣٦٥.
(٤) تفسير الطبري: ١٥/ ١٦.

والزيدية والمعتزلة عرج بروحه وبدنه ولكن إلى بيت المقدس لأن الله يقول: سبحان الذي أسرى بعبده... الخ. وقال بعض آخر: بل عرج بروحه وبدنه إلى السماء. وهذا مرويّ عن ابن عباس وابن مسعود وجابر وحذيفة وأنس وعائشة وأم هاني. ونحن لا ننكره لأنّه اتّفق مثله لموسى في الطور، ولإبراهيم في السماء ولعيسى في السماء الرابعة، ولإدريس في الجنة...»[1].

وفي كتب التاريخ والسير والتفسير حول قصة المعراج كلام طويل فيه ما يشبه الأساطير وما لا يوافق العقول[2]، فمن قائل أنّه رأى الله وكلّمه وجلس معه على سريره، وقائل أنّه رأى الجنة والنار والمنعّمين والمعذّبين، وقائل أنّه رأى الأنبياء في السماء[3]، وقائل أنّه قد طهّر بشق بطنه وغسلها، وقائل أنّه وجد الله يصلّي، وقائل أنّ البراق كان إذا نزل طالت يداه وإذا صعد طالت رجلاه ليستقيم ظهره. وأنّ هناك جبالاً وآكاماً إلى غير ذلك من الأقاويل التي يمجّها الذوق ويرفضها العقل ويأباها العلم. وفي الحقيقة أن مسألة المعراج من المواضيع العقائدية التي لا يستغنى فيها عن التأويل مطلقاً كما اعترف به أمين الإسلام الطبرسي[4]. ففي ظواهر الكثير من الأخبار ما يحيّر العقول.

---

(١) المناقب في آل أبي طالب: ١/ ٢٨.

(٢) انظر غير ما ذكر: التبيان في تفسير القرآن ٧/ . . والاحتجاج / ٢٨ و١١٦ و: الاختصاص/ ١٠١ ـ ١٠٢ و: الخصال: ١/ ٩٥ و: مقتضب الأثر / ٣٧ ـ ٤٣ و: المحكم والمتشابه/ ١٠٥ ـ ١٠٦ و: سعد السعود / ١٠٠ ـ ١٠١ و: اليقين في إمرة أمير المؤمنين / ٨٣ ـ ٨٨ و: ترجمة تاريخ قم / ٩٦ و: الميزان في تفسير القرآن: ٩/ ٢٨٣ ـ ٢٨٥ و: البرهان في تفسير القرآن: ١/ ٥٨٨ و: تفسير القمي: ٢/ ١٧١ و: عيون أخبار الرضا / ١٣٦ و٢٠٠ و: التوحيد / ١٦٧ ـ ١٦٨ و: علل الشرائع / ١٩٨ و: أمالي الصدوق / ١١٠ و١٧٧ و١٨٠ و٣١٢ و٢٦٩ ـ ٢٧١ و٢٨٥ و٢٨٧ و٣٥٢ و: أنوار التنزيل: ٢/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣ و: التهذيب: ١/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥ و: أصول الكافي: ١/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤ و: فروع الكافي: ١/ ٨٣ و: روضة الكافي / ١٢٠ ـ ١٢١ و٢٦٢ و٢٧٩ ـ ٢٨١ و٣٦٤ و٣٦٥ و٣٧٦. ومعظم كتب التفسير والسيرة عند الطائفتين الشيعة والسنة.

(٣) اعترض الكراجكي على مشاهدة النبي للسابقين من الأنبياء في السماء (كنز الفوائد، ص ٢٥٨) وأجاب المجلسي على اعتراضه باحتمال تعلق أرواح الأنبياء بأبدان مثالية رآها الرسول ﷺ (بحار الأنوار: ١٨/ ٢٨٢).

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦ و ٩/ ١٧٤ ـ ١٧٥.

وقد اتُهمَت الشيخية بإنكار المعراج الجسماني والقول بأنّه كان روحانيّاً. قال الشيخ محمد رضا الهمداني: «قال الشيخ ـ أي الأحسائي ـ أنّه لمّا أراد العروج ألقى في كل كرة ما منها، فألقى ترابه في التراب وماءه في الماء وهواءه في الهواء وناره في النار وكل قبضة في تلك السماء ثم لما رجع أخذ من كل كرة ما ألقى فيها...»[1].

وقال السيد مهدي القزويني: «وخالف في ذلك الشيخ أحمد حيث قال: إنّ حقيقة المعراج هو العروج على ظاهره ولا جهل فيه، وإنّما الجهل في معرفة جسد النبي ﷺ... وما زعمه مخالف لما عليه المسلمون من عروجه وجسمه المحسوس المرئي الدنيوي البشري بدون تصفية،.. وهو من بدعه التي لم تكن، فإنّ من قلّد أهل الفلسفة قال بعروج الروح...»[2].

وقال: «علم من هذه العبارة أنّ جسده الشريف عنده ليس الجسد المرئي المحسوس الملموس الذي يتغذّى بالطعام وينام مثل سائر البشر...»[3].

والظاهر أنّ الأحسائي قد تورّط في هذه المسألة كما هي الحال في المعاد الروحاني ثم تراجع لأنّ في أقواله تناقضاً واضحاً، فقد قال أولاً: «... إنّ الصورة البشرية عند إرادة صعوده يجوز فيها احتمالان، في الواقع هما سواء، وفي الظاهر الأول أبعد من العقول والآخر أقرب. فالأول: أنّ الصاعد كلما صعد ألقى منه عند كل رتبة ما منها فيها. مثلاً: إذا أراد تجاوز كرة الهواء ألقى ما فيه من الهواء فيها، وإذا أراد تجاوز كرة النار ألقى ما فيه منها فيها، فإذا رجع أخذ ماله من كرة النار وإذا وصل الهواء أخذ ماله من الهواء. لا يقال على هذا: إنّ هذا قول بعروج الروح خاصة لأنّه إذا ألقى ما فيه عند كل رتبة لم يصل منه إلا الروح، لأنّا نقول: إنّا لو قلنا بذلك فالمراد بها أعراض ذلك لأن ذوات تلك لو ألقاها بطلت بنيته

(١) هدية النملة إلى مجدد الملة / ٢٣.
(٢) بوار الغالين، ص ٩٩ ـ ١٠١.
(٣) ظهور الحقية على فرقة الشيخية، ص ٣٠.

بالكلية فيجب أن يكون ذلك موتاً لأنّ القائلين بعروج الروح يقولون أن بنيته باقية لا تتفكّك، وإنّما مرادنا أنّ الجسم بالنسبة إلى عالم الفساد يتلطّف إذا صعد إلى عالم الكون، وإلا فهو على ما هو عليه من التجسّد والتخطيط. والثاني: أنّ الصورة البشرية التي هي المقدار والتخطيط تابعة للجسم في لطافته وكثافته... وأنّ الأجساد اللطيفة النورانية تكون بحكم الأرواح لا تزاحم فيها ولا تضايق، ولهذا يبلغ المعصوم عليه السلام من مشرق الدنيا إلى مغربها في أقل من طرفة عين...»[1].

وقد نقلنا هذا النص بطوله لئلاّ يفلت شيء من معناه، فإنّه قسّم بيانه إلى أول وثان، وواضح كل الوضوح أنّهما واحد، ففي الأول لطّف الجسم عند صعوده إلى عالم الكون، وهو نفس ما قاله بالنسبة للأجسام اللطيفة النورانية التي هي بحكم الأرواح في الثاني، ولكنّه فعل ذلك لصرف نظر القارىء بعض الشيء وإبعاد الفكرة عنه ولئلاّ يتبادر ذهنه إلى المعنى المقصود دفعة واحدة. وهو طابع كتابات الأحسائي عندما يريد الادلاء برأي يخالف الظاهريين. وقد صرّح في مقدمة الموضوع بأنّ الاحتمالين سواء، وإن بدا أولهما بعيداً عن العقل. ورأيه في كلامه بقسميه واضح، وهو أنّ المعراج لم يكن بهذا الجسد الكثيف، لأن صعود عناصره تقتضي الخرق والالتئام في الأفلاك، لكنّه لم يدل برأيه في إمكان ذلك أو عدمه في هذا الموضوع، وإنّما صرّح به في مكان آخر[2]، وقد مطّط العبارة على عادته في مثل هذا المقام، وأشار إلى أنّه لا يذهب إلى رأي من يقول بتفكّك الجسد في تلك الحالة، وهو يعني موته وعروج الروح وحدها، وذلك ليبقى له مجال للتراجع في المستقبل وإلا فما الذي أراد أن يقوله لو لم يقصد ذلك؟ وهل يعني إلقاء كل رتبة في كراتها غير ذلك؟

---

(١) الرسالة القطيفية في جوامع الكلم: ١/ ١٨١.

(٢) قال في (شرح الزيارة، ص ٢٨ و٢٩: فقرة سلالة النبيين) ما نصه: «ومعلوم أن الجنة فوق فلك البروج ولو كانت مادية لما جاز أن تخرق فلك البروج والسماوات السبع... فإن الحيوانية الحسيّة ليست من الأجسام بل هي من وراء الأفلاك...». وقد اعترض الشيخ محمد جواد البلاغي على قوله باستحالة الخرق والالتئام (الرحلة المدرسية أو المدرسة السيارة: ٣/ ١٥٨) فانتصر له الشيخ حسن الأحقاني وأنكر أن يكون الأحسائي قد قال بذلك (منظرة الدقائق على تبيان الحقائق، ص ٦٠).

وإذا نظرنا ما قاله في المسألة بعد ذلك في مواضع أخرى من مؤلفاته، وجدناه قد تراجع عن رأيه الأول صراحة، فقد قال: «ألم تعلم أنّ الله على كل شيء قدير. ثم على كل حال ما معنى المنع من تداخل الأجساد والمنع من الخرق والالتئام، والملائكة والشياطين تخترق السماوات وسيدنا محمد ﷺ صعد إلى السماء بجسمه الشريف بثيابه وعمامته ونعليه، وإدريس عليه السلام رفعه بجسمه إلى السماء، وعيسى عليه السلام رفعه الله بجسمه...»[1]. وقال في موضع آخر: «ولهذا صعد النبي ﷺ بجسمه الشريف مع ما فيه من البشرية الكثيفة وبثيابه التي عليه، ولم يمنعه ذلك عن اختراق السماوات والحجب وحجب الأنوار لقلّة ما فيه من الكثافة، ألا تراه يقف في الشمس ولا يكون له ظل مع أنّ ثيابه عليه لاضمحلالها في عظيم نوريّته...»[2].

أرأيت تراجعه وتناقضه الصريح؟ فهو بعد أن بيّن تلطيف الجسد وتخفيف كثافته إذا صعد إلى عالم الكون في رأيه الأول عاد فقال بعدم كون الكثافة مانعاً من العروج والاختراق، ولكنّه مع ذلك لم يتنكّر لرأيه الأوّل بالمرّة، فتعرّض لروحانية جسم النبي التي تضمحلّ أمامها كثافة الملابس. وهكذا يُرى الأحسائي دائماً وهو شبه متردّد وبين بين. لا يدلي برأيه صراحة لخوفه، ولا يقطع بآراء الخصوم لأنّها خلاف معتقده، وواضح أنّ منشأ تناقضه هو الخوف والتقية وليس الجهل.

وقد اقتفى أثره تلميذه السيد كاظم الرشتي فأكّد أنّ المعراج جسماني، وأنّ أستاذه الأحسائي ممّن يقول بذلك. قال: «إنّ مسألة المعراج لنبيّنا ﷺ ممّا لا ينكرها إلا الملحدون ولا يجحدها إلى المعاندون، وهي من أركان الدين المعروفة بين المسلمين... وممّن أصرّ على وقوع العروج الجسماني حتى بثيابه ونعله... مولانا وأستاذنا...»[3].

---

(١) انظر: شرح العرشية، ص ١٩٣ جواب الاعتراض السابع.

(٢) انظر: شرح الزيارة الجامعة، ص ٢٨٦. شرح: مستجيركم... الخ.

(٣) كشف الحق في «مجموعة الرسائل: ٢/ ٣٤».

وأيّد مقالة الرشتي تلميذه الشيخ حسن جوهر فبالغ وأساء التعبير بل الأدب بالنسبة لمقام الحق تعالى شأنه فقد قال: «وقد ثبت بالأدلّة القاطعة والبراهين الساطعة أنّ نبيّنا عرج بتمام جسمه الشريف إلى الأفلاك، وصعد بجسمه على العرش الأعظم، وكان في رجليه نعلاه حتى أنّ العرش تشرّف بنعليه ﷺ وهذا اعتقادنا...»[1].

أرأيت كيف يكون سوء الأدب؟ وكيف تطغى العاطفة على العقل؟ ويتغلّب الحب الأعمى والهوس والهوج على الإنسان فيهرف بما لا يعرف ويتفوّه بما لا ينبغي أن يصدر عن السوقة وعوام الناس، فضلاً عن أهل المعرفة؟ فمن يكون محمد لولا أنّه رسول الله؟ ومن أين جاءه الشرف لولا النبوّة التي سمت به وإرادة الله التي رفعته إلى هذا المقام؟ وهل كان يحظى بهذا التقدس منّا لولا أنّه مبلّغ رسالة السماء؟ فكيف يشرّف نعله عرش ربّه؟ غفرانك اللهم وعفوك عن هذا الهذيان وتعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

وقد استمرّت مدرسة تبريز في تقليدها لسلفها في هذه المسألة، فقال الشيخ موسى الاسكوئي معللاً كلام الأحسائي ونافياً لما يستفاد من ظاهر كلامه بالنسبة لإلقاء العناصر في كراتها وذاهباً إلى سبق إيجادها وعدم كونها من موادّها: «يعني ألقى كل واحدة من عناصر تلك النسبة التي هي الجمود والثقلية في كرته، لا أنّه ألقى في تلك الكرات عناصر جسمه الشريف كما توهّم من كلماته إذ عناصر جسمه الشريف ليست مأخوذة من تلك الكرات حتى يلقيها فيها لأنّها خلقت من قبل خلق الكرات بآلاف الأعوام...»[2].

وقال الشيخ علي الحائري: «... فإنّا نعتقد بأنّ نبيّنا محمد ﷺ صعد ليلة المعراج بجسمه الشريف وجسده النوراني اللطيف، وعرج بما هو عليه وفيه

---

(١) شرح حياة الأرواح، ص ١٦٥. وهو من الخرافات السنيّة التي ملأت الصحاح الستة وقد أخذ الشيعة بها مجازاة للأغلبية السنية مفسرين لها تفسيراً مجازياً. وهو من قبيل قول ابن تيميّة حين نزل من المنبر قائلاً: هكذا ينزل ربي (رحلة ابن بطوطة: ١/ ٥٧ ط مصر ١٣٧٧).

(٢) إحقاق الحق، ص ١٠٦.

من البشرية الكثيفة وبثيابه التي هي عليه وعمامته ونعليه التي كانتا من جلد البعير، فجاز الكرات وخرق السموات وحجب الأنوار... فشرّف بنعليه عرش الرحمن...»[1]. ونقله لعبارة أو جسارة جوهر بنصّها دليل واضح على أنّ الخلف منهم يتلقّى عن السلف بنحو التلقين ويتناقل الألفاظ بشكل ببغائي.

وتختلف مدرسة كرمان عن مدرسة تبريز في هذه المسألة اختلافاً كبيراً، فقد ظلّت متمسّكة برأي الأحسائي الأول الذي يفيد كون المعراج روحانياً. فقد عقد الحاج محمد كريم خان الكرماني باباً خاصاً للمسألة قسّمه إلى عدة فصول. ويبدو أنّه لم يجرأ على التصريح برأيه مرّة واحدة بل وزّعه على شكل نبذ خلال الفصول حتى ظهر رأيه واضحاً في الأخير، قال ما تعريبه: «... وقد ذكرها ـ يعني مسألة المعراج ـ مشايخنا في كتبهم مشيرين إليها من خلف ألف ستار، ولم يكن يصلح لزمانهم أكثر من ذلك...»[2]. و«لولا خوف طغيان هذه النفوس الفرعونية لبسطت القول وسمحت للقلم برهة لترى ما أسطّره لك من بيان وأحرّره من جواهر...»[3]، و«الغرض أن تعرف كيف يتلطّف هذا الكف من التراب بالتدريج حتى يصل إلى أعلى العرش... انظر إلى الماء إذا غليته في القدر كيف يتحوّل من غلظته إلى بخار ويصعد إلى معراجه وأنت تغلي مثله حتى يتبخّر ماؤك ولا يبقى شيء، وليس معناه أنّك أخذت جسمه فأسميته روحاً بل هو الجسم؛ إلا أنّك لطّفته...»[4].

فرأيه صريح بأنّ المعراج روحاني، وقد أكّده غير مرة وبتعابير مختلفة إلا أنّه عاد فتراجع عنه في مكان آخر واستنكره بشدة، وتحامل على الفلاسفة لقولهم به، ونسب إليهم الجهل بأسرار الخلق وقال بإمكان الخرق والالتئام واستمرّ يبرهن على إمكان ذلك ويورد الأدلّة والشواهد بحماس. قال: «زعم بعض الحكماء

(١) عقيدة الشيعة، ص ٢٣ و٢٤.
(٢) إرشاد العوام: ١/ ١٤٢.
(٣) المصدر نفسه: ١/ ١٤٥.
(٤) إرشاد العوام: ١/ ١٤٦.

لجهلهم بأسرار الخلق أنّ النبي ﷺ عرج بروحه لا بجسمه وبرهنوا على ذلك، وأنّه لم يستطع الخرق والالتئام في الأفلاك لاستحالته، ولو كان عروجه بجسمه للزمه أن يفعل ما ليس ممكناً، . . ويعتني بهذه الحكمة الجاهلة من لا علاقة ولا عقيدة له بالإسلام كما يقولون أنفسهم ـ يعني الحكماء ـ بأنّ الحكمة لا علاقة لها بالشرع. أمّا المؤمن المتمسّك بالشرع فهو من يرجع إلى الدين ويستقي أحكامه من الكتاب والسنة. . . »[1].

أمّا ولده محمد خان الكرماني فقد قال: «المراد أن يلقي الأعراض الهوائية في الهواء لا أن يلقي ذات الهواء، وكذلك البواقي. فأعراض النار والهواء يلقيهما وأصلها معه. والعرض إن لاحظته فليس هو إلا الكم والكيف وأمثالهما ممّا لا دخل له بحقيقة الجسم. . . ومرادنا بالبدن الجسماني أن يكون ألطف بالنسبة إلى عالم الكون والفساد. . . »[2].

فرأيه رأي أبيه إلا أنّه يداهن ويتهرّب من التصريح به، وله الحق في ذلك لأنّه رأى أباه قال برأي وتراجع عنه فسجّل على نفسه تناقضاً، فلماذا يقتفي أثره؟ فلينف بالمرة ليستريح. وقد فعل ذلك الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي زعيم شيخية كرمان المعاصر، فقد قال:

«إنّ إجماع المسلمين قائم على أنّ الرسول ﷺ عرج بجسمه الشريف، ولم يكن معراجه روحانياً، فمنكر المعراج الجسماني ملحد وخارج من هذا الدين. . . «سبحان الذي أسرى بعبده» [الإسراء/١] المراد بالعبد هو الرسول وهو المركب من الروح والبدن. . . »[3].

وخلاصة القول في مسألة المعراج عند المجلسي: أنّ أصحاب الحديث من الشيعة المتقدمين قالوا بالمعراج الجسماني تبعاً لظواهر الآيات والأخبار؛ لكنّ

(١) إرشاد العوام: ١/ ١٦٠.
(٢) ترجمة هداية المسترشد/ ١٦٨.
(٣) فلسفية/ ٦٨ ـ ٦٩.

الشبهات قد حصلت لمن تأخّر عنهم بسبب انتشار آراء الحكماء، فأنكروا المعراج الجسماني بحجة عدم جواز الخرق والالتئام في الفلك[1].

وهكذا رأينا الأحسائي وقد قال بالمعراج الروحاني للسبب ذاته لكنّه قد رجع عن رأيه موافقة للظاهريين، وتبعه تلميذه الرشتي ومدرسة تبريز في تراجعه ورحوا يفسّرون قوله الأول ويحاولون التوفيق بينه وبين رأيه الأخير ويصرّون على تنزيه ساحته من القول بالمعراج الروحاني، لكنّ رأس مدرسة كرمان الحاج محمد كريم خان لم يتنكّر لرأي الأحسائي الأول في بادىء الأمر بل أقرّه ودلّل عليه، لكنّه لم يثبت عليه بل ناقض نفسه بالتراجع عنه كذلك وبالتطاول على من يقول به مدعياً أنّ ذلك من آراء الحكماء وهي غير مستمدة من القرآن والسنة، والصحيح هو ما وافق الدين، وتبعه خلفاؤه وحاولوا كذلك تفسير أقواله العديدة واعترافاته المتكرّرة بما يوافق معتقد الظاهريين، وهكذا انتهت المسألة على رأي القوم.

ثالثاً: الغلو والتفويض:

الغلو في اللغة بمعنى الارتفاع، أي التجاوز عن الحد المتعارف في الأشياء. وقد اصطلح العلماء على استعماله بمعنى التجاوز عن حد العبودية إلى مقام الربوبية والألوهية. قال تعالى: ﴿لا تغلوا في دينكم﴾ [النساء/ ١٧١] وقد ظهر في شيعة علي عليه السلام على عهده جماعة غلوا في حبّه واعتقدوا بألوهيته فحكم بقتلهم وكان ذلك مصداق قول النبي له: «يا علي هلك فيك اثنان محب غال وعدوّ قال»[2] وتأريخ الغلاة معروف وآراؤهم مشهورة.

والحقيقة أنّ الغلو ليس ممّا ابتليت به بعض فرق الشيعة وحدها، فهو صفة عامة لكل من حاول أن يجمع بين الدين والفلسفة الأفلاطونية الحديثة. فإنّ غلو أصحاب الطرق الصوفية كالقادرية والرفاعية والشاذلية ـ في زعماء طرقهم ـ أشد من غلوّ بعض الشيعة في أهل البيت بكثير. وقد كتب الشيخ عبد الكريم الماشطة

(١) بحار الأنوار: ١٨/ ١٨٢.
(٢) ينابيع المودة: ٢/ ٧٣.

عدة مقالات حول الصوفية والصوفيين والفلاسفة الإشراقيين أوضح فيها ذلك بصورة مفصلة واستشهد بنصوص تثبت رأيه[1].

قال الشيخ الصدوق: «اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنّهم كفار بالله جل اسمه... وأنّه ما صغّر الله جل جلاله تصغيرهم بشيء...»[2].

وقال الشيخ المفيد: «الغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام من ذريته إلى الألوهية والنبوة، ووصفوه في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا به الحد وخرجوا عن القصد. وهم ضلّال كفّار حكم أمير المؤمنين عليه السلام فيهم بالقتل والتحريق بالنار، وقضت الأئمة عليهم السلام فيهم بالكفر والخروج عن الإسلام»[3].

وقد نهى الإمام عن الغلو كما حذر الأئمة من أولاده، وورد في الحديث عن بعضهم خطاباً للشيعة: «كونوا النمرقة الوسطى يرجع إليكم الغالي ويلحق بكم التالي»[4] وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ لنا أهل البيت في كل خلف عدولاً

---

(١) مجلة الحكمة الحلية: السنة الأولى / ٤٠٥.
وتحسن الإشارة هنا إلى فلسفة النور والمراد من الغلو، فقد ترك جهل البعض لفلسفتها في تيه. فالإشراق والغلو والغنوص ليس فيها محبة لأحد لا لأهل البيت عليهم السلام ولا لغيرهم، فأهلها يقولون: إن الله مركز النور المشرق فكما أن النور الخارج من السراج يخلق مخروطاً مضيئاً وكل ما كان أقرب إلى منبع النور فهو أنور مما بعده فكذلك حال الأنبياء والأئمة والأقطاب والأولياء (وهذه كلمات متساوية المعنى عندهم) فكل من كانت روحه أقوى ومادته أضعف فهو أقرب إلى منبع النور من أي قوم أو جنس كان فعلي قريب من منبع النور الإلهي وهو مظهر الرحمة والعدل وغيره مظهر الهدم والقسوة والقتل، وبما أنه تخلص من الماديات وتجرّد من حبها فلم يبق في جبته إلا الله على حد قول الحلاج ورأي البسطامي وغيرهما. وكذلك كل الواصلين إلى درجة التجرد وهذا القول هو رأي من سموا بالغلاة و (العلي اللاهية) وليس فيهم من يقول بأن علياً يستوي على العرش كما يقول ابن حنبل وابن تيمية في إلاهه المتجسّد. وعدم فهم البعض للفلسفة وابتعاده عن تحكيم العقل والشعور جعله ينسب الخرافات إلى النبي ويتهم الغلاة بنسبتها إلى الأئمة.
(٢) الاعتقادات، ص ٩٩.
(٣) تصحيح الاعتقادات، ص ٥٢.
(٤) الاعتقادات، ص ١١٢.

ينفون عنا تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[1]. وقال الإمام الرضا عليه السلام في بعض دعائه: «اللّهم إني أبرأ إليك من الحول والقوة ولا حول ولا قوة إلا بك، اللّهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لا نعلمه في أنفسنا... اللّهم لا تليق الربوبية إلا بك ولا تصلح الألوهية إلا لك... اللّهم إنّا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ولا قوة ولا حياة ولا نشوراً. اللّهم من زعم أنّ لنا الخلق وعلينا الرزق فنحن إليك منه براء... اللّهم إنّا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تؤاخذنا بما يقولون...»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «والله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا. ما نقدر على ضرّ ولا نفع، إن رحمنا فبرحمته وأن عذّبنا فبذنوبنا. والله ما لنا على الله من حجّة وما معنا من براءة وإنّا لميّتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون»[3].

والتفويض من أقسام الغلو، وهو الاعتقاد بأنّ محمداً صلى الله عليه وآله أو علياً عليه السلام أو أحد الأئمة المعصومين عليهم السلام يخلق أو يرزق أو يحيي أو يميت بالاستقلال عن الله أو التفويض إليه أو الشراكة معه أو نحو ذلك. قال الشيخ المفيد: «والمفوّضة صنف من الغلاة، وقولهم الذي فارقوا به من سواهم من الغلاة اعترافهم بحدوث الأئمة عليهم السلام وخلقهم ونفي القدم عنهم وإضافة الخلق والرزق مع ذلك إليهم. ودعواهم أنّ الله تفرّد بخلقهم خاصة، وأنّه فوّض إليهم خلق العالم بما فيه وجميع الفعال...»[4].

وقد ورد النهي الشديد عن التفويض للأئمة عليهم السلام، سواء عن طريق الاستقلال أو التصرّف في ملك الله بإذنه ومشيئته وإرادته. وصريح القرآن والأخبار نفي الرزق والأحياء والإماتة عن غير الله تعالى. قيل للصادق عليه السلام: إنّ رجلاً

(١) الكافي: ٣/ ١٠٢.
(٢) الاعتقادات: ص ١٠٠ ـ ١٠١.
(٣) رجال الكشي، ص ٤٢.
(٤) تصحيح الاعتقادات، ص ١٣٧.

يقول بالتفويض. فقال: ما التفويض؟ فقيل له: يقول: إنّ الله عزّ وجلّ خلق محمداً وعلياً ثم فوّض الأمر إليهما فخلقا ورزقا وأحييا وأماتا. فقال عليه السلام: كذب عدو الله إذا رجعت إليه فاقرأ الآية التي في سورة الرعد: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهّار﴾ [الرعد/ ١٦] [١].

وروى الطبرسي عن علي بن أحمد أنّه قال: اختلف جماعة من الشيعة في أنّ الله فوّض إلى الأئمة عليهم السلام أن يخلقوا ويرزقوا فقال: هذا محال لا يجوز على الله تعالى لأنّ الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله. وقال آخرون: بل الله أقدر الأئمة عليهم السلام على ذلك فخلقوا ورزقوا. فتنازعوا في ذلك نزاعاً شديداً فقال قائل منهم: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر ـ أي الإمام الباقر عليه السلام ـ فتسألوا عن ذلك ليوضّح لكم الحق فيه فإنّه الطريق إلى صاحب الأمر؟ فرضيت الجماعة بأبي جعفر عليه السلام فسلّمت وأجابت إلى قوله فكتبوا المسألة وأنفذوها فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته: «إنّ الله هو الذي خلق الأجسام وقسم الأرزاق لأنّه ليس بجسم ولا حال في جسم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وأمّا الأئمة عليهم السلام فيسألون الله تعالى فيخلق ويسألونه فيرزق»[٢]. وقد تعرضت لبحث التفويض مصادر كثيرة[٣].

وقد نُسب إلى الشيخية ـ فيما نُسب إليهم ـ الغلو في آل محمد صلى الله عليه وآله وتفويض بعض الأفعال إليهم. ولا تخلو هذه النسبة من الصحة، ففي أقوال علمائهم تصريحات وتلويحات كثيرة، وقد كتب عبد الحميد الدجيلي مقالاً عن الغلاة ونِحَلهم تعرض فيه لذكر الشيخية[٤] فردّ عليه السيد عبدالله الموسوي ردّاً مطوّلاً في ثماني حلقات تحت عنوان: «الشيخية»[٥] وعقّب على الموضوع أستاذ من الكاظمية فكتب مقالاً تحت

(١) الاعتقادات، ص ١٠١.
(٢) الاحتجاج، ص ٨٩.
(٣) المقالات والفرق، ص ٢٣٨ و٢٣٩. والفرق بين الفرق، ص ١٥٣. والاعتقادات، ص ٥٩. وتلبيس إبليس، ص ٩٨ ـ ١٠٨. والفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة، ص ٤٣، ط تركيا. والخطط: ٢/ ٣٥١ وكثير غيرها.
(٤) مجلة الغرى النجفية / السنة الثامنة / العدد: ٢ و٣.
(٥) مجلة البيان النجفية / السنة الأولى/ ٣٧٦ و٣٩٥ و٤٢٦ و٤٥٤ و٤٧٥ و٥٠٣ و٥٣١ و٥٧٢.

عنوان: «الشيخية» وبتوقيع «ناصر الحق» وذكر فيه بعض المخالفات الصريحة وهدّد بنشر ما سماه مخازي أخرى إذا لم يكفّ الموسوي[1]، وأظنّه الدجيلي نفسه. وكتب الشيخ عبد الكريم الماشطة مقالين فيهما الكثير من الحقائق والعمق العلمي[2]. والغريب في الأمر أنّ السلف والخلف منهم ينفي أن يكون فيما قاله غلو أو تفويض بل عدّوا ذلك «النمط الأوسط» الذي أُمِرَ به. وبالغ المتأخرون في الدفاع عن المتقدّمين ونسبوا إلى خصومهم التقصير في حق آل محمد.

قال الشيخ مرتضى كاشف الغطاء: «وأمّا من تجاوز الحدّ في اعتقاده ممّن لا تخلو أعصارنا منه ـ يقصد الشيخية ـ حيث فوضوا أمر الخلق والرزق والحياة والممات إلى النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، فإنّهم إن أرادوا بتفويض ذلك للنبي والأئمة تسبيباً ومباشرة بنحو الفاعلية الحقيقية فلا إشكال في خروجهم عما عليه دين الإسلام، وإن أرادوا أنّ الله فوض ذلك إليهم بنحو المباشرة كما فوّض أمر مباشرة قبض الأرواح لعزرائيل والله هو المسبب ـ كما لعلّه يستشعر من كلمات شيخهم ـ فهذا وإن كان أمراً باطلاً في نفسه إلا أنّه لا يستلزم كفر مدّعيه لأنّ الظاهر أنّ مثل ذلك ممّا لا يقضي بنقض أصل ديني، ولكنّ الاحتياط لا يُترك في اجتناب القائل بذلك واجتناب مقلديه وأتباعه»[3].

وقال الشيخ محمد الخالصي: «روّج مذهب التفويض في العصر الأخير ثلاثة نفر: الشيخ أحمد الأحسائي، والسيد كاظم الرشتي، والحاج كريم خان الكرماني. وزادوا فيه وأوغلوا في الغلو حتى زعموا استحالة أن يكون الله خالقاً ورازقاً وإنّما الخلق والرزق للحقيقة المحمدية»[4].

وفي الحقيقة وواقع الأمر أنّ في بعض مصادر الشيعة القديمة وأصولهم المعتبرة التي ينقل عنها مؤلفوا كتب «البحار» و «تفسير البرهان» و «مدينة

(١) مجلة البيان النجفية / السنة الثانية/ العدد ٢٥ ر٢٦/ ٦٤٧ ـ ٦٤٩.
(٢) مجلة البيان / السنة الثانية، ص ٥٩٩ ر٦١٦.
(٣) فوز العباد في المبدأ والمعاد، ص ٣٤ ر٣٥.
(٤) الاعتصام بحبل الله، ص ٧٠.

المعاجز» وغيرهم قضايا لا يمكن تقبّلها وأخباراً أقلّ ما يمكن أن يقال فيها أنّها موضوعة أو من صنع الغلاة. ففي بعضها ما يخرج الله عن سلطانه ويسلّم أزمّة أموره إلى علي عليه السلام وأولاده ليتصرّفوا في الكون كما يشاؤون. مثال ذلك: ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور» يعني: أنّه جعل علياً خازنه على ما في السموات وما في الأرض من شيء وائتمنه عليه[1]. ويأتي الشيخ أحمد الأحسائي إلى هذه الرواية التي توافق ذوقه ومعتقده فيفسّر ويحلّل ويوجّه المعنى ويخرج بنتيجة هي: أنّ مصير الخلائق وإياب الناس كلهم إلى علي عليه السلام الذي هو ولي الله، لأنّ الله وكّل الأمر إليه وجعله عنده. والمصيبة في هذا الشيخ أنّه لا يكتفي بالادلاء بوجهة نظره وبيان رأيه وإنّما يصرّ على أنّها الصحيحة وما عداها الخطأ، وأنّ مثل ذلك لا يمكن أن يُعدّ تفويضاً بوجه. يقول: «ما تفيد العموم فكل شيء فعندهم خزائنه وهم خزائنه وعندهم مفاتحه وهم مفاتحه. وأمّا معنى قوله: «ألا إلى الله تصير الأمور» أنّها تصير إلى علي عليه السلام. وبيان ذلك أنّ الأمور حادثة مخلوقة والحادث المخلوق لا يصل إلى القديم ولا يرجع إليه سبحانه لأنه تعالى متعال عن كل شيء وإنّما المعنى أنّ الأمور تصير وترجع إلى أمره تعالى، وأمره تعالى جعله عند وليّه، فالمصير إليه مصير إلى الله والرادّ إليه رادّ إلى الله. وقد قال الله تعالى: ﴿إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم﴾ [الغاشية/٢٦]. وقد دلّت الأدلّة القاطعة مع الإجماع على أنّ إياب الخلق إليهم

(١) البصائر، ص ٢٤٣. وليس التفسير الباطني مما اختص به الشيعة فعند السنة منه شيء كثير، فقد ورد في تفسير (روح البيان) لإسماعيل حقي و (التسهيل) للحافظ ابن أحمد الكلبي ما نصه: «كزرع أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي» وفي (حياة الإمام أبي حنيفة) للسيد عفيفي أن السيوطي قال: «ذكر العلماء أن النبي صلى الله عليه وآله بشّر بالإمام مالك في حديث (يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أعلم من عالم بالمدينة) وبشر بالإمام الشافعي في حديث (لا تسبوا قريشاً فإن عالمها يملأ الأرض علماً) وبشر بالإمام أبي حنيفة في حديث (لو كان العلم معلقاً عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس) راجع (التفسير الكاشف للشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله ٧/ ١٠٥) هذا كله مقبول لكن إذا بشر النبي صلى الله عليه وآله بإمام من أهل بيته وذريته كان الحديث موضوعاً.

وحسابهم عليهم فإن الأخبار متواترة بذلك. وليس هذا تفويضاً كما يتوهّم الجاهلون، لأنّ التفويض لو قيل بأنّه جعل الأمور إليهم ورفع يده فهذا كفر وشرك، وإنّما نريد أنّه جعل الأمور إليهم، فهم بأمره وهدايته وقدرته يعملون، يدبّرهم فيما ولاّهم عليه كيف يشاء. لا يتحركون ولا يسكنون ولا يريدون ولا يتركون إلا بقدرته، ومشيئته وأمره في كل جزئي»[1].

وهكذا تراه يتفوّه بهذه الكلمات ويتعرّض لذكر هذه المطالب ويؤكّد أنّها من صميم العقيدة وليس فيها غلو أو تفويض مطلقاً. يقول: «الأربعة عشر معصوماً هم صفات الله وأسماؤه وآلاؤه ونعمه ورحمته الواسعة ورحمته المكتوبة وهم معانيه، وهم وجه الله الذي يتوجّه إليه الأولياء، وهم اسم الله المبارك ذي الجلال والإكرام، ووجه الله الباقي بعد فناء كل شيء، والوجه الذي يتقلّب في الأرض ومقصد كل متوجّه وسائر من مطيع حيث يحب الله، ومن عاصٍ حيث يكره الله، وهم أوعية غيبه وهم ظاهره في سائر المراتب وجميع المعاني والمقامات، آياتهم ظاهرة في الآفاق وفي أنفس الخلق، ومعجزاتهم باهرة، وهم ملوك الدنيا والآخرة»[2].

ويطول بنا المقام إذا أردنا أن نستعرض مؤلفات الأحسائي كلها لنحصي أقواله في هذه المسألة. ويكفينا للاستشهاد كتابه «شرح الزيارة الجامعة»، ففيه غنى عن غيره بل إنّه الوحيد الذي اشتمل على أكثر آرائه وأقواله في المسألة. وإلى القارىء بعض النبذ التي وزعت في ثنايا الكتاب.

قال: «والطاعة حادثة... وهم ذلك الحدث»[3]. وقال: «فانحصرت العبادة التي هي فعل ما يرضي والعبودية التي هي رضا ما يفعل فيهم وبهم عليهم السلام، فإنّ التسبيح والتقديس والتحميد والتكبير والتهليل والخضوع والخشوع والركوع والسجود وجميع الطاعات وأقسام العبادات وكذلك العبودية

(١) شرح الزيارة الجامعة، ص ٣٢٦.
(٢) شرح الزيارة الجامعة، ص ١٠.
(٣) شرح الزيارة الجامعة، ص ٣٦.

كل ذلك أسماء معانيها تلك الذوات القدسية والحقائق الإلهية»[1]. وقال: «ولله الأسماء الحسنى أي ملكه وخلقه فادعوه بها فتقول يا كريم يا رحيم يا غفور إلى سائر أسمائه وهي هم ـ يعني أهل البيت عليهم السلام ـ[2]. وقال: «وأسماؤه اللفظية مسمياتها ذواتهم إذ ليس له تعالى أسماء إلا أسماء أفعاله وهم معاني أفعاله»[3]. وقال: «إنّ أهل البيت خلقٌ فوق بني آدم وجسومهم لن ترى بالبصر بل حتى بالبصائر»[4]. وقال: «فإذا كان الله غنياً لم يرد شيئاً لنفسه وإنّما يريد لغيره وهم ـ يعني أهل البيت عليهم السلام ـ ذلك الغير والطاعة حادثة وما تنسب لغير حادث وهم ذلك الحادث المنسوب إليه الحادث... إنّ الله تعالى حصر شؤونه في أهل البيت وحصر حاجات خلقه عندهم»[5]. ويقول: «إنّ أجساد الأئمة تبقى بشرّيتها ملازمة لها ثلاثة أيام إلى أربعين يوماً على اختلاف مراتب المعصومين في اللطافة وشدّة النوريّة. فالقوي تبقى ثلاثة أيام والضعيف تبقى أربعين يوماً وما بينهما بالنسبة، فما دامت البشرية موجودة في الأجسام فهي موجودة في الأرض ولو نبشت رؤيت، وإذا فارقت صورة البشرية التي هي الكثافة لم تر الأجساد ولو نبشت لم توجد، وإن كانت في محالها للطافتها فلا تراها إلا عين المعصومين. ويعبّر عن هذه الغيبوبة التي حصلت من خلعها الكثافة بالرفع إلى السماء وبالنزول إلى الأرض بلبسها كثافة البشرية...»[6].

وقال: «وهم العلل الأربع للمخلوقات، فالعلة الفاعلية بهم والعلة المادية منهم أي من شعاعهم وظلهم، والعلة الصورية بهم على حسب قوابل الأشياء من خير وشر، والعلة الغائية هم لأنّ الأشياء خُلقت لأجلهم»[7] ويقول: «وأمّا الرزق

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٨٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٨٥.
(٥) المصدر نفسه، ص ٤٣٨.
(٦) الرجعة، ص ٢٢٦.
(٧) شرح الزيارة، ص ٣٨٤.

فهو ما ينتفع به الحي وليس لغيره منعه منه، والمراد بالغير غير الله وغير رسوله وأهل بيته...»[1].

ولا يكتفي الأحسائي بكل ذلك بالنسبة إلى آل محمد ﷺ، بل يذهب إلى أنّ الخلق كلهم عبيد رقّ مملوكون لهم، لا عبيد طاعة يأتمرون بأوامرهم وينتهون عن نواهيهم في قضايا الشرع وأحكام الدين، فهو يقول: «أمّا نسبة العبد إلى الله فلا توقّف لأحد في أنّه عبد رقّ وعبد طاعة لا يملك شيئاً من أمره... وأمّا نسبتهم إلى الخلق فالمعروف عند كثير من العلماء ومن بعض الأخبار أنّهم عبيد طاعة لا عبيد رقّ... والذي يدلّ عليه الدليل عقلاً ونقلاً أنّه ـ يعني الإمام ـ أولى بهم من أنفسهم بالأولوية التي كانت لرسول الله وهي أنّه ـ سبحانه ـ خلق الأشياء له ولأهل بيته الطاهرين... وفي الحديث القدسي: خلقتك لأجلي وخلقت الأشياء لأجلك. وقول علي عليه السلام: نحن صنايع ربّنا والخلق بعد صنايع لنا. أي صنعهم الله لنا، واللام في (لنا) للملك، وهذا المعنى هو الذي تفيده أخبارهم إشارة لأنّ التصريح فيه فضح بالحكمة فوجب الإشارة للتقيّة...»[2].

وقد اعترض على ذلك السيد محمد حسين الشهرستاني، فقال ما تعريبه: «لو كان الخلق كلهم رقّاً لهم لكان حالهم حال العبيد الذين كانوا يملكونهم ظاهراً ويجرون عليهم الأحكام الشرعية الفرعية من ميراث ودية ونكاح وطلاق وغيرها فترتفع عند ذلك أحكام الأحرار من الفقه الإسلامي بالمرّة. كما أنّ المملوكات تقسّم عند موت المالك على الورثة عادة ولم تكن ورثة الإمام منحصرة في الإمام الذي يخلفه بل كان لكل واحد من الأئمة أزواج وأولاد يقتضي اشتراكهم في هذا الإرث تبعاً لأحكام الإسلام. وإذا مات إنسان لزم أن يرثه الإمام ولا يرثه أولاده كالعبد الذي ليس لوارثه في ماله حق...»[3] وقد أجاب الميرزا موسى الأسكوئي عن ذلك في كلام طويل[4].

---

(١) حياة النفس، ص ٥٨.

(٢) شرح الزيارة، ص ٢٨.

(٣) ترياق فاروق / مخطوط.

(٤) إحقاق الحق، ص ٣٥٨ ـ ٣٦١.

وردّ رأي الأحسائي أيضاً السيد مهدي القزويني فاستعرض الآيات القرآنية التي فرقت بين أحكام الأحرار والعبيد كقوله تعالى: ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد﴾ [البقرة/ ١٧٨] وقوله: ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ [النور/ ٣٢] وأمثالهما. ثم استعرض بعض الأحكام الشرعية التي جعل الشارع كفارتها عتق رقبة. والأخبار الواردة في ثواب العتق وأنّ الإمام علياً عليه السلام أعتق ألف مملوك من كدّ يده. وتساءل عن سبب شراء الإمام لها بالمال إذا كانت مملوكة له في الأصل؟ وأشار إلى شروط وجوب الحج في الإسلام التي منها الحريّة. واستنتج من ذلك عدم وجوب الحج على غير محمد صلى الله عليه وآله فهم الأحرار والباقون عبيدهم. فليس لقول الله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت. . .﴾ [آل عمران/ ٩٧] معنى، وهو ردّ منطقي وطريف لولا أنه يقسو على الأحسائي فيعبّر عنه بإمام المدعين في غير موضع ويعتبر أتباعه كفرةً مشركين خارجين على الدين[١].

وهكذا يُدلي الأحسائي بتلك الآراء ويدوّن ما سبق من النظريات وهو واثق كل الثقة بأنّه لم ينحرف عن الطريق الصحيح ولم يخالف الواقع والمطلوب، وأنّه لم يصل إلى درجة الغلو والتفويض فهو يقول: «أوصيك وصية ناصح أن لا تستغرب هذه وتنكرها فإنّنا لا نريد بذلك أنّهم فاعلون وخالقون ورازقون، بل الله هو الخالق والرازق والفاعل لما يشاء وحده عزّ وجلّ لم نجعل له شريكاً في شيء، إلا أنّا نقول أنّه سبحانه لا يفعل شيئاً بذاته لتنزّهه وتكرّمه عن المباشرة وإنّما يفعل ما يشاء بفعله وبمفعوله من غير تشريك بل هو الفاعل وحده ولا يلزم منه غلو ولا جبر ولا تفويض ولا شيء ينافي الحق بوجه ما. . .»[٢]. ويقول: «إياك أن تنسب إليهم عليهم السلام أو إلى أحد من الخلق من ملك أو نبي أو غيرهما شيئاً من أفعاله تعالى بعد ما بيّن لك سبحانه فقال تعالى: ﴿أروني ماذا خلقوا من

(١) ظهور الحقية على فرقة الشيخية، ص ١٤١ و١٤٢.
(٢) شرح الزيارة الجامعة، ص ٣٧٨، فقرة وآثاركم في الآثار.

الأرض أم لهم شرك في السموات﴾. وقال: ﴿قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهّار﴾. كما أنّك لا تقول أنّ الأرض والماء هما اللذان يزرعان الزرع، وإنّما المعنى أنّه سبحانه ما أمرك بأمر ولا نهاك عن شيء من جميع ما كلّفك به إلا على لسان محمد وآله عليهم السلام، وقد أخبروك وأنت تعلم أنّه سبحانه هو الآمر الناهي وحده لا شريك له في شيء من ذلك وإن كانوا هم الحاملين لأمره ونهيه والمبلغين عنه لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»[1].

وقد نهج السيد كاظم الرشتي نهج أستاذه الأحسائي ووافقه الرأي في آل البيت، فهو يقول: «فهم ـ أي أهل البيت ـ معاني الله ومعادن كلماته، وفي عالم العظمة والجبروت هم عظمة الله وجبروته وقدرته ورحمته وكبرياؤه، وفي مقام الربوبية هم ربوبية الله...»[2]. أمّا بخصوص الرزق للعباد من قبلهم فقد أعاد فيه نصّ كلام أستاذه الأحسائي مع تصرّف يسير، فقد قال: «وأمّا الرزق فهو خير ينتفع به صاحب الحياة في حياته وليس لغير الله سبحانه وغير رسول الله وأهل بيته صلى الله عليه وآله أن يمنع الرزق من شخص صاحب الحياة...»[3]. وقال: «يجب أن يعتقد أنّ كل صفة يمكن عن الله نفيها وإثباتها فهي ممكنة لن تليق بذاته، كالخالق؛ فإنّه يعلم بأنّ معنى خالق وغيره من الفعال هم أهل البيت عليهم السلام...»[4]. وقال: «واختصّ اسم الله بالنبي واسم الرحمٰن بالوصي»[5] وقال: «لو قال قائل أنّ محمداً وآله من أعظم الأسباب والشرائط لإيجاد العالم وأهله في خلقهم ورزقهم وحياتهم ومماتهم كما أنّ الملائكة كذلك في التدبيرات الجزئية على القطع واليقين، فأيّ ضرر يخافه؟ وأي محذور يخشاه؟ وأي غلو وكفر يلزمه؟ وأي ضرورة ينكرها؟»[6].

---

(١) شرح الزيارة الجامعة، ص ٢٩١.
(٢) شرح الخطبة التطنجية، ص ١٤٩.
(٣) أصول العقائد، ص ٢٧٤ و٢٧٥.
(٤) انظر: شرح آية الكرسي، ص ٦٠.
(٥) انظر: شرح الخطبة الطنجية، ص ٢٨٥.
(٦) انظر: كشف الحق: مجموعة الرسائل: ٢/ ٥٤.

وسارت مدرسة تبريز خلف قادتها واتّبعت خطى سلفها، فأعاد علماؤها أقوال مشايخهم وأيّدوا آراءهم ومزاعمهم، وتحمّسوا لها، وزادوها توضيحات وأدلة وبراهين. ونكتفي بإيراد نموذجين من أقوالهم وإلاّ فإنّ التصدّي لها وجمع متفرقاتها ممّا لا يسعه هذا المختصر. قال الشيخ موسى الأسكوئي: «إنّ الله خلق صور وهيئات جميع المخلوقات على مقتضى إجابتهم وإنكارهم ولاية الأئمة الطاهرين عليهم السلام لمّا خاطبهم ـ من الأنبياء إلى الجمادات ـ بألست بربكم ومحمد نبيّكم وعلي والأئمة من ولده وفاطمة الصديقة أولياؤكم؟ فمن أجابه بالإقرار والاعتراف والتصديق بهم وبولايتهم خُلِق بصورة حسنة وهيئة طيبة طاهرة، ومن أنكرهم وجحدهم وعاندهم وعاداهم خُلِق بصورة خبيثة وهيئة قبيحة، فهم علة وسبب للصور الحسنة الطيبة والخبيثة القبيحة... فالحلاوة الموجودة في العسل والسكّر والتمر وغيرها رشحة وحكاية من حلاوة أفعالهم وأقوالهم، فبقبول ولايتهم حلّت، وإلاّ كانت أمرّ من العلقم[1]، والصفاء والبهاء الموجود في الشيشة ـ الزجاجة ـ والبلور والألماس فرع صفاء أقوالهم وفاضل بهاء أعمالهم... ولذا لم يكن للنجاسة والقذارة طريق إليهم وإلى فضلاتهم ومدفوعاتهم أحياءً وأمواتاً بوجه من الوجوه إذ خلقت النجاسة والرجاسة والخباثة ونحوها بسبب عدم قبول ولايتهم ومن إنكارها، فكيف تجري عليهم؟ ويحكم في حقهم بها...»[2].

وعقّب على رأي الأحسائي بكون الخلق عبيد رقّ للأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله بكلام طويل، منه قوله: «ومقصوده من هذا الكلام الطويل كون الخلق عبيد رق للمعصومين وإن لم يصرّح به في الأخبار لاحتمال التقيّة وغيره،

(١) سبقه السيد كاظم الرشتي إلى مثل هذا الرأي فقد استدل على أن التنباك من الأشياء المرّة التي أنكرت ولاية الأئمة في رسالته التي كتبها في أجوبة السيد أمجد علي (فهرست كتب شيخ أحمد أحسائي: ٢/ ١٣٥) وسبق الرشتي إلى رأيه أستاذه الأحسائي (شرح الزيارة الجامعة، ص ٢١٤ فقرة من اتبعكم فالجنة مأواه.. إلخ).

(٢) انظر: إحقاق الحق، ص ٢٨٣ و٢٨٤.

ولكنّ بواطنها بانضمام دليل الصقل تدل عليه...» ومن طريف أدلته التي استنبط رأيه من مضامينها كما يقول: أنّ هناك أخباراً صريحة في أنّ الأرض وما يخرج منها للإمام عليه السلام، ولا ريب أنّ آدم وذرّيته نماء الأرض وممّا خرج منها لأنّهم خلقوا عموماً من تراب الأرض إلا من كان للنبي نسباً وصهراً فإنّه بشر خلق من الماء[1].

وقال الشيخ علي الحائري: «... طهرت بهم البلاد وصلحت العباد... فجعلهم محال مشيئته وألسن إرادته وأوعية حكمته وتراجمة وحيه ومظاهر قدرته... فصدرت منهم الكرامات والمعجزات وخوارق العادات والأمور العجيبة والأسرار الغريبة وهم مع ذلك حادثون ومخلوقون ومربوبون محتاجون إلى مدد الله في كل آن وغير مستغنين عنه، فلو انقطع الفيض عنهم آنا لانعدموا وفنوا بأجمعهم... فالقول بأنّهم الخالقون والرازقون والمحيون والمميتون استقلالاً هو الكفر الصريح والغلو والتعطيل... نعم لا يمنعنا من القول بأنّهم أعظم الأسباب والآلات أي مانع... ومن القول بأنّهم وسائط من الله ومجاري فيض الله...»[2]. وقال: «وقسم من الناس مفرطون مقصرون في حقّهم قد أنزلوهم عن مراتبهم التي رتّبهم الله فيها، فبعضهم أنكر فضلهم وجعلهم مساوين مع الخلق وقالوا: إنّهم لا يتمكّنون من أي فعل حتى بأمر الله تعالى، وأثبت لهم الجهل والنقص والعجز بل حكم بعضهم بنجاسة مدفوعاتهم...»[3].

فقوله صريح بأنّه يرى طهارة فضلات الإمام من بول وغائط. وهو رأي لم يسبقوا إليه، فقد قال كثير من القدماء بطهارة ذلك وطهارة ما يخرج من جوف الإمام من الدم. ولذلك في المصادر القديمة فصول طويلة مخزية.

ولم تكن مدرسة كرمان لتختلف عن أختها مدرسة تبريز في التعبير والمعتقد، فالرأي واحد والأقوال متشابهة متوافقة. يقول الحاج محمد كريم خان

---

(١) انظر: إحقاق الحق، ص ٣٥٧.

(٢) انظر: عقيدة الشيعة، ص ٣٦ و٣٧.

(٣) انظر: عقيدة الشيعة، ص ٣٣.

الكرماني: «فهم سلام الله عليهم الذين هم الخلق الأول... وهم العلة المادية والصورية والغائية والفاعلية...»[1].

ويقول الحاج محمد خان الكرماني: «وهم الذين فوّض الله إليهم الأمر في النشأتين، لا بمعنى أنّه تعالى أخلى الأمر أو جعلهم شركاءه نعوذ بالله، بل بمعنى أنّهم أياديه في الصنع فيفعلون ما يشاؤون... فهم الذين يتولون أمر الجنة وينزلون كل أحد منزله وينعمون كل أحد بما ينعمون... لأنّ الشيعة لا يحاسبون: لأنّ ولاية آل محمد عليهم السلام تطهّرهم من كل ذنب وتثبت لهم كل خير...»[2].

ويقول الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي ما تعريبه: «... وإذا كان مشايخنا قد اعتبروا آل محمد صلى الله عليه وآله مشيئة الله أو وجه الله أو قدرة الله أو باب الله أو نحوها من

---

(١) انظر: الفطرة السليمة، ص ٣٢٩.

(٢) انظر: شرح الحديثين، ص ١٤١ ـ ١٤٣. ونقل الحاج محمد خان الكرماني نفسه عن كشكول الشيخ أحمد الأحسائي ما نصه: «عن ابن طاووس سمعت القائم عليه السلام بسرّ من رأى يدعو من وراء الحائط وأنا أسمعه ولا أراه وهو يقول: اللهم إن شيعتنا خلقوا منّا ومن فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولايتنا اللهم اغفر لهم من الذنوب ما فعلوه اتكالاً على حبّنا وولّنا يوم القيامة أمورهم ولا تؤاخذهم بما اقترفوه من السيئات إكراماً لنا ولا تقاصصهم يوم القيامة مقابل أعدائنا وإن خفّت موازينهم فثقلها بفاضل حسناتنا...» انظر: (كتاب المبين: ١/ ٣٦٣).
وقد عرف السيد ابن طاووس بالقدسية وغاية الورع وبالكرامات ولقاء الإمام ويعبّر عنه منذ قرون بـ «جمال السالكين» وفي الحقيقة أنه وأمثاله هم الذين جرّوا الطائفة إلى الوبال وعمّقوا جذور هذه المعتقدات ولا أدري كيف عرف ابن طاووس أن هذا صوت الإمام؟ وهب أنه رآه فهل كانت له به معرفة من قبل فإذا رآه عرف أنه هو؟ وهل قد تحدث إليه قبل ذلك ليعرف صوته؟ ثم أليس من العار على الإمام أن يطلب من الله عدم معاقبة الجاني والمجرم الذي اتكل على حبّه وركن إلى شفاعته تشجيعاً له؟ كيف غفل ابن طاووس عن هذا ورضي للإمام أن يهبط إلى ذلك المستوى وهو أرفع منه؟
ثم أنّى ذلك من قول الإمام الصادق عليه السلام لولده إسماعيل وقد سأله: ما حال المذنبين منا؟ فقال: «ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجد من دون الله ولياً ولا نصيراً» وقوله «ليس بين الله وبين أحد قرابة إنّ أحبّ الخلق إلى الله أتقاهم له وأعملهم بطاعة الله والله ما يتقرّب العبد إلى الله عز وجل إلا بالطاعة، ما معنا براءة من النار ولا على الله لأحد من حجّة من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو ولا تنال ولايتنا إلا بالورع والعمل الصالح». انظر: (اعتقادات الصدوق / ١٠٧) ورحمناه لأهل بيت محمد من رواة أحاديثهم.

التسميات والتعابير؛ فهي نصوص بعض الأخبار ومضامينها، وهي ما أراده آل محمد عليهم السلام أنفسهم، وإلا فلم يقولوا بوجود شريك لله معاذ الله، أو مقالة الغلاة...»[1].

والخلاصة أنّ علماء الشيخية قديماً وحديثاً قد تجاوزوا الحدّ في حبّ وتقديس الأئمة من آل محمد عليهم السلام، وغالوا في حبّهم وفوّضوا إليهم بعض الأمور، وهم وإن أكّدوا سلفاً وخلفاً على أنّهم قد فوضوهم تفويض مشيئة امتثالاً لأمر الله، لا تفويض شراكة أو استقلال، لكنّهم مع ذلك مخالفون لأوامر الأئمة ونصوص الأحاديث الصحيحة الواردة عنهم في النهي عن ذلك والاستنكار على فاعله. فقد قال الإمام الرضا عليه السلام: «من زعم أنّ الله عزّ وجلّ فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه فقد قال بالتفويض، والقائل بالتفويض مشرك»[2]، وكذلك ما رواه عنه ياسر الخادم قال: «قلت للرضا ما تقول في التفويض؟ قال إنّ الله فوّض إلى نبيّه أمر دينه فقال: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ [الحشر/٧] فأمّا الخلق والرزق فلا... ثم قال: إنّ الله عزّ وجلّ خالق كل شيء وهو يقول تعالى: ﴿**الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون..**﴾ [الروم/٤٠][3].

وقد روى الطبرسي: أنّ كتاباً أرسل إلى المهدي المنتظر (عج) على يد محمد بن علي الكرخي حول علم الأئمة عليهم السلام بالغيب، فخرج الجواب بنفي ذلك وفيه شكوى من غلاة الشيعة، ومنه قوله: «تعالى الله عز وجل عما يصفون... ليس نحن شركاؤه في علمه ولا في قدرته بل لا يعلم الغيب غيره... قد آذانا جهلة الشيعة وحمقاؤهم ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه... إنّي بريء إلى الله ورسوله ممّن يقول أنّا نعلم الغيب أو نشارك الله في ملكه أو يحلّنا محلاً

(١) انظر: فلسفية، ص ١٤١.
(٢) عيون أخبار الرضا، ص ١١٧.
(٣) المصدر نفسه.

غير الـذي نصّبه الله لنا وخلقنا له. . . هذا الكتاب أمانة في عنقك وعنق من سمعه أن لا يكتمـه علـى أحد من موالي وشيعتي. . . لعل الله يتلافاهم فيرجعوا إلى دين الله الحق وينتهوا عمّا لا يعلمون منتهى أمره. . .»[1].

وصحيـح أنّ كـتب الحديث قد ضمّت في تضاعيفها الكثير من الأخبار التي سمـت بـآل محمـد ﷺ فـوق مـا يـنبغي، لكنّ التسليم بها على ما هي عليه من الظـاهـر اللفظـي أمر لا يقرّه العقل ولا يقبله المنطق، فيجب النظر في حال رواتها والتأكّد من صدقهم وسلامة قصدهم.

وهنـاك أحـاديث رويت عن الأئمة أذنوا فيها لشيعتهم بالثناء عليهم وفسحوا لـهم المجـال لـقول ما شاؤوه فيهم على أن لا يبلغوا درجة الربوبية، كقول الإمام علـي عليه السلام: «يا أبا ذر أنا عبدالله وخليفته على عباده لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنـا مـا شئتـم فـإنـكم لا تبلغـون كنـه ما فينا ولا نهايته. . . ولو ظهرت للناس بصورة واحدة لهلك فيّ الناس لقالوا هـو لا يزول ولا يتغيّر وإنّما أنا عبد من عبيد الله عز وجل لا تسمّونا أرباباً وقولوا فـي فضلنا ما شئتم فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر. . .»[2]. وفي تضاعيف خطب الإمام ما يفيد ذلك أيضاً.

ويـنسب إلى الإمام الصادق عليه السلام قوله لكامل التمّار: «يا كامل اجعلوا لنا ربّـاً نـؤوب إليـه وقـولـوا فينـا مـا شئتـم. قـال قلت: نجعل لكم رباً تؤوبون إليه ونقول فيكم ما شئنا؟ فاستوى جـالسـاً وقـال: وما عسى أن تقولوا؟ والله ما خرج من علمنا إليكم إلا الألف غير معطوفة»[3].

فنظيـر هـذه الأحاديث كثير، فالواجب أن يطول عندها التأمّل ويتروّى الفكر ليميّز بين المقبول والمردود ويفرّق بين الموافق والمخالف ولئلاّ ينحرف فيتجاوز

(١) الاحتجاج، ص ٤٩.
(٢) بحار الأنوار: ٨/ ١٦٢. و: العوالم، ص ١٤٥ وغيرهما.
(٣) بصائر الدرجات، ص ٩٦.

الحدّ الذي وضع له. فليس معنى الغلو أن يتجاوز الإنسان في آل محمد عليهم السلام إلى مقام النبوّة والألوهية فقط بل إنّ ما دون ذلك بمراحل هو من الغلو أيضاً فله درجات ومقامات. والحادث لا يمكن أن يكون في حال من الأحوال شريكاً أو مفوّضاً أو وكيلاً أو مأذوناً في إحداث أمر من الأمور. وعلينا أن لا نرسل تلك الأحاديث والأقوال ـ إن صحت نسبتها إلى أصحابها ـ إرسال المسلّمات، لا سيما ما يظهر محتاجاً إلى التأويل وفق ما يرتضيه العقل السليم والمنطق ويوافق الشرع.

إنّنا نعتقد أنّ الأئمة من آل محمد عليهم السلام هم الفرد الأكمل من بني الإنسان، وأنّ لهم في العلم والعمل والزهد وخشية الله تعالى والإخلاص لله وللدين وخدمة المثل الإنسانية والمعرفة مقاماً لا يضاهيهم فيه مخلوق مهما بلغ من درجات الكمال. وقد ورثوا من جدّهم الرسول صلى الله عليه وآله علمه وطهره وقدسه، فهم أوصياؤه وخلفاؤه ونوّابه في تأدية رسالة الإسلام ورفع راية القرآن ونشر أحكام الدين وتهذيب نفوس الخلق. أمّا ما فوق ذلك من أنّهم يستطيعون أن يخلقوا ويميتوا أو يعطوا ويمنعوا فهو ما لم نؤمر به؛ بل لم يُسمح لنا به. وقد ورد النهي عنه على لسان غير واحد من الأئمة أنفسهم، فيجب أن لا يقرّه مسلم ولا يقبله مؤمن بالله وعارف به.

ويمكن القول بأنّ جانباً من الدعوة الوهابية التي ظهرت في الحجاز في مطلع القرن الماضي، والتي رفعت شعار العودة بالإسلام إلى أصوله الأولى وإلى سيرة السلف الصالح كما يصطلح عليه رجالها قد كان ردّ فعل معاكس لمثل هذه المعتقدات، وللمبالغة في تقديس ضرائح الأئمة وقبور الأولياء والخضوع والخشوع عندها والتقرّب بهم إلى الله زلفى عند الشيعة والسنة. فقد اعتبرت ذلك كله شركاً بالله واستعانة بسواه ممّن لا يملك لنفسه ضرّاً ولا نفعاً ولا حياة ولا نشوراً. غير أنّها دعوة قامت بالسيف واتّصفت بالهمجية واقترنت بسفك الدماء وتخريب الديار وهتك الحرمات. فارتفعت الأصوات معلنة استنكارها من الشيعة والسنة ونشرت الردود عليها من الفريقين، ولو أنّها اتّزنت في إعلان الدعوة

والتزمت بالعقل في نشرها ولجأت إلى الحجة والمنطق لكان لبعض أفكارها في غير الحجاز أنصار ومؤيدون وأتباع ومروّجون أكثر ممّا هو الآن، لكنّها عالجت الفاسد بالأفسد ـ كما يقولون ـ فصبّت عليها النقمة وباءت بالغضب.

رابعاً: الإمام الناطق والركن الرابع:

المعروف أنّ هذه المسألة تخصّ مدرسة كرمان وحدها، ولذلك سمي شيخية كرمان بـ «الركنية» وليس لها علاقة بمدرسة تبريز بالمرّة فما هي هذه المسألة؟ وهل لها في مؤلفات الأحسائي وخليفته الرشتي جذور؟ أم ابتكرها الحاج محمد كريم خان الكرماني وتفرّد بها وقال بها أتباعه من بعده؟ ذلك ما نحاول كشفه ومعرفته في هذه الصفحات.

إنّ توضيح هذا الموضوع يحتاج إلى مقدمة وهي: أنّ أصول الدين عند الشيعة خمسة:

١ ـ التوحيد: وهو معرفة الصانع والاعتقاد بوحدانيته واستقلاله في الألوهية وعدم وجود شريك له في حكمه وتقديره وعطائه ومنعه. وأمر التوحيد عند الشيعة على جانب كبير من الأهميّة. ولعلمائهم قديماً وحديثاً مؤلفات خاصة وفصول طويلة أوضحت فيها مسائله بدقّة وبحثت مراتبه ودرجاته.

٢ ـ العدل: والمراد منه ـ كما هو واضح ـ كون الله تعالى عادلاً لا يظلم أحداً من عباده ولا يصدر عنه فعل يستقبحه العقل السليم. ولم يكن العدل أصلاً مستقلاً من أصول الدين، وإنّما كان شأنه شأن غيره من شؤون التوحيد ومستلزماتها من الصفات. فهو مندرج فيها، لكن الأشاعرة لما خالفوا العدليّة ـ يعني المعتزلة والإمامية ـ أنكروا الحسن والقبح العقليين وقالوا بأنّ الحسن ما حسّنه الشرع والقبح ما قبّحه الشرع، ولو شاء الله أن يدخل المطيع من عباده في جهنّم والعاصي في الجنة لم يكن في ذلك شيء من القبح لأنّه يتصرّف في ملكه و ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء/ ٢٣].

أمّا العدلية فقالوا: إنّ الحاكم في تلك النظريات هو العقل مستقلاً ولا سبيل لحكم الشرع فيها إلا بنحو التأكيد والإرشاد، والعقل يستقلّ بحسن بعض الأفعال وقبح البعض الآخر، ويحكم بأنّ القبيح محال على الله لأنّه حكيم وفعل القبيح مناف للحكمة، وتعذيب المطيع ظلم والظلم قبح وهو ما لا يصدر عن الله. وأثبتوا لله صفة العدل عن هذا الطريق وأفردوها بالذكر دون سائر الصفات إشارة إلى خلاف الأشاعرة وعرفوا على أثرها بالعدلية. مع أنّ الأشاعرة في الحقيقة لا ينكرون كونه تعالى عادلاً؛ إلا أنّ العدل عندهم ما يفعله الله وكل ما يفعله الله حسن. نعم أنكروا ما أثبته الإمامية والمعتزلة من حكومة العقل وإدراكه للحسن والقبيح على الله زاعمين بأنّه ليس للعقل وظيفة الحكم بأنّ هذا حسن من الله وهذا قبيح منه.

وقد بنت العدلية وأثبتت على قاعدة الحسن والقبح العقليين جملة من القواعد والمسائل الكلامية، كقاعدة اللطف، ووجوب شكر المنعم، ووجوب النظر في المعجزة، ومسألة الجبر والاختيار وغيرها[1].

٣ ـ النبوّة: ومعناها الاعتقاد بأنّ النبي محمداً ﷺ خاتم النبيين وسيد الرسل وأنّه معصوم من الخطأ والخطيئة، وأنّ جميع الأنبياء الذين نص عليهم القرآن رسل من الله وعباد مكرمون بعثوا لدعوة الخلق إلى الحق وأنّ الكتاب

---

(١) انظر: أصل الشيعة وأصولها ١٠٩ ـ ١١٠، ط ١٥. وللتفاصيل في نظرية التحسين والتقبيح العقليين تراجع المصادر الآتية:
١ ـ التفتازاني: التوضيح لمتن التنقيح: ١/ ١٧٢.
٢ ـ الأصفهاني: هداية المسترشدين. ط حجرية.
٣ ـ محمد رضا المظفر: أصول الفقه: ٢/ ٢٣٨.
٤ ـ عضد الدين الأيجي: شرح المواقف: ٢/ ٣٩٣.
٥ ـ عبد الجبار المعتزلي: شرح الأصول الخمسة: ١/ ٣١٠.
٦ ـ رشدي عليان: العقل عند الشيعة / ١٣٢.
٧ ـ أبو الحسين البصري: المعتمد ٢/ ٩.
٨ ـ د. محمد شريف أحمد: القانون الطبيعي عند المسلمين.
٩ ـ د. حمد الكبيسي: أصول الأحكام / ٢٥٨.
١٠ ـ د. مصطفى الزلمي: أصول الفقه: ٢/ ٦٩.

الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله على رسوله محمد وأنّه لا تحريف فيه ولا زيادة ولا نقصان، وأنّ كل ما جاء فيه أو ورد على لسان النبي محمد ﷺ حق وصدق فحلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

٤ ـ الإمامة: وهذا الأصل من زيادات الشيعة الإمامية، فيجب عندهم الاعتقاد بأنّ الإمامة منصب آلهي كالنبوّة، فكما أنّ الله يختار من يشاء من عباده للنبوّة والرسالة فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيّه بالنصّ عليه وأن ينصّبه إماماً للناس من بعده ليقوم بالوظائف التي كان النبي يقوم بها. سوى أنّ الإمام لا يُوحَى إليه كالنبي، وإنّما يتلقّى الأحكام منه مع تسديد إلهي، فالنبي مبلّغ عن الله والإمام مبلّغ عن النبي. ويشترطون في الإمام العصمة كالنبي، وإلاّ زالت الثقة به، ويرون أنّ قوله تعالى: ﴿**إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذرّيتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾ [البقرة/ ١٢٤] صريح في لزوم العصمة في الإمام.

وقد امتازت الإمامية عن سائر فرق المسلمين بهذا الأصل وهو الفرق الجوهري بينها وبينهم، وما عداه من الفروق فرعي عرضي لا يختلف عن سائر الفروق التي تقع بين أئمة الاجتهاد عندهم، فمن اعتقد بالإمامة فهو عندهم مسلم مؤمن بالمعنى الأخصّ، وإذا اقتصر على الأصول الأربعة الباقية فهو عندهم مسلم مؤمن بالمعنى الأعمّ تترتّب عليه جميع أحكام الإسلام من حرمة دمه وماله وعرضه ووجوب حفظه وحرمة غيبته وغير ذلك. لا أنّه بعدم الاعتقاد بالإمامة يخرج عن كونه مسلماً. وإنّما يعتقدون بأنّ أثر التديّن والقول بالإمامة يظهر في منازل القرب يوم القيامة، أمّا في الدنيا فالمسلمون بأجمعهم سواء وبعضهم لبعض أكفّاء، لكن تتفاوت درجاتهم ومنازلهم في الآخرة حسب النوايا والأعمال. وهذا أمر علمه إلى الله ولا مساغ لأحد من الخلق للبتّ فيه.

والإمامة عند الشيعة متسلسلة في اثني عشر إماماً ينصّ كل سابق منهم على اللاحق، وبه لقّبت الطائفة بالإمامية إذ ليس كل الشيعة تقول بذلك، فاسم الشيعة

يطلق على الزيدية والإسماعيلية والواقفة والفطحية وغيرهم من الداخلين في حظيرة الإسلام، أمّا لو توسّعنا في الإطلاق والتسمية حتى للملاحدة الخارجين عن حدوده كالخطابية وغيرهم لأصبحت فرق الشيعة بالعشرات على أنّ أكثر أولئك قد انقرض[1] ولم تبق إلا الأسماء، ومن بقي من الداخلين في حظيرة الإسلام كالزيدية والإسماعيلية فإنّما يعرف باسمه الخاص. ويختصّ اسم الشيعة اليوم على إطلاقه بالإمامية التي تمثّل أكبر طائفة في المسلمين بعد طائفة السنة.

والقول بالاثني عشر ليس بغريب على أصول السنة أيضاً، فقد روى البخاري وغيره حديثهم في صحاحهم بطرق متعددة. والأئمة عند الشيعة كما يلي:

١ ـ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولد عام ٢٣ قبل الهجرة ٥٩٩، واستشهد سنة ٤٠هـ ـ ٦٦٠م.

٢ ـ الإمام الحسن بن علي عليه السلام ولد عام ٢هـ، ٦٢٠، وتوفي ٥٠هـ ـ ٦٧٠م.

٣ ـ الإمام الحسين بن علي الشهيد عليه السلام. ولد عام ٣هـ، ٦٢٤، واستشهد عام ٦١ ـ ٦٨٠.

٤ ـ الإمام علي بن الحسين عليه السلام ويعرف بزين العابدين ويلقّب بالسجّاد، ولد ٣٨هـ ـ ٦٥٨، واستشهد عام ٩٥ ـ ٧١٣.

٥ ـ الإمام محمد بن علي عليه السلام الملقّب بالباقر، ولد ٥٧ ـ ٦٧٦، وتوفي ١١٤ ـ ٧٣٢.

٦ ـ الإمام جعفر بن محمد عليه السلام الملقب بالصادق، ولد سنة ٨٣هـ ـ ٧٠٢، وتوفي ١٤٨ ـ ٧٦٥.

٧ ـ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام الملقب بالكاظم، ولد ١٢٨ ـ ٧٤٥، وتوفي ١٨٣ ـ ٧٩٩.

---

(١) انظر: فرق الشيعة، ص ٨٣ و: الفرق والمقالات، ص ١٤٢.

٨ ـ الإمام علي بن موسى عليه السلام الملقّب بالرضا، ولد ١٤٨ ـ ٧٦٥، وتوفي ٢٠٣ ـ ٨١٨.

٩ ـ الإمام محمد بن علي عليه السلام الملقّب بالجواد، ولد ١٩٥ ـ ٨١٠، وتوفي ٢٢٠ ـ ٨٣٥.

١٠ ـ الإمام علي بن محمد عليه السلام الملقّب بالهادي، ولد ٢١٢ ـ ٨٢٧ وتوفي ٢٥٤ ـ ٨٦٨.

١١ ـ الإمام الحسن بن علي عليه السلام الملقب بالعسكري، ولد ٢٣٢ ـ ٨٤٦، وتوفي ٢٦٠ ـ ٨٧٣.

١٢ ـ الإمام محمد بن الحسن عليه السلام الملقب بالمهدي المنتظر وبصاحب الزمان (عج) ـ، ولد ٢٥٦ ـ ٨٦٩. وغاب عن الأنظار ٢٦٠ ـ ٨٧٣.

ويعتقد الإمامية بأنّ الله لا يخلي الأرض من حجة على العباد من نبي أو وصي ظاهر مشهور أو غائب مستور. كما يعتقدون بأنّ الإمام الثاني عشر قد غاب عن الأنظار خوفاً من أعدائه، وأنّ له غيبتين صغرى وكبرى، أمّا الصغرى: فكان له فيها نائب توجّه الأسئلة إليه بواسطته وتصدر أجوبتها عن طريقه، وقد تولّى تلك النيابة أربعة بالتوالي هم:

١ ـ عثمان بن سعيد العمري، وكان من خاصة آبائه.

٢ ـ ابنه محمد بن عثمان العمري.

٣ ـ الحسين بن روح.

٤ ـ علي بن محمد السمري.

وكان أصحاب الحاجات يقصدون النائب فيسألون حاجتهم عن طريقه أو يقدمون أسئلتهم إليه فتخرج التواقيع بأجوبتها. وأخيراً خرج للسمري النائب الرابع توقيع نصّه: «بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجرك وأجر إخوانك فيك فإنّك ميت ما بينك وبين الموت ستة أيام فاجمع أمرك

ولا تـوص إلـى أحـد يقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة العامة ولا ظهور إلا بـإذن الله تعـالى وذلـك بعـد طـول الأمـد وقسـوة القلـب وامتـلاء الأرض جوراً. . .».

وقـد وقـع علـى أثـر ذلـك مـا سمي بالغيبة الكبرى، وأُحِيل أمر الشيعة بعد أئمتهـم وبـأمـرهـم إلـى فقهـاء الطائفـة وعلمائها. قال الإمام الصادق عليه السلام في الحديث المشهور بمقبولة ابن حنظلـة: «انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإنني قد جعلته عليكم حـاكمـاً فـإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما بحكم الله استخفّ وعلينا ردّ والرادّ علينـا كـالـرادّ علـى الله وهـو علـى حـدّ الشـرك بـالله عـزّ وجـلّ»[1] وقال الحجة المنتظر (عـج) لمّـا سُئِل عمّن يجب الرجوع إليه في الغيبة الكبرى فقال: «من كان من الفقهاء صائنـاً لـنفسه حـافظـاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّـدوه»[2]. وقـال: «وأمـا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم»[3].

ومن هنا جاء وجوب الاجتهاد في المسائل الفرعية عند الشيعة في عصر غيبة الإمام على كل فرد. لكنّهم نصّوا على أنّه واجب كفائي إذا انصرف إليه ونهض به من به الكفاية سقط عن الباقين واكتفي به ورجع إليه سائر الناس وقلّدوه في مسائل الـديـن الـفرعيـة. ورتبـة الاجتهاد والأهلية للتقليد ليست أمراً سهلاً بل هي منزلة رفيعة لا ينالها إلا ذو حـظ عظيـم. والاجتهـاد هو النظر في الأدلة الشرعية ـ يعني الكتـاب والسنـة والإجمـاع والعقـل علـى التفصيل المذكور في كتب أصول الفقه ـ لتحصيـل معـرفـة الأحكـام الـفرعية التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله وهي ثابتة لا تتغيّر بتغيّر الزمان والأحوال. وتحصيل تلك الرتبة يحتاج إلى كثير من المعارف والعلوم التي لا تتهيأ حتى لكل من جدّ واجتهد.

---

(١) الكافي: ٣/ ٥٢.
(٢) الكافي: ٣/ ٥٤.
(٣) المصدر نفسه: ٣/ ٥٥.

ولذلك كان للمجتهد الجامع للشرائط عند أغلب الشيعة الإمامية شأن كبير، فهم يعتقدون أنّه نائب الإمام وليس مرجعاً للإفتاء في الأحكام فقط، بل هو الرئيس المطلق وله الولاية العامة يرجع إليه في الحكم والفصل والقضاء. فذلك من مختصاته التي لا يجوز لأحد أن يتولاّها دونه إلاّ بإذنه. كما يرجع إليه في الحقوق الشرعية المفروضة وفي الأموال التي هي من حقوق الإمام ومختصاته. وهذه المنزلة والرياسة العامة هي التي أعطاها الإمام عليه السلام للمجتهد الجامع للشرائط ليكون نائباً عنه في حال الغيبة ولذلك يسمّى «نائب الإمام»[1].

٥ ـ المعاد أو يوم القيامة: وهو الأصل الأخير من أصول الدين حيث يعتقد الشيعة بأنّ الله تعالى يعيد الخلائق يوم القيامة للحساب والجزاء ويجزيهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره﴾ [الزلزلة/ ٧ و٨] ويعتقدون بما وراء ذلك من ميزان وصراط وجنة ونار وعذاب ونعيم وغيرها ممّا ذكرت تفاصيله في محلّها.

وأما فروع الدين عند الشيعة فهي عشرة كما يلي:

١ ـ الصلاة ٢ ـ الصوم ٣ ـ الزكاة ٤ ـ الخمس ٥ ـ الحج ٦ ـ الجهاد ٧ ـ الأمر بالمعروف ٨ ـ النهي عن المنكر ٩ ـ موالاة أولياء آل محمد ١٠ ـ معاداة أعدائهم.

تلك هي أصول الدين الخمسة وفروعه العشرة عند الشيعة الإمامية، وقد يظنّ لأول وهلة أنّه ليست هناك حاجة لعرضها والتطويل فيها لكنّنا إذا دخلنا في تفصيلات ما ينسب إلى الشيخية في هذا الباب علمنا ضرورة التطرق لها والتوسّع في خصوص مسألتي العدل والإمامة. وقسّم الحاج محمد كريم خان كتابه «إرشاد العوام» على هذا النحو كما صرّح في مقدمته.

تختلف الشيخية الكرمانية عن باقي الشيعة في هذه المسألة قبل كل شيء في أنّ أصول الدين عندهم أربعة: ١ ـ معرفة الله ٢ ـ معرفة النبي ٣ ـ معرفة

(١) عقائد الإمامية، ص ٣٢ ـ ٣٥.

الإمام ٤ ـ معرفة الركن[١]. والملاحظ أنّهم لم يعدّوا العدل والمعاد من أصول الدين بل أسقطوهما وزادوا معرفة الركن. وهم يعبّرون عن الأصول بالأركان. وجوابهم على المعترضين: إنّ الأصل الأول الذي هو معرفة الله يقتضي معرفة صفاته الذاتية التي لا يجوز نفيها عنه كالقدير والعادل والسميع والعليم ونحوها، وصفاته الفعلية كالخالق والرازق والمحيي والمميت وأمثالها. ولذلك لم يذكر أحد من العلماء القدامى شيئاً من الصفات في أصول الدين لأنّها جزء من معرفة الله وداخلة ضمن ركن التوحيد، وإنّما أفردها البعض في الذكر في مقابلة الجبرية من السنة[٢]. وإذا لزم اعتبارها أصلاً على حدة وجب اعتبار باقي الصفات أصولاً كذلك. ولمّا اختار شيوخ كرمان معرفة الله وجعلوها الركن الأول استغنوا عن ذكر سائر الصفات في المختصرات اللفظية[٣].

وواضح أنّهم لم ينكروا العدل وينفوه عن الله تعالى، وهم إذا ما تعرّضوا لأصول الدين ذكروا كل صفة من صفات الله وبرهنوا عليها وخاصة العدل. فقد كتب فيه زعيم المدرسة الحاج محمد كريم خان الكرماني بحثاً طويلاً في بعض كتبه العقائدية[٤].

أمّا مسألة المعاد فهم يقولون بأنّه من ضروريات الإسلام ويرون منكره كافراً. وقد أوضح مشايخهم ذلك في أغلب مؤلفاتهم. لكنّهم يرونه من فروع ركن النبوة. فالاعتراف بالنبي يقتضي الاعتراف بكل ما جاء به؛ ومنه المعاد. وإذا لم يكف الاعتراف بالنبوة عن ذكر المعاد لزم أن يعدّ غيره ممّا جاء به النبي كالرجعة مثلاً أصلاً من أصول الدين في حين أنّ إنكار أيّ قول ممّا جاء به النبي مع العلم به إنّما هو إنكار للنبي[٥].

---

(١) انظر: هدية النملة إلى مجدّد الملة، ص ١٣.
(٢) انظر: فلسفية، ص ٢٠٤ و٢٠٥.
(٣) انظر: الأنوار الجلية في رفع الشبهات عن الشيخية، ص ١٠ و١١.
(٤) انظر: الفطرة السليمة، ص ٨٥ ـ ٩٥.
(٥) انظر: فلسفية، ص ٢٠٤.

أما مسألة الركن الرابع[1] ومعناه وسبب زيادته فهي عندهم أم المسائل ورأس المشاكل فما هو المقصود منه؟

لقد نسب إلى الشيخية القول بأنّه لا بدّ في كل زمان من شخص ظاهر ـ غير إمام الزمان الغائب ـ يكون عالماً بكل ما يحتاج إليه الناس وتكون له الوساطة بين إمام الزمان ورعيّته، ويجب على جميع أهل العلم دعوة الخلق إليه وليس لغيره من أهل العلم أن يتصدّى للأمور العامة إلا بأمره، وسمّوه بالناطق، والنائب الخاص، والقطب، والركن الرابع[2] وقد اعتبر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء مجرد التسمية بالركن الرابع من الكلمات التي يظهر منها كفر الشيخية مع اعترافه بأنّهم يؤولونها ويحملونها على ما لا ينافي العقائد الصحيحة[3].

قال الشيخ محمد رضا الهمداني: «قالت الشيخية: لا بدّ في كل زمان من إمام زمان غير الأئمة الاثني عشر... فتارة يعبرون عنه بالشيعة، وتارة بالنقباء

---

(١) يقال أن الشيخ مرتضى الأنصاري سئل عن الركن الرابع فقال: «هو في النجاسات» (أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة، ص ٣٠٩/ ط٢) وهو اصطلاح فقهي ألفه العلماء قديماً وحديثاً في تقسيم المواضيع الفقهية والأحكام الشرعية فهم يقسمون علم الفقه إلى عبادات ومعاملات يبدأ مجموعها بكتاب الطهارة التي هي مقدمة الصلاة وتنتهي بكتاب الديات وكتاب الطهارة أركان رابعها في النجاسات. والمعتقد أن الشيخ الأنصاري أرفع من ذلك وأجلّ من أن يتلفّظ به من الوجهة الأدبية أولاً والشرعية ثانياً فهو الذي بلغ تحرّجه وتثبته في الحكم حداً جعله يتوقّف عن إصدار الحكم بكفر الباب عندما أعلن دعوته وحكم الفقهاء بكفره. لأنه لم يكن ليقف على حقيقة معتقداته وآرائه. هذا والأنصاري تلميذ الشيخ أغا الدربندي الذي حكم بكفر الشيخ أحمد الأحسائي (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ١٣٨).
نعم عبّر بذلك أحدهم ـ ولم يذكر اسمه ـ في كتاب بعث به إلى الشيخ محمد الخالصي أيام إعلانه الحرب على الشيخية ومنعه الشيخ أبي القاسم الإبراهيمي زعيم شيخية كرمان من دخول حرم الإمامين في الكاظمية وكان ورد العراق زائراً ـ وتصديه لإصدار الكتب والنشرات ضدهم. قال: «وطوّحتم بصنمهم هذا إلى حيث الركن الرابع وهو النجاسات فتمرّغ بها وأصبح غاطساً بها إلى أمّ رأسه وصار لا يرى نفسه قادراً على الخروج من هذا الوحل النجس..» (الشيخية والبابية أو المفاسد العالمية / ١٤٣).

(٢) مجلة البيان النجفية / السنة الأولى، ص ٦١٨.

(٣) الأنوار الجلية في رفع الشبهات عن الشيخية، ص ٥.

والنجباء، وتارة بالركن الرابع، وتارة بالباب... وجعلوا معرفة الركن الرابع أصلاً من أصول الدين فنسبوا منكره إلى الناصبية... وقالوا: إنّ هذا الركن من الإيمان كان مخفيّاً حتى أظهره الشيخ أحمد ثم السيد كاظم ثم كريم خان، فمن لم يعرفهم ولم يحبّهم مات ميتة جاهلية وميتة كفر ونفاق... وقالوا في صفات الركن الرابع ما لا يقصر عن صفات الرسل والأئمة. قال رحيم خان في منظومته لـ «هداية الصبيان» تأليف أبيه كريم خان: «قد رتشان قدرة يزدان بود»[1] وقال: لهم السلطنة على العالم والقدرة الإلهية على التصرّف فيما يشاؤون. ويقولون صريحاً بوجوب الباب للإمام وإن كانوا. بنفونه عن السيد علي محمد الشيرازي فالنزاع في الموضوع دون الحكم...»[2].

وقال الشيخ مرتضى كاشف الغطاء: «يُحكَى عن بعضٍ أنّه يزعم أنّ الذات الأحديّة ذات غيبية لا حدّ لها ولا رسم. وما لا حدّ له ولا رسم عنده خارج عن صقع العابد فلا يمكن عبادته، غير أنّ لهذه الذات مظاهر تظهر عند احتياج العالم الإمكاني للنبوة نبياً وللإمامة إماماً وللولاية ولياً. فالولي ركن رابع للذات الغيبية والنبوّة والإمامة والمعبود. والمعبود كل في صقعه. فالمعبود في نحو أعصارنا لاحتياجنا للشرع الباطن على ادعائه هو الولي وأنّه هو المخاطب بـ «إياك نعبد وإياك نستعين». فإنّي وإن لم أقف على كلمات زاعم ذلك إلا أنّه على فرضه فممّا يجب اجتنابه واجتناب أتباعه»[3].

وقال الشيخ محمد التنكابني ما تعريبه: «... ألف الشيخ أحمد الأحسائي رسالة في أنّ المصلي عندما يقرأ في سورة الحمد قوله تعالى «إياك نعبد وإياك نستعين» يجب أن يقصد بالخطاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأنّ الله مجهول الكنه وما نتصوّره به في الذهن إنّما هو مخلوق ذهني. وقد قال الصادق عليه السلام:

---

(١) يعني أن قدرتهم قدرة الله.

(٢) هدية النملة إلى مجدّد الملة، ص ٢٧، ٣٨ و٣٩.

(٣) فوز العباد، ص ٣٥.

كلما ميزتموه بأوهامكم بأدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم. ولذا يجب أن يُراد وجه الله الذي هو الإمام علي عليه السلام»[1].

وقال السيد مهدي القزويني: «ومن جملة عقائدهم القول بالناطق الذي هو لزوم رجل عالم بكل شيء في كل زمان. ولقد ضلّل موسى التركي وحبيب بن قرين[2] كريم خان ومن تابعه في هذه العقيدة طلباً للرياسة وحصراً لمال الدنيا فيهما وهما... يعلمان علماً يقيناً بأنّ القول بالناطق لم يخترعه كريم خان من نفسه، بل تلقّاه من السيد كاظم عن الشيخ أحمد... فيجب علينا بيان حقيقة الحال ليعلم أنّ الكل منهم في هذه المسألة مفتر ضال...»[3].

وقال الشيخ محمد رضا الهمداني: «قالت الشيخية: الذات ذاتان: ذات غيبية باطنية لا اسم لها ولا رسم ولا توصف ولا تكليف على العباد بمعرفتها وتوحيدها وعبادتها. وقالوا: إنّ المعرفة فرع إدراك المعبود والعبادة فرع إدراك المعبود فيجب أن يكون المعروف في صقع العارف والعابد حتى يعبد بجسمه جسم المعبود وبنفسه نفس المعبود وبعقله عقل المعبود وبفؤاده فؤاد المعبود. فهناك ذات ظاهرة، معرفتها تُسمّى بمعرفة البيان وهي المتعلقة بها المعرفة والعبادة وهي في مقام النبوة نبوة وفي مقام الإمامة إمام وفي مقام الركن الرابع ركن رابع. قالوا: إن الخطاب في «إياك نعبد وإياك نستعين» إلى النبي والإمام والركن الرابع. صرّح به الشيخ أحمد الأحسائي والسيد كاظم الرشتي والعبد الأثيم[4]...، ولا يخفى على موحّد كونهم مشركين في مقالتهم هذه وهي التي دعتهم إلى مصاحبتهم لصور مشايخهم وجعلها في محال سجودهم...»[5].

---

(١) قصص العلماء، ص ٣٤.

(٢) يقصد الشيخ موسى الأسكوئي صاحب «إحقاق الحق» والشيخ حبيب قرين وهما من علماء شيخية تبريز التي تدعي بأن القول بالإمام الناطق والركن الرابع من مختصات شيخية كرمان.

(٣) بوار الغالين، ص ١٦٩.

(٤) تحقير وإهانة للكرماني فقد اعتاد أن يوقّع: «العبد الأثيم محمد كريم» وهو ديدن العلماء قديماً وحتى الآن فهم يتواضعون بقول: الجاني، أو الأقل، أو الأحقر كبيراً للنفس.

(٥) هدية النملة إلى مجدد الملة، ص ٤ ـ ٦.

وقال الشيخ موسى الاسكوئي: «المراد بوحدة الناطق عند من قال بها، لزوم وجود رجل واحد ناطق غير إمام الزمان في كل عصر وأوان... عالم بكل العلوم، ومتصرف في الكون وواسطة بين الإمام والرعية في إيصال الفيوضات الكونية والشرعية من الإمام إلى محاله من الخلق... ولا يجوز لأحد من العلماء مع وجوده ادعاء استقلال واجتهاد؛ بل يجب عليهم أن يدعوا الخلق إليه، ويجب على جميع المكلفين معرفة ذلك... ويسمّون هذا الرجل في كتبهم ورسائلهم بأسماء عديدة: كالناطق، والإمام، والنائب الخاص، والشيخ، والسلطان، والحاكم والإمام الناطق، والوزير، والنائب الكلي، والرب، ومؤسس الأساس، ومقنن القانون والرحمن، والإله، والشهيد، والنذير، والباب، والركن، والقطب، وسلطان الدنيا والآخرة، والحجة الكلية، ومبتكرو هذا الاعتقاد ومؤسسوه قد ملأوا كتبهم ورسائلهم؛ لا سيما كتاب «برهان القاطع» للحاج محمد خان...»[1].

هذا نموذج من أقوال خصوم شيخية كرمان في دعوى الإمام الناطق والركن الرابع. ولنرجع إلى كتب الشيخية أنفسهم لنرى مدى صحة هذه الأقوال والمزاعم، وما إذا كانت حقيقة واقعة أم لا. ولنبدأ برأس المدرسة وهو الحاج محمد كريم خان الكرماني لنرى رأيه في هذه المسألة.

كتب الكرماني إلى السيد كاظم الرتي رسالة طويلة، ملأها بالأقوال الغريبة والآراء الشاذة، وضمّنها الكثير من الأساطير والخرافات ونظريات الصوفية واصطلاحات العرفاء. وإلى القارئ مقتطفات من تلك الرسالة:

«... اعتقادي أنّ من لم يعرف السابق عليه والباب الذي تجري منه جميع الفيوض... لم يعرف شيئاً من التوحيد والنبوة والإمامة... وأنا عبدك الأثيم محمد كريم قد انقطعت من الدنيا كلها إليك... إن الشيخ الأجلّ الأمجد كان قطب زمانه؛ لتصريح النبي ﷺ فيه: أنت القطب.

(١) إحقاق الحق، ص ١٦٧ و١٦٨.

. . . فالشيخ الأكبر هو الذي يُعبَد به الرحمن وتُكتسَب الجنان؛ لأنه العقل. . . وقد رأينا أنّ الأمر بعده رجع إليك ظاهراً. . . فأنت نائبه بالنصّ الجلي منه. . . فإذن أنت الذي يُعبَد به الرحمن ويُكتسَب به الجنان. . . وأنت باب الله لا يؤتى إلا منه كما سمعت منك في الطيف، والآن يكون قرب ثلاث سنين وأزيد أني جعلتك لوجهتي باب تجاهي في أوقات دعواتي وصلواتي وأقدمك بين يدي حوائجي وإرادتي في كل أحوالي وأموري. . . وأعتقد أنّ من لم يفعل هذا صلّى إلى غير جهة القبلة والوجهة. . . فإن كان كائن عليك لا أرانا الله ذلك فمن ولي الأمر بعدك. . . ولو كان يجوز نبي بعد نبينا ﷺ وادعيتم النبوة لم نطلب منكم معجزة؛ بل والله مع ذلك لو ادعيت ذلك الآن لصدقتك بلا معجزة. . .»[1].

إنّ هذه النبذ التي أوردناها من الرسالة صريحة لا تحتاج إلى توضيح، وهي تثبت بجلاء أنّ ما ينسب إلى الكرماني بخصوص هذه المسألة صحيح لا دخل للاتهام به مطلقاً، فهو يعترف بأنّه مؤمن بوجوب معرفة الباب السابق والباب اللاحق الذي هو مجرى الفيض، وأنّ الاعتقاد بذلك أساس الدعائم الثلاث: التوحيد والنبوة والإمامة؛ بحيث أنّ من فاتته معرفة الباب فقد فاتته معرفة تلك الأصول الأساسية. ثم يؤكّد قطبية الأحسائي، ما لا يقبل الشك ودليله عليها تصريحَ النبي ﷺ للأحسائي بأنّه قطب. ونحن لا نعلم أين وكيف ومتى كان هذا التصريح! ولنتركه إلى غيره؛ فالنقاط التي تستدعي المناقشة كثيرة. وإذاً فما زال الأحسائي قطباً؛ فهو الذي يعبد به الرحمن، وهذا القول مأخوذ من حديث الإمام الصادق عليه السلام، فقد سُئِل عن معنى العقل فأجاب: ما عبد به الرحمن؛ واكتسب به الجنان. والرشتي نائب الأحسائي وهو القطب من بعده. ولذلك فهو كسلفه يعبد به الرحمن إلا أنه ـ عملا بقاعدة ما في الأصل في الفرع وزيادة ـ قد علا رتبة وازداد سمواً فأصبح باب الله الذي لا يؤتى إلا منه. ومعنى ذلك أنّه حاز مرتبة الإمامة فالإمام المعصوم ـ عند الشيعة الإمامية ـ باب الله. ولكن ما الحيلة والقول

(١) إحقاق الحق، ص ١٦٨ ـ ١٧٤.

يحمل في طياته دليلاً قوياً لا يقبل الرد، وهو أنّه سمع ذلك من الرشتي نفسه في الطيف؟ وهل هناك ما هو أقوى من الحلم حجة علمية وبرهاناً منطقياً؟! ولمّا ثبت لدى الكرماني أنّ الرشتي هو العقل والقطب والإمام الناطق جعله قبلته ومحرابه وكعبته وقرآنه، وصار يقدّمه بين يدي حوائجه في دعواته وصلواته وسائر حالاته؛ ولم يكتف بذلك ولم يرض أن يختصر به دون الآخرين؛ بل اعتقد أنّ من لم يقتد به ويفعل فعله قد غيّر القبلة وبدّل الفرض.

والغريب جداً أنّ الكرماني هو الذي سخر بالمتصوّفة لاستحضارهم صور المرشدين لهم في حال الصلاة ورأي سجودهم وعبادتهم لغير الله، وشبّههم بعباد الأصنام. فقد قال ما تعريبه: «كيف يليق بالعبادة من يحمل في بطنه هذا المقدار من القاذورات؟ وأي رب هذا الذي أوله نطفة وآخره جيفة نجسة وهو بينهما صندوق يحمل النجاسات؟...»[1] ولاأدري أي الرأيين هو الأول؟ وعن أيهما حصل التراجع؟

ولعل أغرب من ذلك كله ما ختم به الكرماني رسالته للرشتي. فقد جاء فيه بمنكر من القول، وهو أنّه أقسم بالله أنّه مستعد لتصديق نبوة الرشتي لو ادعى ذلك دون أن يطالبه بمعجز لإثبات دعواه؛ مع اعترافه بعدم جواز ادعاء النبوة بعد محمد ﷺ. ولا أدري كيف يوجّه اتباعه هذه الأقوال؟ وبماذا يعتذرون عنه كما اعتادوا؟ فقد اتسع الخرق على الراقع وبان الصبح لذي عينين.

وللخان أقوال من هذا القبيل مبثوثة في مواضع متفرقة من مؤلفاته، منها قوله: «وبعد صحة إطلاق اسم الإمام وكونهم أي النقباء إمام زمان من يليهم كما عرفت من الأخبار السابقة والدعوات فيشمل هذا المقام الخبر المتواتر: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. بل ينحصر الخبر فيهم لأن آل محمد ﷺ هم أئمة الملك وأئمة العالمين ولا اختصاص لهم بزمان دون زمان... إلخ»[2].

(١) إرشاد العوام: ١/ ٣٥. ط تبريز.
(٢) إحقاق الحق، ص ١٧٦.

وقوله أيضاً: «فإذا جاز إطلاق لفظ الإمام والحجة على أكابر الشيعة وأفاضلهم ورد أخبار كثيرة في لزوم وجود إمام ظاهر وحجة قائمة في كل عصر تبيّن أنّه لا بد وأن يكون في كل عصر من شيعتهم حجة الله ظاهرة وإمام يقتدى به ظاهراً حتى يرجع الناس إليه... الخ»[1].

وإذا رجعنا إلى كتابة «إرشاد العوام» الذي ألّفه في أصول الدين وخص الجزء الرابع والأخير منه بالموضوع، وجدناه يكرّس أكثر من خمسين صفحة من القطع الكبير لمسألة وحدة الناطق والركن الرابع، فيتحدّث عنها بأساليب مختلفة وتعابير متغايرة، ويتفنّن في كيفية عرضها وطرحها على القارئ. وربما ناقض نفسه فأدلى بأقوال وآراء يعاكس بعضها البعض؛ إلا أننا نخرج منه بنتيجة واضحة مكشوفة وهي: أن صاحب الزمان أو المهدي المنتظر (عج) قد مضى إلى حال سبيله وانتفى موضوعه إن بالموت وإن بالغيبة ولم يعد صالحاً للاستفادة منه بوجه من الوجوه. وعلينا أن نسعى لمعرفة الإمام الناطق الحي الذي يجب أن يكون بيننا لنراه ونحادثه ونعرض عليه ما يحدث لنا من مشاكل ونطلب منه تلافيها وإيجاد الحلول لها. وقد نقلت إلى العربية نبذاً متفرقة منه من مواضع عديدة تحتوي نقاطاً حساسة، وسأعرضها للقارئ ولو طال المقام؛ وذلك ليتأكد لنا رأيه وأخذ فكرة كافية عنه تخوّلنا الحكم عليه.

قال قبل كل شيء في مقدمة الجزء الأخير: «فكيف أستطيع مع لساني الكليل ويدي القاصرة ونفسي الضعيفة أن أحمل هذا الأمر على رقاب هؤلاء الناس المنكوبين الذين عاشوا في جاهلية الغيبة ألفاً وعشر سنين ونشأوا على الهوى والخيالات...»[2] وتاريخ تأليفه للكتاب كما نصّ عليه فيه كان عام ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م؛ فإذا طرحنا منها «١٠١٠» سنين كما قال، بقي ٢٥٦ سنة وهي

(١) إحقاق الحق، ص ١٧٦.

(٢) إرشاد العوام: ٤/٣. وقد طبع هذا الكتاب مرتين إحداهما في بمبي بالهند والثانية في تبريز عام ١٢٧١هـ/١٨٠٦م وهي التي نرجع إلى صفحاتها.

عام ولادة المهدي المنتظر (عج) كما تؤرّخه الشيعة[1]، ويعني ذلك أن الصلة بين الناس والإمام قد انقطعت منذ ذلك التاريخ فعدموا الموجّه والقائد الروحي. وقال: «إن حاكماً كان قبل ألف سنة لا يصلح اليوم ولا يمكن ضبط العالم والسيطرة عليه بحاكم قد ودع الدنيا[2]..

وقال: «... إنّ وجود الحاكم بين الخلق ضروري لكي يروه ويسمعوا منه، وإذا كان في الإمكان أن لا يروه فالأجدر بهم أن يكتفوا بالله الذي لا يرونه؛ وعليه: فقد اختفت ثمرة الحكومة وفائدتها إذا لم يروه ويسمعوه ويشكو إليه داءهم ويطلبوا منه العلاج لها. فما هو الفرق بين الإمام الغائب والله فكلاهما غير مدرك؟ وإذا استطاع الخلق اليوم أن يكتفوا بالله فقد استطاعوا الاكتفاء بالإمام الغائب؛ لأنّه يتصرف في الملك وراء الستار وفي ظهر الغيب، والله كذلك، فما الفرق بينهما؟ وإذا كانت الحجة على الخلق تتم بالإمام الغائب، فما هي الحاجة إلى إرسال الرسل وتعرضهم للمشاق؟ فليبقوا وراء الغيب ويتصرفوا في العالم. وقد علمت بأنّ الحجة على الخلق لا تتم إلا بمشاهدة من يقيم عليهم الحجة، وأي حجة تمكن إقامتها والإمام غائب في الوقت الذي يولد فيه الناس ويموتون والإمام غائب؟ وإذا كان التاريخ والخبر كافيين، كان وجود النبي وحده كافياً، ولم تكن هناك حاجة إلى أوصيائه الذين تحملوا في سبيل تأدية رسالته وحفظها ما لا يطاق من المصائب. ومن هذا يظهر أنّ الأحاديث والكتب السالفة لا تكفي...»[3]. وقال: «وقد اتضح من هذا الفصل أنّ قوام بقاء هذا العالم ومداره هو الحاكم والمحكوم؛ إذ لا يمكن أن يخلو إن ظاهراً وإن باطناً من حاكم إلهي يقوم مقامه تعالى وينوب عنه على أن يكون مشهوداً مرئياً. وكن نابهاً للغاية وذكياً والتفت إلى أننا نوزّع المطالب في هذا الكتاب ونفرقها على عدة أماكن، ونقول في كل موضع شيئاً لئلا يحرم أهل الحكمة، ولئلا يلتفت فاقدو الأهلية وينتبهوا

(١) هدية النملة إلى مجدد الملة / ١٨.
(٢) إرشاد العوام: ٤/ ٧.
(٣) المصدر نفسه: ٤/ ٩.

إلى جواهر وأسرار الحكمة الإلهية ويجدوا طريقاً إليها ولا قوة إلا بالله. . .»[1] وقال: «وبديهي أن الأستاذ الغائب والأستاذ الميت لا يعلّم ولا يقبل تلامذة، وهم لا يستطيعون أن يحصلوا منه على معرفة شيء، كما لم تجر عادة الله بأن يتعلّم أحد بهذا الشكل. وإذاً فالواجب أن يكون في كل عصر أستاذ حاضر موجود مشهود. . .»[2] وقال: «ولم يكن من طبيعة هذا العالم ولا جرت العادة فيه أن يحصل الإنسان على العلم من الأموات، وأن يقنع بهم ويكتفي في التعلّم. . .»[3].

ومن متناقضاته أنّه قال بعد ذلك: «والأمر على هذا المنوال؛ فيجب أن يكون الجميع متّبعين للكتاب والسنة إلى ظهور إمام العصر «عجل الله فرجه». وإذا ظهر فسيكون المبدأ جديداً كما هي الحال بالنسبة إلى النبي عيسى عليه السلام؛ فإنّه لم ينسخ شريعة موسى عليه السلام؛ ولكنّه أكملها وشيد مبانيها بزيادة بعض الأمور، وكذلك الحال بالنسبة إلى إمام العصر (عج) فإنّه لن ينسخ هذا الدين؛ لأنّه ابن هذه الشريعة والداعي والمكمل لها؛ ولكنّ المبدأ الشرعي سيكون عند ذلك عقلياً. . .»[4]. وقال: «ويجب بعد ذلك أن يكون في كل عصر علماء غير العلماء الظاهرين يستطيعون أن يتلافوا كل مشكلة دينية تحدث بشكل يخرجون به من العهدة. . .»[5].

ومن تصريحاته الخطيرة قوله بعدم ضرورة عصمة الإمام الذي يخلف النبي بعد وفاته حيث يقول: «وإذا لم يكن معصوماً فهو كأحد الناس، ويجب أن يكون معصوماً في حفظ ذلك الدين على الأقل ولو بمساعدة الغير إذا لم يكن معصوماً في كل شيء. . .»[6]. وقال بعد أن عدّد بعض صفات المؤمنين: «. . . والركن

---

(١) إرشاد العوام: ٤/ ١٢.
(٢) المصدر نفسه: ٤/ ١٣.
(٣) المصدر نفسه: ٤/ ١٤.
(٤) المصدر نفسه: ٤/ ١٥.
(٥) المصدر نفسه: ٤/ ٢١.
(٦) إرشاد العوام: ٤/ ٩٤. ومن غرائبه وتناقضاته القول بعصمة الركن الرابع الذي يسميه إمام الزمان (هدية النملة، ص ٢٣) فقد قال ما تعريبه: «وإذن فالإمام الغائب لا يجدي الناس نفعاً وهم يريدون=

الرابع هو من يكون متحلّياً بهذه الصفات، وهي ممّا لا يمكن الاتّصاف به بالمكر والحيلة... وهناك صفة أخرى يجب أن يتحلّى بها الركن الرابع، وهي: علم الشريعة والطريقة والحقيقة؛ لكن بشرط أن يأخذها من كتاب الله وسنة رسوله»[1].

وفي النماذج التي اخترناها من تصاريحه وأقواله كفاية. وله نظائرها كثير. ومن النادر أن تخلو صفحة واحدة من الجزء الرابع من كتابه من الإشارة والتلميح أو التصريح إلى الركن الرابع والإمام الناطق؛ لكنّه ـ كما صرّح به ولفت النظر إليه ـ قد وزّعها على فصول الكتاب من أوله إلى آخره بدون قاعدة أو تنسيق وتنظيم. فبينا هو يتكلم في موضوع ما؛ إذا به يدس بعض آرائه ونظرياته إن في أول الفصل أو وسطه أو آخره. وقد ساعد على حجبها عن عامة القرّاء بعض الشيء أنّ الكتاب كبير وقد طبع على الحجر في حياة مؤلفه قبل اثنتين وعشرين ومئة سنة بخط نسخي دقيق تصعب قراءته حتى على فارسي اللسان أحياناً. وبما أنّه بدون فهرس موضوعات فإنّ تلك الآراء المبثوثة فيه لا تلفت نظر كل مطالع. وإذا تعمّد الإنسان محاولة معرفة بعض آرائه وتصدّى لها فإنّه لن يستطيع الوقوف عليها بالسرعة الممكنة؛ لأنّها كما قلت مدسوسة منثورة. وإنّما يضطرّ إلى قراءة الكتاب من أوله إلى آخره، وهو من الصعوبة بمكان. وربما أورثه الملل ولم يعد بوسعه أن يواصل قراءته مرة واحدة ويضطرّ إلى تقسيمه على مراحل، ولا شك حينئذ أن يغفل نظره بعض النقاط المهمة وتضيع عليه. وقد رجعت إلى الكتب العربية والفارسية التي ألّفت في الرد على الشيخية فوجدت الكثير من مؤلفيها قد رُدّ بعنف وعُبّر بقسوة وتُكلِم باستخفاف وتتبع العثرات والمؤاخذات في زعمه كحاقد؛ إن ثاراً للعقيدة والمذهب وإن للغرض الشخصي. ويرى الكثير منهم أنّه

= إماماً حياً حاضراً معصوماً (إرشاد العوام: ٤/ ٧) واعتذر عنه ولده الحاج محمد خان بأنه ربما أراد أن يقول ظاهر فقال حاضر وأردفها بكلمة المعصوم وهو يريد المعنى المشهور وهو الشاهد (ترجمة هداية المسترشد، ص ١٦١) وهو عذر بارد وتعليل واه لا روح فيه.

(١) إرشاد العوام: ٤/ ١١٧.

قد استوعب آراءهم وأقوالهم، ولكنني وجدت الكثير ممّا لم يقفوا عليه ولم يتعرضوا له أو يستشهدوا به، ومعظمه ممّا هو في مثل هذه الزوايا التي لا يفتّشها إلا المتتبع.

إنّ الصراحة التي استعملها الكرماني فيما أوردناه من أقواله، تجعلنا في غنى عن الشرح والتفسير، فقد عبّر عن آرائه بوضوح، وكشف عن معتقداته، بجلاء في أكثر من موضع وإن غلّف بعضها أحياناً بغية التمويه على القارئ. وصحيح أنّ فكرة الركن الرابع قريبة من آراء الشيعة الإمامية الذين يرون وجوب الرجوع إلى الأعلم والأورع من الفقهاء في التقليد والقضاء وفصل الخصومات وفي الولايات وسائر الأمور العامة، وحصر الرجوع في الأعلم والأورع لازم الحصر في شخص واحد من بين سائر الفقهاء والعلماء. فعقيدة وجوب الرجوع إلى الأعلم مماثلة لعقيدة وجوب الرجوع إلى الركن الرابع والقطب، ولكن؛ أين ذلك ممّا يقوله الكرماني وينشده؟ فالشيعة حينما يقولون ذلك يعتقدون بحياة صاحب الزمان (عج) وأنّه هو الموجّه والمسدد للفقيه الذي يفتي بشريعة آبائه، وأنّه إنّما ينقل رأى آل محمد ﷺ، بالاستناد إلى القرآن والسنة، بينما صريح كلام الكرماني أنّ الناس منذ ولادة الحجة حتى يومهم في جاهلية، ومعناه أنّه لا يعترف بنوابه في عصر الغيبة الصغرى، ولا بالعلماء والأساطين من رجال الشيعة عبر القرون من الذين تناوبوا على حراسة الدين وخدمة الإسلام وفقه آل محمد؛ بل يعترف ببقائه ووجوده في قيد الحياة. فهو يصرّح بأنّه قد ودّع الدنيا. وهل معنى توديع الدنيا غير الموت؟ بل هو في مكان آخر يصرّح بأنّ الأستاذ الميت غير قابل للاستفادة والتعلم منه. ويقول: إن الذي يقصده بالقطبية والركنية هو غير العلماء الظاهريين. ويصرّح بأنّه يجب أن يكون متقناً لعلم الشريعة والطريقة والحقيقة.

ونرى أنّ الكرماني كفيلسوف إنّما يهدف إلى أبعد ممّا تداوله علماء الظاهر. فهو يقصد الناطق الذي قال به الإسماعيلية، ومن قبلهم الكيسانية، وعبّروا عنه بالرجل، كما نصّ عليه الشهرستاني[1]. وقد قالوا: «من لم يعرف الرجل فلا دين

(١) انظر: الملل والنحل: ١/١٤٧.

لـه»، وأخـذهـا الشيعة فقالوا: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» ونحو ذلك.

وإذا صـح مـا نسـب إلـى الشيخيـة الكـرمـانيـة مـن عـدم اشتـراطـهم فـي الإمـام عليه السلام أن يكـون قرشياً أو من ذرية الإمام علي كما قاله الهمداني[1]، فهو تقليـد للباطنيـة أيضـاً، لأنّهم كانوا لا يحفلون بالتسلسل التاريخي للإمامة؛ أي لا يقـولـون بـالـوصية التاريخية، بل الإمامة عندهم مرتبة عقلية سامية وليست مجرد تبعية وراثية للنسب إلى الإمام علي عليه السلام. والإمام هو أرقى الواصلين في عصره وأكثـرهـم استعداداً لتلقي إشراق الأنوار العليا[2]. وقد تضمنت كتب الإسماعيلية شرح ذلـك وأوضحته بما لا مزيد عليه[3]. ففكرة الناطق قديمة عند الحكماء قبل الإسـلام. ولمّـا أخـذ بهـا الفلاسفة من المسلمين، ولا سيما الشيعة منهم جعلوا الأئمـة مـن آل محمـد صلى الله عليه وآله مصـداقـاً لهـا. وقـد مـزج الكرماني الآراء الفلسفية بالمعتقدات الدينية؛ فظهر هذا الخلط والتناقض، ففسّـره الظاهريون بالغلو في آل محمد والحط من كرامتهم، وذلك ما لا يمكن الجزم به.

وقد تأثر الحاج محمد خان الكرماني بآراء أبيه في هذه المسألة وتبعه فيها، وصرّح برأيه ومعتقده في غير واحد مـن كتبـه. قال في رسالة جواب الشيخ حسين المـزيدي: «وأمّا ما ذكرت من وحدة الناطق، فلا أريد وحدتهم؛ بل أريد منه رئيس الكل وسائسهم. وهو النائب الخاص الذي يكون للإمام عليه السلام في كل زمان، وقام على ذلك البرهان من مشايخي... فإذا كان للإمام نائب خاص يكون هو المرجع لجميع النقباء، وهم يعرفونه ويدورون حوله، وهو بسبقه يكون أول مستفيض من الإمـام، وهـو يـفيض عليهم دائماً... فهذا النائب الخاص هو الناطق للنقباء... إنّ وحدة الناطق أمر مسلم، والمراد منه النائب الخاص أو من يقوم مقامه..»[4].

---

(١) انظر هدية النملة إلى مجدد الملة، ص ٢٩.

(٢) انظر، أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهرودي، ص ١٠٥.

(٣) انظر: راحة العقل، ص ١٨٢.

(٤) انظر: إحقاق الحق، ص ١٧٧.

وقال في أجوبة مسائل الشيخ علي الأسكوئي: «. . . ولكنّهم ـ الظاهر أنّه يعني شيخية تبريز ـ استبدّوا بآرائهم وزعموا أنّ علم الشيخ ـ يعني الأحسائي ـ عندهم غفلة عن حقيقة الحال. ففي الزمن لا يمكن أن ينطق اثنان، والناطق واحد، والباقون ساكتون. وإن لم يكن كهذا لكان الواحد باطلاً. وفي زمان أبي ـ يعني الحاج محمد كريم خان ـ كان الحق معه وفيه ومنه وإليه، ولم يشركه أحد في أمره. . .»[1].

وقال في الرسالة السلوكية ما تعريبه: «كما أنّ الشيخ المرحوم ـ يعني الأحسائي ـ قال في حق السيد المرحوم ـ يعني الرشتي ـ: السيد كاظم يفهم وغيره لا يفهم. أو: لا يقول إلا ما أقول أنا. وكذلك السيد المرحوم قال في حق مولاي ـ يقصد أباه الحاج محمد كريم خان ـ على نحو الإشارة، ولهذا قال مولاي: «أردت أن أعيّن النائب بعدي حتى لا يقع الخلاف، لكن لمّا لم يعيّن الشيخ والسيد لم أعيّن ولو قال بصراحة: ارجعوا بعدي إلى فلان، لما وقع الاختلاف. . .»[2].

وقال في بعض رسائله ما تعريبه: «اعلم أنّ الناطق إمام أو نبي، وليس في وحدته كلام. فمن لدن عصر آدم حتى الآن كان الناطق واحداً؛ سواء من الأئمة أو سائر الأنبياء. . . وليس المراد بالناطق من يتكلم فقط؛ بل من هو المرجع والرئيس والقائد للناس. . . والخلاصة أنّ مثل هذا الشخص موجود في ملك الله، وهو النائب الخاص للإمام، وقد فرض على الكل تسليم الأمر إليه إن عرفوه ورأوه. ونحن قد اصطلحنا على تسميته بالناطق وإن شئت فسمّه بغير ذلك. وهو ناطق بالنسبة إلى سائر الخلق وإن كان صامتاً بالنسبة إلى إمامه. واليوم لم يدّع هذا المقام أحد ونحن لم نعرفه. . فبعد الشيخ كان السيد في السلسلة نائبه، وبعده كان الآغا ـ يعني والده الحاج محمد كريم ـ وكان يظهر أنّ نائبه واحد أيضاً. . .[3].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٨.

(٢) إحقاق الحق، ص ١٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٩ و١٨٠.

وفي أقوال الحاج محمد خان المارّة تأكيد على الفكرة وتثبيت لها مع توضيح وتصريح أكثر. فقد بنى على القاعدة واعتبرها أصلاً. وكرّر القول بأنّ الشيخ أحمد الأحسائي هو الإمام الناطق والركن الرابع وسلسل القطبية والركنية بعده. فعدّ السيد كاظم الرشتي ركناً بناء على تصريح الأحسائي ونصّه. وأنّ والده الحاج محمد كريم خان صار خليفة الرشتي بعد وفاته. لكنّه لم ينصّ على خليفة أبيه ولم يدّع الركنية لنفسه؛ بل ادّعى أنّ المكان شاغر وأنّه لا يعرف صاحبه. واكتفى بالقول بأنّ والده كان يصرح بأنّ نائبه واحد. وأسف في موضع آخر على عدم نصّ أبيه على الخليفة من بعده. وقال: أنّه لو فعل لما وقع الاختلاف. يشير بذلك إلى ما حدث بعد أبيه من انقسام، فقد اختلف أتباعه فيمن يليق بالركنية، ونازعه أخوه محمد رحيم خان فترة ثم استقلّ وصار له أنصار وأتباع، رأسهم مدة ثم تفرقوا وعاد معظمهم إلى محمد خان، واجتمعت كلمة شيخية كرمان عليه[1].

ويبدو لنا أنّ الحاج محمد خان قد تراجع بعض الشيء بعد تلك الآراء الصارخة والتصريحات التي لا تقبل التأويل بأي شكل، والتي وضع فيها النقاط على الحروف، وأكّد أنّها قد ثبتت عند مشايخه بالأدلة وقامت عليها عندهم بالبراهين. وبعد أن أثبت ركنية أبيه وانتقالها إليه من الرشتي الذي كان قد تلقاها بدوره عن الأحسائي، وبعد أن ردّ على شيخية تبريز دعوى انتقال علوم الأحسائي إليهم زاعماً أنّ الحق كان مع أبيه وفيه ومنه وإليه لم يشركه في أمره أحد، ولم يكتف بالتراجع عن رأيه الخاص وإنّما عمد إلى الدفاع عن أبيه ونفى عنه تلك الشائعات، وأخذ يفسّر أقواله حسب رغبته، ويذكر لها معاني ومداليل غير ما تنطق به. وادّعى أنّ أباه لم يقصد بأقواله ما فهمه الناس منها، وأنّ الذين أخذوا عليه ذلك أعداء له ومغرضون؛ قصدوا الإساءة إليه وتنفير الناس منه وتفريقهم من حوله. قال راداً على الهمداني: «أشهد الله ورسوله وأئمة الهدى والأنبياء والمؤمنين والملائكة المقربين أنّ مشايخنا لم يريدوا المعنى الذي نقله، وليس من

(١) شيخيگري بابيگري، ص ٣٢.

مذهبنا ولا من ديننا أنّ أحداً غير الأئمة الاثني عشر عليهم السلام الذين أولهم أمير المؤمنين وآخرهم المهدي بن الحسن روحي فداهم يكون في مقامهم وفي درجتهم أو في عرضهم، ولو اعتقد ذلك أحد من الناس لصار عندنا كافراً ملعوناً...»[1].

واستمر يبرّر أقواله ويؤوّل ويدلّل على مدعاه بكلام طويل استغرق أربع عشرة صفحة، ملخصه: أنّ إطلاق اسم الحجة والإمام على أكابر الشيعة جائز، وأنّ هناك أخباراً تنصّ على وجوب كون الإمام ظاهراً. وأنّ من لم يعرف له إماماً ظاهراً فدينه باطل. وبالإمكان تفسير ذلك كله وحمله على العالم الشيعي لتصريح الإمام بأنّه حجته. والحجة هو المقتدى والإمام... إلى أن قال: «وبالجملة: أنّ ديننا واعتقادنا أنّ أئمة الخلق هم الاثنا عشر والإمام اليوم هو الحجة ابن الحسن، وهو وإن غاب شخصه فتصرفه موجود، وهو سلطان الحق، وله وزراء أربعة وهم الأركان المنصوبون من قبله في جهات العالم الأربع. ولا يتصرفون إلا بإذنه. وقد مثّل الإمام ذلك بالخيمة، فإنّها لا تقوم إلا بعمود وأطناب. فالعمود هو الإمام، والأطناب هم الأركان، وبعدهم إثنا عشر نقياً... وهم منصوبون في أقطار العالم، وبعدهم سبعون نجيباً وهم المأمورون بهداية الخلق، وفي بعض الأخبار: أنّ النقباء ثلاثون والنجباء مئة، وهم الأبدال؛ يعني إن مات واحد منهم قام مقامه آخر. وهؤلاء لا تجب معرفتهم. فقد يمشون بين الناس والناس لا يعرفونهم بتلك المقامات. وبعدهم العلماء والفقهاء على حسب درجاتهم. والواجب على الناس يومنا هذا أن يعرفوا عالماً موصوفاً بالعلم والتقوى ليأخذوا دينهم عنهم. نعم يجب الاعتقاد بوجوب النقباء والنجباء والأركان... وأمّا النقباء والنجباء فلا تجب معرفتهم بأشخاصهم لعدم ظهورهم. ولا يكلف الله نفساً إلا ما أتاها؛ إلا أن يترقّى الإنسان ويكون له قوة معرفتهم فحينئذٍ يجب عليه معرفتهم...»[2].

وهذا مفهوم جديد وتقسيم سبقه إلى مثله الرشتي كما يأتي. وتشمّ من عبارته الأخيرة رائحة تعاليم باطنية. فقد كان الباطنيون متطورين مع الزمن. وكان

(١) ترجمة دليل المسترشد، ص ١٨٠ و١٨١.
(٢) ترجمة دليل المسترشد، ص ٩٣ ـ ١٩٤.

الدعاة منهم يراعون في أقوالهم درجة سامعيهم العقلية والثقافية وعلاقتهم بالدين عامة وبالإسلام خاصة. فكانوا يخاطبون كلاً منهم بلسانه وبما يوافق ميوله وعواطفه ودرجة نموه العقلي، ويتدرّجون معهم نحو النضج، ولا يفضون إليهم بكل ما يجب أن يعتقدوه دفعة واحدة[1].

ويتبدّل مفهوم الركن الرابع عند شيخية كرمان بقدرة قادر. فيكون لهذه الكلمة معنى جديد لا يمتّ إلى معناها الأول بصلة، لا من قريب ولا من بعيد. والمعنى الجديد هذا هو: أنّه موالاة من والى آل محمد ومعاداة من عاداهم. وقد مرّ في مقدمة هذا البحث أنّ ذلك معدود من فروع الدين عند الشيعة لا من أصوله. وهكذا تبخّرت النيابة الخاصة، واختفى الإمام الناطق، وتوارى القطب، وانهدّ الركن، وذهبت تلك الادعاءات والتفصيلات والأدلة والبراهين أدراج الرياح.

ولا يظنّ القارئ أنّ هذا المفهوم قد تبدّل بصورة مفاجئة، أو بعد حين من الدهر. بل يبدو لنا أنّ بذرة هذا التراجع أو الاستبدال قد غرست على عهد الحاج محمد كريم خان الكرماني عميد المدرسة وصاحب الفكرة الأولى على زعم البعض، وعلى يده أيضاً. فله رسالة فارسية بهذا الاسم أوضح فيها أنّ المقصود به هو ولاية المؤمنين من أولياء آل محمد عليهم السلام والبراءة من أعدائهم[2]. ومثل ذلك ما قاله في مقدمة رسالته العملية[3]. ولولده الحاج محمد خان مجهود كبير في هذا المجال أيضاً، فقد أحصى أكثر من (١٥٠٠) حديث في لزوم موالاة شيعة آل محمد[4].

وقد زعموا أنّهم استنبطوا وجوب القول بهذا الركن من آيات عدّة وأخبار متواترة. وقال الحاج محمد كريم خان: «وقد دلّت على لزوم كونه من القرآن آية

(١) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، ص ١٣٢.
(٢) الركن الرابع، ص ١٢.
(٣) الجامع، ص ٣٥.
(٤) المبين: ٢/ ٢١ ـ ٢٣.

القربى والأبواب وغيرها ومن الأخبار...»[1]. ويرى الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي أنّ من الآيات التي دلّت على وجوب موالاة شيعة آل محمد قوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [البقرة/ ٧١] وقوله: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ [البقرة/ ٧٢] وقوله: ﴿ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة/ ٥٦]. ومن الآيات التي دلّت على وجوب معاداة أعدائهم، قوله تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء...﴾ [آل عمران/ ٢٨] وقوله: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين...﴾ [النساء/ ١٣٨ ـ ١٣٩] إلى غير ذلك. ومن الأخبار ما لا يحصى[2]، وقد ذكر معظم ذلك السيد عبدالله الموسوي أيضاً[3].

وهكذا تختفي التسمية بالإمام الناطق، وتبقى كلمة الركن الرابع وحدها يتبلور مفهومها حتى يعود وكأنّه هو المعنى الذي وضع للكلمة ووضعت له. كما يعود المعنى الأول نسياً منسيّاً، وكأنّه لم يكن الذي احتدم النقاش حوله، وارتفعت الأصوات في رده، وسوّدت الصفحات في سرد أدلته، والبرهنة على صحته، ووجوب القول به. وتتعاقب الشيخية جيلاً بعد جيل فلا تسمع به ولا تعرف شيئاً عنه، ويبقى سراً في طيّات الكتب وصدور الباحثين. وإذا ما توجّهنا اليوم بسؤال إلى أحد شيخية كرمان أو خصومهم ـ على السواء ـ عن معناه، فلن يجيبنا بغير الولاية والبراءة؛ اللّهم إلا من بحث عن أسس العقيدة ونشأتها، وقليل ما هم.

يقول الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي زعيم شيخية كرمان المعاصر: «يقصد علماؤنا وأساتذتنا بالركن الرابع ما قال بوجوبه العلماء كافة قديماً وحديثاً، وهو:

---

(١) الجامع، ص ٣٢.

(٢) فلسفية، ص ٢١٣ ـ ٢١٥.

(٣) الأنوار الجلية في رفع الشبهات عن الشيخية، ص ١١ و١٢.

موالاة من والى آل محمد ومعاداة من عاداهم. وليس المراد به شخصاً معيناً. . . وأُشهد الله القاهر الغالب على نفسي وأساتذتي، أنّ ذلك هو المقصود. والفرق أنّ بعض العلماء القدامى قد اعتبروا ذلك من فروع الدين واعتبره آخرون ومنهم مشايخنا من أصول الدين، ولهم دلائل على ذلك قطعاً. أمّا القول بأنّنا نقصد به شخصاً معيناً؛ فهو اتّهام لنا يقصد منه إيجاد الخلاف وسوء التفاهم بيننا وبين الحكام والعلماء. . .»[1].

وقال السيد عبدالله الموسوي: «. . . ظنّوا أنّنا نعتقد أنّ الركن الرابع هو شخص واحد معيّن يجب على عامة الناس معرفته والاقتداء به والتقليد له والأخذ عنه ولا يجوز تقليد غيره. بل إني سمعت من بعض الناس يقولون: إنكم تعتقدون بأنّ الركن الرابع هو من تقلّدونه. فالشيخ أحمد الأحسائي عندكم هو الركن الرابع، وبعده السيد كاظم الرشتي، وبعده الحاج محمد كريم خان، وبعده الحاج محمد خان، وبعده الحاج زين العابدين، وبعده الأغا أبو القاسم هو الركن الرابع عندكم. . .»[2].

وقال: «لعن الله من اعتقد أنّ الحاج محمد كريم هو الركن الرابع، أو اعتقد في واحد من ولده أنّه الركن الرابع أو أنه النائب الخاص للإمام. والذي نعتقده فيهم أنّهم علماء فقهاء صلحاء أبرار متبّعون لآل محمد. وحيث كانوا كذلك قلّدناهم وأخذنا أحكام الدين عنهم. ومن نسب إلى الشيخية غير ذلك فقد افترى عليهم والله يجازيه بعمله. . .»[3] وقال: «لعنة الله وأنبيائه وملائكته والناس أجمعين على من ادّعى النيابة الخاصة والبابية المخصوصة لنفسه أو لأي شخص غيره معيّن معروف. ولعنة الله على من أبطل النيابة العامة»[4] ويؤول أمر اسم الإمام الناطق أخيراً إلى أن يصبح لفظاً مهملاً لا يهتدى إلى معناه، ومعرفة المقصود به رجال الشيخية أنفسهم. فيقول السيد عبدالله الموسوي: «وأمّا الإمام

(١) فلسفية، ص ٢٠٢.
(٢) الأنوار الجلية، ص ١٦.
(٣) مجلة البيان النجفية: ١/ ٥٣١.
(٤) المصدر نفسه: ١/ ٤٧٦.

الناطق.. فما أدري ما المراد منه، فإن كان الإمام الثاني عشر... فليس ذلك خاصاً بالشيخية؛ بل هو إمام لكل الشيعة... وإن كان المراد إماماً غير الاثني عشر فليس للشيخية إمام ثالث عشر... لعن الله من زاد عليهم ومن نقص منهم ومن ألحق بهم واحداً من شيعتهم فجعله في درجتهم ومعصوماً مثلهم. وما أدري من أين أتت هذه الشبهة لهذه السلسلة الضعيفة المسكينة...»[1].

والسؤال الذي نطرحه الآن هو: هل أنّ الشيخ الإبراهيمي عندما أشهد الله القاهر الغالب على نفسه وأساتذته أن ذلك المعنى هو المقصود؛ هل أنّه وقف على كتاب جده «الإرشاد» وقرأ ما فيه أم لا؟ والنفي مستحيل حتماً؛ لأنّه ذكر اسمه غير مرة وأرجع إليه. ومعنى ذلك أنّه استوفى قراءته، إن لم يكن عدة مرات فمرة واحدة على الأقل للاطلاع على ما فيه والتأكد ممّا ينقله الناس عنه. إذاً، هل فهم ما قاله جدّه عند قراءة كتابه أم لا؟ والنفي مستحيل كذلك لأن الإبراهيمي ذو ثقافة دينية عالية، وعالم من طراز جيد، ولا شك أنّه قد فهم رأي جده وهضمه. وإذا كان كذلك، فكيف استساغ إنكار كل ما جاء فيه وادّعى أنّه اتّهام مقصود؟ وما هو المبرّر للكذب؟ وعلم ذلك عند الله وجوابه عند المرحوم الإبراهيمي نفسه.

ولنعد إلى السيد الموسوي الذي صبّ لعائن الله وأنبيائه وملائكته والناس أجمعين على رؤوس مشايخه صبّاً، ولنسأله: هل علم بأنّ الحاج محمد كريم الكرماني ادّعى النيابة الخاصة للشيخ أحمد الأحسائي والسيد كاظم الرشتي؟ وهل علم بأنّ ولده الحاج محمد خان الكرماني ادّعى النيابة الخاصة للشيخ والسيد المذكورين ولأبيه بعدهما أم لا؟ فإذا كان قد علم بذلك فكيف سوغ لنفسه لعنهما؟ وإذا كان لا يعلم فلماذا يسمح لنفسه بالخوض في موضوع لم يلمّ به ولم يحط بأطرافه؟ أمّا أنا فواثق كل الثقة بأنّ شأن السيد الموسوي أجل بكثير من أن يكون غير مطّلع على تراث مشايخه وآرائهم. وإذاً فنحن نوجه له السؤال الأخير الذي وجهناه لشيخه الإبراهيمي.

---

(١) الأنوار الجلية، ص ٢٤.

على أنّ حساب السيد الموسوي يجب أن يكون أدق وأطول؛ لأنّه قال: «وإنّي أقسم بالله العلي العظيم المطّلع على السرائر والمحيط بالضمائر أنّ جميع ما ألقيه وأكتبه وأذكره أبيّنه هو ما عليه عقيدتي وعقيدة مشايخي وأسلافي، وما هو مطبوع في صحيفة أعمالي التي ستعرض على ربي ويحاسبني عليها ويؤاخذني بها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وإن كذبت واقتربت أو أبطنت خلاف ما أظهرت فعليّ إجرامي والله سبحانه يجازيني بما يجزي به المنافقين والمفترين والكذابين...»[1] فماذا يجب أن يقال في حقه؟ أيصدق أم يكذب؟ لا أدري!

لقد استعرضنا فكرة الإمام الناطق والركن الرابع لدى شيخية كرمان ومررنا بمراحلها، ورأينا كيف بدأت بصراحة وتحدٍ وعنف ولا مبالاة، وكيف سخر القائلون بها ممّن لم يؤيّد رأيهم، وحكموا بكفره باعتبار أنّه لم يعرف إمام زمانه، ثم كيف تراجعوا عن الرأي الأول وتنكروا له وحاولوا السعي والتقريب بينهم وبين خصومهم محتجين باتّحاد الهدف واتفاق الرأي والمعتقد. ثم كيف انقلب الموضوع واختير للاسم مسمى غير الأول، وأكّدوه وركّزوه حتى استقر في الأذهان ورسخ في النفوس، وعاد وكأنّه هو لا غيره. ورأينا كيف تبرّأ المتأخرون من كل من يقول غير ذلك، ونفوه عن مشايخهم الذين هم أصحاب الفكرة. واشهدوا الله على أنفسهم أنّهم لا يقولون إلا الحق، ولا ينطقون بغير الصدق. وللقارئ أن يقارن بين آراء سلفهم المثبتة هنا والمنقولة عن مصادرهم بنصوصها، وبين ما ادّعوه أخيراً؛ ليستخلص النتائج ويتجلّى له الواقع.

ولمّا كنّا قد عرفنا شيئاً عن الفكرة لدى شيخية كرمان، وتأكدنا من عدم وجود أيّة علاقة لها بشيخية تبريز مطلقاً، لزمنا أن نتصدّى لأساسها ونقف على مغرسها الأول لنعرف باذرها على التحقيق. فشيخية كرمان يدّعون أنّهم تلقوها عن سلفهم، وأنّهم أخذوا بها عن طريق السيد كاظم الرشتي، وكان بدوره قد تلقاها

(١) الأنوار الجلية، ص ٧.

عن الشيخ أحمد الأحسائي، بينما تنكر شيخية تبريز هذه المزاعم وتفنّدها، وتنفي عن الأحسائي والرشتي الاتّهام الذي ألصقه بهما الكرمانيون. وبينهما أخذ ورد لن يوصلا إلى نتيجة، والرجوع إلى مؤلفاتهما هو الطريق الوحيد الذي نصل بواسطته إلى الحقيقة.

وإذا تتبّعنا كلام الأحسائي في مؤلفاته كلها وجدناه يتعرض للمسألة في مكانين فقط، أحدهما قوله: «... مؤمن بشاهدكم أي الأئمة الأحد عشر عليهم السلام، وغائبكم أي الحجة عليه السلام أو شاهدكم أي الناطق منكم يعني قطب الوقت ومحل نظر الله من العالم المسمى بالغوث على اصطلاح أهل التصوف، ويسميه أفلاطون مدبر العالم، وأرسطو إنسان المدينة، وهو الفارقليطا أي مظهر الولاية، أو الموجود المقابل لمن مضى ولمن يأتي، أو الحاضر، أو الشاهد على المكلفين أو لأعمالهم، أو العالم بالشهادة والمدبر إلى الخلق، أو بالملك، أو المحدث لهم أو عنهم على الاحتمالين، أو القائم على كل نفس بما كسبت إلى غير ذلك، وغائبكم أي الإمام الصامت. ولا بد لكل زمان من ناطق وصامت والصامت موقوف على الإذن من الناطق...»[1].

ويرى الشيخ موسى الأسكوئي: أنّ هذا القول خالٍ من الإشارة إلى ما ادّعاه الحاج محمد كريم خان وولده الحاج محمد خان من لزوم وجود رجل ناطق من الرعية في كل عصر، فضلاً عن التصريح والدلالة. كما يؤكّد على أنّ قوله: ولا بد لكل زمان من ناطق وصامت. وإن صلح للاستشهاد ظاهراً فإنّه مردود لأنه نص ما ورد في بعض الأحاديث[2].

أمّا السيد مهدي القزويني فقد استنبط من ذلك القول: أنّ إمامة الخلق عند الأحسائي غير مختصة بأهل البيت لعدم صدقها بالنسبة إليهم؛ لأنّ معظم الأئمة عاش ناطقاً مدة ثم ولد له من يكون الصامت بالنسبة إليه. كما استفاد من بعض

(١) شرح الزيارة الجامعة / . .
(٢) إحقاق الحق، ص ١٨٥.

تعابير الأحسائي أنّه يرى نفسه الناطق في زمانه؛ لادّعائه معرفة الغيب وكلمات الأئمة وما عندهم، وزعمه بأنّه تلقّى ذلك منهم[1].

ونحن إذا تأملنا كلام الأحسائي، بدا لنا أنّه يتناول الفكرة بإطارها العام دون أن يخصها بالأئمة من آل محمد عليهم السلام وأنّه يقصد المفهوم القديم منها وهو الذي ألفه الحكماء اليونانيون، وإلا فما هي علاقة أفلاطون وأرسطو والفارقليطا إذا كان مراده ما اصطلح عليه في بعض الأحاديث التي تروى عن الأئمة؟ إذ ليس للاستشهاد بقول فلاسفة اليونان ما يزيد المعنى ثقة ورسوخاً في أذهان أصحاب الحديث وهم ظاهريون في الغالب وأعداء للحكماء وساخرون بمقولتهم. وكذلك ما هو معنى الغوث وما فائدة ذكر المتصوفة إذا كان الموضوع خاصاً بالنيابة الخاصة والعامة في المذهب الشيعي؟ ونحن لذلك نعتقد أنّ كلامه من قبيل ما كان يصطلح عليه إخوان الصفاء بالنسبة للاستعداد للنبوة ومعنى التكامل. فقد كانوا يعبّرون بالإنسان الكامل والحكيم الكامل[2] فالإمام هو الإنسان الكامل وهو علة وجودية يستند إليها الكون، والأئمة على اختلاف عهودهم هم الأقطار أو الدعائم التي يقوم عليها صرح الوجود، فلا يمكن أن تخلو الأرض من الإمام أو الخليفة؛ لأنّه علة وجودية وأساس للتكوين، وهو الواسطة بين عالم الأمر وعالم الخلق كما يقول الجيلي[3].

لكنّ الأحسائي نفسه ينقض قوله بوجوب ناطق وصامت في كل زمان، فقد سأله بعضهم عن الناطق والصامت في زمن غيبة الإمام المهدي المنتظر (عج) إذا كان وجودهما ضرورياً على الدوام، فأجاب بما حاصله: إنّ هذا الحكم مختصّ بما عدا الطرفين، فقد عاش آدم أبو البشر مدة وهو ناطق بدون صامت؛ لأنّ ولده شيثاً أول الأئمة الصامتين وهو من آخر أولاد آدم. والإمام المنتظر يعيش الآن بدون صامت أيضاً. هذا هو الافتتاح وذلك الاختتام. وقال: «إن الحديث المشار

(١) بوار الغالين، ص ١٧٠ و١٧١.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية / مادة: قرمط. ومن تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، ص ١٥٠.
(٣) الإنسان الكامل، ص ١٩٣.

إليه ليس عاماً ولا مطلق الحكم»[1]. كما يصرّح في موضع آخر: بأنّ ترتيب القطب والأركان والنقباء والنجباء في العالم من محدثات العرفاء، واعترف بأنّه لم يجده من طرقنا، وإنّما ذكره متصوفة العامة[2].

أمّا ما نسبة التنكابني إلى الأحسائي من تأليف رسالة في أنّ الكاف في: إياك نعبد وإياك نستعين. في حال الصلاة خطاب للإمام علي عليه السلام [3]، أو ما كونه قد ذهب إلى أنّه إشارة للولي الذي هو الركن الرابع للذات الغيبية كما قاله الهمداني[4] وردّده كاشف الغطاء[5] فله ذكر في الرسالة الخطابية، فقد سئل: هل تقصد الذات غير المدركة بصفة من الصفات الجمالية أو الجلالية[6] أم تقصد شيئاً آخر؟ فقال: «اعلم أنّ الله سبحانه لا يدرك من نحو ذاته بكل اعتبار وإنّما يدرك بكل ما تعرف به له... وإليه الإشارة بقول الحجة عليه السلام في دعاء رجب: «ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك». فهذي المقامات التي دعاك إليها فيتوجه إليها قلبك فيجده عندها وتعبدك بها بأن تدعوه بها وتعبده فيها... وبالجملة كل شيء لا يدرك أعلى من مبدئه وأنت خلقت بعد أشياء كثيرة فلا تدرك ما وراء مبدئك... فلا تدرك إلا نظراءك في المخلوقية وهي الآثار... فإذا قلت إياك نعبد فأنت تعبد الله وتقصده بعبادتك لا غير، على نحو ما قلناه...»[7].

وهذا القول ككثير من أقوال الأحسائي يتضمّن رأياً فلسفياً. فهو هنا يشير إلى قاعدة العقول العشرة وذهاب الحكماء بموجب قاعدة إمكان الأشرف وغيرها

---

(١) الرسالة الصالحة في جوامع الكلم: ١/ ٩٢.
(٢) شرح الزيارة الجامعة، ص ٣١٤ ورسالة العصمة والرجعة، ص ١٣٢.
(٣) قصص العلماء، ص ٣٤.
(٤) هدية النملة، ص ٤ ـ ٦.
(٥) فوز العباد، ص ٣٥.
(٦) تسمى صفات الله الثبوتية الحقيقية كالعلم والقدرة ونحوهما ـ في اصطلاح علماء الكلام ـ بصفات الجلال وتسمى الصفات السلبية كغير عاجز وغير فان بصفات الجلال.
(٧) جوامع الكلم: ٢/ ٣٥.

إلى أنّ العقول أول الموجودات ومبدأ الصوادر ووسائل الفيض. وقاعدة: الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد تقتضي أن يكون الصادر الأول من الذات الأحدية هو العقل الأول، وهو حسب لسان الشرع عبارة عن مرتبة العقل المحمدي، ويعبر عنه بالحقيقة المحمدية أو نور محمد وآله، وقد صدر عن تعقله أو تعلقه بمبدئه العقل الثاني وهكذا إلى العقل العاشر المسمى: بالعقل الفعال. ومعناه: أنّ الحق جل وعلا يفيض الوجود إلى العقل الأول ابتداءً وإلى الثاني ثانياً بالواسطة، وهكذا فكل عقل بالنسبة إلى الآخر واسطة للفيض.

وبناء على ذلك فإنّ الأحسائي لا يرى الولي ـ سواء كان نبياً أو إماماً ـ معبوداً له كما يصرح به قوله: وإنّما يدرك بكل ماتعرف به له. ويقصد بذلك واسطة الفيض، ويوضّح غرضه أكثر قوله: كل شيء لا يدرك أعلى من مبدئه وأنت خلقت بعد أشياء كثيرة فلا تدرك ما وراء مبدئك. فهو تصريح منه بأن الوسائط بينك وبينه كثيرة، فتعرّفك عليه تعرّف الداني على العالي، وهذا ما لا يتحقق عن طريق القفز، وإنّما يقتضي التدرّج بواسطة المراحل المتعددة كل بحسبها، وليس بعد قوله: فإذا قلت إياك نعبد فأنت تعبد الله وتقصده بعبادتك لا غير على نحو ما قلناه من توضيح للقصد.

وعلى كل؛ فإنّ دمج مثل هذه الآراء الفلسفية بالقواعد الشرعية وشؤون العبادة وما تقتضيه ظواهر الألفاظ والتعابير ممّا يوجد المصاعب، ويجر إلى المتاعب، ويدعو إلى التساؤل ويثير الشكوك. وحبّذا لو أفرد كل موضوع على حدة وذكر مع ما يناسبه ما هو من شاكلته؛ ليتوجّه إلى كل منهما أهله، فلا يكون هناك منشأ للنزاع وحاجة إلى التأويل والتطويل ونحت الأعذار وخلق المبررات.

لقد طال بنا الكلام مع الشيخ أحمد الأحسائي، فلنعد إلى خليفته السيد كاظم الرشتي لنرى: هل له رأياً في الإمام الناطق والركن الرابع أم لا؟

تطرّق الرشتي لمثل ذلك في موضعين، وردت في أولهما كلمة الناطق والركن والنقيب وقال فيه: «... أحدها الأركان: وهم أربعة، موجودون لا يتغيرون ولا يتبدلون ولهم الهيمنة على الأشياء كلها حتى النقباء، وذلك أعلى

المقامات والدرجات. وثانيهما النقباء: وهم ثلاثون نفساً، ولهم هيمنة على الأشياء بطاعة الله... وهؤلاء الثلاثون لهم الاتصال بالغوث الأكبر والسر الأعظم بواسطة الأركان، ويفعلون به ما أرادوا وشاؤوا في كل الأعيان، فكل منهم الإنسان الكامل والبشر الواصل قد ظهرت فيه النفس الناطقة القدسية التي من عرفها فقد عرف الله ومن جهلها فقد جهل الله...»[1].

ومعظم الألفاظ والمصطلحات التي يستعملها إسماعيلي باطني. أمّا الموضع الآخر ففيه تلميح؛ بل تصريح بأنّ أستاذه الأحسائي لائق للمقام؛ بل متعين. وهذا القول طويل مهلهل، ولكن ليس لنا بد من الاستشهاد به بعد حذف ما يمكن الاستغناء عنه ولا يخل بالمعنى منه. قال:

«وكذلك العلماء الباقون تصدّوا لإظهار ما تصدّى رسول الله ﷺ لظاهر الشريعة، وحكوا مثال اسمه الذي في الأرض وهو محمد ﷺ، فإنّ له اسمين: اسم في الأرض وهو محمد، واسم في السماء وهو أحمد... ومن عهد النبي ﷺ في رأس كل مئة سنة كان يظهر من يروج الأحكام المناسبة لذلك المقام... إلى أن بلغ الكتاب أجله وتم تمام المئة الثانية عشرة، وإذا ظهر بعض الكاملين وأظهر بعض البواطن للبالغين الواصلين... كما فعله الشيخ الأكبر - يعني الأحسائي - وجعل حقائق المطالب وخزّنها تحت الألفاظ والعبارات... فلمّا تمّت الدورة الأولى المتعلقة بالظواهر لشمس النبوة... وبعبارة أخرى: الدورة الأولى لشمس النبوة كانت لتربية الأبدان والأرواح المتعلقة بها مثاله الجنين في بطن الأم. والكرة الثانية لتربية الأرواح القادسة والنفوس المجردة الغير مرتبطة بالأجسام، مثاله تربية الأرواح بالتكليف في هذه الدنيا، فلمّا تمّت الدورة الأولى لشمس النبوة التي هي متعلقة بتربية الظواهر التي هي مقتضى ظهور اسم محمد أتت الدورة الثانية لشمس النبوة لتربية البواطن. فكان فيها اسم رسول الله ﷺ الذي في السماء وهو أحمد، فكان المروّج فكان الرئيس، والمروج في رأس هذه المئة أحمد المسمى بأحمد... لكني في ضيق المجال وتبلبل البال

(١) شرح القصيدة، ص ١٨٢.

وابتلائي بمقاساة الأنذال ومكابدة أذيّات الجهال؛ فلا يسعني الآن شرح هذه الأحوال، فلو مدّني الله بالبقاء... كتبت رسالة منفردة أبيّن فيها رئيس هذه المئة، أي المئة الثالثة عشرة التي نحن فيها، وهي الألف ومائتان وسبع وخمسون من الهجرة فاشرح أحواله وأبين صفاته... وأزيح جميع الإشكالات في أنّه المرجع الواجب عليه بيان تلك المطالب والإشارات...»[1].

وقد اعتذر الأسكوئي عن الرشتي وهو بصدد نفي ادعاء الكرمانيين، بأنّ الفكرة قد وصلت إليهم عن طريق الرشتي الذي استقاها من أستاذه الأحسائي، اعتذر عن الرشتي لاستعماله هذه المصطلحات فقال: «لا يذهب عليك أنّ أصل المطلب أي ترتيب القطب والأركان والنقباء والنجباء في العالم لم نعثر من طرقنا على ما يدل عليه لا على الترتيب المذكور ولا على العدد، وهذا الكلام من السيد الأمجد رحمه الله مماشاة وجري على مذاق العرفاء لا على الحقيقة...»[2].

وتلك مغالطة واضحة ورأي غير مقبول، فكيف يعقل أن يدخل مؤلف في كتابه ما لا يؤمن به ولا يرتضيه؟ ويدوّن ما ليس من رأيه ولا يوافق معتقده؛ بل لمحض المجاملة؟ وهل في القضايا العلمية والعقائدية مجاملة؟ ثم ماهي علاقة الرشتي بالعرفاء، وأين هم منه؟ وهل دوّنوا في كتبهم بعض آرائه التي لا يؤمنون بها مجاملة له فدفعه ذلك إلى أن يعاملهم بالمثل؟ لم يكن شيء من ذلك مطلقاً. ولكنّ الأسكوئي لمّا كان يريد أن ينفي الموضوع عمد إلى مختلف الحجج والمعاذير مقبولة كانت أم غير مقبولة بغية الوصول إلى هدفه.

والخلاصة: إنّ مسألة الإمام الناطق والركن الرابع ممّا اختصّت به الشيخية، فقد ظهرت نواتها الأولى في مؤلفات الشيخ أحمد الأحسائي، وتلقاها من بعده خليفته السيد كاظم الرشتي فوضّحها أكثر من ذي قبل وقرّبها إلى الأذهان بعض الشيء. وقد تنكّرت للفكرة شيخية تبريز منذ أن اختلف اتجاهها بعد وفاة الرشتي فلم يقل بها أحد منهم إطلاقاً، بل عمدوا إلى ما يدلّ عليها في كتب الأحسائي

(١) شرح القصيدة، ص ٢١٤.
(٢) إحقاق الحق، ص ٢٠٣.

والرشتي ففسروه تفسيراً آخر، وصرفوه وأوّلوه إلى معانٍ لا تتبادر إلى الذهن. ولمّا قامت مدرسة كرمان أقبل عميدها الحاج محمد كريم خان على الفكرة ففرّعها ووسّعها ودوّنها بالتفصيل، واستدلّ على صحتها ووجوب القول بها معقولاً ومنقولاً. وبعد وفاته ورثها ولده الحاج محمد خان الذي خلفه على مقامه، فقال بها ودوّنها في غير واحد من مؤلفاته وأجوبة مسائله. ثم تغيّر مفهومها وأبدل معناها وظهرت بوادر الرجوع عن القول بها بعد أن طغت على باقي عقائد القوم وغطّت كل خلافاتهم وما انفردوا به من أقوال ومعتقدات، وبلغت من الشهرة حداً صارت فيه لقباً للقوم فعاد الكثير من الناس يسميهم بالركنية بدلاً من الشيخية.

والذي يظهر للعيان في هذه الأزمان، أنّ بداية ذلك التراجع كانت على عهد الكرماني الكبير؛ بل ومنه شخصياً، ففي الأيدي كراس صغير له باسم «الركن الرابع» يثبت فيه معناها الجديد ولا يتعرض لمفهومها السابق، ولولده المذكور آراء تؤيّد ذلك المعنى أيضاً، والذي أعتقده أنّ الكراس منسوب إلى الكرماني، وأنّ بعض أبنائه أو أتباعه لمّا رأى الضجة قائمة عليه بسبب هذه الفكرة وأصوات الاستنكار مرتفعة من كل مكان عمد إلى تأليف الرسالة ونسبها إليه ونشرها لتكون سلاحاً في يد المدافعين عنه. ويحملنا على هذا الاعتقاد أنّ الكرماني كان مؤمناً بالنظرية إيماناً راسخاً، وقد دلّل عليها كثيراً، وتحدّث عنها طويلاً، فكيف يمكن أن يتبدّل ذلك الموقف الثابت بطرفة عين؟ وكيف يقتنع بأن يضع في مقابل ذلك الكتاب الضخم والبرهنة الواسعة كراساً صغيراً يتميز بالسطحية ويفتقر إلى الاستدلال؟ وإذا صدق اعتقادنا فقد أخطأ واضع الرسالة خطأ كبيراً وأساء إلى الكرماني إساءة بالغة بنسبة التناقض إليه، ولم يستطع أن ينفعه أو يقنع الناس بصحة الرأي الجديد.

ومهما يكن الأمر فقد شاع المفهوم الجديد للكلمة، ودُوّن في كتب القوم ورسائلهم، وجرى على الألسن، وأنكروا ما عداه ودافعوا عن سلفهم بحرارة ونفوا أن يكون أحد من مشايخهم قد فاه بغير ذلك. في الوقت الذي تنطق فيه مصادرهم الأولى بصراحة، وهي مطبوعة منشورة.

«خاتمة»

لقد نشأت الشيخية في بداية أمرها حركة إصلاحية دينية استهدفت خدمة العقيدة بالتوفيق بين الفلسفة والشريعة، فحاول رجالها الأقدمون تهذيب الاعتقادات وصيانتها وترسيخها في أذهان المسلمين، وعمدوا إلى التأويل ففسّروا بعض آيات القرآن وأخبار النبي وآله عليهم السلام بما يوافق أذواق الناس مع المحافظة على جوهر العقيدة؛ وذلك لصيانة عقائد النشئ الجديد، وجلب المارقين والمشككين إلى حظيرة الدين. وقامت عليهم يومئذ قيامة الظاهريين الذين لا يعترفون بقيمة العقل وأهله ولا يحفلون بالحكمة وآراء الحكماء.

ولم يكن النزاع دينياً محضاً، بل دعت إليه خصومة شخصية بين الشيخ أحمد الأحسائي وبعض العلماء المعاصرين له، وقد تذرّع الخصم ببعض آراء الأحسائي ـ بغية النيل منه ـ فاعتبرها مخالفة لإجماع رجال المذهب الشيعي، وأضيفت إليها اتهامات من شأنها إثارة عواطف العوام من الناس، فارتفعت أصوات الاستنكار من كل جانب ومكان، وسادت الفوضى حتى تفاقم الأمر وعجز المصلحون عن رتق الفتق وإخماد الفتنة.

ولم تكن الآراء المنسوبة إلى الأحسائي صحيحة كلُّها، ففيها الكثير من المختلقات. كما لم يكن قد تفرّد بالصحيح منها؛ بل سبقه إليه كثيرون من علماء الشيعة عبر القرون. كما سبق ونوقشت آراؤهم وسجلت عليهم الانتقادات، إلا أنّها لم تصل إلى حد التشهير بهم والحكم بكفرهم وزندقتهم؛ بل نحتت لهم الأعذار، ووجّه كلامهم بما يوافق المعتقد العام، وظلّت لهم مكانتهم الرفيعة على مرّ الأجيال، إذ لم يكن بينهم وبين نقّادهم حقد أو غرض. لكنّ قصة الأحسائي قد طُعّمت بغرض شخصي، فلم يعذر، ولم يؤوّل كلامه؛ بل كانت المبادرة إلى الحكم بضلاله أسرع، إذ كانت الوقيعة به هي الغرض الأول.

وقد اضطر الأحسائي وتلامذته ومن اقتفى أثرهم من بعد ـ على أثر الضغط الشديد والعنف الذي لا قبل لهم به ـ إلى التراجع عن بعض آرائهم، وتوجيه البعض منها توجيهاً يوافق معتقد الخصم، وإلى إنكار ما لم يكن يقبل التأويل والتعليل من أقوالهم. . . شأن أحرار الفكر والمصلحين في كل زمان ومكان.

وبلغ الأمر باسم الشيخية حداً جعلها سلاحاً قوياً في يد الرؤساء من العلماء والحكام، وصارت أنجح وسيلة للوقيعة، وصار الاتّهام بها كافياً لدكّ المتهم بالأرض وإسقاطه في نظر الخاصة والعامة مهما كانت مكانته الاجتماعية. قال الشيخ عباس آل كاشف الغطاء عن الشيخ محسن خنفر ـ وهو أحد أساطين العلم وجهابذته ـ: «قيل إنه يرى رأي الشيخ أحمد الأحسائي في أصول العقائد، ولم يتحقق ذلك؛ وإنّما هي غمزة من بعض أعدائه، فتوقّف لذلك جماعة من الناس عن تقليده. . .»[1].

وروى الشيخ محمد حرز الدين: أنّ السيد حبيب كمونة حضر احتضار السيد مهدي القزويني، فسمعه يقول: «أبرأت ذمة كل من ظلمني إلا من رماني بالكشفية»[2] وأنّ الاتهام بالشيخية كان العامل المؤدّي إلى تكفير الشيخ هادي الطهراني ـ من أعاظم عصره ـ من قبل الشيخ حبيب الله الرشتي وخذلانه وإهانته بين مختلف الطبقات[3].

ونقل جعفر الخليلي: أنّ السيد جعفر الحلي ـ من شعراء وقته ـ كان يُرمى بالكشفية فيتألم، وللأدباء معه نوادر[4]. إلى كثير من أمثال ذلك.

إنّ مشكلة علماء الشيخية تختلف اختلافاً كبيراً عن مشكلة عوامهم، فالفريق الأول يتسلح بالعلم؛ فيستطيع مقارعة الحجة بالحجة، ويتمكن من دعم رأيه بالبرهان، ويقدر على دحض الاعتراض بالاستدلال، ويكون له في الأخير

(١) ماضي النجف وحاضرها: ٢/ ١٦١ نقلاً عن «نبذة الغري في أحوال الحسن الجعفري».
(٢) معارف الرجال: ٣/ ١١٣.
(٣) معارف الرجال: ٣/ ٢٢٥ و٢٢٦.
(٤) هكذا عرفتهم: ١/ ٣٨٣.

موافقون وأتباع، فيهون عليه الخطب ويتوطّن لتحمّل تبعة رأيه وما يجرّه إليه من ويلات ومتاعب. لكنّ سواد الشيخية لا يملكون تلك المقدرة والمنطق ليتمكنوا من الدفاع والردّ عن أنفسهم ومعتقدهم، ولذلك فإنّ التصدّي لهم ومحاولة إخضاعهم أو امتحانهم مخالفة للدين وظلم للوجدان.

ولقد تعرض الشيخيون منذ ظهور حركتهم وحتى الأمس القريب ـ بل حتى اليوم في بعض المناطق ـ إلى صنوف الأذى ومختلف أساليب الامتهان، سواء في العراق أو إيران، وكانوا عرضة للسلب والنهب، بل للتعذيب والقتل. وقد وقعت في مراكز شيخية آذربايجان، ولا سيما تبريز حوادث همجية ومذابح بشعة غير مرّة، منها، على سبيل المثال، قصة فتوى الشيخ أحمد التبريزي الملقب بالمجتهد بكفر الشيخية ووجوب منعهم من دخول الحمامات العامة. فقد اتّفق لبعض الشيخية دخول حمام كان قد استحم فيه قبل يوم، فمنعه صاحبه من الاستحمام في الماء خوف تنجيسه طبقاً للفتوى التي انتشرت في ذلك اليوم، فأيّد بعض الحاضرين صاحب الحمام، وانتصر آخرون للشيخي ووقع الاصطدام في داخل الحمام وتوسّع حتى انجرّ إلى الأسواق فعطّلت، وامتلأت الشوارع بالمقاتلين من الفريقين وفتك كل فريق بالآخر فتكاً ذريعاً، وأزهقت نفوس كثيرة وحدثت أضرار جسيمة وضعفت قوى الطرفين، فتدخل الشاه زاده ملك قاسم حاكم تبريز فأخمد الفتنة وعادت الحياة الطبيعية للمدينة[1].

ومن الحوادث المؤلمة أيضاً ما وقع في همدان عام ١٣١٤ ـ ١٨٩٦، فقد أحرقت بيوت الشيخية، وكانوا من الأعيان وذوي الثروة. وأحرق الميرزا محمد علي الهمداني، وكان من الوجوه البارزة، ووقف السلطان مظفر الدين شاه القاجاري موقف المتفرّج فلم يتدخّل ولم يضع حدّاً للأعمال البربرية؛ لأن بعض النابهين من خصوم الشيخية اتّهمهم عنده بقصد التعرض للعرش[2].

---

(١) شيخيگري بابيگري، ص ٢٢، ٣١ و٣٢ نقلاً عن «روضة الصفا».
(٢) المصدر نفسه.

ولم يكن تطور الزمن وتقدم العقل ليردع البشر عن استعمال الأساليب الهمجية اللّاإنسانية التي كانت مألوفة قبل ألف عام. ولو رجعنا إلى الوراء وتذكرنا المجازر التي ارتكبت بحق الباطنية، وقارنّا بينها وبين ما حدث بالنسبة للشيخية، وجدنا التاريخ يعيد نفسه بصورة بغيضة؛ فقد قتل أحد أمراء خراسان في مدة قليلة أكثر من مئة ألف من الباطنية وبنى من رؤوسهم بالري مناراً أذن عليه المؤذنون[1]. وقتل محمود بن سبكتكين سلطان غزنة في مدينة ملطان في الهند ألوفاً منهم وقطع أيدي ألف[2]، وكذا الحال بالنسبة للشيخية، فقد كانت لهم بين الآونة والأخرى مجزرة رهيبة تقشعر منها الأبدان.

وقد سبق للشعب الإيراني ـ كباقي الشعوب ـ أن لقي على يد علمائه وحكامه نظير هذه المجازر كثيراً، منها: حملة الإبادة التي شنّها الشاه عباس الصفوي على المشتغلين في المكاتب والجمعيات الفلسفية ـ بإشارة الشيخ محمد باقر المجلسي وغيره من رجال الدين ـ فقد قام بعملية قتل جماعي للعلماء وتلامذتهم، وهي الوقعة المعروفة بـ «نكبة النقطوية والحروفية»، وكان بعض الفلاسفة قد عمد إلى فتح مكاتب وتأسيس جمعيات للتعليم في أواخر القرن العاشر الهجري والتفّ حولهم عدد كبير من طلاب العلم، وفي سنة ١٠٠٢هـ/ ١٧٨٥م هاجمت قوات الشاه تلك المقرات فدمرتها وقتلت من كان فيها كافة.

ومن غرائب ما سجّله التاريخ عن تلك المجزرة: أنّ شاعراً من أهل كاشان اسمه «باقر خرده ئي» كان من تلاميذ محمود النقطوي رئيس أحد تلك المكاتب الفلسفية، وقد تذرّع بعذر قبيح طلباً للسلامة، ذلك أنّه ادّعى امتهان اللواط والهيام بغلام أمرد من تلامذة النقطوي، وأنّه كان يتردّد إلى المكتب ليحاول الفسق بالغلام لا طلباً للعلم. وقد شفع له بعض علماء خراسان وأيّدوا ادّعاءه فعفي عنه ونجا من الموت[3].

---

(١) تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٧٤.

(٢) الفرق بين الفرق، ص ٢٧٧.

(٣) روز روشن، ص ٨٦ و(آتشكدة آذر، ص ٢٤١) و (تذكرة غني، ص ٢٤) و (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٧/ ٢٦٥ و٩/ ١٢١ و١٢٢).

ومن الخزي أنّ يسجل التاريخ في حكم عباس الصفوي هذه المثلبة وأنّ الانحراف الخلقي والشذوذ الجنسي أهون لديه من طلب المعرفة.

وقد يدافع البعض عن أمثال أولئك الحكام بحجة أنّ مقاومتهم للمشتغلين في تلك المكاتب كانت من باب الدفاع عن النفس؛ لأنّها كانت تعمل على توعية الناس، وتنشر الأفكار الهدّامة لأسس ذلك الحكم والمناوئة للحاكمين! ولو سلمنا بصحة ذلك الرأي جدلاً لبقي عندنا سؤال وهو: لماذا لم يقتصر الاقتصاص على حملة الأفكار المناوئة للسلطان؟ فهل أنّ كل مشتغل فيها كان من حملة تلك الأفكار؟ ثم ما هو ذنب النساء والأطفال الذين أحرقوا وقتلوا مع الرجال؟

ويرد نفس السؤال بالنسبة لعوام الشيخية، فإذا جزمنا بأنّ لهم علماء يوجهونهم تلك الوجهة، فلماذا لا يخصّ أولئك النفر بالنقمة ـ إذا ثبت ضلاله عندهم ـ؟ وأي شريعة تبيح للمجتهد أن يحكم بكفر الأبرياء والسذج الذين لا يفهمون مسائل الحكمة، ولا تهضم عقولهم آراء الأحسائي والرشتي وخلفائهما؟ وأي دين أو قانون يسوغ للحاكم أن يطبّق فتوى المجتهد بإزهاق أرواح بريئة لا علم لأصحاب بما قال علماؤها، وبما أخذه عليهم الخصوم؟

قال خالد محمد خالد: «لقد كانت تهمة الإلحاد إحدى الموبقات التي اقترفتها السلطة عبر التاريخ بلا وعي وبغير عدل. وفي المسيحية والإسلام معاً ساقت السلطة أحرار القلوب إلى المحاكمات والاضطهاد والتعذيب... ولم يكن الإجهاز على حياة نافعة عظيمة أو إلحاق الأذى بنفس بارّة كريمة يكلّف الذين بيدهم السلطان أكثر من انفراج شفاههم عن هذه الكلمة الخاطئة الكاذبة: ملحد... أو زنديق!! وكثيراً ما كان وراء التشيع للدين والتظاهر بالحفاظ عليه أسباب أخرى لا تمتّ للدين بصلة»[1].

(١) في البدء، كان الكلمة، ص ٣٤ و٣٥.

وقال السيد عبدالله الموسوي: «إنّ كلمة التكفير في يومنا هذا لقلة المتدينين أصبحت سهلة على الألسن فهم يتفكّهون بها ويتلذّذون بمضغها، وإن كانت عظيمة عند الله...»[1].

وللتدليل على نوعية الفتاوى وأهداف المفتين، نذكر شاهداً واحداً: هو فتوى الشيخ نوح الحنفي ـ وكان البعض قد تقدم إليه بسؤال عن سبب وجوب مقاتلة الشيعة وجواز قتلهم ـ قال: «اعلم أسعدك الله أنّ هؤلاء الكفرة والبغاة الفجرة جمعوا بين أصناف الكفر والبغي والعناد وأنواع الفسق والزندقة والإلحاد، ومن توقف في كفرهم وإلحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم، فيجب قتل هؤلاء الأشرار الكفار؛ تابوا أو لم يتوبوا...» ثم حكم باسترقاق نسائهم وذراريهم.

«وقد أباد بهذه الفتوى من مؤمني حلب أربعين ألفاً أو يزيدون، وانتهب أموالهم، وأخرج الباقين منهم من ديارهم إلى نبل والنغاولة وأم العمد والدلبوز والفوعة وقراها. وهاجم الأمير ملحم ابن الأمير حيدر بسبب هذه الفتوى جبل عامل عام ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤، فانتهك الحرمات واستباح المحرمات «وقعة أنصار»، وقتل وسلب وخرّب ونهب وأسر ألفاً وأربعمائة من المؤمنين، ولم يرجعوا حتى هلك»[2].

ولست أقصد بذلك الغرض الطائفي بين الشيعة والسنة، فقد وقعت أحداث فظيعة بين أبناء المذاهب السنية[3]، كما وقعت بين أبناء المذهب الشيعي الواحد كالذي حدث بين الأخباريين والأصوليين وبين الشيخية وخصومهم، وكثير غير ذلك.

وليست الفتوى الأخيرة التي صدرت في العراق ضد الشيخية عام ١٣٧٠ ـ ١٩٥٠ ببعيدة عن الأذهان، فقد شهدنا ما نجم عنها من فتن وحوادث. وذلك أنّ الشيخ محمد الخالصي قد أفتى بكفرهم وشركهم ونجاسة سؤرهم وألّب عليهم

(١) الأنوار الجلية في رفع الشبهات عن الشيخية، ص ٢٦.
(٢) الفصول المهمة في تأليف الأمة، ص ١٣١ ـ ١٤٢. ط ٥. و (جبل عامل في التاريخ: ٢/ ٧٥).
(٣) ظهر الإسلام: ٢/ ٤ و٣٩.

السلطة. وكتب إلى بعض أهل البصرة: «تعاونوا مع الشرطة في حفظ الأمن وجِدّوا في إعلان شرك الشيخية، ولا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تعاملوهم فإنّ ذلك محرم كله». وكتب إلى آخر: «يجب عليكم طردهم من مجامعكم، والتحرز من سؤرهم لنجاستهم، وإعلان كفرهم وشركهم بين إخوانكم السنيين لتتّحد بذلك كلمة المسلمين...»[1].

وممّا نجم عن تلك الفتوى في شهر صفر بمناسبة أربعين الإمام الحسين بن علي عليه السلام ـ وهي مناسبة تفِدُ فيها مئات الألوف من مختلف مدن العراق على شكل هيئات ومواكب ـ أن عزل بعض الأواني التي احتسى فيها شيخي القهوة أو الشاي بإشارة أحد الأخيار، وأوشكت أن تقع مذبحة عظيمة لأن معظم الفريقين كان مدججاً بالسلاح ومتهيئاً للانتقام من خصمه، ولكن بعض الغيارى تدارك الموقف وستر الله.

وعلى عكس الفتاوى السابقة فأنّ هناك فتاوى لعلماء أتقياء أحرار الفكر حقنت دماء مظهري الإسلام من أصحاب الشهادتين وصانت حرماتهم ولم تنقّب عن ضمائرهم ودخائل نفوسهم، فقد استفتي الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء عن سؤر الشيخية فأفتى بطهارته، وكان ممّا قال: «إنّ كل من شهد الشهادتين وقال إنّي مسلم وديني الإسلام فهو محكوم بأحكام الإسلام من حرمة دمه وماله وعرضه، وطهارته ومصاهرته وغير ذلك. ويجب معاملته على ظاهر اعترافه ولا يجوز البحث عن سريرته، فنحن مكلّفون بمعاملة الناس على الظاهر، والله يعاملهم على السرائر. معاملة الدنيا على الظاهر ومعاملة الآخرة على الباطن. أمّا الجدال والخصام، ولا سيما في مثل هذه الأيام فهو حرام وألف حرام»[2].

وقال في جواب فتوى أخرى: أمّا الشيخية والكشفية فالعوام منهم لا يعرفون شيئاً من تلك العقائد السخيفة المسطورة في أمثال «إرشاد العوام»

(١) الشيخية والبابية أو المفاسد العالمية، ص ١٦٧، ١٨٢.
(٢) الأنوار الجلية في رفع الشبهات عن الشيخية، ص ٥.

للكرماني، و «شرح القصيدة» للرشتي، فهم على ظاهر الإسلام وتجري عليهم تلك الأحكام من الطهارة وغيرها. وأمّا قادتهم وشيوخهم فإن شهدوا على أنفسهم واعترفوا بظاهر تلك السفاسف فهم خارجون من الإسلام وإن أوّلوها بما لا ينافي التوحيد فيعاملون على الظاهر والله أعلم بالسرائر»[1]. وقال في جواب استفتاء مهدي الصالح من البصرة: «لا يخفى أنّ من أشد المحرمات الخوض في مثل هذه الأمور الموجبة للتفرقة وتضارب المسلمين بعضهم ببعض في مثل هذا الزمان الذي أحاط بنا الأعداء فيه من كل جانب، وذل الإسلام حتى غلبت عليه اليهود التي كانت أذل الأمم، فالصهيونية والشيوعية والديمقراطية تجِدُّ وتجتهد بمحو الإسلام وهلاك المسلمين، وقد مضى زمان الشيخ أحمد الأحسائي وكريم خان والسيد كاظم الرشتي وما أبدعوه من خلاف مع علماء عصرهم، فصارت الإمامية منشقة إلى شقين أصولية وشيخية.. أمّا اليوم فاللازم أن نضع يداً بيد وننضمّ تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله جميعاً كإخوان كما أمرنا القرآن الكريم، ونسحق هذه الخلافات تحت أقدامنا لو كنا نغار على الإسلام حقاً. فاتقوا الله يا عباد الله واحتفظوا بما بقي من رمق الإسلام، ولا تكونوا أشد أعدائه عليه...»[2].

وقال السيد محسن الأمين: «أمّا عوامهم فلا يعرفون معنى الشيخية مع التزامهم بالفروض وكفهم عن المنهيات»[3] وقال الشيخ عبد الكريم الماشطة: «وإذاكان بعض آراء الأحسائي يوجب التكفير فما هو ذنب سائر الشيخية وعوامهم ممّن لا يفهم من الدين غير ما يفهمه عوام الأصوليين...»[4] وقال الشيخ عبدالله السبيتي: «... والشيخية يرفعون أصواتهم في الصباح والمساء.. من أعلى المآذن بالشهادة لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة.. وهم يقومون بالشعائر

(١) نصيحة لعموم المسلمين، ص ٩.
(٢) دائرة المعارف العليا، مخطوط، ص ٤٨.
(٣) أعيان الشيعة: ٨/ ٢٩٣.
(٤) مجلة البيان النجفية: السنة الأولى، ص ٦٠٠.

الإسلامية كما يقوم بها المسلمون.. ويتلون كتاب الله... ويحجون إلى بيت الله... وما إلى ذلك من الطقوس الإسلامية..»[1].

وقد اتّصلت بفريق منهم شخصياً وعاشرتهم في «عين التمر»[2] فترة وسألت العديد منهم عن معتقداتهم، فكان جواب بعض المتعلمين منهم: أنّهم لا يعرفون شيئاً عن ذلك، وكل ما يعلمونه أنّهم شيخية[3]، أمّا ما هي الشيخية ولماذا سميت بذلك وما هو الفرق بينها وبين باقي الشيعة، فهذا ما لا علم لهم به مطلقاً. وكنت إذا دخلت إلى مجالسهم ومآتمهم انهال العوام على يدي يقبلونها كما يقبلون يد سائر رجال الدين. وهم يرفعون في محلاتهم وبيوتهم صور المراجع من علماء النجف وغيرها من الذين يرجع إليهم في التقليد سائر الشيعة دون تفريق أو تمييز. ومن أجل ذلك كله نرى أنّ التصدي لعوامهم والنيل منهم بأي شكل كان مخالفة صريحة للشريعة الإسلامية وتعاليمها السامية، وخرق لأحكام الدين وعدم تورّع فيها.

وثمة مبرّر لما ذهبنا إليه فقد ورد فيه نص صريح في الأحاديث، وهو: أنّ ولاء عوام الشيخية لعلمائهم واقتفاءهم لأثرهم ودفاعهم عنهم ناشئ عن الإيمان المطلق والاعتقاد التام بصحة آرائهم وسلامة نهجهم وموافقتهم لباقي الفقهاء الناهجين على منوال آل محمّد عليهم السلام، فهم مثابون على ذلك ومأجورون كما هو لسان كثير من الأخبار. يقول الشيخ عبد الكريم الماشطة: «وإذا كان بعض قاصري العقول من علماء الأصوليين يرى تكفير عوام الشيخية بسبب متابعتهم للأحسائي، فهو يبرهن على ضحالته وسخفه؛ لأن موالاة المنحرف عن الحق - في الشرع - لا توجب الكفر بإجماع المسلمين إذا كان الموالي له يعتقد أنّه من

---

(١) إلى مشيخة الأزهر، ص ١٦٩.

(٢) بلدة في طرف البادية على غربي الفرات تتبع محافظة كربلاء إدارياً أصدر عنها الأستاذ طالب علي الشرقي دراسة جغرافية تاريخية قيمة عام ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

(٣) قال الشيخ أغا بزرك الطهراني: «... كانت العقيدة الشيخية سائدة بين أهل شتاتة» عين التمر «فأرسل الشيخ زين العابدين المازندراني تلميذه الشيخ علي مانع لهداية أهلها..» (طبقات أعلام الشيعة: ١/ ١٥٩).

أولياء الله؛ بل إنّ من يوالي المنحرف إذا كان يعتقد فيه النزاهة والعدالة لا بد أن يثاب على موالاته...»[1].

وقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إنّ الرجل ليحبكم وما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله الجنة بحبكم، وإنّ الرجل ليبغضكم وما يعلم ما أنتم عليه فيدخله الله ببغضكم النار»[2] وروى الكليني والصدوق بأسانيدهما عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «لو أنّ رجلاً أحبّ رجلاً لله لأثابه الله على حبه إياه وإن كان المحبوب في علم الله من أهل النار، ولو أنّ رجلاً أبغض رجلاً لله لأثابه الله على بغضه وإن كان المبغوض في علم الله من أهل الجنة»[3].

وهذه الأحكام التي ذكرها الأئمة من أهل البيت لا تخص العوام بوجه من الوجوه ما زالت قصة إيمان واعتقاد، وإنّما تعمّ العلماء والعوام من الشيخية وغير الشيخية. ونرى أنّ كل خلف من علماء الشيخية يؤمن بقدسية سلفه إلى حد يرفعه إلى مصاف أولياء الله، وخاصة عباده المقربين لديه. فالسيد كاظم الرشتي يؤكّد في وصيته على وضع كتاب كتبه له شيخه الأحسائي في كفنه عند دفنه عسى أن ينتفع به عند الله بسبب شهادة شيخه في حقه[4]، وقد جمع الحاج زين العابدين الكرماني قطعاً من ألبسة مشايخه وأكّد في وصيته على وضعها في كفنه ودفنها معه عسى أن يغفر الله له بحرمتهم[5]. تلك هي نظرة العلماء إلى سلفهم فما رأيك بالعوام؟ وماذا سيفعل العوام بالنسبة لرجالهم الأوائل إذا شاهدوا تجليل قادتهم لهم وإعظام مراجعهم الذين يأخذون عنهم مسائل الحلال والحرام لسلفهم بهذا الشكل؟ فالقوم سواء العلماء منهم والعوام معذورون ومأجورون فيما يفعلون؛ لأنّهم آمنوا، والإيمان والحب لوجه الله ورسوله عمل لا يبلغ ذروته عمل.

---

(١) مجلة البيان النجفية: السنة الأولى، ص ٦٠٠.

(٢) الكافي: ١/ ٣٧٠ و (وسائل الشيعة: ١١/ ٤٣٩).

(٣) المصدران السابقين و (ثواب الأعمال، ص ١٣٢) و (عدة الداعي، ص ٣ طبعة تبريز عام ١٢٨٧) و (تاريخ بغداد: ٨/ ٢٩٦).

(٤) مجموعة الرسائل: ٢/ ٢.

(٥) فهرست كتب شيخ أحمد أحسائي: ١/ ٤٥.

لقد عرضنا في هذه الرسالة لترجمة الأحسائي بشكل مبسط، فخرجنا منها بنتيجة مهمة وهي: أنه كان إنساناً طاهراً منزّهاً عن ذميم الصفات، مبرّأ من شرور البشر، سليم الذات حسن النية زاهداً في مباهج الحياة وملذاتها، شديد الإيمان بالله، دائم العبادة والذكر له، يحب العزلة عن الناس ويميل إلى حياة الأرياف والصحارى حيث يسود الهدوء وتصفوا النفس ويطول النظر في محاسن الطبيعة وجمالها الخلاب ومناظرها الشاعرية الحالمة، ويكثر التأمل في أسرار الكون وعظمة الخالق ويسبح الفكر في مجالاته الرحبة اللامتناهية، ويسمو الخيال وتحلّق الروح وتغمرها الروحانية وتعرج إلى الملأ الأعلى فيقرب العهد من ربه ويناجيه بكل حواسه ومشاعره. لقد عاش الأحسائي في مثل ذلك الجوّ فترات طويلة وسنين عديدة فدفع الاستعداد الحاصل له بقوة فكره إلى جهة الإشراق، ونمت لديه ملكة النيل من الغيب نيلاً ما في حالة اليقظة والمنام[1] وأخذ يطعّم بتلك الخواطر والمكاشفات كلامه إذا تحدّث أو درّس، وتآليفه متى كتب.

واتّضح لنا جليّاً أنّه كان عالماً ضخماً تضلّع في الفقه والحديث والفلسفة والتفسير، وشارك في العلوم الإسلامية الأخرى التي كانت رائجة في عصره. واتّصف بالتقوى والورع وشدة الولاء للأئمة من آل محمد عليهم السلام، وتميز بنزعة عرفانية وتفكير صوفي طغى على أسلوبه، وظهر واضحاً في آرائه، وغرق فيه إلى هامته رغم تنكّره للصوفية والعرفاء وتصديه للرد عليهم. كما ثبت لنا أنه كان مخلصاً فيما قال وفعل، وأنّه لم يقصد الوقيعة في الدين أو الإساءة إلى المعتقدات الإسلامية، ولا سيما الشيعية منها كما قاله بعض خصومه وحاول البرهنة عليه[2]، وأنّ ما بثّه من آرائه في مختلف مؤلفاته هو النتيجة التي توصّل إلى معرفتها، فبنى على صحتها.

---

(١) يقر ذلك بعض كبار فلاسفة المسلمين كابن سينا ونصير الدين الطوسي (الإشارات: ٣/ ٣٩٣) فخر الدين الرازي (شرحا الإشارات: ٢/ ١٢٨ طبعة الخيرية عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م).

(٢) السيد مهدي القزويني في ردوده على الشيخية كافة.

كما عرضنا لترجمة تلميذه وخليفته السيد كاظم الرشتي الذي قام بالأمر من بعده بصورة مفصّلة، فتحدثنا عن أدوار حياته المليئة بالمنغصات والصعاب وما تعرّض له من ضغط شديد وسخرية لاذعة وامتهان لا يحتمل ولا يطاق، وكيف قاوم ذلك بجرأة وشجاعة ورباطة جأش. ولم يقعده عن الدعوة تهديد ولم يثنه عن المضي في طريقه الرصاص الذي أطلق عليه غير مرة. وقد كان له الأثر البالغ في نشر آراء أستاذه وتعميمها وتركيزها، فقد بذل جهداً مضنياً في الدفاع عنها وتوجيه المتشابه منها وتفسيره بما يوافق المعتقد السائد. وتحدّثنا عن أدوار حياته بتفصيل وإسهاب ـ كما هو الحال في ترجمة أستاذه الأحسائي ـ وأوضحنا مراحل حياته العملية وأعددنا ثبتاً كبيراً بآثاره، وتضمّنت الترجمة في مختلف فصولها دقة وإحصاء لم يسبق له نظير فيما كتب عنه، سواء في العربية أو الفارسية.

وقد أعرنا مسألة انقسام الشيخية إلى مدرستين إهتماماً كبيراً، لأنّ هذا الجانب كان خفيّاً على كثير ممّن عمد إلى النقد وتصدى إلى الرد؛ فكيف بالقرّاء؛ وحيث تبنّت كل مدرسة مجموعة من الآراء والمعتقدات وتنكّرت لها زميلتها[1] كان لزاماً علينا أن نكشف هذا الأمر بوضوح لتوقف كمال البحث عليه، ولذلك عرضنا لأسباب الانشقاق والانقسام وتاريخه، وترجمنا لحياة رجال كل مدرسة بالتسلسل من بداية تكونها حتى العصر الحاضر، وذكرنا مراكزهم الاجتماعية ونشاطاتهم الدينية وآثارهم العلمية لتتمّ الموازنة بين علماء المدرستين، ومعرفة مدى أهمية كل فريق، وما بينهما من فروق واختلافات.

---

(١) لقد بلغ الخلاف بين المدرستين أقصى الحدود حتى أن مدرسة تبريز أنكرت عدالة علماء مدرسة كرمان. قال الشيخ محمد أبو خمسين الأحسائي تلميذ الرشتي وجوهر ـ: «لا تجوز الصلاة خلف الركنية» (الرسالة العملية/ المقدمة) أما الشيخ حسن الأحقاقي فيرى استحالة الوفاق بينهما وأن الشيخية شيء والركنية شيء آخر. وقد قال: «وأما الطائفتان الشيخية والركنية فدون الإصلاح بينهما خرط القتاد وأهون من ذلك الجمع بين الأضداد إذ الاختلاف والفرق بينهما أوسع مما بين السماء والأرض وليس بحد يقبل الإصلاح والترقيع... فبين المسلكين بون بعيد وتغاير شديد ولا يمكن التأليف بينهما بالاتحاد الديني اللهم إلا أن يكفوا عن عقائدهم ويرفعوا اليد عن متفرداتهم ويجعلوا الحكم والميزان كتب الشيخ لا كتبهم..» (منظرة الدقائق على تبيان الحقائق، ص ٧٧ و٧٨، ٨٠ـ٨٢).

وقد خصّصنا الباب الأخير من الرسالة للتحدّث عن معتقدات الشيخية والآراء التي خالفوا فيها باقي الشيعة الإمامية، وحصرنا الكلام في أربع نقاط هي في الحقيقة أصول الخلاف والمسائل الرئيسة التي قام حولها النزاع، وسجّلت عليها المؤاخذات، وبقية موارد الخلاف صغروية تتفرع عنها. وقد توصّلنا في المسألة الأولى ـ المعاد ـ إلى أنّ الأحسائي ـ رأس المدرسة ـ قال بروحانيته، وأقواله فيه صريحة لا تقبل التأويل، إلا أنّه قد تراجع عنه على أثر قيام الظاهريين عليه وقال بجسمانيته، وعمد إلى تأويل أقواله بما يوافق الظاهريين؛ غير أنّ ذلك لم يجده شيئاً. وجاء من بعده تلميذه وخليفته الرشتي فنفى عن أستاذه تلك القولة واعتبرها اتهاماً له، واعتذر عنه بمختلف الأساليب، وفي أقواله مغالطة واضحة وتمحّل مكشوف، ويبدو أنّه كان كثير التحفّظ من الهفوات عندما يسأل عن كيفية المعاد؛ فقد كان يتناول عموميات المسألة ولا يتطرّق إلى خصوصياتها تفادياً للمشاكل، وربما بالغ في ترضية الظاهريين لحد تكفير القائلين بروحانية المعاد فقط.

ويستشعر من ذلك موافقته لرأي أستاذه وخوفه من الجهر برأيه صريحاً (فكثّر فارتابت ولو شاء قلّلا).

وجاء من بعده خليفته جوهر، فلم يختلف في عرضه للمسألة عن أستاذه للرشتي، فقد أيّد رأيه ورأي سلفه الأحسائي الأخير من القول بالجسمانية؛ لكنّه لوّح إلى روحانيته بصورة لا تخفى على اللبيب، فقد صرّح بتوسّط الجسد المثالي بين الجسد العنصري والروحي، وأنّ المثالي يدخل يوم القيامة في العنصري الذي يقوم للحساب بعد ذهاب كثافته العارضة، ويبدو واضحاً أنّه لم يستطع أن يكتم ما يعتقده.

أمّا الشيخ موسى الأسكوئي ـ خليفة جوهر ـ وولده وخليفته الشيخ علي بن موسى، وأخوه وخليفته الشيخ حسن بن موسى الأحقاقي، فقد أعادوا أقوال الأحسائي الأخيرة وأقوال الرشتي وجوهر وكأنّهم اتفقوا على صيغة خاصة ومفهوم معين تلقّاه الخلف عن السلف موصين بالحفاظ عليه لأنّهم كرّروا حتى الأمثلة التي ضربها السابقون. ولذلك، فنحن لا نرى أدنى اختلاف في الاعتقاد بالمعاد بين

شيخية تبريز وباقي أهل الظاهر من الشيعة، فالآراء واحدة والأقوال متّفقة. هذا ما كان من أمر مدرسة تبريز. أمّا مدرسة كرمان فلم أقف لرئيسها الحاج محمد كريم خان ـ فيما وقع في يدي من مؤلفاته ـ على قول صريح بالمعاد الروحاني، وقد ذكرت له قولاً مموّهاً مضطرباً قد يستفاد منه ذلك. ونقل الغير عنه رأياً صريحاً لا لبس فيه، صرّح به في مؤلفين فارسيين له لم أقف عليهما. أمّا ولده وخليفته الحاج محمد خان فرأيه صريح في ذلك؛ لأنّه قال بعدم عودة البدن العنصري الذي تألّف من لحم ودم وعظم، ولم أرَ لأخيه وخليفته الحاج زين العابدين بن محمد كريم رأياً في ذلك؛ لكنّ ولده الحاج أبا القاسم الإبراهيمي زعيم مدرسة كرمان المعاصر قد ذهب إلى رأيه تلويحاً لا تصريحاً؛ فإنّه كان يرى جسد الإنسان الأصلي تلحقه الأعراض ثم تزول عنه كما يزول تراب حانوت الصائغ عن سحالة المذهب.

والمسألة الثانية، هي معراج النبي ﷺ، وهل أنّه كان روحانياً أو جسمانياً وروحانياً. وقد اتّضح لنا أنّ الأحسائي قد تورّط في هذه المسألة كما تورّط في سابقتها ـ المعاد ـ، فقد ذهب إلى كونه روحانياً، واعتقد بأنّ جسم النبي قد تلطّف عند صعوده إلى عالم الكون، ولم يكن بهذا الجسد الكثيف بل أنّه ألقى في كل كرة ما يناسبها؛ فألقى ترابه في التراب، وماءه في الماء، وهواءه في الهواء، وناره في النار، وأنّه لمّا رجع أخذ من كل كرة ما ألقى فيها؛ لأنّ صعود عناصره يقتضي الخرق والالتئام في الأفلاك. وتراجع بعد ذلك فناقض نفسه، وقال: إنّه صعد بجسمه وعمامته وثيابه ونعليه، وأنّه لا مانع من الخرق والالتئام، وأنّ الله على كل شيء قدير.

وجاء من بعده خليفته الرشتي، فاقتفى أثره وأكد أقواله وآراءه، وتحامل كذلك على من يقول بروحانية المعراج. وجاء من بعده خليفته جوهر، فأيّد أقوال سلفه الرشتي، وبالغ حتى أساء الأدب بالنسبة لمقام الربّ، فزعم أنّ عرش الله تشرّف بنعل رسوله. وجاء خليفته الشيخ موسى الأسكوئي، فذهب إلى نورانية جسم الرسول ﷺ، وأن عناصر جسمه ليست من تلك الكرات حتى يلقيها فيها،

وأنّها خلقت قبل خلق الكرات بآلاف الأعوام في الوقت الذي قال فيه النبي محمد ﷺ كما حكاه عنه القرآن الكريم: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ﴾ [الكهف/ ١١٠] فكيف نفى بشريته وآدميته وهو القائل: «كلكم لآدم وآدم من تراب».

ولمّا جاءت نوبة خليفته وولده الشيخ علي الحائري أعاد أقوال من سبقه، وكرّر عبارة ـ أو جسارة ـ جوهر بلفظها. واستمرّت مدرسة تبريز بعده في تقليد سلفها في هذه المسألة حتى اليوم.

واختلفت مدرسة كرمان عن مدرسة تبريز في هذه المسألة، فقد أكّد رأس مدرستها الحاج محمد كريم خان رأي الأحسائي الأول الصريح بروحانية المعاد، لكنّه لم يصرّح به جملة ـ وتفصيلاً ـ وتلويحه أبلغ من التصريح ـ فمرّة يرى: أنّ مشايخه أشاروا إلى المسألة من خلف ألف ستار، ولم يكن ليصلح لزمانهم أكثر من ذلك، وأخرى يعتذر: بأنّ خوفه من طغيان النفوس الفرعونية حال دون وضع النقاط على الحروف. وقد أكّد ذلك غير مرة وكرّره بأكثر من أسلوب. ثم عاد كالآخرين فتنكّر لذلك الرأي وتحامل على الفلاسفة لقولهم به ورماهم بالجهل بأسرار الخلق، واستمرّ يبرهن ويكثر من الشواهد لدعم قوله.

أمّا ولده وخليفته محمد خان، فرأيه رأي أبيه الأول، لكنّه داهن كثيراً وتهرّب من التصريح، فظاهر كلامه وفلتات أقلامه يدلّ على اعتقاده به؛ لكنّ خوفه يمنعه من الجهر برأيه. وهكذا استمرّ إنكار القوم للرأي الأول حتى انتهت إلى زعيمهم المعاصر الحاج أبي القاسم الإبراهيمي، فاختصر الكلام في الموضوع باتّهام القائلين بالمعاد الروحاني بالإلحاد والخروج عن الإسلام.

والمسألة الثالثة، هي: الغلّو والتفويض نسبة لآل محمد عليهم السلام وتُتّهم به الشيعة كافة، وقد اتّهمهم أعداء آل محمد عليهم السلام كثيراً وشهّروا بهم طويلاً ونسبوا لهم ما لم يقولوه. والحقيقة أنّهم ليسو كذلك، فالمعتدلون منهم هم النمط الأوسط بين القلوّ[1] والغلوّ وهم الأكثرية. وهناك فريق دفعته شدّة الولاء والإيمان

(١) مصدر من قلا يقلو: يبغض المصحح.

والحب إلى تجاوز الحد الذي أمر به وأقرّه أهل البيت عليهم السلام أنفسهم، فقد نهوا عليهم السلام عن ذلك مراراً عديدة وتذمروا ممّن رفعهم عن مقاماتهم التي أحلّهم الله فيها، بل نقموا على أولئك وأمروا بهجرهم.

وممّن تجاوز الحدّ فرقة الشيخية، فلزعيمها الأحسائي رأي لا يقرّه المعتدلون، وأقواله في ذلك كثيرة لا تحصى، فهو يعتقد أنّ آل محمد عليهم السلام معاني الله ووجهه الذي يتوجه إليه الأولياء، والذي يبقى بعد فناء كل شيء، وأنّهم العلل الأربع للمخلوقات، وبما أنّهم خلق فوق بني آدم فإنّ أجسامهم لا ترى بالبصر ولا بالبصائر، وأنّ لهم قدرة منع الرزق عمّن يشاؤون؛ لأنّ الخلق عبيد رق لهم. إلى كثير من أمثال ذلك. قال الأحسائي كل ذلك وهو واثق بأنّه لم ينحرف عن الطريق ولم يخالف الواقع.

وجاء من بعده خليفته الرشتي، فنهج الطريق ذاته، وكرّر قول أستاذه حول قدرة آل محمد عليهم السلام على منع الرزق عن المخلوق، وأنّهم معاني الله ومعادن كلماته، واعتبرهم عظمة الله وجبروته وقدرته، وأنّهم ربوبية الله أيضاً، وأنّ كلمة خالق لن تليق بذات الله، ولذلك؛ فالمراد بها وبغيرها من الفعال أهل البيت عليهم السلام. ومن طريف آرائه أنّ التنباك خلق مراً بسبب إنكاره لولاية أهل البيت.

وقد أيّد ذلك وأوضحه الشيخ موسى الأسكوئي، وأضاف إليه أنّ الله صوّر المخلوقات من الأنبياء إلى الجمادات وفق رغبة آل محمد عليهم السلام. فمن أقرّ بولايتهم في عالم الذر خلق حسن الهيئة، ومن أنكرها خلق قبيحاً. وقال بطهارة فضلاتهم ومدفوعاتهم. ولا أدري لماذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وآله نفسه ـ الذي شرف آله من أجله ـ مثل تلك المزية بحيث يخيّره الله في كيفية إيجاد الخلق وهيئاتهم وكانت للأئمة من آله فقط؟!

وهكذا سارت مدرسة تبريز خلف قادتها، واتّبعت خطى سلفها، وأعاد من تأخر من علمائهم أقوال مشايخه وأيّد مزاعمهم وتحمّس لها. ولم تكن مدرسة كرمان لتختلف عن أختها في الرأي والمعتقد، فالرأي واحد والأقوال متشابهة

فرأسها الحاج محمد كريم خان يرى أنّ أهل البيت هم الخلق الأول والعلل الأربع لباقي الخلق، وأنّهم يفعلون ما يشاؤون ويتولون يوم الجزاء أمر الجنة. . والشيعة في نظره غير محاسبين على أعمالهم لأن ولاية آل محمد ﷺ تطهّرهم من كل ذنب. وسار خلفاؤه من بعده سيرته وآمنوا بآل محمد ﷺ إيمانه، ومؤلفاته طافحة بتلك الآراء والأقوال.

وخلاصة هذا الباب: أنّ علماء الشيخية قديماً وحديثاً قد تجاوزوا الحد المسموح به في تقديس آل محمد ﷺ، وغالوا في حبهم حتى فوضوا إليهم بعض الأفعال. وهم وإن صرّح البعض منهم بأنّ ذلك تفويض مشيئة لا تفويض شراكة أو استقلال، فإنّهم غير معذورين عند المعتدلين؛ لأن الأئمة أنفسهم قد أنكروا ذلك ونهوا عنه.

والمسألة الرابعة والأخيرة، هي: الإمام الناطق والركن الرابع. وخلاصتها: أنّه لا بد لكل زمان من إمام ظاهر غير الإمام الغائب تكون له الوساطة بينه وبين رعيته، ويجب على العلماء دعوة الخلق إليه، وليس لغيره التصدي للأمور إلا بأمره. وهي تخصّ مدرسة كرمان وحدها ولذلك سمي شيخية كرمان بـ «الركنية». وقد ظهرت نواتها الأولى في مؤلفات الأحسائي، وتلقّاها خليفته الرشتي فوضّحها بعض الشيء. ولمّا انقسمت الشيخية بعد وفاته تنكّرت مدرسة تبريز للفكرة، وعمد علماؤها إلى ما يدلّ عليها في مؤلفات الأحسائي والرشتي فصرفوه إلى معان أخرى، وصارت نصيب شيخية كرمان، فالحاج محمد كريم خان هو الذي تبنّى الفكرة ووضّحها. ففي الرسالة التي وجهها إلى أستاذه الرشتي تصريح بذلك. فقد اعتبر الأحسائي قطباً وأنّه الذي يعهد به الرحمٰن؛ لأنّه العقل. وأنّ الرشتي وريثه في ذلك، وهو القطب من بعده. ومن لم يتوجه إليه في صلاته وسائر أعماله صلّى لغير القبلة والوجهة، وسأله عن ولي الأمر من بعده وأنّه لو ادعى الرشتي النبوة لصدّقه. وتصريحاته بذلك أكثر من أن تحصى، وهي مبثوثة في مؤلفاته.

وقد اقتفى أثره ولده وخليفته الحاج محمد خان، وصرّح به في غير واحد من مؤلفاته ورسائله، فزعم أنّ وحدة الناطق أمر ثابت قام عليه البرهان من قبل

مشايخه، وأنّه يستفيض من الإمام الغائب ويفيض على الناس، وهو الناطق للنقباء. كما ردّ على أعلام مدرسة تبريز، ودلّل على خطئهم بدعوى متابعة الأحسائي بأنّ الناطق لا يكون أكثر من واحد، ويقصد بذلك أنّ وجود أبيه الحاج محمد كريم خان يبطل دعوى الآخرين إذ لم يشركه في أمره أحد. وكرّر ذلك بعبارات مختلفة وإيضاحات أكثر، لكنّه قد تراجع بعد ذلك وأخذ يفسّر أقوال أبيه التي استدلّ بها على ركنيته سابقاً تفسيراً مغايراً للأول، ويذكر لها معاني لم يكن لها ربط بها مطلقاً، ودافع عنه كثيراً، واتّهم الناس بعدم فهم ما يرمي إليه أبوه. والمضحك أنّه كفّر نفسه وأباه ومشايخه الأولين لأنّه اعتبر من يذهب إلى ذلك الرأي كافراً ملعوناً.

واختفت التسمية السابقة (الإمام الناطق)، وحلت محلها تسمية جديدة (الركن الرابع) وأصبح لها مدلول جديد ومعنى آخر يختلف عن معناها السابق اختلافاً كلياً، هو: (موالاة الموالين لآل محمد ومعاداة أعدائهم). وبقي خَلَفَهُ يعيد ويصقل ويفسّر ويؤوّل إلى أن وصلت النوبة إلى زعيمهم المعاصر الشيخ أبي القاسم الإبراهيمي، فادعى أنّ ما قاله سلفه هو عين ما أوجبه العلماء كافة قديماً وحديثاً، وأشهد الله أنّ مشايخه لم يقصدوا غير ذلك، وأنّ المراد به ليس شخصاً معيناً. وكذلك الموسوي وكيل مركز كرمان في العراق، فقد أيّد تلك المزاعم ولعن من يعتقد بركنية الحاج محمد كريم خان أو أحد أولاده، ولعن من أبطل النيابة العامة.

وهكذا بدأت الفكرة بصراحة وتحد وعنف ولا مبالاة، وحكم أصحابها بكفر من لم يوافقهم الرأي لأنّه لم يعرف إمام زمانه، ثم تراجعوا عن الرأي وتنكّروا له؛ محاولين التقريب بين الخصوم وبينهم بدعوى اتحاد الرأي والمعتقد، إلى أن بلغت بهم الحال حداً حكموا فيه بكفر من رأى رأيهم الأول. وهكذا يفعل الخوف، وتلجىء القوة، ويعمد إلى التنصّل من المعتقد والبراءة من الإيمان... هذا ما توصلنا إليه من نتائج، وفوق كل ذي علم عليم.

المصادر والمراجع

أ ـ المخطوطة:

١ ـ آل الطالقاني، محمد حسن، أثر الطواعين في القضاء على التراث العراقي مخطوط، مكتبة المؤلف.

٢ ـ كاشف الغطاء، علي، الحصون المنيعة في طبقات الشيعة، مخطوط، «مكتبة المؤلف».

٣ ـ كاشف الغطاء، محمد الحسين، دائر المعارف العليا، مخطوط، «مكتبة المؤلف».

٤ ـ الكاظمي، حيدر، البارقة الحيدرية في نقض ما أبرمه الكشفية والرد على طريقة الشيخية، مخطوط، «مكتبة الإمام الصادق» في حسينية آل حيدر في الكاظمية.

ب ـ المطبوعة:

١ ـ ال الطالقاني، محمد حسن، ديوان الحاج هاشم الكعبي/ قسم المراثي الحسينية، ط٢، المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥م، تحقيق كاتب السطور.

٢ ـ آل طعمة، سلمان هادي، تراث كربلاء، النجف ١٣٨٣ ـ ١٩٦٤.

٣ ـ آل طعمة، سلمان هادي، شعراءمن كربلاء، النجف ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥.

٤ ـ آل طعمة، الدكتور عبد الجواد الكليدار، كربلاء في التاريخ، ط٢، النجف ١٣٨٦ ـ ١٩٦٧.

٥ ـ آل طعمة، عبد الحسين الكليدار، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، بغداد «بدون تاريخ».

٦ ـ آل طعمة، عبد الحسين الكليدار، تاريخ كربلاء، بغداد ١٣٤٩ ـ ١٩٣٠.

٧ ـ آل طعمة، محمد حسن الكليدار، مدينة الحسين، بغداد ١٣٦٧ ـ ١٩٤٧.

٨ ـ آل محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها، النجف ١٣٧٤ ـ ١٣٧٨م، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨.
٩ ـ آل الوهاب، عبد الرزاق، تاريخ كربلاء، بغداد ١٣٥٣ ـ ١٩٣٤.
١٠ ـ آل ياسين، الدكتور جعفر، صدر الدين الشيرازي مجدد الفلسفة الإسلامية، بغداد ١٣٧٥ ـ ١٩٥٥.
١١ ـ الآلوسي، حسا. دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي.
١٢ ـ الآلوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، مصر ١٣٤٢ ـ ١٩٢٤.
١٣ ـ الآلوسي، محمود شكري، مختصر التحفة الاثني عشرية، القاهرة، ١٣٧٣ ـ ١٩٥٣.
١٤ ـ آواره، عبد الحسين، الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية، القاهرة ١٣٤٣ ـ ١٩٢٤م، ترجمة أحمد فائق رشد.
١٥ ـ الآيتي، عبد الحسين، كشف الحيل، طهران مطبعة خاور «بدون تاريخ».
١٦ ـ الإبراهيمي، أبو القاسم، شكوى الملهوف، بغداد ١٣٧٣ ـ ١٩٥٣.
١٧ ـ ابن أبي أصيبعة، أحمد، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مصر ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤.
١٨ ـ ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، مصر ١٣٤٩ ـ ١٩٣٠.
١٩ ـ ابن الأثير، علي بن محمد، اللباب في تهذيب الأنساب، مصر ١٣٥٦ ـ ١٩٣٧.
٢٠ ـ ابن بليد، محمد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار مصر، ١٣٧٠ ـ ١٣٧٢، ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢.
٢١ ـ ابن تيمية، أحمد، منهاج السنة، بولاق ١٣٢١ ـ ١٩٠٣.
٢٢ ـ ابن الجوزي، أبو الفرج، تلبيس إبليس، مصر ١٣٦٨ ـ ١٩٤٨.
٢٣ ـ ابن الجوزي، أبو الفرج، صفوة الصفوة، حيدر آباد ١٣٥٥ ـ ١٩٣٦.
٢٤ ـ ابن حزم، علي الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مصر.
٢٥ ـ ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، مصر «بدون تاريخ».

٢٦ ـ ابـن خلكـان، أحمـد الأربلـي، وفيـات الأعيـان وأبناء أبناء الزمان، مصر، ١٣١٠ ـ ١٨٩٢.
٢٧ ـ ابـن رشـد، فصـل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، القاهرة ١٣٥٤ ـ ١٩٣٥.
٢٨ ـ ابن سينا، الحسين، الإشارات والتنبيهات.
٢٩ ـ ابن سينا، الحسين، جامع البدايع، مصر ١٣٣٥ ـ ١٩١٦.
٣٠ ـ ابن سينا، الحسين، رسالة أضحوية في أمر المعاد، مصر ١٣٦٨ ـ ١٩٤٩.
٣١ ـ ابن سينا، الحسين، رسالة أمرية «مع الرسائل ١٩»، القاهرة ١٣٣٨ ـ ١٩١٩.
٣٢ ـ ابن سينا، الحسين، الشفاء، طهران ١٣٠٣ ـ ١٨٨٥.
٣٣ ـ ابن سينا، الحسين، الطبيعيات من عيون الحكمة.
٣٤ ـ ابن الصلاح الشهرزوري، فتاوى ابن الصلاح.
٣٥ ـ ابـن عنّـام، حسيـن، روضـة الأفكـار والأفهـام لمرتاد حال الإمام، «تاريخ نجد»، الرياض ١٣٦٨ ـ ١٩٤٩.
٣٦ ـ ابن فهد، أحمد الحلي، عدة الداعي ونجاح الساعي، تبرير ١٢٨٧ ـ ١٨٧٠.
٣٧ ـ ابن قتيبة، المعارف.
٣٨ ـ ابن قيم الجوزية، مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة.
٣٩ ـ ابـن نباتـة، جمال الدين، سرح العيون في شرح قصيدة ابن زيدون، القاهرة ١٣٨٣ ـ ١٩٦٤.
٤٠ ـ ابن النديم، محمد الوراق، الفهرست «فوز العلوم» ١٨٧١ ـ ١٨٧٢.
٤١ ـ ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، مصر ١٣٥٥ ـ ١٩٣٦.
٤٢ ـ الأحسائي، جوامع الكلم، طهران ١٢٧٢ ـ ١٨٥٤.
٤٣ ـ الأحسائي، أحمد، الرجعة، النجف ١٣٩٢ ـ ١٩٦٥.
٤٤ ـ الأحسائي، أحمد، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، إيران ١٢٧٦ ـ ١٨٥٩.
٤٥ ـ الأحسائي، أحمد، شرح العرشية، إيران ١٢٧١ ـ ١٨٥٥.
٤٦ ـ الأحسائي، أحمد، شرح الفوائد، إيران ١٢٧٢ ـ ١٨٥٥.
٤٧ ـ الأحسائي، أحمد، العصمة، النجف ١٣٩٠ ـ ١٩٧٠.

٤٨ ـ الأحسائي، علي نقي، ديوان الشيخ علي نقي الأحسائي، تحقيق محمد كاظم الطريحي، طهران ١٣٧٤ ـ ١٩٥٤.
٤٩ ـ الأحسائي، علي نقي، منهاج السالكين، تبريز ١٣٧٤ ـ ١٩٥٤.
٥٠ ـ الأحسائي، علي نقي، نهج الحجة، النجف وتبريز ١٣٧٠ ـ ١٣٧٣، ١٩٥٠ ـ ١٩٥٣.
٥١ ـ الأحقاقي، حسن، منظرة الدقائق علي تبيان الحقائق، تبريز ١٣٤٩ ـ ١٩٣٠.
٥٢ ـ أحمد، د. محمد شريف، القانون الطبيعي عند المسلمين.
٥٣ ـ إخوان الصفاء، الرسائل، مصر ١٣٧٦ ـ ١٩٥٧.
٥٤ ـ الأدربيلي، علي أكبر، كشف خطأ الأنصاري في معرفة الأحسائي، إيران ١٣٣٤ ـ ١٩١٥.
٥٥ ـ الاسترابادي، محمد أمين، الفوائد المدنية في الرد على القائل بالاجتهاد والتقليد في الأحكام الإلهية، إيران ١٣٢١ ـ ١٩٠٣.
٥٦ ـ الاسترابادي، محمد بن علي، منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال، طهران ١٣٠٤ ـ ١٨٨٦.
٥٧ ـ الأسكوئي، محمد باقر، حق اليقين، كربلاء ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣، ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣.
٥٨ ـ الأسكوئي، محمد باقر، المصباح المنير، كربلاء ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣.
٥٩ ـ الأسكوئي، موسى، إحقاق الحق، النجف ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥.
٦٠ ـ أسلمند، ج. أ، بهاء الله والعصر الجديد، الاسكندرية ١٩٤٠.
٦١ ـ الأشعري، سعد، المقالات والفرق، مصر ١٣٦٩ ـ ١٩٤٩.
٦٢ ـ الأصفهاني، أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧.
٦٣ ـ الأصفهاني، هداية المسترشدين.
٦٤ ـ الأصفهاني، مهدي، أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة ط٢، النجف ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨.
٦٥ ـ الأصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني، القاهرة ١٣٢٣ ـ ١٩٠٥.

٦٦ ـ الأصفهاني، عماد الدين، تاريخ دولة آل سلجوق، مصر ١٣١٨ ـ ١٩٠٠.
٦٧ ـ الأعسم، محمد علي، الأراجيز الفقهية، النجف ١٣٤٩ ـ ١٩٣٠.
٦٨ ـ الأعظمي، الدكتور محمد حسن، حقيقة البهائية والقاديانية، بيروت ١٣٩٣ ـ ١٩٧٣.
٦٩ ـ الأعلمي، محمد حسين، مقتبس الأثر ومجدد ما دثر، قم ١٣٧٤ ـ ١٩٥٤.
٧٠ ـ أمين، الدكتور أحمد، ظهر الإسلام، ط٣، القاهرة ١٩٦٢.
٧١ ـ الأمين، محسن العاملي، أعيان الشيعة، دمشق وبيروت ١٣٥٣ ـ ١٣٨٢، ١٩٣٤ ـ ١٩٦٣.
٧٢ ـ الأمين، محسن العاملي، كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب، دمشق ١٣٤٦ ـ ١٩٢٧.
٧٣ ـ الأمين، محسن العاملي، معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر، صيدا ١٣٤٧ ـ ١٩٢٨.
٧٤ ـ الأميني، عبد الحسين، شهداء الفضيلة، النجف ١٣٥٥ ـ ١٩٣٦.
٧٥ ـ الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ط٣، بيروت ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧.
٧٦ ـ الأميني، محمد هادي، مخطوطات مكتبة البغدادي، النجف ١٣٨٣ ـ ١٩٦٤.
٧٧ ـ الأنباري، عبد الرحمن، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، مصر ١٢٩٤ ـ ١٨٧٧.
٧٨ ـ الأندلسي، صاعد، طبقات الأمم، مصر ١٣٥٣ ـ ١٩٣٤.
٧٩ ـ الآيجي، عضد الدين.
٨٠ ـ البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، إيران ١٢٩٥ ـ ١٨٧٨.
٨١ ـ البحراني، هاشم، معالم الزلفي في عالم النشأة الأولى والأخرى، إيران ١٣١٧ ـ ١٨٩٩.
٨٢ ـ البحراني، يوسف، كشكول الشيخ يوسف البحراني، النجف ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣.
٨٣ ـ بحر العلوم، جعفر، تحفة العالم في شرح خطبة العالم، النجف ١٣٥٤ ـ ١٩٣٥.

٨٤ ـ بحر العلوم، محمد صادق، دليل القضاء الشرعي أصوله وفروعه، النجف ١٣٧٥ ـ ١٣٧٨، ١٩٥٦ ـ ١٩٥٩.

٨٥ ـ بحر العلوم، مهدي، الفوائد الرجالية، النجف ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥.

٨٦ ـ بدوي، الدكتور عبد الرحمن، شخصيات قلقة في الإسلام، القاهرة ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤.

٨٧ ـ بدوي، عبد الرحمن، مؤلفات الغزالي.

٨٨ ـ بركات، محمد فارس، المرشد إلى آيات القرآن وكلماته، دمشق ١٣٧٧ ـ ١٩٥٧.

٨٩ ـ البصري، أبو الحسين: المعتمد.

٩٠ ـ البصري، عثمان بن سند، مطالع السعود، اختصار أمين الحلواني، القاهرة ١٣٧١ ـ ١٩٥١.

٩١ ـ البصري، عدو الباطل، الشيخية كفار ملحدون، بغداد ١٩٥٥.

٩٢ ـ البغدادي، إسماعيل باشا، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، استانبول ١٩٦٤ ـ ١٣٦٦م، ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧.

٩٣ ـ البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، استانبول ١٩٥١ ـ ١٩٥٥.

٩٤ ـ البغدادي، عبد القادر، الفرق بين الفرق، القاهرة ١٣٢٨ ـ ١٩١٠.

٩٥ ـ البلادي، علي، أنوار البدرين في تراجم علماء الأحساء والقطيف والبحرين، النجف ١٣٧٧ ـ ١٩٥٧.

٩٦ ـ البلاغي، محمد جواد، الرحلة المدرسية، النجف ١٣٨٢ ـ ١٩٦٣.

٩٧ ـ البهائي، محمد، الأربعين، إيران ١٢٧٤ ـ ١٨٥٧.

٩٨ ـ البهائي، محمد، المخلاة، القاهرة ١٣٧٧ ـ ١٩٥٧.

٩٩ ـ البيضاوي، عبدالله، أنوار التنزيل «تفسير»، استانبول ١٢٩٦ ـ ١٨٧٨.

١٠٠ ـ البيهقي، ظهر الدين، تتمة صوان الحكمة، تحقيق محمد شفيع، لاهور ١٣٧٨ ـ ١٩٥٨.

١٠١ ـ التفتازاني، التوضيح لمتن التنقيح.

١٠٢ ـ توتل، الأدب فرديناند، المنجد في الأدب والعلوم، بيروت ١٩٦٠.

١٠٣ ـ التوحيدي، أبو حيان، المقايسات، طبعة السندوي.
١٠٤ ـ الجابلاقي، محمد شفيع، الروضة البهية في الإجازة الشفيعية، إيران ١٢٨٠ ـ ١٨٦٣.
١٠٥ ـ الجاحظ عمرو بن بحر، البيان والتبيين، مصر ١٣٦٧ ـ ١٩٤٧.
١٠٦ ـ الجرفادقا، أبو الفضائل، الحجج البهية، القاهرة ١٩٢٥.
١٠٧ ـ الجعفي، المفضل بن عمر، التوحيد، النجف ١٣٧٤ ـ ١٩٥٥.
١٠٨ ـ جلال، محمد جواد، فلسفة الإمام، بغداد ١٣٧٢ ـ ١٩٥٢.
١٠٩ ـ الجلالي، محمد باقر، الحقائق الدينية في الرد على العقيدة البهائية، النجف «بدون تاريخ».
١١٠ ـ جماعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، تعريب الفندي وزملائه، مصر ١٩٣٣ ـ ١٩٥٧.
١١١ ـ الجندي، إنعام، دراسات في الفلسفة الإسلامية والعربية، بيروت ١٩٦٠.
١١٢ ـ جوزي، بندلي، من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، بيروت «بدون تاريخ».
١١٣ ـ جوهر، حسن، إجازات الشيخ حسن جوهر، النجف ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨.
١١٤ ـ جوهر، حسن، الرسائل المهمة في التوحيد والحكمة، النجف ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦.
١١٥ ـ جوهر، حسن، شرح حياة الأرواح، تبريز ١٣٧٦ ـ ١٩٥٦.
١١٦ ـ الجهارسوقي، محمد هاشم، أصول آل الرسول، النجف ١٣١٧ ـ ١٨٩٩.
١١٧ ـ الجهانيان شاهي، محمد حسين، أصول الشيعة في عقائد الشيعة، الهند ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨.
١١٨ ـ الجيلاني، علي، توفيق التطبيق في أن الشيخ الرئيس من الإمامية الاثني عشرية، القاهرة ١٣٧٣ ـ ١٩٥٤.
١١٩ ـ الحائري، علي الأسكوئي، رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، كربلاء ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤.
١٢٠ ـ الحائري، علي الأسكوئي، عقيدة الشيعة، كربلاء ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤.

١٢١ ـ الحائري، علي الأسكوئي، الكلمات المحكمات، كربلاء ١٣٧٨ ـ ١٩٥٨.

١٢٢ ـ الحائري، علي الأسكوئي، المقالة الناصحة الزاجرة، النجف «بدون تاريخ».

١٢٣ ـ الحر العاملي، محمد، أمل الآمل في ذكر علماء جبل عامل، النجف ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤.

١٢٤ ـ الحر العاملي، محمد، الفصول المهمة في أصول الأئمة، النجف ١٣٧٨ ـ ١٩٥٨.

١٢٥ ـ الحراني، الحسن، تحف العقول عن آل الرسول، النجف ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥.

١٢٦ ـ حرز الدين، محمد، معارف الرجال، النجف ١٣٨٣ ـ ١٣٨٥.

١٢٧ ـ حسن خان، صديق أبجد العلوم ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥.

١٢٨ ـ الحسني، عبد الرزاق، البابيون في التاريخ، صيدا ١٣٤٩ ـ ١٩٣٠.

١٢٩ ـ الحسني، عبد الرزاق، البهائيون والبابيون في ماضيهم وحاضرهم، صيدا ١٣٧٨ ـ ١٩٥٨.

١٣٠ ـ الحلي، حسن، المحتضر، النجف ١٣٧٠ ـ ١٩٥٠.

١٣١ ـ الحمادي عبد الحسن، السياط القارعة للخالصي قامعة، بغداد ١٣٧٥ ـ ١٩٥٥.

١٣٢ ـ الحموي، ياقوت، معجم البلدان، مصر ١٣٢٣ ـ ١٩٠٦.

١٣٣ ـ الحنبلي، ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، القاهرة ١٣٥٨ ـ ١٩٣٩.

١٣٤ ـ الحنفي، عثمان العراقي، الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة، أنقرة ١٩٦١.

١٣٥ ـ حيدر، أسد، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، بيروت ١٣٩٢ ـ ١٩٧١.

١٣٦ ـ الخاقاني، علي، شعراء، الحلة، النجف ١٣٧٠ ـ ١٣٧٢م، ١٩٥١ ـ ١٩٥٣.

١٣٧ ـ الخاقاني، علي، شعراء الغري، النجف ١٣٧٣ ـ ١٣٧٦م، ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦.
١٣٨ ـ الخالصي، محمد، الاعتصام بحبل الله، بغداد ١٣٧٤ ـ ١٩٥٤.
١٣٩ ـ الخالصي، محمد، الشهاب الثاقب في رحم الملاحدة والشيخية والنواصب، بغداد ١٣٧٤ ـ ١٩٥٥.
١٤٠ ـ الخالصي، محمد، الشيخية والبابية أو المفاسد العالمية، بغداد «بدون تاريخ».
١٤١ ـ خالفين، ن. أ، الصراع على كردستان، ترجمة أحمد عثمان، بغداد ١٩٦٩.
١٤٢ ـ خان، الدكتور محمد مهدي، مفتاح باب الأبواب، القاهرة ١٣٢١ ـ ١٩٠٣.
١٤٣ ـ الخراساني، محمد هاشم، منتخب التواريخ، إيران «بدون تاريخ».
١٤٤ ـ الخطيب، محب الدين، البهائية، بيروت ١٣٩٠ ـ ١٩٧٠.
١٤٥ ـ الخطيب البغدادي، أحمد، تاريخ بغداد، مصر ١٣٤٩ ـ ١٩٣٠.
١٤٦ ـ خليفة جلبي، مصطفى كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، استانبول ١٣٦٠ ـ ١٩٤١.
١٤٧ ـ الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، بيروت ١٩٦٦.
١٤٨ ـ الخليلي، جعفر، هكذا عرفتهم، بيروت ١٩٦٣.
١٤٩ ـ الخوارزمي، محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم، مصر ١٩٤٢.
١٥٠ ـ الخوارزمي، محمد بن العباس، مفيد العلوم ومبيد الهموم، مصر ١٣٢٨ ـ ١٩١٠.
١٥١ ـ الخوانساري، محمد باقر، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، إيران ١٣٠٦ ـ ١٨٨٨.
١٥٢ ـ الداود، الدكتور محمود، محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية، بغداد ١٩٦٠ ـ ١٩٦١.
١٥٣ ـ دينا، سليمان، الحقيقة في نظر الغزالي.
١٥٤ ـ درويش، محمود وزميلاه، دليل الجمهورية العراقية لعام ١٩٦٠م، بغداد ١٩٦٠.

١٥٥ ـ الدزفولي، محمد، فاروق الحق، إيران ١٣٢٤ ـ ١٩٠٦.
١٥٦ ـ الدميري، كمال الدين حياة الحيوان الكبرى، مصر ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣.
١٥٧ ـ الرازي، محمد الفخر، مفاتيح الغيب، استامبول ١٣٠٧ ـ ١٨٨٩.
١٥٨ ـ الرشتي، كاظم، أصول العقائد، النجف «بدون تاريخ».
١٥٩ ـ الرشتي، كاظم، دليل المتحيرين، النجف ١٣٦٤ ـ ١٩٤٤.
١٦٠ ـ الرشتي، كاظم، شرح آية الكرسي، إيران ١٢٧٢ ـ ١٨٥٥.
١٦١ ـ الرشتي، كاظم، شرح الخطبة التطنجية، إيران ١٢٧٢ ـ ١٨٥٦.
١٦٢ ـ الرشتي، كاظم، شرح القصيدة العمرية، إيران ١٢٧٠ ـ ١٨٥٣.
١٦٣ ـ الرشتي، كاظم، مجموعة الرسائل، إيران ١٢٧٦ ـ ١٨٥٩.
١٦٤ ـ رينان، آرنست، ابن رشد والرشدية.
١٦٥ ـ الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مصر ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧م/ ١٨٨٨ ـ ١٨٨٩.
١٦٦ ـ الزرندي، محمد، مطالع الأنوار، ترجمة عبد الجليل سعد، القاهرة ١٩٤٠.
١٦٧ ـ الزلمي، د. مصطفى، أصول الفقه.
١٦٨ ـ الزمخشري، محمود، المستقصى في أمثال العرب، حيدر آباد ١٣٨١ ـ ١٩٦٢.
١٦٩ ـ الزنجاني، عبد الكريم، صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه.
١٧٠ ـ الزنجاني، عبد الكريم، الكندي خالد بفلسفته، النجف ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠.
١٧١ ـ زيهر، جولد، ترجمة العقيدة والإسلام، مصر ١٣٦٦ ـ ١٩٤٦.
١٧٢ ـ السبزواري، هادي، غرر الفوائد «شرح المنظومة»، طهران ١٣١٨ ـ ١٩٠٠.
١٧٣ ـ السبكي تاج الدين، طبقات الشافعية، مصر ١٣٢٤ ـ ١٩٠٦.
١٧٤ ـ السبيتي، عبدالله، إلى مشيخة الأزهر، بغداد ١٣٧٥ ـ ١٩٥٦.
١٧٥ ـ سركيس، يوسف اليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة، مصر ١٣٤٦ ـ ١٩٢٨.
١٧٦ ـ السماوي، محمد، ظرافة الأحلام، النجف ١٣٦٠ ـ ١٩٤١.
١٧٧ ـ السماوي، محمد، مجالي اللطف بأرض الطف، النجف ١٣٦٤ ـ ١٩٤٤.

١٧٨ ـ السويج، محمد، رفع الاشتباه، البصرة ١٣٤٥ ـ ١٩٢٧.
١٧٩ ـ السويج، مهدي، عقائد للشيخية من كتبهم، بغداد ١٣٦٩ ـ ١٩٥٠.
١٨٠ ـ السويج، مهدي، الكلمة المرضية في أسباب وحل مشكلة الشيخية، النجف ١٣٧١ ـ ١٩٥٢.
١٨١ ـ السيد المرتضى، علي، رسالة المحكم والمتشابه، طهران، ١٣١٢ ـ ١٩٨٤.
١٨٢ ـ السيوري، المقداد الحلي، النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، طهران ١٣٧٠ ـ ١٩٥٠.
١٨٣ ـ الشافعي، الإمام محمد، الأم، مصر ١٣٢١ ـ ١٩٠٣.
١٨٤ ـ الشبلنجي، نور الأبصار، النجف ١٣٧٦ ـ ١٩٥٧.
١٨٥ ـ شبّر، عبدالله، حق اليقين، ط٢، النجف ١٣٧٥ ـ ١٩٥٦.
١٨٦ ـ الشربيني، الخطيب، شواهد القطر، مصر ١٣٢٧ ـ ١٩٠٩.
١٨٧ ـ شرف الدين، عبد الحسين، الفصول المهمة في تأليف الأمة، النجف، ط٥ «بدون تاريخ».
١٨٨ ـ الشرقي، طالب، عين التمر، النجف ١٣٨٤ ـ ١٩٦٩.
١٨٩ ـ الشريف الرضي، محمد، نهج البلاغة / شرح محمد عبده، تحقيق محمد محي الدين، مصر «بدون تاريخ».
١٩٠ ـ الشهرزوري، ابن الصلاح، فتاوى ابن الصلاح، القاهرة ١٣٤٨ ـ ١٩٢٩.
١٩١ ـ الشهرستاني، محمد، الملل والنحل، القاهرة ١٣٨١ ـ ١٩٦١.
١٩٢ ـ الشهرستاني، هبة الدين، تحريم نقل الجنائز المتغيرة، بغداد ١٣٢٩ ـ ١٩١١.
١٩٣ ـ شيخو، الأب لويس، ط ١٩، بيروت ١٩٦٦.
١٩٤ ـ شيخو، الأب لويس، شعراء النصرانية.
١٩٥ ـ الشيرازي، صدر الدين الأسفار الأربعة، طهران ١٣٧٨ ـ ١٩٥٨.
١٩٦ ـ الشيرازي، صدر الدين، شواهد الربوبية في المناهج السلوكية، إيران ١٢٨٦ ـ ١٨٦٩.

١٩٧ ـ الشهيد الأول، محمد العاملي، اللمعة الدمشقية، النجف ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠.
١٩٨ ـ الشهيد الثاني، زين الدين، الدراية، النجف ١٣٧٩ ـ ١٩٦٠.
١٩٩ ـ صالح، مدني، الوجود، بغداد ١٩٥٥.
٢٠٠ ـ الصدر، حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، بغداد ١٣٧٠ ـ ١٩٥٠.
٢٠١ ـ الصدر، حسن، ذكرى المحسنين، تبريز ١٣٢١ ـ ١٩٠٣.
٢٠٢ ـ الصدر، حسن، الشيعة وفنون الإسلام، صيدا ١٣٣٠ ـ ١٩١١.
٢٠٣ ـ صدر الشريعة، بهاء الدين، الفوائد البهائية والفوائد البهية، طهران ١٣١٠ ـ ١٨٩٢.
٢٠٤ ـ الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، النجف ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦.
٢٠٥ ـ الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، النجف ١٣٧٧ ـ ١٩٦٧.
٢٠٦ ـ الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، النجف ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢.
٢٠٧ ـ الصوفي، أحمد، المماليك في العراق، الموصل ١٩٥٢.
٢٠٨ ـ طاهر، رياض، فهرست تصانيف الشيخ أحمد الأحسائي، النجف «بدون تاريخ».
٢٠٩ ـ طاهر، رياض، مخطوطات مكتبة الحائري العامة، النجف «بدون تاريخ».
٢١٠ ـ الطبرسي، أحمد، الاحتجاج على أهل اللجاج، النجف ١٣٥٤ ـ ١٩٣٥.
٢١١ ـ الطبرسي، أمين الإسلام، مجمع البيان في تفسير القرآن، إيران ١٣٧٩ ـ ١٩٥٩.
٢١٢ ـ الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، مصر ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨.
٢١٣ ـ الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، أو جامع البيان في تفسيرالقرآن، القاهرة ١٣٧٣ ـ ١٩٥٤.
٢١٤ ـ الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، النجف ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦.
٢١٥ ـ الطوسي، محمد بن الحسن، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، النجف ١٣٧٦ ـ ١٩٥٦.

٢١٦ ـ الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، النجف، ١٣٧٦ ـ ١٣٨٣ / ١٩٥٧ ـ ١٩٦٣.
٢١٧ ـ الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، النجف ١٣٩٠ ـ ١٩٧٠.
٢١٨ ـ الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست، النجف ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠.
٢١٩ ـ الطوسي، نصير الدين، والفخر الرازي محمد، شرحا الإشارات، مصر ١٣٢٥ ـ ١٩٠٧.
٢٢٠ ـ الطوسي، نصير الدين، شرح تجريد الكلام في تحرير عقائد الإسلام، صيدا ١٣٥٦ ـ ١٩٣٧.
٢٢١ ـ الطويل، الدكتور توفيق، أسس الفلسفة، مصر ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤.
٢٢٢ ـ الطويل، الدكتور توفيق، قصة النزاع بين الفلسفة والدين، ب. ت. ط.
٢٢٣ ـ الطهراني، أغا بزرك، الإسناد المصفى إلى بيت المصطفى، النجف ١٣٥٦ ـ ١٩٣٧.
٢٢٤ ـ الطهراني، أغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، النجف وطهران ١٣٥٥ ـ ١٣٩٢ / ١٩٣٦ ـ ١٩٧٣.
٢٢٥ ـ الطهراني، أغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة، النجف ١٣٧٣ ـ ١٣٨٨ / ١٩٥٤ ـ ١٩٦٨.
٢٢٦ ـ الطهراني، أغا بزرك، مصفى المقال في مصنفي علم الرجال، طهران ١٣٧٨ ـ ١٩٥٩.
٢٢٧ ـ العاملي، نور الدين، الفوائد المكيّة في مداحض حجج الخيالات المدنية، إيران ١٣٢١ ـ ١٩٠٣.
٢٢٨ ـ عبد علي، عبد الحسين، الكاظميون بريئون من الخالصي، بغداد ١٩٥٥.
٢٢٩ ـ العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد ١٣٥٣ ـ ١٩٣٤.
٢٣٠ ـ العزاوي، عباس، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، بغداد ١٣٧٦ ـ ١٩٥٧.
٢٣١ ـ عز الدين، يوسف، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، بغداد ١٩٦٠.
٢٣٢ ـ عزالدين، يوسف، الشعر العراقي أهدافه وخصائصه، بغداد ١٩٥٨.

٢٣٣ ـ العسقلاني، ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، حيدرآباد ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠.
٢٣٤ ـ العسقلاني، ابن حجر، لسان الميزان، حيدرآباد ١٣٣١ ـ ١٩١٢.
٢٣٥ ـ العصفوري، حسين، لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين، النجف «بدون تاريخ».
٢٣٦ ـ العطاردي، عزيز الله، عبد العظيم الحسني حياته ومسنده، طهران ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤.
٢٣٧ ـ عفيفي، حياة الإمام أبي حنيفة.
٢٣٨ ـ عطية، عبد العزيز، العقيدة الإسلامية في المرآة، مصر «بدون تاريخ».
٢٣٩ ـ عليان، رشدي، العقل عند الشيعة.
٢٤٠ ـ عواد، كوركيس، مكتبة الاسكندرية تأسيسها وإحراقها، بغداد ١٩٥٧.
٢٤١ ـ علي، جواد، تاريخ العرب قبل الإسلا.
٢٤٢ ـ الغرابي، علي، تاريخ الفرق الإسلامية، مصر ١٣٧٨ ـ ١٩٥٩.
٢٤٣ ـ غرديه، لويس. فلسفة الفكر الديني.
٢٤٤ ـ الغرابي، علي، الفرق الإسلامية.
٢٤٥ ـ الغزالي، أبو حامد، تهافت الفلاسفة، مصر ١٣٧٤ ـ ١٩٥٤.
٢٤٦ ـ الغزالي، أبو حامد، ميزان العمل، القاهرة ١٩٦٤.
٢٤٧ ـ الغلامي، عبد المنعم، الملك الراشد عبد العزيز آل سعود، بغداد ١٣٧٣ ـ ١٩٥٤.
٢٤٨ ـ فائق، سليمان، تاريخ المماليك في العراق، ترجمة محمد نجيب ارمناوي، بغداد ١٩٦١.
٢٤٩ ـ الفارابي، أبو نصر، تحصيل السعادة، الدكن ١٣٤٥ ـ ١٩٢٦.
٢٥٠ ـ فاضل، محمد، الحراب في صدر البهاء والباب، القاهرة ١٣٣٠ ـ ١٩١١.
٢٥١ ـ الفالي، أحمد، البهائية حزب لا مبدأ، كربلاء ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥.
٢٥٢ ـ الفالي، أحمد، مذكرات دالكوركي، بيروت «بدون تاريخ».
٢٥٣ ـ فرج الله، محمد رضا، الإنسان وأول الواجبات، النجف «بدون تاريخ».

٢٥٤ ـ فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي.
٢٥٥ ـ فريزر جيمس بيلي، رحلة فريزر، ترجمة جعفر الخياط، بغداد ١٩٦٤.
٢٥٦ ـ الفقيه، محمد تقي، جبل عامل في التاريخ، بغداد والنجف ١٣٦٤ ـ ١٩٤٦.
٢٥٧ ـ فو، كارادي، الغزالي.
٢٥٨ ـ القزويني، مهدي، ظهور الحقية على فرقة الشيخية، النجف ١٣٤٧ ـ ١٩٢٨.
٢٥٩ ـ القزويني، مهدي، بوار الغالين، بمبي ١٣٣٢ ـ ١٩١٣.
٢٦٠ ـ القزويني، مهدي، هدى المنصفين إلى الحق المبين «فارسي»، النجف ١٣٤٢ ـ ١٣٢٣.
٢٦١ ـ القفطي، علي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصر ١٣٢٦ ـ ١٩٠٨.
٢٦٢ ـ القفطي، علي، أنباه الرواة على ابناه النحاة، مصر ١٣٦٩ ـ ١٣٧٤/ ١٩٤٩ ـ ١٩٥٤.
٢٦٣ ـ القمي، أبو القاسم، القوانين المحكمة، إيران ١٢٩٠ ـ ١٨٧٣.
٢٦٤ ـ القمي، عباس، سفينة البحار، النجف ١٣٥٥ ـ ١٩٣٦.
٢٦٥ ـ القمي، عباس، الفوائد الرضوية في أحوال علماء مذهب الجعفرية، طهران ١٣٦٧ ـ ١٩٤٧.
٢٦٦ ـ القمي، عباس، الكنى والألقاب، النجف ١٣٧٦ ـ ١٩٥٦.
٢٦٧ ـ القمي، عباس، هدية الأحباب في الكنى والألقاب، النجف ١٣٤٩ ـ ١٩٣٠.
٢٦٨ ـ القمي، علي، تفسير القمي، النجف ١٣٨٦ ـ ١٣٨٧/ ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧.
٢٦٩ ـ القنوجي، صديق حسن، أبجد العلوم، بهوبال ١٢٩٥ ـ ١٨٧٨.
٢٧٠ ـ الكاشاني، حبيب الله، لباب الألقاب في القاب الأطياب، إيران ١٣٧٥ ـ ١٩٦٥.
٢٧١ ـ كاشف الغطاء، جعفر، الحق المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة الجهال من الأخباريين، طهران ١٣١٦ ـ ١٨٩٨.
٢٧٢ ـ كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، إيران ١٢٧١ ـ ١٨٥٤.

٢٧٣ ـ كاشف الغطاء، محمد الحسين، الآيات البينات في قمع البدع والضلالات، النجف ١٣٤٥ ـ ١٩٢٦.
٢٧٤ ـ كاشف الغطاء، محمد الحسين، أصل الشيعة وأصولها، ط٥، النجف ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩.
٢٧٥ ـ كاشف الغطاء، محمد الحسين، جنة المأوى، تبريز ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠.
٢٧٦ ـ كاشف الغطاء، محمد الحسين، الدين والإسلام، صيدا ١٣٣٠ ـ ١٩١٠.
٢٧٧ ـ كاشف الغطاء، محمد الحسين، الفردوس الأعلى، ط٢، تبريز ١٣٧٢ ـ ١٩٥٣.
٢٧٨ ـ كاشف الغطاء، محمد الحسين، نصيحة لعموم المسلمين، النجف ١٣٧١ ـ ١٩٥٢.
٢٧٩ ـ كاشف الغطاء، مرتضى، فوز العباد في المبدأ والمعاد، النجف ١٣٤٢ ـ ١٩٢٣.
٢٨٠ ـ كبرى زاده، طاش، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، حيدر آباد ١٣٢٩ ـ ١٩١١.
٢٨١ ـ الكبسي، د. حمد، أصول الأحكا.
٢٨٢ ـ كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، دمشق ١٣٧٦ ـ ١٣٨١/ ١٩٥٧ ـ ١٩٦١.
٢٨٣ ـ الكركوكلي رسول، دوحة الوزراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت «بدون تاريخ».
٢٨٤ ـ الكرماني، أحمد حميد الدين، راحة العقل، القاهرة ١٣٧١ ـ ١٩٥٢.
٢٨٥ ـ الكرماني، زين العابدين، إيضاح الاشتباه، ط٢، النجف «بدون تاريخ».
٢٨٦ ـ الكرماني، محمد خان، شرح الحديثين، بمبي ١٣١٢ ـ ١٨٩٤.
٢٨٧ ـ الكرماني، محمد خان، المبين، إيران ١٣٢٣ ـ ١٩٠٥.
٢٨٨ ـ الكرماني، محمد كريم، فصل الخطاب، طهران ١٣٠٢ ـ ١٨٨٤.
٢٨٩ ـ الكسروي، أحمد، الشيعة والتشيع، طهران ١٣٦٤ ـ ١٩٤٤.
٢٩٠ ـ الكشي، محمد، رجال الكشي، النجف «بدون تاريخ».

٢٩١ ـ الكشميري، محمدعلي، نجوم السماء في تراجم العلماء «فارسي»، لكنهو ١٣٠٣ ـ ١٨٨٥.

٢٩٢ ـ الكلبي، ابن دحية، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، بغداد ١٣٦٥ ـ ١٩٤٥.

٢٩٣ ـ الكليني، محمد، الكافي، طهران ١٣٧٢ ـ ١٩٥٢.

٢٩٤ ـ الكندي، يوسف، رسائل الكندي، مصر ١٣٦٩ ـ ١٩٥٠.

٢٩٥ ـ الكندي، يوسف، رسالة الكندي إلى أحمد ابن المعتصم، مصر ١٣٦٩ ـ ١٩٥٠.

٢٩٦ ـ الكيلاني، محمد سيد، ذيل الملل والنحل، مصر ١٣٨١ ـ ١٩٦١.

٢٩٧ ـ لجنة الترجمة والنشر للبهائية، البهائية تاريخها وحقيقتها، القاهرة ١٩٣١.

٢٩٨ ـ لجنة الترجمة والنشر للبهائية، مفاوضات عبد البهاء، القاهرة ١٩٢٨.

٢٩٩ ـ لفيف من طلبة المدارس العالية بتوجيه باقر الوائلي، حصحص الحق في الشهادة الثالثة، بغداد ١٣٧٥ ـ ١٩٥٥.

٣٠٠ ـ لاووست، ابن تيمية.

٣٠١ ـ لونكريك، استيفن همسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، بترجمة جعفر الخياط، بغداد ١٩٦٢.

٣٠٢ ـ المالكي، ابن الصباغ، الفصول المهمة، النجف ١٣٧٣ ـ ١٩٥٣.

٣٠٣ ـ المامقاني، عبد الله، تنقيح المقال في أحوال الرجال، النجف ١٣٤٩/ ١٣٥٢ ـ ١٩٣٠ ـ ١٩٣٣.

٣٠٤ ـ المامقاني، محمد تقي، صحيفة الأبرار في مناقب الأطهار، تبريز ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨.

٣٠٥ ـ المتهمون الأبرياء، هكذا عرفنا الخالصي، بغداد ١٩٥٥.

٣٠٦ ـ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، طهران ١٣٧٦ ـ ١٩٥٦.

٣٠٧ ـ معروف، هاشم، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة.

٣٠٨ ـ محفوظ، الدكتور حسين، إجازات الشيخ أحمد الأحسائي، النجف ١٣٩٠ ـ ١٩٧٠.

٣٠٩ ـ محفوظ، الدكتور حسين، إجازة الشيخ أحمد الأحسائي، للشيخ أسد الله الكاظمي، النجف ١٣٩١ ـ ١٩٧١.

٣١٠ ـ محفوظ، الدكتور حسين، تاريخ الشيعة، بغداد ١٣٧٧ ـ ١٩٥٨.

٣١١ ـ محفوظ، الدكتور حسين، سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، بغداد ١٣٧٦ ـ ١٩٥٧.

٣١٢ ـ محمد حسن، سعد، المهدوية في الإسلام، القاهرة ١٣٧٣ ـ ١٩٥٣.

٣١٣ ـ محمد خالد، خالد، في البدء كان الكلمة، مصر ١٩٦١.

٣١٤ ـ محي الدين، الدكتور عبد الرزاق، أدب المرتضى من سيرته وآثاره، بغداد ١٩٥٧.

٣١٥ ـ المخزومي، الدكتور مهدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، بغداد ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠.

٣١٦ ـ المدني، علي خان، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، النجف ١٣٨١ ـ ١٩٦٢.

٣١٧ ـ المرزباني، محمد، معجم الشعراء، مصر ١٣٥٤ ـ ١٩٣٩.

٣١٨ ـ المرعشي، ظهير الدين، تاريخ كيلان وديلمان «فارسي» رشت ١٣٧١ ـ ١٩٥١.

٣١٩ ـ المسعودي، علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٢، القاهرة ١٣٦٧ ـ ١٩٤٨.

٣٢٠ ـ المصري مختار باشا، التوفيقات الإلهامية في مقارنة السنين الميلادية بالهجرية والقبطية، بولاق ١٣١١ ـ ١٨٩٣.

٣٢١ ـ مطلوب، أحمد، والجبوري، عبدالله، ديوان ديك الجن، بيروت ١٣٨٣ ـ ١٩٦٤.

٣٢٢ ـ المظفر، عبد الحسين، الشافعي في أصول الكافي.

٣٢٣ ـ المظفر، عبد الواحد، توضيح الغامض من أسرار السنن والفرائض، النجف ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧.
٣٢٤ ـ المظفر، محمد رضا، أصول الفقه.
٣٢٥ ـ المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، ط٥، النجف ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢.
٣٢٦ ـ المعتزلي، عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة.
٣٢٧ ـ معروف، هاشم، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة بيروت ١٩٦٤.
٣٢٨ ـ مغنية، محمد جواد، مع علماء النجف الأشرف، بيروت ١٣٨٢ ـ ١٩٦٢.
٣٢٩ ـ مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف.
٣٣٠ ـ المقريزي، تقي الدين، الخطط «المواعظ والاعتبار»، بيروت ١٣٧٩ ـ ١٩٥٩.
٣٣١ ـ الموسوي، عبدالله، الأنوار الجلية في رفع الشبهات عن الشيخية، البصرة «بدون تاريخ».
٣٣٢ ـ الموسوي، عبدالله، ترجمة هداية المسترشد، كرمان ١٣٥٤ ـ ١٩٣٥.
٣٣٣ ـ النبهاني، محمد، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، مصر ١٣٤٣ ـ ١٩٢٤.
٣٣٤ ـ النجاشي، أحمد، رجال النجاشي، طهران «بدون تاريخ».
٣٣٥ ـ النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، النجف ١٣٧٥ ـ ١٩٥٦.
٣٣٦ ـ نعمة، عبدالله، فلاسفة الشيعة، بيروت ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨.
٣٣٧ ـ نوار، عبد العزيز سليمان، تاريخ العراق الحديث، القاهرة ١٩٦٨.
٣٣٨ ـ نوار، عبد العزيز سليمان، داود باشا والي بغداد، القاهرة ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨.
٣٣٩ ـ النوري، حسين، دار السلام، طهران ١٣٠٥ ـ ١٨٨٧.
٢٤٠ ـ النوري، حسين، مستدرك وسائل الشيعة، النجف ١٣٢٠ ـ ١٩٠٢.
٣٤١ ـ النوري، حسين، مواقع النجوم ومرسلة الدر المنظوم «مشجر»، طهران ١٣٧٥ ـ ١٩٥٥.
٣٤٢ ـ نيقولاس، المستشرق، مقالة عن الشيخية، طهران ١٣٥٢ ـ ١٩٣٣.

٣٤٣ ـ الوائلي، ابراهيم، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، بغداد ١٣٨١ ـ ١٩٦١.
٣٤٤ ـ الوردي، الدكتور علي، الأحلام بين العلم والعقيدة، بغداد ١٩٥٩.
٣٤٥ ـ الوردي، الدكتور علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، بغداد ١٩٧١.
٣٤٦ ـ الوردي، الدكتور علي، مهزلة العقل البشري، بغداد ١٩٥٥.
٣٤٧ ـ الهاشمي، الدكتور محمد يحيى، الإمام الصادق ملهم الكيمياء، ط٢، بغداد ١٣٧٨ ـ ١٩٥٨.
٣٤٨ ـ هدايت، رضا قلي، روضة الصفاي ناصري «فارسي»، طهران ١٣٧٤ ـ ١٩٥٤.
٣٤٩ ـ الهمداني، الحسين، صفة جزيرة العرب، مصر ١٣٧٣ ـ ١٩٥٣.
٣٥٠ ـ الهمداني، محمد رضا، هدية النملة إلى زعيم الملة، بمبي ١٣٣٣ ـ ١٩١٤.
٣٥١ ـ الهويدي، محمد رشيد، صفحة من رحلة الإمام الزنجاني، النجف ١٣٦٦ ـ ١٩٤٧.
٣٥٢ ـ واحد العين، محمد إسماعيل، شرح العرشية، إيران ١٣٧٢ ـ ١٩٥٥.
٣٥٣ ـ وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، مصر ١٣٥٤ ـ ١٩٣٥.
٣٥٤ ـ اليزدي، محمد كاظم، العروة الوثقى، النجف ١٣٧٤ ـ ١٩٥٤.
٣٥٥ ـ اليعقوبي، محمد علي، البابليات، النجف ١٣٧٠/ ١٣٧٣ ـ ١٩٥١ ـ ١٩٥٤.

الفارسية

١ ـ الإبراهيمي، أبو القاسم، فلسفية، كرمان ١٣٧١ ـ ١٩٥١ .
٢ ـ الإبراهيمي، أبو القاسم فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي وسائر مشايخ عظام، كرمان ١٣٦٧ ـ ١٣٤٧ .
٣ ـ الإبراهيمي، أبو القاسم، وادي السلام، كرمان ١٣٦٨ ـ ١٩٤٨ .
٤ ـ الإحقاقي، عبد الرسول: حقايق شيعيان، تبريز ١٣٧٥ ـ ١٩٥٥ .
٥ ـ آذر، لطف علي، آتش كده، بمبي ١٢٩٩ ـ ١٨٨١ .
٦ ـ الاسكوئي، محمد باقر، كشف المراد لهداية العباد، كربلاء ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣ .
٧ ـ براون، البروفسور أدوارد، يك سال درميان إيرانيان، ترجمة ذبيح الله المنصوري، طهران ١٩٥٢ .
٨ ـ براون، البروفسور ادوارد، تاريخ أدبيات إيران، طهران ١٣٦٤ ـ ١٩٤٤ .
٩ ـ براون، البروفسور ادوارد، مقدمة نقطة الكاف، ليدن ١٩١٠ .
١٠ ـ بيجارة، محمد حسين، مقالة سائح، القاهرة.
١١ ـ تربيت، محمد علي، دانشمندان آذربايجان، طهران ١٣٥٤ ـ ١٩٣٥ .
١٢ ـ تشييد، على أكبر، هدية إسماعيل يا قيام سادات علوي براي بدست آوردن خلافت، طهران ١٣٧٢ ـ ١٩٥٢ .
١٣ ـ التنكابني، لمحمد، قصص العلماء، طهران ١٣١٩ ـ ١٩٠١ .
١٤ ـ الجهاردهي، مرتضى، سيماي بزركان، طهران ١٣٧٦ ـ ١٩٥٦ .
١٥ ـ الجهاردهي، مرتضى، شيخ أحمد أحسائي، طهران ١٣٧٤ ـ ١٩٥٤ .
١٦ ـ الجهاردهي، مرتضى، شيخيگري بابيگري، طهران ١٣٤٥ ش ـ ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦ .
١٧ ـ الجهاردهي، مرتضى، فلاسفة إسلام ١٣٧٠ ـ ١٩٥٠ .
١٨ ـ الحسيني، حسن، فارس نامه ناصري، طهران ١٣١٣ ـ ١٨٩٥ .
١٩ ـ حقائق نكار، محمد جعفر، حقايق أخبار ناصري، إيران «بدون تاريخ».

٢٠ ـ الخالصي، محمد، خرافات شيخية وكفريات إرشاد العوا، إيران ١٣٦٧ ـ ١٩٤٧.
٢١ ـ دانش پزوه، محمد تقي، فهرست كتابخانه إهدائي مشكاة بدانشكاه، طهران ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤.
٢٢ ـ الدنبلي، عبد الرزاق، مآثر سلطانية، تبريز ١٢٤١ ـ ١٨٢٥.
٢٣ ـ دهخدا، علي أكبر، لغت نامة، طهران ١٩٦٦ ـ ١٩٤٦.
٢٤ ـ الدواني، علي، أستاذ كل وحيد بهباني، قم ١٣٧٨ ـ ١٩٥٨.
٢٥ ـ دوكنيو، الكونت، سرسال در ايران، طهران «بدون تاريخ».
٢٦ ـ الرازي، محمد، زندگاني حضرت عبد العظيم الحسني، طهران ١٣٦٧ ـ ١٩٤٧.
٢٧ ـ الروحاني، ضياء الدين، مزدوران استعمار درلباس مذهب، طهران ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦.
٢٨ ـ الروضاتي، محمد علي، زندگاني آيت الله جهار سوقي، أصفهان ١٣٧٢ ـ ١٩٥٢.
٢٩ ـ الروضاتي، محمد علي، فهرست كتب خطي كتابخانهاي أصفهان، أصفهان ١٣٨٢ ـ ١٩٦٢.
٣٠ ـ زكو، آشود، تاريخ گيلان، طهران ١٣٤٨ ـ ١٩٢٩.
٣١ ـ شريعتمدار، محمد حمزة، أسرار الشهادة «بدون تاريخ».
٣٢ ـ الشيرواني، زين العابدين، بستان السياحة، إيران ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣.
٣٣ ـ الشيرازي، محمد معصوم، طرائق الحقائق، طهران ١٣٨١ ـ ١٩٦٩.
٣٤ ـ صبا، محمد مظفر، روز روشن، بهويال ١٢٩٧ ـ ١٨٧٩.
٣٥ ـ الفومني، عبد الفتاح، تاريخ گيلان، رشت ١٣٥٦ ـ ١٩٣٧.
٣٦ ـ قائمقام، أبو القاسم، شمائل خاقان ومخائل سلطان، طهران ١٢٩٤ ـ ١٨٧٧.
٣٧ ـ القزويني، عباس علي، عرفان نامة، طهران ١٣٤٨ ـ ١٩٢٩.
٣٨ ـ القزويني، مهدي، غش وبهتان الركنية. النجف ١٣٣٦ ـ ١٩١٧.

٣٩ ـ الكجوري، محمد باقر، جنة النعيم والعيش السليم في أحوال سيدنا عبد العظيم، طهران ١٢٩٨ ـ ١٨٨٠.
٤٠ ـ كديور، عباس، تاريخ گيلان، طهران ١٣٧٦ ـ ١٩٥٦.
٤١ ـ گربن، هنري، مكتب شيخي أزحكمت إلّهي شيعي، طهران ١٣٧٦ ـ ١٩٥٦.
٤٢ ـ الكرماني، محمد طاهر، ترجمة الأحسائي، بمبي ١٣٠٩ ـ ١٨٩١.
٤٣ ـ الكرماني، محمد كريم، إرشاد العوام، تبريز ١٢٧١ ـ ١٨٥٤.
٤٤ ـ الكرماني، محمد كريم، سي فصل، بمبي ١٣١٣ ـ ١٨٩٥.
٤٥ ـ الكرماني، محمد كريم، الفطرة السليمة، كرمان ١٣٤٠ ـ ١٩٢١.
٤٦ ـ الكرماني، محمد كريم، هداية الطالبيين ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠.
٤٧ ـ الكندجاني، معتمد الإسلام، كلمة أزهزار، تبريز ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦.
٤٨ ـ الگيلاني، حسن شمس، تاريخ علماء وشعراء گيلان، قم ١٣٦٨ ـ ١٩٤٨.
٤٩ ـ كيوان، عباس علي، كيوان نامة، طهران ١٣٤٨ ـ ١٣٢٩.
٥٠ ـ المامقاني، محمد تقي، آنشكده، تبريز ١٣٠٩ ـ ١٨٩١.
٥١ ـ مجد الملك، محمد خان، رسالة مجدية، طهران ١٣٦٣ ـ ١٩٤٣.
٥٢ ـ المدرس، محمد علي، ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب، ١٣٦٤ ـ ١٩٧٨، ١٩٤٤ ـ ١٩٥٨.
٥٣ ـ المراغي، محمد حسن، فتنة باب، طهران ١٣٧٤ ـ ١٩٥٤.
٥٤ ـ المراغي، محمد حسن، المآثر والآثار، طهران ١٣٠٧ ـ ١٨٨٩.
٥٥ ـ المراغي، محمد حسن، مرآة البلدان ناصري، طهران ١٢٩٦ ـ ١٨٧٨.
٥٦ ـ المرعشي، ظهير الدين، تاريخ گيلان وگيلمان، رشت ١٣٧١ ـ ١٩٥١.
٥٧ ـ معتمد الدولة، فرهادميرزا، زنبيل، إيران ١٣٢٩ ـ ١٩١١.
٥٨ ـ المعلم، محمد علي، وكارم الآثار در أحوال رجال دورة قاجار، أصفهان ١٣٧٧ ـ ١٣٨٢/ ١٩٥٧ ـ ١٩٦٢.
٥٩ ـ الموسوي، ع، نقطة أولى؟ جمال أبهى! مركز ميثاق! طهران ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩.
٦٠ ـ نيكو، حسن، فلسفة نيكو، طهران ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣.
٦١ ـ هدايت، رضا قلي، روضة الصفاي ناصري، طهران ١٣٧٤ ـ ١٩٥٤.

ج ـ المجلات:

١ ـ آل الطالقاني، محمد حسن، مجلة المعارف، النجف ١٣٧٨ / ١٣٨٠، ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠.
٢ ـ مجلة جامعة مدينة العلم، مقال الحق يدمغ الباطل، بغداد ١٣٧٥ ـ ١٩٥٥.
٣ ـ الجبوري، رؤوف، مجلة الحكمة الحلية، النجف ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧.
٤ ـ الجمعية الآسيوية، مجلة الجمعية، لندن ١٨٨٩.
٥ ـ الخاقاني، علي، مجلة البيان النجفية، النجف ١٣٦٥ ـ ١٩٤٥.
٦ ـ الزيات أحمد حسن، بحث في مجلة الرسالة المصرية، س ١٣، ١٣٦٤ ـ ١٩٤٥، القاهرة.
٧ ـ الزين، أحمد عارف، مجلة العرفان الصيداوية، صيدا ١٣٦٦ ـ ١٩٤٦.
٨ ـ كاشف الغطاء، شيخ العراقين، مجلة الغري النجفية، النجف ١٣٦٨ ـ ١٩٤٨.

الملحق رقم (١)

قائمة مؤلفات الشيخ الأحسائي مرتبة على حروف الهجاء

(أ)

١ ـ الإجماعية، شرح لبعض المسائل المتعلقة بالإجماع وأقسامه، فرغ منها في ١٦ رمضان عام ١٢١٥ ـ ١٨٠٠، نشرت في «جوامع الكلم».

٢ ـ أجوبة مسائل السيد أبي الحسن الجيلاني، تضمّنت الإجابة على خمس مسائل في الحكمة، فرغ منها في أول صفر عام ١٢٢٤ ـ ١٨٠٩، نشرت في «جوامع الكلم».

٣ ـ أجوبة مسائل السيد أبي القاسم اللاهيجاني، أجابه فيها على ثلاثة أسئلة في الحكمة، فرغ منها في ثالث جمادى الثانية عام ١٢٣٠ ـ ١٨١٤، نشرت في «جوامع الكلم».

٤ ـ أجوبة مسائل الشيخ أحمد القطيفي، تضمّنت الإجابة على خمسة عشر سؤالاً، نشرت في «جوامع الكلم».

٥ ـ أجوبة مسائل الشيخ رمضان بن إبراهيم، تحتوي على أجوبة خمس كمسائل في الحكمة، فرغ منها في ٢٧ جمادى الأولى عام ١٢٣٥ ـ ١٨١٩، نشرت في «جوامع الكلم».

٦ ـ أحكام الاستحاضة، في الفقه، مفقود.

(ت)

٧ ـ تفسير آية: ثم دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى، مخطوط.

٨ ـ تفسير كلمة «أحد» في سورة التوحيد، وقد اشتمل على أسرار كثيرة وعلى جملة من وارداته القلبية، نشر في «جوامع الكلم».

٩ ـ تنعّم وتألّم أهل الآخرة وتفاصيل النيران والجنان ودرجات ودركات أهلها وغير ذلك من المسائل، نشر في «جوامع الكلم».

(ج)

١٠ ـ جواب أسئلة بعض العلماء، تضمّن الإجابة عن أربعة أسئلة في الحكمة، نشر في «جوامع الكلم».

١١ ـ جواب بعض الأخوان حول مسألتين في الحكمة، فرغ منه في تاسع جمادى الأولى عام ١٢١٩ ـ ١٨٠٤، نشر في «جوامع الكلم».

١٢ ـ جواب سؤال أحد العلماء حول عالم البرزخ ومعنى الملائكة النقّالة، نشر في «جوامع الكلم».

١٣ ـ جواب سؤال الميرزا أحمد، حول شبهة الآكل والمأكول، نشر في «جوامع الكلم».

١٤ ـ جواب سؤال بعض الأخوان حول المعاد، وكان قد أشكل على الأحسائي لقوله: «إنّ للإنسان جسدين»، فأجاب على هذا الأشكال، ونشر في «جوامع الكلم».

١٥ ـ جواب سؤال بعض السادة، حول معنى حديث: «إن الشيطان لا يتمثّل بصور الأنبياء والأوليات في الرؤيا، نشر في «جوامع الكلم».

١٦ ـ جواب سؤال بعض العلماء، في الاجتهاد والتقليد وعدد من المسائل الفقهية، مفقود.

١٧ ـ جواب سؤال بعض العلماء، في كيفية التوفيق بين حديث: «إن موسى عليه السلام أخرج عظام يوسف» والحديث القائل «لا تمكث جثة نبي ولا وصي في قبره أكثر من أربعين يوماً»، وقول الأحسائي نفسه: «إنّ الأئمة في قبورهم لكن الناس لا يرونهم».

١٨ ـ جواب سؤال الشيخ محمد كاظم في أنه هل يجوز تقليد مجتهدين في مسألة واحدة مع اختلافهما فيها؟ مفقود.

١٩ ـ جواب سؤال الشيخ عبدالله بن مبارك القطيفي في معنى القدر في أفعال العباد، وبيان الإشارة إلى المنزلة بين المنزلتين وسببها، فرغ منه في سنة ١٢٠٨ ـ ١٧٩٣، مخطوط.

٢٠ ـ جواب سؤال الشيخ عبد الوهاب القزويني، اعترض بعض العلماء على المعاد فطلب القزويني من الأحسائي شرح كيفية المعاد الجسماني ومعنى الجسد والجسدين والجسم والجسمين فأجابه، مخطوط.

٢١ ـ جواب سؤالات المولى محمد مهدي بن شفيع الاسترابادي، وهي سبع، نشر في «جوامع الكلم».

٢٢ ـ جواب مسائل الشيخ أحمد بن صالح القطيفي، ضمّ أجوبة ست عشرة مسألة، ونشر في «جوامع الكلم».

٢٣ ـ جواب مسائل الشيخ أحمد بن صالح بن طوق، يشتمل على جواب أربع عشرة مسألة، فرغ منه في ١٦ ذي القعدة سنة ١٢٣٤ ـ ١٨١٨، مخطوط.

٢٤ ـ جواب مسائل السيد إسماعيل، ضمّ أجوبة عدد من الأسئلة فيما يتعلّق بإصلاح الدين والدنيا والمعاش، وعن معنى كل من: الأمر بين الأمرين، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، نشر في «جوامع الكلم».

٢٥ ـ جواب مسائل بعض أهل أصفهان، وهي خمس، فرغ منها في سلخ جمادى الأولى عام ١٢٢٣ ـ ١٨٠٨، نشر في «جوامع الكلم».

٢٦ ـ جواب مسائل بعض أهل العلم، وهي ثلاث، فرغ منها في يزد عام ١٢٤٢ ـ ١٨٢٦، نشر في «جوامع الكلم».

٢٧ ـ جواب مسائل بعض السادات، وهي ثماني، مخطوط.

٢٨ ـ جواب مسائل بعضهم، وهي ست عشرة مسألة، فرغ منه في ١٤ ذي القعدة عام ١٢٣١ ـ ١٨١٥، نشر في «جوامع الكلم».

٢٩ ـ جواب مسائل الشيخ حسين البافقي، وهي ثلاث وعشرون مسألة، مخطوط.

٣٠ ـ جواب مسائل الشيخ حسين الكرماني، وهي ست، نشر في «جوامع الكلم».

٣١ ـ جواب مسائل السيد الجليل[1]، مفقود.

---

(١) المظنون قوياً كونه السيد كاظم الرشتي.

٣٢ ـ جواب مسائل الشيخ عبد الحسين بن الشيخ يوسف البحراني، حول أقسام الكفر، وحقيقة الإيمان والكفر وأصل الإيمان الذي يستحيل دخول الجنة بدونه، وأصل الكفر الذي هو سبب دخول النار، فرغ منه في ١٥ جمادى الثانية عام ١٢١٢ ـ ١٧٩٧، ونشر في «جوامع الكلم».

٣٣ ـ جواب مسائل السيد عبد الصمد والشيخ محمد البلادي، مفقود.

٣٤ ـ جواب مسائل الشيخ علي بن محمد العريض، وهي اثنتان وستون مسألة، نشرت في «جوامع الكلم».

٣٥ ـ جواب مسائل الشيخ علي أكبر بن محمد سميع، في خلوص النية، وحضور القلب، وطريق الرياضة الحقة، وترقي النفس في الكمالات القدسية، نشر في «جوامع الكلم».

٣٦ ـ جواب مسائل المولى فتح علي خان، وهي عشر، نشر في «جوامع الكلم».

٣٧ ـ جواب مسائل الشيخ محمد كاظم السمناني، وهي ثلاث فرغ منها في ١٣ ربيع الأول سنة .....؟.

٣٨ ـ جواب مسائل المولى كاظم بن علي نقي السمناني، وهي ثلاث أيضاً، نشرت في «جوامع الكلم» ويحتمل اتحاده مع سابقه، ويحول دون الجزم به عدم وجود الأول.

٣٩ ـ جواب مسائل السيد محمد بن أبي الفتوح، وهي عشر، نشر في «جوامع الكلم».

٤٠ ـ جواب مسائل السيد محمد البكّاء، وهي سبع[1]، نشر في «جوامع الكلم».

٤١ ـ جواب مسائل الشيخ محمد بن الشيخ عبد علي القطيفي، وهي ثماني، نشر في «جوامع الكلم».

٤٢ ـ جواب مسائل الشيخ محمد بن الشيخ علي بن عبد الجبار، وهي عشر، نشر في «جوامع الكلم».

٤٣ ـ جواب مسائل العالم الشيخ محمد بن مهدي..؟

---

(١) السؤال السابع غير موجود في «جوامع الكلم» لكنه مثبت في نسخة الأصل (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ٢/ ٢٥).

٤٤ ـ جواب مسائل الشيخ محمد الهندجاني، مفقود.

٤٥ ـ جواب مسائل الشيخ محمد حسين الأناري في المبدأ والمعاد، وهي خمس، فرغ منها في ٢٨ جمادى الأولى عام ١٢٣٥ ـ ١٨١٩، نشر في «جوامع الكلم».

٤٦ ـ جواب مسائل الشيخ محمد حسين النجفي، وهي خمس عشرة مسألة، مخطوط.

٤٧ ـ جواب مسائل الميرزا محمد علي بن السيد محمد المدرّس اليزدي، وهي ست[1]، نشر في «جوامع الكلم».

٤٨ ـ جواب مسائل الميرزا محمد علي خان بن محمد نبي خان، عن مراتب التوحيد والمشيئة والعلة والوجود وبعض متعلقات ذلك، فرغ منه في ٢٤ شعبان ١٢٣٦ ـ ١٨٢٠، مخطوط.

٤٩ ـ جواب مسائل محمد خان، وهي ثلاث، نشر في «جوامع الكلم».

٥٠ ـ جواب مسائل المولى محمد الدامغاني، عن معنى بسيط الحقيقة ببساطته كل الأشياء، وبيان الحق في هذه المسألة، فرغ منه في ربيع الأول عام ١٢٣٢ ـ ١٨١٦، وطبع مع «اللمعات» و «المخازن» للشيخ حسن جوهر عام ١٣٤٩ ـ ١٩٣٠.

٥١ ـ جواب مسائل الشيخ محمد الرشتي، عن المراد بالإمكان وغيره من المواضيع، نشر في «جوامع الكلم».

٥٢ ـ جواب مسائل الشيخ محمد مسعود بن الشيخ سعود، وهي تسع فرغ منها في ٢٠ شعبان سنة ١٢١١ ـ ١٧٩٦، نشر في «جوامع الكلم».

٥٣ ـ جواب مسائل الشاه زاده محمود ميرزا، وهي إحدى عشرة مسألة، فرغ منها في ٢٤ رجب سنة ١٢٣٧ ـ ١٨٢١، نشر في «جوامع الكلم».

٥٤ ـ جواب مسائل الشاه زاده محمود ميرزا أيضاً، وهي سبع، مخطوط.

---

(١) نشر السؤال الأول في «جوامع الكلم» وحده باسم الميرزا محمد علي المدرّس، وطبعت الرسالة بأجمعها في مكان آخر من «الجوامع» بدون اسم السائل، ونشرت الأسئلة ٢ و٣ و٤ في «الجوامع» في مكان ثالث ومكان رابع، ويوجد السؤال الأول في نسخة الأصل ناقصاً.

٥٥ ـ جِواب مسائل الشيخ محمد مهدي بن شفيع الاسترابادي، وهي عشر، فرغ منه في غرّة جمادى الأولى عام ١٢٣٠ ـ ١٨١٤، نشر في «جوامع الكلم».

٥٦ ـ جواب مسائل الشيخ محمد مهدي الأبرقوئي، وهي أربع، نشر في «جوامع الكلم».

٥٧ ـ جواب مسائل الشيخ يعقوب بن قاسم الشيرواني، حول المادة والصورة والمولود الشرعي، وكيفية الذاهب والآتي منها، وهل أن الذاهب عين الآتي أو غيره؟ وعدة إشكالات أخرى عرضت للسائل في كلمات الأحسائي وسائر الحكماء، فرغ منه في ثامن شعبان عام ١٢٣٩ ـ ١٨٢٣، ونشر في «جوامع الكلم».

٥٨ ـ جواب مسألتي السيد حسين بن عبد القاهر، نشر في «جوامع الكلم».

(ح)

٥٩ ـ الحملية في أحكام التقيّة، شرح فيه عبارة من كتاب «الفوائد» للوحيد البهبهاني ونشر في «جوامع الكلم».

٦٠ ـ حياة النفس في حضيرة القدس، في أصول الدين، طبع للمرة الأولى ضمن «جوامع الكلم» عام ١٢٧٢ ـ ١٢٧٣/ ١٨٥٥ ـ ١٨٥٦، والثانية في إيران، والثالثة في النجف بدون تاريخ ضمن سلسلة «كتب إسلامية» من منشورات العلّامة الحائري في كربلاء، والرابعة في كربلاء منضماً إلى «أصول العقائد» للرشتي و «المقالة الناصحة الزاجرة» للحائري، وهو بدون تاريخ أيضاً، والخامسة عام ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧، وقد ترجمه إلى الفارسية الميرزا حسن العظيم آبادي المتوفى في حدود سنة ١٢٦٠ ـ ١٨٤٤، نشرت الترجمة عام ١٢٨٨ ـ ١٨٧١[1].

٦١ ـ الخاقانية، كتاب أجاب فيه عن خمس مسائل قدّمها له السلطان فتح علي شاه القاجاري، فرغ منها في أوائل شهر رمضان عام ١٢٢٣ ـ ١٨٠٨، نشر في «جوامع الكلم» وبعض تلك الأسئلة تافه كتفاهة السائل، فقد برهن فيه على

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٤/ ٩٨.

سخف متناه، لا سيما في السؤالين الرابع والخامس، فهو يسأل فيهما عن كيفية نكاح أهل الجنة، وهل أنهم يستطيعون العقد على أكثر من أربع نسوة!!

(د)

٦٢ ـ ديوان المراثي، مجموع يضم اثنتي عشرة قصيدة رثى بها الإمام الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ومجموع أبياتها «١١١٤»، نشر في «جوامع الكلم»، وله قصائد كثيرة في مدح أهل البيت وغير ذلك ممّا لم يجمع، وقد أثبت تلميذه المولى حسين بن مؤمن اليزدي الرماني كثيراً من شعره في مدائح أهل البيت ومراثيهم في كتبه[١].

(ذ)

٦٣ ـ ذو الرأسين، في الفقه، شرح فيه خاتمة «كشف الغطاء» للشيخ جعفر الجناجي النجفي، وفصّل فيه أحكام وتكاليف كل إنسان ذي رأسين على حق واحد، من العبادات والمعاملات وسائر التكاليف، وقد ألّفه بطلب من الشيخ جعفر نفسه، نشر في «جوامع الكلم».

٦٤ ـ الرسائل، قال محمد تقي دانس: إنه موجود في مكتبة كلية الآداب بجامعة طهران[٢].

٦٥ ـ رسالة في أجوبة مسائل الشيخ أحمد بن الشيخ صالح القطيفي، وهي إحدى وسبعون مسألة في التفسير وعلم الفلك والعقائد وبعض الأحاديث المشكلة، نشرت في «جوامع الكلم».

٦٦ ـ رسالة في أن لله تعالى علمين: حادث وقديم وتحقيق القول فيهما.

٦٧ ـ رسالة في البسط والتكسير، مفقودة.

٦٨ ـ رسالة في بعض أسرار تجويد القرآن، فرغ منها في ثالث جمادى الثانية عام ١١٩٩ ـ ١٧٨٤، نشرت في «جوامع الكلم».

---

(١) زاد المسافرين و(مائدة العارفين) و (إيقاظ الغافلين) و (أنيس العارفين) و (مائدة سماوية).

(٢) فهرستِ نسخة هاى خطي كتابخانه دانشكده أدبيات «مجموعهٔ رقعي جناب آقاي علي أصغر حكمت ز/٧٩.

٦٩ ـ رسالة في بيان الحقيقة المحمدية، وهل هي من الوجود المقيّد أم لا؟

٧٠ ـ رسالة في بيان الأدعية الثلاث: السرمد والدهر والزمان، وبيان اللوح المحفوظ، ولوح المحو والإثبات، وتحقيق البداء، والقدر والقضاء، وعالم الذرّ، وتحقيق الطينة بالسعادة والشقاوة المذكورة في أحاديث الطينة، وبيان السرّ في أربعيّة أركان العرش، وبيان حقيقة هذه الأركان، وقد ألّفه للسيد أبي القاسم بن عباس اللاهيجاني، والظاهر أنه غير «أجوبة مسائل السيد أبي القاسم اللاهيجاني المار.

٧١ ـ رسالة في بيان معنى الملائكة النقّالة، مخطوطة.

٧٢ ـ رسالة في تفسير بعض المشكلات من تشبيه الإمام علي عليه السلام بالركن الرابع، ومسائل أخرى من هذا القبيل، مفقودة. ولدى الأستاذ رياض طاهر في كربلاء نسخة خطية يقول: إنّ صيغة السؤال فيها أنّهم شبّهوا علياً فيها بالشكل الرابع وليس الركن الرابع، ويقول: إنّ في فهرس الإبراهيمي الشكل أيضاً لا الركن.

٧٣ ـ رسالة في جواب السيد أبي الحسن الجيلاني[1] فيما إذا كان الكفر والإيمان مثبتين في اللوح المحفوظ، فلماذا يكلّف الكافر مع العلم أنّه لا يؤمن؟ وما يتعلّق بذلك، فرغ منها في يزد في ثامن جمادى الثانية عام ١٢٢٣ ـ ١٨٠٨، نشرت في «جوامع الكلم».

٧٤ ـ رسالة في الصناعة، تشتمل على بيان تفصيل المادة والتزويج الذي هو من تمام العمل، وتفصيل الأركان والطبائع وتركيب الأركان، نشرت في «جوامع الكلم».

٧٥ ـ رسالة في العمل بالكتب الأربعة وأنّها قطعية الصدور، وفي وجوب الإخفات في التسبيحات الأربع في الركعتين الأخيرتين من الصلاة الرباعية، مفقودة.

---

(١) لم يذكر اسم السائل في متن الرسالة قبل ذكره الإبراهيمي، راجع (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي ٢/٩).

٧٦ ـ رسالة في القدر، ألّفها للشيخ عبدالله بن مبارك بن علي الجارودي القطيفي، مخطوطة.

٧٧ ـ رسالة في اللغة، مهمة جداً.

٧٨ ـ الرسالة الاعتبارية، في تحقيق الأمور الاعتبارية الجارية على ألسنة العلماء والحكماء، وتحقيق أنّ أسماء الله وصفاته ليست من الأمور الاعتبارية بل من الأمور المتأصّلة، وقد ذكر فيها أقوال بعض العلماء تحت عنوان «قال» وردّ عليها بعنوان «أقول»، طبعت في «جوامع الكلم».

٧٩ ـ الرسالة البحرانية، في أجوبة مسائل السيد حسين بن السيد عبد القاهر البحراني، عن معاني عبارات المولى محسن الفيض الكاشاني كمعنى فناء العبد هل المراد به فناء الذات أو فناء الجسم؟ ومعنى التوجّه التام الذي هو شرط في الفناء، وموضوعات أخر تتعلّق بهذا الموضوع، فرغ منها في شهر رمضان عام ١٢١١ ـ ١٧٩٦، طبعت في «جوامع الكلم».

٨٠ ـ الرسالة الجعفرية، تشتمل على أجوبة ثماني مسائل تقدّم بها الميرزا جعفر النوّاب اليزدي، فرغ منها في يزد في سابع شوال سنة ١٢٢٢ ـ ١٨٠٧، نشرت في «جوامع الكلم».

٨١ ـ الرسالة الحسينية، ألّفها في جواب مسائل السيد حسن الخراساني حول العلم الأزلي وكيفيته، والعلوم الحادثة وكيفيتها، وكيفية علم الباري تعالى بالأشياء، والفرق بين العلمين الذاتي والحادث، فرغ منها في ٢٠ رجب عام ١٢٣٩ ـ ١٨٢٣، طبعت في «جوامع الكلم».

٨٢ ـ الرسالة الحيدرية، في الفقه، جمع فيها أقوال الفقهاء والمسائل المتفرعة عن كل منها، ثم ذكر رأيه وما يرجّحه في كل مسألة، مفقودة.

٨٣ ـ الرسالة الخطابية، جواب لبعض العارفين في المقصود بإيّاك نعبد وإيّاك نستعين، هل هو الذات أم غيرها؟ ومسألتين أخريين، فرغ منها في ١٧ ربيع الثاني عام ١٢٢٤ ـ ١٨٠٩، طبعت في «جوامع الكلم».

٨٤ ـ الرسالة الرشتية، في جواب أسئلة المولى علي بن الميرزا جان الرشتي، وهي ثلاث وثلاثين مسألة، فرغ منها عام ١٢٢٦ ـ ١٨١١، طبعت في «جوامع الكلم».

٨٥ ـ الرسالة الرشيدية، أجاب فيها على ثلاثة أسئلة في الحكمة تقدّم بها إليه المولى رشيد، فرغ منها في ١٩ شعبان سنة ١٢٢٥ ـ ١٨١٠، نشرت في «جوامع الكلم».

٨٦ ـ الرسالة الزنجية، في الحاكمة بين الشيخ أحمد بن الشيخ محمد، والسيد عبد الصمد الزنجي في حقيقة كاف «ليس كمثله شيء»، فرغ منها في ١٥ رجب سنة ١٢١٢ ـ ١٧٩٧، نشرت في «جوامع الكلم».

٨٧ ـ الرسالة الغديرية، تشتمل على أجوبة مسائل الشيخ عبدالله بن محمد بن أحمد بن غدير، وهي أربع، في علل بعض التشريعات، نشرت في «جوامع الكلم».

٨٨ ـ الرسالة القطيفية، أجاب فيها على أحد عشر سؤالاً في الفقه، تقدّم بها إليه الشيخ أحمد بن صالح القطيفي، نشرت في «جوامع الكلم».

٨٩ ـ الرسالة القطيفية أيضاً، أجاب فيها على عشرة أسئلة للشيخ أحمد المذكور، في الحكمة وغيرها، نشرت في «جوامع الكلم».

٩٠ ـ الرسالة الموسوية، في جواب سؤال الشيخ موسى البحراني حول شخص ادّعى الوكالة عن الإمام المهدي المنتظر «عج» وأنه تشرّف بلقائه، وقد أبطل دعواه، فرغ منها عام ١٢٠٦ ـ ١٧٩١، نشرت في «جوامع الكلم».

(س)

٩١ ـ السراجية، أجاب فيه عن أسئلة المولى مصطفى الشيرواني الأربعة، نشرت في «جوامع الكلم».

٩٢ ـ السلطانية، ألّفها في أجوبة مسائل السلطان فتح علي شاه القاجاري، فرغ منها في كرمان شاه في غرّة صفر عام ١٢٣٤ ـ ١٨١٨، نشرت في «جوامع الكلم».

(ش)

٩٣ ـ شرح أبيات ابن الفيروزي، مفقود.

٩٤ ـ شرح أبيات الشيخ علي بن عبدالله بن فارس، في علم الصناعة، التي أولها:

غربيّة في ديار الغرب منبتها وأرضها عسجد من غير تمويه

قد زوّجت بالفتى الشرقي فأولدها جنس البعيد ونوع الجنس مبديه.. الخ.

٩٥ ـ شرح أحوال المؤلف، رسالة مختصرة كتبها في ترجمته بطلب من ولده الشيخ محمد تقي، وقد نشرها الدكتور حسين علي محفوظ عام ١٣٧٦ ـ ١٩٥٧ باسم «سيرة الشيخ أحمد الأحسائي» كما مرّت الإشارة إليه.

٩٦ ـ شرح حديث أمير المؤمنين عليه السلام في خلقة الذرّات التي ترى في نور الشمس، ألّفه جواباً لسؤال السيد محمد بن السيد عبد النبي؟، فرغ منه في جمادى الثانية عام ١٢٠٦ ـ ١٧٩١، طبع في «جوامع الكلم».

٩٧ ـ شرح حديث حدوث الأسماء، الذي أوّله: إنّ الله تعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوّت وباللفظ غير منطق.. الخ، ألّفه في جواب سؤال الشيخ عباس بن الشيخ صالح بن الشيخ يوسف، وفرغ منه في ٢٩ صفر سنة ١٢٢٠ ـ ١٨٠٥، طبع في «جوامع الكلم»[1].

٩٨ ـ شرح حديث رأس الجالوت، الذي سأل الإمام الرضا عليه السلام: ما الكفر وما الإيمان؟والكفران والشيطانان؟ألّفه في جواب بعضهم، طبع في «جوامع الكلم».

٩٩ ـ شرح حديث كميل بن زياد عن الحقيقة وبيان الفرق بين العقل والقلب، والصدر والنفس، والوهم والفكر، والخيال وسائر القوى.

١٠٠ ـ شرح حديث: لولاك لما خلقت الأفلاك، كتبه جواباً لسؤال السيد محمد بن مال الله الخطي، طبع في «جوامع الكلم».

١٠١ ـ شرح حديث: من عرف نفسه فقد عرف ربّه، ألّفه في جواب سؤال الشيخ محمد مهدي الاسترابادي، فرغ منه في ثاني صفر سنة ١٢٣٥ ـ ١٨١٩، طبع في «جوامع الكلم».

١٠٢ ـ شرح رسالة العلم، الفيض الكاشاني، في حقيقة علم الله تعالى، شرحها بطلب الميرزا باقر النوّاب، فرغ منها في خامس ربيع الثاني عام ١٢٣٠ ـ ١٨١٤ في كرمان شاه، طبعت في «جوامع الكلم».

---

(١) أضيف إليه في «جوامع الكلم» سؤالان وهو اشتباه لأنهما من أسئلة الشيخ مولى كاظم السمناني راجع (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ٧/ ١٥)..

١٠٣ ـ شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، المروية عن الإمام علي الهادي عليه السلام، أربعة أجزاء، ألّفه بطلب من السيد حسين بن محمد قاسم الحسيني الأشكوري الجيلاني، فرغ منه في ١٩ ربيع الأول عام ١٢٣٠ ـ ١٨١٤، طبع بنفقة سليمان خان الأفشار عام ١٢٦٧ ـ ١٨٥٠، وأعيد طبعه عام ١٢٧٦ ـ ١٨٥٩[1].

١٠٤ ـ شرح زيارة الوداع، التي في آخر الزيارة الجامعة الكبيرة، طبع.

١٠٥ ـ شرح عبارات مشكلة، ألّفه للشيخ علي بن عبدالله بن فارس في علم الحروف، فرغ منه في ١٣ شوال عام ١٢٠٨ ـ ١٧٩٣، طبع في «جوامع الكلم».

١٠٦ ـ شرح عبارة الشيخ علي بن عبدالله المذكور في جواب سؤال تقدّم به بعضهم إلى الشيخ محمد بن عبدالله بن فيروز، عن العقل وما يقابله، فأجاب عنهالشيخ علي المذكور أيضاً، فشرح الأحسائي جواب الشيخ علي وشرح في ضمنه الحروف الثمانية والعشرين بما يطابق مراتب التكوين، وكان الشيخ محمد قد أجاب السائل بأبيات شعرية شرحها الأحسائي أيضاً في آخر الكتاب، فرغ منه في ١٩ جمادى...؟ عام ١٢١٠ ـ ١٧٩٥، نشر في «جوامع الكلم».

١٠٧ ـ شرح العرشية في المعاد، للمولى صدر الدين الشيرازي، في جزئين، ألّفه بطلب المولى مشهد بن حسين الشبستري، فرغ من الأول في المبدأ في كرمان شاه في ٢٦ ذي القعدة سنة ١٢٣٤ ـ ١٨١٨، ومن الثاني في المعاد في ربيع الأول عام ١٢٣٦ ـ ١٨٢٠، وهو شرح مزجي: يقال أقول، طبع عام ١٢٧١ ـ ١٨٥٤ و١٢٧٤ ـ ١٨٦٢.

١٠٨ ـ شرح الفائدة الأولى من الفوائد السبع التي ألحقها بكتابه «الفوائد»، في الإشارة إلى تكوّن الموجودات، طبع.

١٠٩ ـ شرح الفوائد، شرح فيه كتابة «الفوائد» في الحكمة بطلب من المولى مشهد..؟ فرغ منه في تاسع شوال عام ١٢٣٣ ـ ١٨١٧، طبع عام ١٢٧٢ ـ ١٨٥٥ و١٢٨٧ ـ ١٨٧٠.

---

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ١٣/٢١٩ و٣٠٥.

١١٠ ـ شرع ما ذكر من مسائل علم الأصول في خاتمة «كشف الغطاء»، ألّفه في حياة مؤلفه الشيخ جعفر النجفي، مخطوط.

١١١ ـ شرح المشاعر، للمولى صدر الدين الشيرازي، وهو في أصول حقائق الإيمان وقواعد الحكمة والعرفان، شرحه بطلب المولى مشهد..؟ وقد جرى فيه على طريقة أهل البيت في معرفة حقائق الأشياء والذوات والموجودات، وأبطل فيه قول: بسيط الحقيقة ببساطته كل الأشياء، فرغ منه في ٢٧ صفر عام ١٢٣٤ ـ ١٨١٨، وهو مخطوط، طبع مع شرح العرشية طبعة حجرية في إيران سنة ١٢٧١ ـ ١٨٥٤.

(ص)

١١٢ ـ صراط اليقين في شرح تبصرة المتعلمين، للعلامة الحلي في الفقه، ناقص، خرج منه كتاب الطهارة، استدلالي، طبع في «جوامع الكلم».

١١٣ ـ الصومية، في أحكام الصوم، مفصّل، ألّفه في جواب محمد علي ميرزا ابن السلطان فتح علي شاه القاجاري، فرغ منه في سادس رجب عام ١٢٣٦ ـ ١٨٢٠، طبع في «جوامع الكلم».

(ع)

١١٤ ـ العصمة والرجعة، في أجوبة مسائل محمد علي ميرزا أيضاً، تضمّن الكلام عن عصمة الأنبياء وحقيقة الرجعة وإثباتها، وذكر علامات الظهور، وتناول مختلف آراء الفرق الإسلامية في العصمة وإثباتها على رأي الإمامية، فرغ منه في ٢١ ربيع الأول عام ١٢٣١ ـ ١٨١٥، طبع في «جوامع الكلم» أولاً، وأعيد ثم طبع كل منهما ثانية في النجف بصورة منفردة، فطبع «كتاب العصمة» عام١٣٩٠ ـ ١٩٧٠ و «كتاب الرجعة» عام ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢.

(ف)

١١٥ ـ الفارسية، في شرح أشعار الشيخ علي بن عبدالله بن فارس في الفلسفة، فرغ منه في ربيع الأول عام ١٢٠٧ ـ ١٧٩٢، طبع في «جوامع الكلم».

١١٦ ـ الفقر، رسالة مختصرة في الفقر والسعادة والشقاء، مخطوط[١].

١١٧ ـ الفقهية، في جواب سؤالين للشاه زاده محمد علي ميرزا، طبع في «جوامع الكلم».

١١٨ ـ الفوائد الحكمية الاثنا عشرية، في الحكمة، تضمّن اثنتي عشرة فائدة، ألّفه بعد عودته من أصفهان إلى يزد.

١١٩ ـ الفوائد السبع، أضافها إلى كتابه «الفوائد» المذكور بعد الفراغ من شرحه.

١٢٠ ـ الفوائد الثماني، في الاستدلال من القرآن الكريم والعالم الكبير بطريق الكشف والتأويل، وقد اشتمل على عدة مسائل يهم العارفين الوقوف عليها، نشر في «جوامع الكلم»[٢].

(ق)

١٢١ ـ القدرية، في مسألة القدر في أفعال العباد، وشرح كلمات السيد شريف..؟ في هذه المسألة، ألّفه بطلب الشيخ عبدالله بن دندن، نشر في «جوامع الكلم».

(ك)

١٢٢ ـ كشكول، في مجلدين، يشتمل على مطالب متفرقة، دوّنها بترتيب حروف أوائل الموضوعات المدوّنة، مخطوط.

---

(١) لم يرد ذكر هذا الكتاب في قائمة مؤلفاته، ولم يشر إليه أحد من مترجميه، وإنما ذكره الشيخ أغا بزرك الطهراني وكان وقف عليه مخطوطاً في مكتبة جامعة طهران (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٦/ ٢٧٨). و (فهرست كتابخانه إهدائي آقاي سيد محمد مشكوة به كتابخانة دانشكاه طهران: ١٢/ ٢٩٠٦).

(٢) ذكر له الإبراهيمي ستة كتب أخرى باسم «الفوائد» وبما أنها مختصرة للغاية ولا يجدر أن يعدّ كل واحد منها كتاباً مستقلاً لم نذكرها في عداد مؤلفاته كما ذكر له أربع خطب لم نذكرها أيضاً لاختصارها (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ٢/ ١٨ و٣٦ و٣٧)..

(ل)

١٢٣ ـ لوامع الوسائل، ويعرف بالتوبلية لأنّه ألّفه بطلب الشيخ علي التوبلي، وضمّنه أجوبة تسع عشرة مسألة في علم الحروف والجفر وغيرهما، فرغ منه في ٢٢ شعبان عام ١٢١١ ـ ١٧٩٦، طبع في «جوامع الكلم».

(م)

١٢٤ـ مباحث الألفاظ في أصول الفقه، ناقص، وقد ضاع قسم من أوّله أيضاً، ويبدأ الموجود منه بالفصل الثالث، طبع في «جوامع الكلم».

١٢٥ ـ مختصر الحيدرية، ألّفه بطلب بعض أصحابه، وقد اقتصر على فتواه بدون تفصيل واستدلال ونقل أقوال، اشتمل على أحكام الطهارة والصلاة ومتعلقاتهما، فرغ منه في ثامن جمادى الأولى عام ١٢٢٠ ـ ١٨٠٥[1].

(و)

١٢٦ ـ وسائل الهمم العليا في جواب مسائل الرؤيا، أجاب فيه عن سؤالين للشيخ حسين ابن الشيخ محمد آل عصفور، وكان والد السائل قد رأى ولده في عالم الرؤيا فسأله عنهما وأجابه الأحسائي، طبع في «جوامع الكلم».

١٢٧ ـ ولادة الحجة المنتظر (عج) وظهوره، ألّفه بطلب الشيخ موسى بن محمد الصائغ عام ١١٩٧ ـ ١٧٨٢، طبع في «جوامع الكلم».

---

(١) اختصر بعض أولاده هذا المختصر ونشر في «جوامع الكلم».

الملحق رقم (٢)
قائمة مؤلفات السيد كاظم الرشتي
مرتبة على حروف الهجاء

١ ـ إثبات الحقيقة الشرعية.

٢ ـ إثبات قيام المفاعيل، تضمّنت الكلام عن الحقيقة المحمدية والقيام الركني، طبع في «مجموعة الرسائل».

٣ ـ إثبات المناسبة بين الألفاظ والمعاني، ردّ به على من تعرّض لكلام الأحسائي في ذلك، فرغ منه في ١٨ شوال عام ١٢٣٤ ـ ١٨١٨ طبع.

٤ ـ الاجتهاد والتقليد وبعض مسائل القضاء.

٥ ـ أجوبة بعض المسائل، فارسي، فرغ منه عام ١٢٥٨ ـ ١٨٤٢ طبع.

٦ ـ أجوبة بعض المسائل، عربي مخطوط، توجد نسخة الأصل منه في «مكتبة الإبراهيمي في كرمان»[1].

٧ ـ أجوبة مسائل الشيخ إسماعيل بن الشيخ أسد الله التستري الكاظمي، وهي في العصمة وما يتعلق بها، وتفسير بعض الآيات، والبرهان القطعي على وجوب معرفة الأئمة، وأحاديث أخرى بالتفصيل، مخطوط.

٨ ـ أجوبة مسائل أصول الفقه وأحوال الأدلة الشرعية وما يتعلّق بها، مخطوط.

٩ ـ أجوبة مسائل السيد أمجد علي الهندي، عن الفرق بين الشيخية والأخباريين والأصوليين، ومسائل أخرى، طبع.

١٠ ـ أجوبة مسائل بعض علماء الشام، وهي ٢٤ مسألة.

١١ ـ أجوبة مسائل بعض العلماء، في التوحيد ومراتبه، ومواضيع أخرى.

١٢ ـ أجوبة مسائل الميرزا حسن الهندي العظيم آبادي، في المعاد وبعض فقرات شرح «دعاء السمات»، وتحقيق القول في البواطن، مخطوط.

---

(١) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ٢/ ١٣١.

١٣ ـ أجوبة مسائل السيد حسن رضا الهندي، في مواضيع مختلفة، مخطوط.

١٤ ـ أجوبة مسائل السيد حسين القطيفي عن ٣٣ مسألة، مخطوط، نسخة الأصل منه في «مكتبة الإبراهيمي»[١].

١٥ ـ أجوبة مسائل الشيخ حسين علي . . . ؟! وهي ١٢ مسألة مختلفة، فرغ منها في ١٠ صفر عام ١٢٣٧ ـ ١٨٢١، طبع.

١٦ ـ أجوبة مسائل الشيخ سليمان بن عبد الجبار المسقطي.

١٧ ـ أجوبة مسائل محمد شريف الكرماني، في الأدلّة الشرعية وتهذيب الأخلاق.

١٨ ـ أجوبة مسائل الميرزا شفيع المازندراني، مخطوط.

١٩ ـ أجوبة مسائل المولى صالح. . . ؟ طبع في «مجموعة الرسائل».

٢٠ ـ أجوبة مسائل الشيخ . . . الله بن الشيخ أحمد بن الشيخ صالح بن طوق القطيفي. وهي ٢٤ مسألة، فرغ منها في ٢١ جمادى الأولى عام ١٢٣٦ ـ ١٨٢٠، طبع.

٢٢ ـ أجوبة مسائل السيد علي البهبهاني، مخطوط.

٢٣ ـ أجوبة مسائل السيد علي البهبهاني أيضاً، طبع.

٢٤ ـ أجوبة مسائل الشيخ علي آل عبد الجبّار القطيفي، مخطوط.

٢٥ ـ أجوبة مسائل الشيخ علي البرغاني، فرغ منها في ٢٥ جمادى الثانية عام ١٢٣٨ ـ ١٨٢٢، طبع.

٢٦ ـ أجوبة مسائل الميرزا علي أشرف المراغي، في موضوعات مختلفة، فرغ منها في سلخ محرم عام ١٢٤٣ ـ ١٨٢٧، مخطوط، يوجد في «مكتبة الإبراهيمي»[٢].

٢٧ ـ أجوبة مسائل الشيخ محمد الرشتي ابن القاضي، وهي مسائل عقلية غامضة كالأمر بين الأمرين وغيرها، مخطوط.

٢٨ ـ أجوبة مسائل الشيخ محمد بن عبد علي آل عبد الجبّار القطيفي، في أحوال المهدي المنتظر (عج) وإثبات تصرفه في زمن الغيبة، ونصرة رعيته، مخطوط.

---

(١) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ٢/ ١٣٩.

(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ٢/ ٩٧.

٢٩ ـ أجوبة مسائل الميرزا محمد باقر الهمداني الطبيب، في بعض مقامات الأئمة عليهم السلام وأسرار بعض أفعال الصلاة، والدليل على المعاد الجسماني، والجواب عن شبهة الآكل والمأكول.

٣٠ ـ أجوبة مسائل الشيخ محمد حسن بن وزير، فارسي، طبع.

٣١ ـ أجوبة مسائل الشيخ محمد بن حسين بن خلف بن سليمان. . .؟ وهي ٣٩ مسألة عويصة.

٣٢ ـ أجوبة مسائل محمد رحيم حنان، طبع.

٣٣ ـ أجوبة مسائل الشيخ محمد علي الخراساني نزيل النجف، حول أحكام الشرائع الست الناسخة والمنسوخة.

٣٤ ـ أجوبة مسائل الشيخ محمد علي بن نبي خان، حول كيفية الوجود، فرغ منه في خامس شعبان سنة ١٢٤٠ ـ ١٨٢٤، طبع في «مجموعة الرسائل».

٣٥ ـ أجوبة مسائل السيد محمد علي الهندي الطبيب.

٣٦ ـ أجوبة مسائل السيد محمود الآلوسي مفتي بغداد، طبع في «مجموعة الرسائل».

٣٧ ـ أجوبة مسائل الحاج محمد كريم خان الكرماني، في بعض مسائل الفقه وأصوله، مخطوط، يوجد في «مكتبة الإبراهيمي»[1].

٣٨ ـ أجوبة مسائل العالم الهندي المولى مهدي الرشتي، في الأدلّة الشرعية ودليل العقل وكيفية تحصيل العلم بالإجماع، وغير ذلك، طبع.

٣٩ ـ أجوبة مسائل المولى مهدي الرشتي، في مواضيع مختلفة ومسائل عديدة، مخطوط.

٤٠ ـ أجوبة مسائل المولى نعمة الله الشيرازي، فارسي، مخطوط.

٤١ ـ أجوبة مسائل في الأمانة والشركة، في الفقه.

٤٢ ـ أجوبة مسائل في النكاح والطلاق وأحكامها.

٤٣ ـ أجوبة مسائل في الوصية وما يتعلق بها.

٤٤ ـ أجوبة المسائل الأحسائية.

---

(١) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ٢/ ٩٧.

٤٥ ـ أجوبة المسائل الأصفهانية، فارسي، مخطوط.

٤٦ ـ أجوبة المسائل البحرانية.

٤٧ ـ أجوبة المسائل البصرية، وكانت قد وردت على الشيخ محمد بن حسين بن خلف البحراني، وهي ٨٠ مسألة.

٤٨ ـ أجوبة المسائل البغدادية، في نسبة حال النبي ﷺ مع عائشة، وبعض المسائل المتعلقة بأحوال الإمام عليه السلام ونوابه، وسائر المسائل المتفرقة الأخرى.

٤٩ ـ أجوبة المسائل البغدادية، أيضاً، في الفقه، وردت من بعض أطراف بغداد.

٥٠ ـ أجوبة المسائل الخراسانية، في أن المفاعيل قائمة بفعل الله بالقيام الصدوري، وبأنّ الحقيقة المحمدية بالقيام الركني، ونحو ذلك، فرغ منها في خامس رجب سنة ١٢٥٤ ـ ١٨٣٨.

٥١ ـ أجوبة المسائل الغروية، وردته من النجف الأشرف، وهي في العلوم العقلية والغربية من علم الحروف وغيره... وقد أودعت فيها تحقيقات أنيقة ما أظن أنه سمحت بها فكرة أحد قبلي والحمد لله على نعمائه»[١].

٥٢ ـ أحكام الطهارة والسنة، رسالة فتوائية، فرغ منها في ١١ رجب عام ١٢٤٢ ـ ١٨٢٦، مخطوط.

٥٣ ـ أحكام الظهار والإيلاء، ألّفه بطلب بعض أهل البحرين.

٥٤ ـ أسرار أسماء الأئمة عليهم السلام، وهل أنها كانت باختيارها لله أم باختيارهم، وما هو وجه ترجيحها على غيرها؟ طبع في «مجوعة الرسائل».

٥٥ ـ أسرار البسملة، ألّفه في جواب الشيخ محمد علي المعروف بالجدلي[٢].

---

(١) دليل المتحيرين / ٤٤ و١٤٥.

(٢) كان هذا الشيخ من العلماء المحققين وكبار أهل الفضل. وكان يلقب بالجنكلي بالكاف الفارسية ـ (الوحشي) وصادف أن فتح علي شاه القاجاري نزل قزوين فزاره رهط من علمائها منهم هذا الشيخ. وسأل السلطان عن موضوع فبادر المترجم إلى إجابته وأعجب بجوابه فسأل عنه فقيل له: أنه يعرف بالجنكلي فعز عليه ذلك لأنه بلديه ومن أهل آمل في مازندران كما صرّح به. ولقبه بالجدلي وطلب من القوم أن يدعوه بذلك. راجع (قصص العلماء/ ١٨) وفي الصفحة نفسها قصة للشهيد البرغاني يجدر بالذين يريدون الوقوف على سير الرجال وسرائرهم وأخلاق الماضين وسلوكهم أن يقفوا عليها؟ فقد =

٥٦ ـ أسرار بعض الأحكام، طبع في «مجموعة الرسائل».

٥٧ ـ أسرار الحج، ألّفه باستدعاء محمد باقر اليزدي.

٥٨ ـ أسرار الشهادة في شهادة الحسين عليه السلام، ألّفه بطلب من الشيخ عبد الوهاب القزويني، فرغ منه في ٢٤ جمادى . .؟ عام ١٢٣٨ ـ ١٨٢٢، طبع في «مجموعة الرسائل».

٥٩ ـ أسرار الصلاة والأغسال، ألّفه في جواب بعضهم، وقد نشر في «مجموعة الرسائل»، وفي مقدمته اطراء كثير لنفسه وإغراق في الثناء عليها، وفي ص ١١٩ فسّر «سورة القدر» بأسلوب غريب مليء بالغلو والخرافات.

٦٠ ـ أصول عقائد حقة، فارسي، في أصول الدين الخمسة، طبع في تبريز عام ١٢٥٩ ـ ١٨٤٣، وقد ترجم إلى العربية وطبع منهما إلى «حياة النفس» للأحصائي باسم «أصول العقائد، بدون تاريخ!! ويرجّح أن ذلك بعد عام ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠.

(ب)

٦١ ـ بعض أحكام الجزية والجهاد والحدود وشرائطها، وأحكام الأراضي المفتوحة عنوة، وبعض مسائل النذر والوقف.

٦٢ ـ بعض أسرار البسملة والحمد، ألّفه للميرزا علي رضا الهندي الطبيب وأملاه عليه.

٦٣ ـ بعض مسائل البيع والصلح والخمس والميراث.

٦٤ ـ بيان الأدلّة الأربعة، ألّفه بطلب من السيد حسن رضا الهندي، مخطوط.

٦٥ ـ بيان بعض أسرار البسملة، ومعنى الحديث الوارد عن الإمام علي عليه السلام: «كلما في البسملة في الباء، وكلما في الباء في النقطة، وأنا النقطة تحت الباء»، وقد قال عن هذا الكتاب: «وقد أجابني روحي له الفداء، ولمّا استيقظت كانت تلك البيانات حاضرة عندي، مبرهنة بأدلة واضحة من الكتاب

= تلاكم الشهيد وأخواه علي وصالح مع الجنكلي في محضر السلطان ـ وكانوا قصدوا زيارته مما اضطره إلى طردهم وإخراجهم بعد توبيخهم على عمل لا ينبغي أن يرتكب في حضرة ملك.

والسنة والعقل المستنير بنور الأئمة عليهم السلام [1] . . . » وظاهر كلامه أنه رأى الإمام علياً في عالم الرؤيا فسأله عن معنى الحديث، لكنّ الشيخ أبا القاسم الإبراهيم قال: أنه سأل الحسين عليه السلام في الرؤيا عن معنى الحديث[2] والظاهر أنه قد وهم.

٦٦ ـ بيان بعض مراتب الحكمة وفضائل الأئمة.

٦٧ ـ بيان بعض المسائل الأصولية كأصالة الجزئية والشرطية للعبادات، وفي الأمور المشكوكة المتعلقة بالعبادات، وهي أن ألفاظ العبادات موضوعة للمعاني الصحيحة لا المعاني التي هي أعم.

٦٨ ـ بيان المقامات الطاهرة والباطنة وتأويل القرآن وأخبار أهل البيت عليهم السلام وغير ذلك، فرغ منه في سادس شوال عام ١٢٣٧ ـ ١٨٢١، طبع.

٦٩ ـ بيان الناسخ والمنسوخ والمتشابه والمحكم والمقدم والمؤخّر والحرف والمنقطع من الآيات القرآنية، وتعيين خاصها وعامها بحسب اللفظ والمعنى وغير ذلك، طبع.

٧٠ ـ بيان الوجود والماهية وحكمة الأحكام الشرعية الخمسة، فرغ منه في عام ١٢٣٢ ـ ١٨١٦، طبع.

(ت)

٧١ ـ تنبيه بعض علماء النجف على اشتباه كان قد حصل له في رسالة للرشتي في السلوك والأخلاق، وأنه توهم غير مقصود.

٧٢ ـ تحقيق الحق في أمهات المسائل الأصولية والجواب عن مستحدثات الأصوليين، طبع.

٧٣ ـ تحقيق عالم الذرّ والتكاليف والاختلافات الحاصلة فيه وكيفية وصول الخلق إلى منزل المعرفة في الدنيا، ناقص، طبع.

---

(١) دليل المتحيرين/ ١٣٤.

(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ٢/ ١٣٢.

٧٤ ـ تحقيق المظنة وأقسامها وشؤونها وخواصها وإثبات العمل باليقين، طبع.
٧٥ ـ ترجمة «حياة النفس» للأحسائي، فارسي، طبع.
٧٦ ـ ترجمة «شرح الزيارة» للأحسائي، فارسي، ناقص.
٧٧ ـ ترجمة مختصر الحيدرية للأحسائي.
٧٨ ـ تفسير آية الكرسي، ناقص، ألّفه وهو ابن عشرين سنة، وقال عنه: إنّه ليس فيه نقل عن أحد بل هو تفسير بآيات أخرى وأحاديث عن الأئمة، وأنه بلغ ٧٠٠٠ بيت، ولم يكمل.
٧٩ ـ توضيح الشقشقية، طبع في «مجموعة الرسائل».

(ج)

٨٠ ـ جواب سؤال عن لعن بني أمية، طبع في «مجموعة الرسائل».
٨١ ـ جواب مسائل أحدهم، فرغ منه في ٢٧ صفر عام ١٢٣١ ـ ١٨١٥ فارسي، طبع في «مجموعة الرسائل»، والمطبوع جواب ٢٤ مسألة، لكن نسخة الأصل الموجودة في (مكتبة الإبراهيمي) تحتوي على جواب (٢٧) مسألة[١].
٨٢ ـ جواب مسائل بالفارسية والعربية، قال الإبراهيمي: أنه فرغ منه في تاسع محرم ١٢٧٢ ـ ١٨٥٥[٢]، وهو خطأ مطبعي حتماً لأن وفاته في سنة ١٢٥٩ ـ ١٨٤٣ كما مرّ.
٨٣ ـ جواب مسائل بعض الأجلاء، طبع.
٨٤ ـ جواب مسائل بعض الأجلّة، مخطوط يوجد في (مكتبة الإبراهيمي)[٣]، فرغ منه في شهر رمضان ١٢٤٢ ـ ١٨٢٦.
٨٥ ـ جواب مسائل بعض العلماء، حول عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام وتفسير قوله تعالى: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض... الخ**﴾ [الأحزاب/ ٧٢] ومطالب أخرى.

---

(١) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ٢/ ١٦٥.
(٢) المصدر نفسه. والصفحة نفسها.
(٣) المصدر نفسه. والصفحة نفسها.

٨٦ ـ جواب مسائل بعض علماء جبل عامل.

٨٧ ـ جواب مسائل بعض المحبين حول حقيقة العقل والروح والنوم ومادة الشمس وكيفية فلقها.

٨٨ ـ جواب مسائل سئل بها الشيخ الأحسائي فأحال جواباتها عليه، وهي ٢٤ مسألة، فرغ منها في رابع ذي القعدة عام ١٢٣٥ ـ ١٨١٩، طبع.

٨٩ ـ جواب مسائل وردت من الأحساء، وهي ٦٣ مسألة مختلفة، مخطوط، وهو غير «أجوبة المسائل الأحسائية» المارّ ذكره.

٩٠ ـ جواب مسائل الشيخ إبراهيم الشيرازي، وهي ١٣ مسألة، طبع.

٩١ ـ جواب مسائل سليمان خان الأفشار[1]، فارسي، فرغ منه يوم الخميس ١٤ صفر عام ١٢٥٩ ـ ١٨٤٣، وهو عام وفاته، مخطوط.

٩٢ ـ جواب مسائل الميرزا شفيع نائب الصدر في دار السلطنة تبريز، في موضوعات نحوية عديدة، طبع في «مجموعة الرسائل».

٩٣ ـ جواب مسائل عبدالله بيك، وهي تسع عشرة مسألة مختلفة، فرغ منها في محرم عام ١٢٣٧ ـ ١٨٢١، طبع.

٩٤ ـ جواب مسائل عبدالله بيك، أيضاً، وهي خمس مسائل، طبع.

٩٥ ـ جواب مسائل المولى عبد الوهاب اللاهيجاني، فرغ منها في ١٥ ذي الحجة عام ١٢٣٧ ـ ١٨٢١، طبع.

٩٥ ـ جواب مسائل الشيخ علي بن قرين، في الفقه وبيان العوالم وأقدمها، وتفسير باطن قوله تعالى: ﴿**وفديناه بذبح عظيم**...﴾ الخ، [الصافات/١٠٧]. والسر في استحباب تقبيل الجبهة والوجه دون اليد، وتفسير: ﴿**أن أول بيت وضع للناس**...﴾ [آل عمران/٩٦] وكيفية نصب الشاخص، وطريق وضع الدائرة الهندسية ومعرفة الزوال، وشرح قصيدة ابن سينا العينية في النفس، وغير ذلك.

---

(١) كان يسكن في صائن من قلاع آذربايجان، ومن المخلصين للشيخية، وقد أوقف قريتي «سبيل» و «درياش» لطبع كتبهم المذهّبة خاصة، ونقل بعض الثقات: إن ابن الميرزا علي ثقة الإسلام التبريزي المعروف بالشيخية أراد أن يطبع «مرآة الكتب» لوالده من تلك الموقوفات فامتنع المسؤولون عنها بحجة أنه في أسماء مطلق الكتب لا كتب الشيخية، (الذريعة: ١٣/ ٢١٩).

٩٧ ـ جواب مسائل المولى كاظم المازندراني، في شرح كلام الأحسائي في الكيمياء، وموضوعات أخرى.

٩٨ ـ جواب مسائل الشيخ محمد الشكي.

٩٩ ـ جواب مسائل الشيخ محمد الصحاف الأحسائي، تحتوي على موضوعات قيمة وعلوم مختلفة من تفسير وكلام وفقه وحكمة.

١٠٠ ـ جواب مسائل الميرزا محمد إبراهيم التبريزي. في أحوال المهدي المنتظر(عج) ومواضيع مختلفة أخرى، فرغ منها في ٢٣ ربيع الأول عام ١٢٤٨ ـ ١٨٣٢، مطبوع.

١٠١ ـ جواب مسائل الشيخ محمد بن حسين البحراني، وهي ثمانون مسألة، خط.

١٠٢ ـ جواب مسائل السيد محمود الآلوسي مفتي الحنفية في بغداد، في شرح المقدمة الحسابية من مقدمات كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني، وهو غير «أجوبة مسائل الآلوسي» المارّ ذكره.

١٠٣ ـ جواب مسائل السيد مقيم القزويني، فرغ منها في جمادى الثانية عام ١٢٥٠ ـ ١٨٣٤، طبع.

١٠٤ ـ جواب مسائل الهند.

(ح)

١٠٥ ـ الحجة البالغة في جواب أحمد...؟ في الردّ على اليهود والنصارى وإثبات نبوة محمد ﷺ وولاية علي وأولاده عليهم السلام، فرغ منه في ٢٥ ربيع الأول عام ١٢٥٨ ـ ١٨٤٢، طبع في «مجموعة الرسائل».

١٠٦ ـ الحجة الدافعة في إثبات تصرف الإمام علي عليه السلام في عرصة الكون.

١٠٧ ـ حد اللقطة وأحكامها.

١٠٨ ـ حكم عدة الأمة الموطوءة.

١٠٩ ـ حكلّ المعمّى المشكل، سأله عنه بعض المخالفين في البريدة من قرى نجد عند عودته من مكّة.

(خ)

١١٠ ـ خطبة عيد الأضحى، مطبوع.

(د)

١١٠ ـ دليل المتحيرين، ألّفه في جواب بعضهم عن سبب اختلاف فرق المسلمين، فرغ منه في ربيع الثاني سنة ١٢٥٨ ـ ١٨٤٢، وقد ترجم فيه لأستاذه الأحسائي مفصلاً، وتعرض لذكر ما لقيه من مصاعب ومتاعب ومناوءة، وما لقيه هو من معارضة وإهانة. كما تعرّض للرد على أجوبة العلماء الذين وجّه لهم نفس السؤال فأجابوا عنه بخشونة وعنف، وممّا قاله عن علماء عصره من غير الشيخية مثلاً: «إنهم تركوا شعائر الإسلام، وضيعوا طرق التقوى في الأنام، وأنكروا الضروريات في المذهب بل في الدين بما أظهروا من البدع وشيّعوا من القول المخترع... الخ» وقوله «أما أولئك فأمرهم مردّد بين أنهم أنكروا ضرورة الإسلام أو أنهم أقرّوا بها ولم يعملوا على مقتضاها، فالأول يوجب الكفر، والثاني يوجب الفسق، ولا ثالث في البين»[١].

وقال الشيخ محمد التنكابني: ـ بعد أن كذب على الرشتي واتهمه بما لم يقبله وإن قال ما هو بمعناه أو قريباً منه ـ: «إن نسخة من الكتاب قد وقعت في يد السيد إبراهيم القزويني صاحب «ضوابط الأصول» ـ وكان الرشتي قد تناوله فيه وناقش جوابه ـ فسأل عن اسمه فقيل: إنه دليل المتحيرين، فقال: كان الأجدر أن يسمى بـ «الشتيمة» لأنه في شتم وذم العلماء. وأن الشيخ مهدي الكجوري قد عزم على ردّه فبعث له القزويني من يمنعه عن لسانه ويعلمه بأنه غير راض عن فعله، فكان جوابه: إن رضاه ليس شرطاً في ذلك، لأنه وجد مبدعاً فهمّ بردّه...»[٢].

---

(١) دليل المتحيرين: ٨٤ و١١٤.

(٢) قصص العلماء، ص ٣٥.

وقد ترجمه إلى الفارسية بعض أصحابه وهو محمد رضي بن محمد رضا، طبعت الترجمة في جمادى الأولى عام ١٢٦١ ـ ١٨٤٥[١]، وطبع الأصل العربي في النجف بعد مئة ثلاث وستين من طبع الترجمة[٢] وفي مقدمته أن الترجمة الفارسية طبعت مرتين[٣] ولا يخلو الكتاب من التصرف، ولا سيما في وضع العناوين لفصوله، وقد أشرنا إلى ذلك في مقدمة هذا الفصل وحول تذييله بفهرست في وضع العناوين لفصوله، وقد أشرنا إلى ذلك في مقدمة هذا الفصل وحول تذييله بفهرست مصنفاته، واعترف بذلك الإبراهيمي لكنه لم يشك في أن المؤلف قد وقف عليه[٤].

١١١ ـ دليل المتحيرين، أيضاً، في السير والسلوك، فرغ منها في صفر عام ١٢٣٨ ـ ١٨٢٢ في سروان من قرى رشت، وترجمه إلى الفارسية الحسين بن علي التبريزي الخسروشاهي، وفرغ من ترجمته في شوال سنة ١٢٤٢ ـ ١٨٢٦، توجد نسخة من الترجمة في «مكتبة السيد محمد علي الروضاتي» في أصفهان، كتبها في كربلاء علي بن زين العابدين المنجم التبريزي في رجب سنة ١٢٤٧ ـ ١٨٣١[٥].

١١٢ ـ دوازده إمام، خطبة طويلة ألقاها في عيد الفطر، مطبوع.

(ر)

١١٣ ـ الردّ على من ردّ على الأحسائي في مسألة المعاد والمعراج، فرغ منه في سلخ رمضان عام ١٢٤٠ ـ ١٨٢٤، مخطوط.

١١٤ ـ رسالة في الجفر، في شرح كلام السيد حسين الأخلاطي، طبع.

١١٥ ـ رسالة في الحج.

---

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٨/ ٣٦٠.

(٢) المطبعة العلمية في النجف عام ١٣٦٤هـ.

(٣) دليل المتحيرين / المقدمة.

(٤) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ٢/ ١١١ ـ ١١٢.

(٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٨/ ٣٦٠ و١٢/ ٢٨٣.

١١٦ ـ رسالة في حد اللقطة وأحكامها.
١١٧ ـ رسالة في الزكاة، حَوَت أغلب مسائلها وأحكامها.
١١٨ ـ رسالة في السلوك والأصول، وهي غير «دليل المتحيرين» المذكور قطعاً، ويحتمل أن تكون الصعودية والنزولية» الآتي.
١١٩ ـ رسالة في الصوم، مفصلة استدلالية، مخطوط.
١٢٠ ـ رسالة في علم الهيئة وإثبات هيئة الأفلاك الباطنة وكيفية حركاتها، وتطبيق أحكام الهيئة الظاهرة على الباطنة، مطبوع.
١٢١ ـ الرسالة الاسطرلابية، في شرح رسالة الشيخ البهائي في أحكام الاسطرلاب، وتطبيقها على المراتب الباطنية، مطبوع.
١٢٢ ـ الرسالة البهبهانية، ألّفها في جواب مسائل الميرزا محمد باقر البهبهاني الطبيب، طبع في «مجموعة الرسائل» وبه ختمت.
١٢٣ ـ الرسالة الجنية، في أجوبة مسائل حول حقيقة الجن، طبعت في «مجموعة الرسائل».
١٢٤ ـ الرسالة الحملية، في كنيات أحوال الأئمة عليهم السلام، طبعت في «مجموعة الرسائل».
١٢٥ ـ الرسالة اليرازية، في جواب الميرزا إبراهيم، طبع في «مجموعة الرسائل»، ويحتمل اتحاده مع «جواب مسائل الشيخ إبراهيم الشيرازي» المارّ ذكره.
١٢٦ ـ الرسالة الطينية، في معنى الحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام الذي قاله في جواب من سأله: هل رأيت رجلاً في الدنيا؟ فقال عليه السلام: «رأيت رجلاً وأنا إلى الآن أسأل عنه، فقلت له من أنت؟ قال: أنا الطين... الخ»، ألّفها بالتماس الشيخ جواد بدقت الحائري، وفرغ منها في تاسع جمادى الثانية سنة ١٢٥٨ ـ ١٨٤٢، طبعت في «مجموعة الرسائل».
١٢٧ ـ الرسالة العاملية، في جواب سؤالات بعض أهل جبل عامل، حول موضوعات عديدة مختلفة، وهي ١١ سؤالاً، طبعت في «مجموعة الرسائل»، ويحتمل اتحاده مع «جواب مسائل بعض علماء جبل عامل» المذكور.
١٢٨ ـ الرسالة العملية، فارسي، مطبوع.

١٢٩ ـ الرسالة الغروية، في أجوبة مسائل المولى صالح...؟ وهي ١٦ مسألة، طبع، ولعله أجوبة مسائل المولى صالح... الذي طبع في «مجموعة الرسائل» ومرّ ذكره.

١٣٠ ـ الرسالة المكّية في أحوال الأئمة عليهم السلام وفضائلهم، فرغ منه في ١١ شعبان عام ١٢٥٠ ـ ١٨٣٤، طبع في «مجموعة الرسائل» وقد ألّفه بالتماس الحاج مكي بن عبدالله البحراني.

(ص)

١٣١ ـ السير والسلوك، في الأخلاق، فرغ منه في شعبان عام ١٢٤٥ ـ ١٨٢٩.

(ش)

١٣٢ ـ شبهة الآكل والمأكول، ألّفه بطلب من الشاه زاده محمد ميرزا، مخطوط، وهو غير «أجوبة مسائل الميرزا محمد باقر الهمداني».

١٣٣ ـ شرح الأبيات المنسوبة للإمام علي عليه السلام التي أولها:

أرى العلم في ذل وجوع ومحنة وبعد عن الآباء والأهل والوطن

١٣٤ ـ شرح الأربعين حديثاً، في حقيقة العلم وفائدته ومراتبه وعوالمه العالية والسافلة وعوالم حملته، ناقص.

١٣٥ ـ شرح الاسم الأعظم الظاهر في الهياكل السبعة المفصلة بالهياكل الأربعة عشر.

١٣٦ ـ شرح بعض فقرات الجزء الأول من شرح الزيارة، فارسي، مخطوط.

١٣٧ ـ شرح بعض فقرات الفائدة الأولى من كتاب «الفوائد» للأحسائي.

١٣٨ ـ شرح حديث عمران الصابي الذي سأل الإمام الرضا عليه السلام بقوله: أخبرني عن الكائن الأول وعمّا خلق؟ ألفه بالتماس الشيخ ميرزا زين العابدين، وقال عنه: إنه ألّفه إجابة لالتماس بعض الرؤساء الدينيين، وأنه أودع فيه عجائب المعارف الإلهية المأخوذة من مشكاة النبوة الطاهرة[1]، فرغ منه في سابع شوال عام ١٢٤١ ـ ١٨٢٥، طبع مع «اللوامع الحسينية».

---

(١) دليل المتحيرين، ص ١٣٣.

١٣٩ ـ شرح حديث القدر المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن القدر سر من أسرار الله، وستر من ستر الله، وحفظ من حفظ الله... الخ»، طبع في «مجموعة الرسائل».

١٤٠ ـ شرح الخطبة التطنجية، المنسوبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام والتي ألقاها بين مكة والمدينة، أو الكوفة والمدينة كما قاله البرسي في «مشارق الأنوار»، وهو من كتبه التي كثر حولها الكلام وتعددت المؤاخذات، قال عنه: «أودعت فيه من عجائب المطالب وغريب المآرب، ونشرت فيه من أسرار آل الله «سلام الله عليهم» ما لا تتحمله إلاّ الصدور المنيرة، والقلوب الطيبة، والفطرة الزاكية، ونفيت العلو من الاستقلال والشركة والتفويض، وأظهرت النمط الأوسط والطريقة المثلى...»[١]. فرغ منه ليلة الثلاثاء ١٥ ذي القعدة عام ١٢٣٢ ـ ١٨١٦، طبع في إيران عام ١٢٧٢ ـ ١٨٥٥ بنفقة سليمان خان الأفشار، وكان قد طبع بنفقته أيضاً عام ١٢٦٧ ـ ١٨٥٠ «شرح زيارة الجامعة» للأحسائي[٢] وقد مرّت الإشارة إلى هذا الناشر في هذا الفصل.

١٤١ ـ شرح دعاء رجب، طبع في «مجموعة الرسائل».

١٤٢ ـ شرح دعاء السمات، ألّفه بالتماس المولى علي أصغر النيشابوري، وقال عنه: «فيه من العجائب والمطالب ما يحضر عن إدراكه العلماء»[٣]، فرغ منه في مسجد الكوفة في ١٥ شعبان عام ١٢٣٨ ـ ١٨٢٢، طبع في «مجموعة الرسائل».

١٤٣ ـ شرح الدعاء المروي في «ربيع الأسابيع»، في كيفية صدور الآثار الجزئية عن المشيئة الكلية الدهرية أو السرمدية التي هي الحقيقة المحمدية، مخطوط.

١٤٤ ـ شرح رسالة التبريزي، طبع في «مجموعة الرسائل».

١٤٥ ـ شرح القصيدة البائية من «شذور الذهب» في الكيمياء، لعلي بن موسى الأندلسي، أولها:

---

(١) دليل المتحيرين، ص ١٣٣.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٣/ ٢١٩.

(٣) دليل المتحيرين، ص ١٤٥.

خذ البيضة الشقراء وانزع قشورها فإن لها تحت القشور لبابا. . الخ،
فرغ منه في قرية همذان في ١٤ شوال عام ١٢٣٩ ـ ١٨٢٣، مخطوط.

١٤٦ ـ شرح قصيدة عبد الباقي العمري «اللامية» التي نظّمها في مدح الإمام موسى الكاظم عليه السلام على أثر إهداء الخليفة العثماني السلطان محمود خان قطعة من ستر قبر النبي صلى الله عليه وآله إلى مرقد الإمام، ومطلعها:

وافتك يا موسى بن جعفر تحفة منهـا يلـوح لنـا الطـراز الأول

وقد شرحها بطلب من علي رضا باشا والي بغداد، وقال عن كتابه هذا: «وقد أودعت في هذا الشرح من غرائب الأمور وعجائب الرسوم ما لا يجمعها كتاب ولا يحويها سؤال ولا جواب، وإنما هي من إشارة السنة والكتاب»[1]، وهو بحق مجموعة غرائب وعجائب لم يدوّن مثلها كاتب ولم يجمع نظيرها كتاب!! فقد قال الميرزا علي الحائري ـ من علماء شيخية تبريز ـ: «ذكر فيها أموراً تمجها الطباع وتنفر منها نفوس الخواص فضلاً عن العوام، واستوحش منها عامة البشر، ولا يقبلها أي عقل من العقول العادية. . . الخ»[2]، فرغ منه عام ١٢٥٨ ـ ١٨٤٢، طبع في إيران عام ١٢٧٠ ـ ١٨٥٣.

١٤٧ ـ شرح اللوامع الحسينية. ألّفه بالتماس المولى مشهد. . .؟ مخطوط.

(ص)

١٤٨ ـ الصعودية والنزولية، في الأخلاق، فرغ منه في رجب عام ١٢٣٣ ـ ١٨١٧، طبع في «مجموعة الرسائل».

(ك)

١٤٩ ـ كشف الحق في الدفاع عن أهل البيت عليهم السلام، وردّ الاعتراضات التي وجهت لكلام الأحسائي في مسألة المعراج والمعاد والعلة الفاعلية وغير ذلك، فرغ منه في ذي القعدة عام ١٢٤٢ ـ ١٨٢٦، طبع في «مجموعة الرسائل».

---

(١) دليل المتحيرين، ص ١٣٤.
(٢) عقيدة الشيعة، ص ١٠٣.

١٥٠ ـ كيفية بقاء أجساد الأئمة عليهم السلام، طبع في «مجموعة الرسائل».

١٥١ ـ اللوامع الحسينية في بيان الوجودات الثلاثة: ١ ـ الوجود الحق ٢ ـ الوجود المطلق ٣ ـ الوجود المقيد، وفي حكمة أهل البيت عليهم السلام، وفيه مطالب مهمة أخرى، طبع.

١٥٢ ـ المسائل الرشيدية، ألّفه بطلب الشيخ محمد رشيد، حول حقيقة الأعيان الثابتة، واختلاف القابليات، وسر اختلاف الموجودات، وهل أنه من جانب الله أم من الحادث أم بأمر بين الأمرين في الذات والصفات والجواهر والأعراض والحقائق والأفعال؟ وغير ذلك من المطالب الغامضة، ألفه وهو ابن ١٩ سنة، طبع في «مجموعة الرسائل».

١٥٣ ـ مطالع الأنوار، ألّفه في جواب الشيخ محمد رشيد..؟ حول «الكلمات المكنونة» للفيض الكاشاني في الحكمة، ألّفه وهو ابن ١٩ سنة.

١٥٤ ـ معنى حديث: إنّ الله خلق آدم على صورته، ألّفه في مكة رداً لاعتراض البعض.

١٥٥ ـ معنى حديث: كنت كنزاً مخفياً.. الخ، فارسي، مخوط.

١٥٦ ـ معنى خلود أهل الجنة والنار وكيفية بقائهم، فرغ منه في رابع صفر عام ١٢٣٥ ـ ١٨١٩، طبع.

١٥٧ ـ مقامات العارفين، في حقيقة البدء والعود، فارسي، مخطوط.

(و)

١٥٨ ـ الوصية، كبير مفصّل، كتبه لوصية محمد شريف الكرماني في ١٥ محرم عام ١٢٤٣ ـ ١٨٢٧.

(ي)

١٥٩ ـ اليومية، في تفسير القرآن وما يتعلق به، ووجه التوفيق بين ما ورد في «سورة السجدة» من أن خلق السموات والأرض في ثمانية أيام، وصريح الآيات الأخرى ستة أيّام، ووجه اختصاصه بالستة، وقد ذكر فيها لليوم ٦٤ معنىً، ألّفها في جواب السيد محمود الآلوسي مفتي بغداد، مطبوع.

الفهـــرس

تقديم ٩

تمهيد: ١٥

محاولات التوفيق بين الحكمة والشريعة ١٥

الباب الأول: الحركات الفكرية عند الشيعة في القرن الثالث الهجري

تمهيد: ٣٣

١ ـ الأخباريون والأصوليون ٣٣

٢ ـ الشيخية وخصومهم ٤٥

٣ ـ البابية والبهائية ٤٩

الباب الثاني: الشيخ أحمد الأحسائي

الفصل الأول: سيرته

١ ـ نسبه وأسرته ٥٥

٢ ـ ولادته ونشأته ٥٨

٣ ـ هجرته إلى العراق وإيران وتنقلاته فيهما ٦٢

٤ ـ وفاته وقبره وخلفه ٧٢

الفصل الثاني: حياته العلمية

١ ـ أساتذته ٨٠

٢ ـ مشايخه في الإجازة ٨١

٣ ـ تلامذته ٨٣

٤ ـ المجازون منه ٨٦

٥ ـ مؤلّفاته ٨٩

الفصل الثالث: مكانته الإجتماعية
١ ـ شهرته وحسد المعاصرين له ٩٣
٢ ـ تكفير البرغاني له ٩٦
٣ ـ تجاوب علماء كربلاء والنجف ١٠٠
٤ ـ إنكار الأحسائي لما نسب إليه ١٠٣
٥ ـ تراجعه تحت الضغط العام ١١٢
الباب الثالث: السيد كاظم الرشتي
الفصل الأول: حياته العامة ١١٧
١ ـ نسبه وأسرته ١١٧
٢ ـ ولادته ونشأته ١١٨
٣ ـ لقاؤه الأحسائي ١٢٠
٤ ـ هجرته إلى العراق ١٢١
٥ ـ مشايخه ١٢٤
٦ ـ تلامذته ١٢٥
٧ ـ آثاره ١٣١
الفصل الثاني: أحداث عصره ونهايته ١٣٥
١ ـ تحوّل المعارضة إليه وتكفيره ١٣٥
٢ ـ مساهمة النجف في التكفير والتشهير ١٤٤
٣ ـ حادثة نجيب باشا ١٥٤
٤ ـ وفاته وقبره ١٦١
٥ ـ أولاده وأحفاده ١٦٤
الباب الرابع: انقسام الشيخية وتعدّد الزعامات
الفصل الأول: تنازع الرئاسة ١٧٧
الشيخ حسن جوهر ١٨٣

الفصل الثاني: شيخية تبريز ١٨٦
١ ـ آل حجة الإسلام ١٨٦
(١) الشيخ محمد حجة الإسلام المامقاني ١٨٦
(٢) الميرزا محمد حسين حجة الإسلام المامقاني ١٨٨
(٣) الشيخ محمد تقي حجة الإسلام المامقاني ١٨٩
(٤) الميرزا إسماعيل حجة الإسلام المامقاني ١٩٢
(٥) الميرزا أبو القاسم حجة الإسلام المامقاني ١٩٣
(٦) الميرزا علي ثقة الإسلام التبريزي ١٩٤
٢ ـ آل الأسكوئي ١٩٦
(١) الميرزا محمد باقر الأسكوئي ١٩٦
(٢) الميرزا موسى الأسكوئي الحائري ١٩٧
(٣) الشيخ الميرزا علي الحائري ١٩٩
(٤) الشيخ الميرزا حسن الأحقاقي ٢٠٠
الفصل الثالث: شيخية كرمان ٢٠٣
٣ ـ آل الكرماني ٢٠٣
(١) الحاج محمد كريم خان الكرماني ٢٠٥
(٢) الحاج محمد خان الكرماني ٢١٠
(٣) الحاج محمد زين العابدين الكرماني ١١٣
(٤) الحاج أبو القاسم خان الكرماني الإبراهيمي ١١٥
(٥) الحاج عبد الرضا خان الإبراهيمي ١١٨
(٦) السيد عبدالله الموسوي ٢٢٠
الباب الخامس: المدرسة الشيخية وآراؤها
١ ـ الشيخية والكشفية والركنية ٢٢٥
٢ ـ عوامل ظهور الأحسائي ٢٢٧
٣ ـ منهج الأحسائي العلمي ٢٣٣

٤ ـ المؤاخذات على الشيخية ٢٤٢
أولاً: المعاد الجسماني ٢٤٩
ثانياً: المعراج النبوي ٢٧٣
ثالثاً: الغلو والتفويض ٢٨١
رابعاً: الإمام الناطق والركن الربع ٢٩٨
خاتمة ٣٣٣
المصادر والمراجع ٣٥١

* * *

هذا الكتاب:

يبحث هذا الكتاب، وهو في الأصل رسالة جامعية، في فرقة «الشيخيّة» وهي فرقة خرجت من رحم الاتجاه الاخباري الذي برز في بعض أوساط الشيعة الامامية منذ مطلع القرن الحادي عشر الهجري واستمر حتى منتصف القرن الثالث عشر حيث تغلّب عليه الاتجاه الأصولي، ويتضمّن تمهيداً وخمسة أبواب وخاتمة. يتحدث في التمهيد عن محاولات التوفيق - ما اهتم مؤسس هذه الفرقة الشيخ أحمد الإحسائي. ويبحث في الفصل الأول في الحركات الفكرية عند الشيعة الإمامية في القرن الثالث عشر الهجري، وفي الثاني في سيرة الشيخ الإحسائي، وفي الثالث في سيرة السيد كاظم الرشتي، تلميذ الإحسائي، وفي الرابع في انقسام الشيخية وتعدُّد زعاماتها، وفي الخامس في آراء الفرقة الشيخية؛ حيث يتمّ التركيز على مسائل الخلاف بين هذه الفرقة ومعارضيها، وأبرزها أربع مسائل هي: المعاد الجسماني، المعراج الجسماني، الغلوّ والتفويض، والرُّكن الرابع.

أما الخاتمة فيلخّص فيها المؤلف أهم ما انتهى إليه بحثه هذا من نتائج.

الناشر